



مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات
العلمية الخاصة بفكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وما يتعلق
به لاسيما علوم نهج البلاغة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * فَاَلَيْكَ يَوْمَ الدِّينِ اَنَا نَعْبُدُ وَاَنَا بِكَ
نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

صدق الله العلي العظيم

أبواب المعرفة

مجلة أبواب المعرفة

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية الخاصة
بفكر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وما يتعلق به ولا سيما علوم نهج البلاغة.

شهر شوال، سنة ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م، العدد (الثالث)

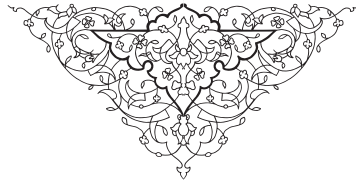


عدد خاص بالبحوث المشاركة في مؤتمر الغدير العلمي الأول للإبداع
الفكري - ٢٠ ذي الحجة ١٤٤٣هـ



الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب
من العلم يفتح لي في كل باب ألف باب



الإرشاد، ج ١، ص ١٨٥ . نظم درر السمطين ، ص ١١٣ . مسند أحمد، ج ٥، ص ٣٠.



المشرف العام
السيد علي المجابري

الهيئة العلمية الاستشارية
أ.د. حسن عيسى الحكيم
أ.د. يحيى السلطاني أ.د. صباح عنوز
السيد زيد الحلو
أ.د. عباس الفحام أ.د. عمار نصار

رئيس التحرير
الأستاذ هاشم محمد الباجي

التصحيح اللغوي
أ.م.د. خالد كاظم حميدي

العلاقات العامة والمتابعة والتوزيع
الشيخ أحمد الذهبي
المرتضى هاشم
محمد باقر رحيم الحسناوي

التنفيذ الإلكتروني
أحمد هاشم

التصميم والإخراج الفني
أحمد مكي جعفر

am | AGENCY
وكالة إي أم الإعلان

078 2690 1443

الْأَوَّلُ الْمَعْرِفَةُ

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية
الخاصة بفكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وما يتعلق به لاسيما علوم
نهج البلاغة.

تصدر عن:

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية
Imam Amir Al-Mu'mineen (peace be upon him)
Center for Speciazlied Studies and Research



جمهورية العراق - النجف الاشرف

من أهم معايير القبول الأولي لنشر الأبحاث في مجلة أبواب المعرفة أن يشكل البحث إضافة علمية في مجال البحث ويسهم في التنمية الفكرية والعلمية وان يكون بحثا غير تقليدي مكتمل العناصر الأساسية.

١- تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل.

٢- تُعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز.

٣- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

عناصر البحث الأساسية:

١- عنوان البحث.

٢- معلومات عن الباحث (الدرجة العلمية، التخصص، الجامعة أو مكان العمل، المدينة، الدولة، بيانات التواصل).

٣- ملخص البحث ما لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغة العربية.

٤- المقدمة ويجب ان تتضمن مشكلة البحث وأسئلته، أهمية البحث، أهداف البحث.

٥- أجزاء البحث ومحتوياته.

٦- الخاتمة.

٧- نتائج البحث.

٨- التوصيات والمقترحات.

٩- المراجع.

تنسيقات البحث:

- ١- يرفق مع البحث ملخص للبحث لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغتين العربية، والانجليزية.
- ٢- ترتيب العناوين الرئيسية والفرعية ترتيباً تسلسلياً على التوالي.
- ٣- ترتيب الجداول والأشكال والصور في البحث ترتيب تسلسلياً على التوالي.
- ٤- لا تتجاوز عدد صفحات البحث ٤٠ صفحة ولا تقل عن ١٠ صفحات.
- ٥- ترقيم صفحات البحث.

المحتويات

١٥	أ.د. حاكم حبيب الكريطي	ولاية أمير المؤمنين ﷺ قراءة تأويلية في حديث الغدير وآيات الولاية
٣١	أ.د. سمير الخليل	القيم العصرية في فكر الإمام علي ﷺ
٤٩	أ.د. محمد علي آذرب	الإمام أمير المؤمنين علي ﷺ والحضارة الإسلامية
٨٣	أ.د. فاضل عبود التميمي	البلاغة والبليغ في التفكير اللساني عند الإمام علي ﷺ
١٠١	م. خالد عبد النبي الرأسي	المرجعيات الثقافية في شعر السيد رضا الهندي الموسوي .. غدير ياته مثلاً
١٢٧	أ.د. يسار الشماع	القوة البدنية للإمام علي ﷺ والتحليل الفلسفي
١٣٧	د. نضال السامان	الحجاج البلاغي في أقوال الإمام علي ﷺ وخطبه
١٥٩	أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي	الولاية والخلافة والإمامة في حديث الغدير
١٨٣	د. علي أحمد عمران البحرين	الحجاجية في الأمثال العربية
٢٠٥	الشيخ حسن حسين الحلي	الأثر التربوي في حديث الغدير
٢٢٣	الشيخ الحسين أحمد كرمو سوريا	التمهيد الإلهي والنبوي لمسألة الولاية العلوية المباركة
٢٤٧	أ.م.د. خالد كاظم حميدي	واقعة الغدير في دراسات المستشرقين الغربيين

المحتويات

٢٦١	أ.م.د- هيدر عبد الحسين زوين د. عبد الكريم جعفر الشفيعي	الوسطية ومظاهرها في خطبة الغدير
٢٨٣	م.د. ميثم سعد طر العاروق م. نهي حامد طاهر الطائي	يوم الغدير في ظل السنة النبوية
٣٠٥	أ.د.د. ر. حليم خريط عطية	حادثة الغدير الدلالات والتتائج
٣٣٥	الباحثة نور الهدى جابر جبار	واقعة بيعة الغدير في الفكر الاستشراقي
٣٤٩	الشيخ الدكتور عبد القادر يوسف ترنتي لبنان	عيد الغدير وأبعاده بين طبيعة التلقي وأزمة الثبات
٣٧٥	الباحث هادي حسن شويخ الباحثة نضال علي الربيعي	بناء الإنسان عند الإمام علي عليه السلام في ضوء كتاب نهج البلاغة

إضاءة

رسالة علم وإيمان

رئيس التحرير

بحوث رصينة.. وقامات علمية، خطت بأناملها نور الفكر.. وجمال الروح..
فزهرت بعبير العلم.. وشذى الايمان.. من نسيمات فكر الامام علي عليه السلام.. إمام
البلاغة والبيان... في مؤتمر الغدير العلمي الأول للإبداع الفكري.

افتتحت يوم الأربعاء ٢٠ ذي الحجة ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٠ / ٧ / ٢٠٢٢ م في الساعة
التاسعة والنصف صباحا فعاليات المؤتمر الذي أقامه مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
للدراسات والبحوث التخصصية، وابتدأ المؤتمر بقراءة آيات بينات من الذكر
الحكيم للقارئ السيد حيدر الميالي، بعدها ألقى سماحة السيد مرتضى الشيرازي
(دام ظله) كلمة موجزة عن يوم الغدير وبيعته المباركة أوضح فيها الابعاد
الحقيقية ليوم الغدير ورمزيته الدينية والعقائدية لكافة المسلمين، ثم أنشد الشيخ
حسنين قفطان قصيدة رائعة حول بيعة الغدير، بعدها ألقى أ.د. عباس الفحام
رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر كلمة المركز حيث بين أهداف المركز وتوجهاته
وتطلعاته في نشر فكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واثاره الخالدة.

ثم بدأت أعمال الجلسة الصباحية للمؤتمر برئاسة أ.د. صباح عنوز، والدكتور
الشيخ محمد النائي مقرا، حيث تمت مناقشة تسعة بحوث، وبعد الصلاة
والاستراحة للباحثين الكرام، بدأت في الواحدة والنصف ظهرا أعمال الجلسة
المسائية التي كانت برئاسة أ.د. عباس الفحام ثم الدكتور رحمن الكريطي، والسيد
نوفل الحمامي مقرا، وتمت مشاركة تسعة بحوث أيضا، وقد شاركت في المؤتمر
شخصيات علمية حوزوية واكاديمية من النجف الاشرف والمحافظات، كما
وشاركت ثلاثة بحوث من البحرين وسوريا ولبنان، وفي نهاية المؤتمر قدم سماحة
السيد علي الجابري المشرف العام للمركز، ومدير المركز الأستاذ هاشم الباججي،
ورئيس المجلس العلمي الاستشاري للمركز الأستاذ المتمرس د. حسن عيسى
الحكيم شهادات تقديرية للباحثين المشاركين في المؤتمر،

وانطلاقا من عمل المركز في نشر فكر وتراث الامام أمير المؤمنين عليه السلام تقرر اصدار
العدد الثالث من مجلة أبواب المعرفة ليكون عددا خاصا بالبحوث المشاركة في
مؤتمر الغدير العلمي الاول للإبداع الفكري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



IN THE NAME OF ALLAH THE MOST BENEFICENT THE MOST MERCIFUL





ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)

قراءة تأويلية في حديث الغدير وآيات الولاية

الأستاذ المتمرس الدكتور حاكم حبيب الكريطي



الجامعة الإسلامية / النجف الأشرف







مقدمة

تحفل كتب المحدثين والإخباريين وأهل السير بالأخبار والروايات التي يحيط بها الشك أحياناً، أو التي تبعد عن طريق الحق أحياناً أخرى بدافع الولاء والحب لهذا الشخص أو ذاك مرة، وبدافع القصد المريب مرة أخرى، والشواهد على ذلك كثيرة جداً، وأية قراءة متأنية لتلك الروايات تكشف عما نقوله بيسر. والعدل المعرفي يقتضي أن ننظر في أي خبر أو أية رواية على وفق المعيار القرآني وما يتصل به من الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي ﷺ فما توافق مع هذا المعيار، نأخذ به، متمسكين بهديه، وما خالفه لا نقبله ولا نعمل به. واستناداً إلى هذا فإن النظر في الروايات المشار إليها، يُظهر بُعد بعضها عن منهج الدين القويم، ولكن البعض جعلها رواية مقدسة لأنها رويت عن أحد الصحابة، فأسبغت عليها قدسية من هذا الجانب، وهذا التوجه لا يتوافق مع منطق العقل السليم، لأن ما يصدر عن الصحابي، يصدر عن بشر يُصيب ويُخطئ، فضلاً عن أنه يصدر عن إنسان يمزج ما يصدر عنه بمشاعره وأحاسيسه، ومن هذا لا يمكن القطع بصحة كل ما يصدر عن الصحابة، إن كان صدر حقاً.

واستناداً إلى ما تقدم، فلا يمكن أن يكون لشخص ولاية على شخص آخر، إلا أن يكون الولي مبرأ من الخطأ ومعصوماً من الوقوع فيه، حتى يسير بمن يتولاه على الطريق المستقيم الذي يريده الله تعالى لعباده والذي ينجيه من الهلكة، وتكون سنته قدوة لتابعه، وهذا شأن النبي ﷺ إذ أراد الله تعالى أن يكون ولياً للمسلمين برحمة منه جل شأنه، لأنه معصوم من الخطأ والزلل ومبرأ مما يلحق الناس من عيوب، ومسدد من الله تعالى في القول والعمل (وما ينطق عن الهوى). واستناداً إلى هذا حُقق له أن يكون (أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، وهذا التشریف الإلهي حقاً فرضه الله تعالى على المسلمين، فآمنوا به وعملوا على وفق ما يقتضيه.

وصار علي بن أبي طالب اماماً وولياً للمسلمين بعد النبي ﷺ بنص القرآن الكريم وبنص حديث الغدير. فكيف نتأول هذا كله من المصدرين. وسنبداً قراءتنا التأويلية من نص حديث الغدير لنعطف أبصارنا بعد ذلك إلى القرآن الكريم، فنأخذ منه ما يساند هذه القراءة حتى يستقيم أمرها تماماً.





القراءة اللغوية لحديث الغدير:

أوردت مصادر المسلمين حديث الغدير بصورة واحدة، سوى بعض الاختلافات التي توسّع من معناه، واستناداً الى هذا سنكتفي هنا بالمقطع الذي أجمعت عليه المصادر كلّها، وهو قول النبي ﷺ بالحادثة المعروفة في غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه)^(١)، ومن أجل الوقوف على دلالات الحديث، سنكثر من العودة الى المعجم لالتقاط معاني المفردات المركزية للحديث، لأنّ اللفظة (أية لفظة) تبقى وفيّة لجذرها اللغوي، مهما تعددت المعاني التي تُخرجها إليها السياق، ومن هنا سيكون مجدياً تماماً على وفق هذه الرؤية أن نعود الى المعجم لأخذ معاني الجذر (ولي)، التي يحتملها السياق، بل يقبلها من دون أي جور عليه وعلى اللفظة. جاء في لسان العرب تحت الجذر (ولي) المعاني الآتية:-

١- الولاية: القدرة والتدبير والفعل، وما لم يجتمع هذا في الولاية لم ينطبق عليه اسم الوالي.

٢- الولي: النصير، التابع، المحب، الصديق.

٣- الولي: كل من ولي أمر واحد فهو وليه.

٤- المولى: الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب.

إنّ النظر في هذه المعاني يقود إلى نتيجة مؤداها، إن الولي يمتلك القدرة والفعل بما يجعله قادراً على تدبير شؤون من اتخذه ولياً، وإذا فقد أيّاً من هذه الصفات الثلاث، لا يصح إن يسمّى ولياً؛ لأنّ التوصيف لا ينطبق عليه. هذا فضلاً عن إن هذا المعنى يكشف من طرف خفي عن إيمان المولى، النصير، المحب، التابع، الصديق، بقدرة الولي الذي اتبعه على تدبير شؤونه، فسلم له أمره مؤمناً بقدرته على قيادته في الطريق المستقيم.

والنبي ﷺ يمتلك هذه الصفات كلّها، وآمن المسلمون بذلك كله؛ ولذلك جعله القرآن الكريم (أولى بالمؤمنين من أنفسهم)؛ لأنّ ولاية النفس على الإنسان قد تقوده إلى مهاوي الردى فهي أمّارة بالسوء إلا ما رحم الله تعالى. أمّا ولاية النبي ﷺ فهي ضمان رباني للمسلمين، يحميهم مما لا يرضاه الله تعالى، وهذا لا يتحصل إلاّ بالإيمان بهذا كلّ على وفق ما يريده المعنى اللغوي لـ (ولي).

وعوداً إلى حديث الغدير، فالنبي ﷺ أخبر المسلمين، بأنّ ولايته على المسلمين



المقررة إلهياً بنص القرآن الكريم - كما مرّ - هي لعلي عليه السلام عليهم. وهو عليه السلام لا ينطق عن الهوى، فكل ما يبلغ به عن الله - عز وجل -، واستناداً إلى هذا تكون ولاية الإمام علي عليه السلام على المسلمين، ولاية ربانية، تشكّل أساً رئيساً من أسس العقيدة الإسلامية، استناداً إلى حديث الغدير.

وثمة أمر آخر نلاحظه في الحديث، وهو إنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يقل من كنت مولاه فسيكون علي وليه. أي في المستقبل، إذا توفي صلى الله عليه وآله وإنما جاء الحديث بهذه الصياغة، لينبئ المسلمين، بأن ولاية علي عليه السلام - قائمة منذ صار النبي نبياً أي مع أول تبليغ للنبي صلى الله عليه وآله بالنبوة، ويمكن أن يتراءى هذا المعنى مع الفاعل (كنت) الذي يشير إلى ما سبق من زمن، دون أن يقصر الدلالة عليه؛ لأنّ صاحب القول يتحدث في الحاضر بلسان الماضي والحاضر، فإذا حصل وانتقل إلى الحياة الأخرى، تبقى ولاية علي بن أبي طالب على المسلمين قائمة كما كانت في حياته عليه السلام.

إنّ ما أثبتناه هنا يكشف أنّ هذه (الولاية) حقّ لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وواجب على المسلمين أن يعملوا على وفق ما يقتضيه هذا الحق.

ويُعينا ابن منظور في لسان العرب في إدراك أبعاد هذه القضية حينما يورد حديثاً آخر للنبي صلى الله عليه وآله بهذا المعنى، وهو قوله - عليه السلام - (من تولّاني فليتول علياً). وهذا واضح الدلالة على المعاني التي خرج إليها (ولي). ومعناه على وفق ذلك: من جعلني ولياً له وأملك حق التصرف في شؤونه كلّها، فعليه أن يجعل هذا كله لعلي عليه السلام. وهذا التوجيه الذي نطق به ابن منظور يقطع تماماً بصحة ما تأولناه في توجيهنا السابق، ويتناغم تماماً مع ما تؤديه اللغة في دلالة حديث الغدير.

بيد أنّ ما ينبغي أن نشير إليه هنا، إنّ أحد علماء اللغة وهو (ثعلب) أجهد نفسه في توجيه حديث الغدير توجيهاً آخر. فلمّا لم يجد ما يعترض عليه في الدلالات اللغوية لمعاني الجذر (ولي)، فهو ممن أخذت اللغة عنه، وجهه توجيهاً آخر، ورأى أنّ دلالة الحديث تعني المحبة والطاعة فقط، ولا تعني مولى الخلق ومالكهم، من دون أن يقدم مسوّغاً لما يقول، وقصر الدلالة على بعض المعاني دون البعض الآخر، وقد تنبّه ابن منظور لما أراده ثعلب، فقال مستحضراً المعاني التي يؤديها (الولي). فقال (وقوله - عليه السلام - من كنت مولاه فعلي مولاه، يحمل على أكثر الأسماء





الى هذه القضية، فيقول في نهج البلاغة مؤكداً هذه الدلالة حينما يصف أهل البيت - عليهم السلام - وهو سيدهم بعد النبي صلى الله عليه وآله (ولهم خصائص حق الولاية)^(٤). وقول الإمام - عليه السلام - هذا يعني إن هذا الحق يشمل كل ما تخرج إليه دلالة الجذر (ولي) ويتواءم مع السياق، ولو كان بين المسلمين من لا يؤمن بهذا الحق لاعتراض على الإمام بحجة أنه صحابي (مثلاً)، ولا يقرّ بهذا الحق، ولكن المصادر لم تُشر الى أيّ اعتراض على هذا الحق الإلهي الممنوح منه جلّ شأنه لأهل البيت عليهم السلام.

لقد أثبتت لنا هذه القراءة التأويلية، من جهة اللغة دقة حديث الغدير في بيان أنّ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، هي ولاية ربانية بلّغ بها النبي صلى الله عليه وآله، على وفق منطوق الحديث الذي أعاننا لغويّاً على الوصول الى تلك الدلالة من دون أن نذهب بعيداً مع الروايات لأنّ من كتب عن حديث الغدير، كثيرون، وجعلوا الروايات وهم على حق - مساند لما كتبوا.

المذكورة)^(١)، ثم يردف ابن منظور قوله هذا، بقول آخر يتصل به ويكشف عن المضمون الذي يريده لتوجيه الحديث، فقال (... وقول عمر لعلي - رضي الله تعالى عنهما - أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة أي ولي كل مؤمن)^(٢).

وثمة رواية أخرى تعضد ما بسطناه تأويلياً فيما مرّ، تقول الرواية: حينما قال النبي صلى الله عليه وآله هذا الحديث، قام إليه سلمان الفارسي فقال (يا رسول الله ولاؤه كماذا؟ فقال ولاؤه كولائي، من كنت أولى به من نفسه، فعلي أولى به من نفسه، فأنزل الله تبارك وتعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(٣). وهذه الرواية تلتقي مع ما أوردناه قبل صفحات من توحيد ولاية النبي صلى الله عليه وآله وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، من أول الإسلام، استناداً الى المعطيات اللغوية التي تحتم علينا أن نقرأ النصوص على وفق مداليل اللغة، وليس على وفق مداليل ما نعتقد به فقط. وما نخلص إليه من هذا كلّهُ إن الولاية حق مفروض من الله تعالى لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ويلفت الإمام عليه السلام نظر المسلمين

١- لسان العرب (ولي).

٢- نفسه.

٣- إكمال الدين ٢٧٦.

٤- نهج البلاغة ٢/ ١٣٩.



الولاية في القرآن الكريم:

والآن نذهب إلى القرآن الكريم لننظر فيها ورد فيه عن دلالة (الولاية)، ومدى التطابق بينه وبين حديث الغدير لنطمأن إلى سلامة قراءتنا التأويلية.

إنَّ حق الولاية الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام يتمظهر في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)، والمقام يقتضي أن نقف على دلالات (أولي الأمر) الذي قرن الله تعالى طاعتهم بطاعته وطاعة نبيه ﷺ.

انقسمت الطاعة في الآية الكريمة إلى طاعتين، طاعة الله - عز وجل - وطاعة الرسول ﷺ وأولي الأمر. وطاعة أولي الأمر مرتبطة بطاعة الرسول ﷺ، بدلالة العطف بالواو من جهة، وبدلالة عجز الآية الكريمة من جهة أخرى، إذ يُردُّ التنازع في أي شيء إلى الله تعالى وإلى الرسول، فكأن الإشارة الأولى إلى (أولي الأمر) أغنت عن ذكرهم مرة ثانية مع ذكر الرسول ﷺ، لأن طاعتهم من طاعته بدلالة صدر

الآية، وهذا من أساليب التعبير المعهودة في القرآن الكريم، هذا فضلاً عما يؤديه هذا الأمر من الإشارة إلى التوحد بين طاعتي الرسول ﷺ وأولي الأمر من دون فاصل بينهما.

إنَّ ولي الأمر هنا - وعلى وفق دلالة الآية المباركة - لا يمكن أن يكون مطاعاً إلا إذا سار على نهج النبي ﷺ في القول والفعل، لأن طاعته تُفضي إلى طاعة النبي ﷺ وإلى طاعة الله تعالى، وهذا قد لا ينطبق على السلاطين أو الامراء أو أهل العلم الذين أشار إليهم بعض المفسرين، وعدّوهم مقاصد لدلالة الآية^(٢)، فهذا كلام عام يخلو من أي ضابط معرفي يُستند إليه في قبول توجيه دلالة الآية إليه، لأنه يجعل ولاية الأمر لا حصر لعدددهم بين المسلمين في الأزمان المختلفة، وخاصة من يقال أنه من أهل العلم من الفقهاء والعلماء في الدين، ورأينا بعض المسلمين ممن يُقال أنهم من هؤلاء يناصب بعضهم البعض العداء، ناهيك عن الاتهام الذي يرمي بعضهم بعضاً به لهذه القضية أو تلك، هذا فضلاً عن أنَّ السير على منهج النبي ﷺ في القول والعمل، وهذا ما أشرنا إليه من قبل، صار ركيزة للخلاف بين المسلمين في

١- سورة النساء ٥٩

٢- ينظر مثلاً لا حصر زاد المسير ٢/ ١٤٣، تفسير القرطبي ٥/ ٢٥٨، تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٠.



جاءت به الروايات الصحيحة الكثيرة مع ذلك. وهو ما قال به المفسرون أيضاً، ولكن بدلالة الروايات.

بيد أن هناك من المفسرين من أورد روايات توجّه دلالة (أولي الأمر) في الآية إلى كبراء الصحابة^(٢)، أو إلى أهل العلم من الصحابة^(٣). وهنا نقول إن هذا الكلام كلام عام أيضاً، لا يقف عند صحابي دون آخر، فمن هؤلاء كبار الصحابة (والكبر هنا ليس كبر السن طبعاً)؟، وما الأسس التي يُستند إليها في معرفتهم؟.

إن الإجابة عن هذا كلّه تقود إلى التعميم أكثر مما تقود إلى البيان، خاصة وإن من المسلمين من يقول بعدالة الصحابة جميعاً، وهنا تضطرب الرؤية ويختلط الأمر. ولكن المعاني اللغوية التي أشرنا إليها من قبل والتي أشارت إلى حسن التصرف والتدبير وصواب النظر في الأمر ودقته بحسب سياق الآية، فضلاً عن التحكم الحكيم في مجاري الأمور، هذه كلّها تعيدنا إلى الدلالة المعجمية لمعنى الولي، فأولو الأمر معروفون من الصحابة بهذه الخصال لذا أمروا بإطاعتهم في الآية، ولم يصل إلينا في حدود اطلاعنا أن صحابياً

العصور المختلفة، فما من فرقة من فرق المسلمين إلا وترى نفسها أنها الأقرب إلى هذا الذي نقوله. وصار البيان الذي أشير إليه عند المفسرين غموضاً.

ولكي نجلي حقيقة ما نريد، ونبعد الغموض المشار إليه تنظر في آية أخرى ورد فيها ذكر (أولي الأمر)، وهي قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، فأولوا الأمر هنا يستحقون أن يُردّ إليهم الأمر كما يُرد إلى الرسول ﷺ بدلالة واو العطف، ولا شك أن هؤلاء معروفون من الصحابة المؤمنين الذين أمروا برّد الأمر إليهم. إذا هؤلاء هم الذين أعطاهم الله سبحانه وتعالى ولاية على المسلمين وأمرهم بأن يسلموا أمورهم إليهم. وهم الأئمة عليهم السلام، كما ظهر لنا في الاستدلال اللغوي على ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وولايته هي ولاية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد أشارت إلى ذلك كثير من الروايات الصحيحة، ولكن التأويل اللغوي قادنا إلى ذلك فتوافق مع ما

١- النساء ٨٣

٢- ينظر زاد المسير ١٤٣/٢.

٣- ينظر الدر المنثور ١٧٦/٢.



ادّعى أنه من أولي الأمر، إلّا ما جاء عن النبي ﷺ بأنّهم الأئمة عليه السلام وهذا نتاج ما تأولناه لغوياً.

وإذا أردنا أن نعيد صياغة الفكرة السابقة على نحو آخر نستمدّه من الروايات واللغة، نقول: إن ولي الأمر الذي تتجسد فيه خصائص الولاية على وفق توصيف الإمام علي عليه السلام، هو من يعرف دلالات القرآن الكريم، ليستنبط فيها ما يُغني المسلمين في حياتهم، ولما كان القرآن الكريم تبياناً لكل شيء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، فإنّ ولي الأمر هو الذي يعرف الوجود كلّهُ بعد النبي ﷺ لأن (الوجود كلّهُ) هو (كل شيء)، الوارد في الآية السابقة، وهذا ما اختص به علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده فقط، فعن أبي بصير قال (قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك، أي شيء هو العلم عندكم؟ قال ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة)^(٢).

فقد أجمع المسلمون على أنّ المقصود بـ (الذين آمنوا)، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أحصى الشيخ الأميني في موسوعة

(الغدير) ستّة وستين مصدراً من مصادر المسلمين، أجمعت على أنّ الآية نزلت في علي عليه السلام بعد أن تصدّق بخاتمه وهو يصلي. والذي سنلتفت إليه أولاً معنى الولاية في الآية الكريمة، ثم نعطف بصرنا على سبب نزولها لنصل إلى حكم قاطع بشأن دلالتها، حكم تقوده اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

فالولي في اللغة - كما مرّ - يعني فيما يعنيه (المالك)، وهذه ولاية الله سبحانه وتعالى على عباده، وترتبط بهذه الولاية على وفق دلالة الآية، ولاية الرسول وولاية الإمام علي عليه السلام (أهل البيت عليه السلام)، فالولاية واحدة، لأنها جاءت في صدر الآية، ثم ثبت لمن ذكروا (الله، الرسول، الذين آمنوا)، فهي إذاً ولاية واحدة، ولا يمكن تجزئتها، لنقول إنّ لها أكثر من دلالة، وقد تنبّه المفسرون إلى هذا التوجيه اللغوي، ولكنهم لم يذهبوا إلى الدلالة اللغوية التي بسطها التركيب النحوي على نحو قاطع، فقد ذهب صاحب الميزان إلى القول إنّ سياق الآية (يدلُّ على وحدة، في معنى الولاية المذكورة فيه حيث تضمّن العد في قوله تعالى (الله ورسوله والذين آمنوا) وأسند الجميع إلى قوله (وليكم،



وظاهره كون الولاية واحدة^(١).

والوحدة التي أشار إليها السيد الطباطبائي لا تخرج عن الدلالات اللغوية التي قدمها الجذر (ولي) - كما مرّ - وهي لا تعدو المعنى العام المشار إليه (الولي الذي يمتلك القدرة والتدبير والفعل) وهذه ولاية التصرف التي اختص بها الله تعالى ومنحها تفضلاً لنبيه عليه السلام ولعلي عليه السلام (ثم لأئمة أهل البيت عليهم السلام من بعده، وهذا كلّه يتناسب مع مضمون الرواية التي تحدثت عن سبب النزول، تقول (...)) وخرج النبي عليه السلام إلى باب المسجد، فإذا هو بمسكين قد خرج عن المسجد وهو يحمد الله - عز وجل - فدعاه النبي عليه السلام فقال: هل أعطاك أحد شيئاً، قال: نعم يا نبي الله، قال: من أعطاك؟، قال الرجل القائم أعطاني خاتمه، يعني علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - فقال النبي عليه السلام على أي حال أعطاكه، قال: أعطاني وهو راکع، فكبر النبي عليه السلام وقال: الحمد لله الذي خصّ علياً بهذه الكرامة، فأنزل الله عز وجل - والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون^(٢). إن الذي يستوقفنا من هذه الرواية

تكبير النبي عليه السلام فالتكبير محمودٌ في كل حين، ولكنّه هنا وسيلة مباركة إلى لفت أنظار المسلمين إلى أمر ما، وهذا الأمر تصدق علي عليه السلام بخاتمه وهو راکع، بمعنى إن الولاية المذكورة في الآية تخصّصه لوحده بعد النبي عليه السلام فهو الذي تصدّق راکعاً، ولا يمكن أن نلفتها إلى غيره من المؤمنين، والذي يقوّي هذا التوجيه ويقطع بحجته، إنّ النبي عليه السلام عقب ذلك بحمد الله تعالى على هذه الكرامة التي خصّ بها علياً. واستناداً إلى هذا فلا يصح على وفق منطق اللغة ومنطق الرواية أن توجه دلالة الولاية هنا إلى (المؤمنين) كلّهم، على النحو الذي ذهب إليه بعض المفسرين. حينما قالوا: إن الولاية في الآية لكل المؤمنين وأفرد الركوع بالذكر تشريفاً له^(٣). وهذا الأمر يُرد بما قلناه سابقاً، ونتمّ الردّ ونعضده بأمرين:

الأول: إنّ معنى الولاية الذي بيّنته الآية - كما بيّنا - هو التدبير والقدرة والفعل، أي حسن التصرف، وكون الولاية واحدة في الآية، لا يصح أن تكون ولاية المؤمنين مطلقة على بعضهم على هذا النحو، هذا فضلاً عن أنّ دلالة (الذين آمنوا)

١- الميزان ١٢/٦.

٢- تفسير مقاتل بن سليمان ١/٤٢٩.

٣- م. ن.



في الآية، إذا كانت مطلقة، لا يمكن أن يعترض على من يقول أنه من (الذين آمنوا)، وتكون له ولاية مطلقة على غيره، ولو كان لا يُحسن التصرف مثلاً، ومن هنا يتفّلت حق التصرف من أيدي أصحابه الحقيقيين الذين اختارهم الله، ويكون حقاً للجميع، وهذا لا يبغي مجتمعا يريد الله تعالى للمسلمين، إذ جعل ولايتهم موكولة الى نبيه وأوليائه (أهل البيت عليه السلام).

الثاني: إن معنى الركوع في اللغة (الخضوع) (يُقَال رَكَعَ يَرْكَعُ رَكَعاً وَرَكَوعاً، طَأْطَأَ رَأْسَهُ... وأما الركوع في الصلاة، فيعني أن يخفض المصلي رأسه بعد القومة التي فيها القراءة حتى يطمئن ظهره راکعاً. قال لبيد:-

أخبر أخبار القرون التي مضتْ

أدبُ كائِي كلما متُّ راکعُ

فالراکع: المنحني في قول لبيد، وكل شيء ينكبُّ لوجهه فتمس ركبته الأرض، ولا تمسها بعد أن يخفض رأسه فهو راکع^(١)، وهذا الوصف للراکع يعني الراکع في الصلاة، فمن تزكى بآله في حال الركوع في الصلاة هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بإجماع المسلمين، وقد يُقال هنا إنَّ المعنى

العام للركوع يعني الخضوع، فتوجّه اللغة الآية الى نحو آخر - وهذا الأمر مردود أيضاً، لأنَّ الخضوع مرتبطٌ بطأطأة الرأس في اللغة واصطلاحاً في الصلاة.

واستناداً الى ما تقدم تتعاضد الدالتان دلالة اللغة ودلالة الرواية - لتجعلاً حق الولاية في الآية الكريمة محصور بأهل البيت عليه السلام وإذا استذكرنا ما أشار إليه الإمام عليه السلام من خصائص حق الولاية المشار إليه آنفاً، نطمئن الى أنه عليه السلام - أراد أن يعيد الى أذهان بعض المسلمين ما ندّ عنها من دلالة (الولاية) في الآية الكريمة.

وثمة أمرٌ آخر يرشحه لنا التركيب النحوي للآية الكريمة فقد بدأت الآية بـ (إنما)، وهذا يعني تحقيقاً لما تضمنته من دلالة (الولاية) المشار إليها وحصره بالله تعالى وبالنبي عليه السلام وبالإمام علي عليه السلام. جاء في لسان العرب (ومعنى إنما اثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه.... وإن زدت على (إن) (ما) صار للتعين كقوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء) لأنه يوجب اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه^(٢). ومن هنا فاللغة لا تسمح لنا بتوجيه الآية على النحو الذي ذهب إليه بعض المفسرين، لأنَّ اطلاق (الذين آمنوا)

١- لسان العرب (ركع).

٢- م. ن (انن)، وينظر معاني النحو ١/ ٣٥٥.



على المؤمنين جميعاً، ينفي الحصر بـ (إنما)، وهنا لا يبقى مسوغ لغوي لاستعمال (إنما)، إذ يحتم هذا المعنى أن يكون التعبير بـ (إن) بدل (إنما)، وهكذا تتبين لنا دقة الدلالة في الصياغات القرآنية للتعبير عن المعاني المحددة.

إن هذه الكرامة كرامة (الولاية) على وفق توصيف النبي صلى الله عليه وآله كما مرّ بنا -، التي خُصَّ بها الإمام علي عليه السلام - تستدعي سمات معينة راکزة في ذاته، يمكن أن نتلمس بعضها في قوله له ورد في نهج البلاغة، جاء فيه ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَاشْتَغَلُوا بِأَجْلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشَوْا أَنْ يُمَيِّتَهُمْ، وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيُتْرَكُهُمْ، وَرَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالاً، وَدَرَكَهُمْ لَهَا قُوْتاً، أَعْدَاءُ مَا سَالمَ النَّاسُ، وَسَلَّمُ مَا عَادَى النَّاسُ، بِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ وَبِهِ عِلْمُوا، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا، لَا يَرُونَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا خَوْفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ﴾^(١).

فالإمام علي عليه السلام في هذا النصّ لم يذكر

أهل البيت عليهم السلام صراحة في هذا القول، إلّا أنه واضح في دلالاته عليهم؛ لأنّ السمات التي وردت في النص لا يمكن أن تكون إلّا فيهم عليهم السلام، وقد تلمّس هذا ابن أبي الحديد من قبل، فقال معلقاً على هذا القول (...): هذا يصلح أن تجعله الامامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذاهبهم^(٢).

١- ومن أجل بيان بعض المراد من توصيف الإمام للأولياء، نقول: إنّ كل شيء في الكون ظاهر وباطن، فالله سبحانه وتعالى ظاهر وباطن بحسب ما ورد في الحديث القدسي (...): كنت كنزاً مخفياً فأحييت أن أعرف فخلقت خلقاً فبي عرفوني^(٣)، فالقرآن الكريم له ظاهر وباطن^(٤)، والدنيا ظاهر وباطن، فأولياء الله وهم (أهل البيت عليهم السلام) نظروا إلى باطن الدنيا، والأصل هو الباطن، أمّا غيرهم فنظر إلى ظاهر الدنيا بما فيها من (الشهوات الحسية)^(٥)، وركن إلى ما يتحقق له من ملذات، أو نظروا إلى ظاهر الدنيا بتحقيق

١- نهج البلاغة ٤/ ١٠١.

٢- شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٧٧.

٣- كشف الخفاء ٢/ ١٣٢.

٤- ينظر البرهان في معاني القرآن ٢/ ١٨٠.

٥- شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٧٧.



العبادات والأحكام بالجوارح الظاهرة^(١). أمّا أهل البيت عليهم السلام فنظروا إلى باطن الدنيا بعقولهم، وعقلوها بقلوبهم، وهذا هو علم الباطن، وموضعه القلب وأصله نور يقذفه الله فيه^(٢)، بل إنه علم موقوف على الهبة الإلهية التي يمنحها الله لمن يشاء من عباده^(٣). فاشتغلوا بأجل الدنيا، وهو التدبر في المعارف الإلهية وفي آيات القرآن الكريم التي تخصّ على تسخير الدنيا بما فيها، إلى ما ينتظر الإنسان في الآخرة.

إنّ هذه السمات التي بسطها الإمام عليه السلام في قوله هذا، لا يمكن أن تنطبق إلا على أهل البيت عليهم السلام، ولا يصح - مرة أخرى - أن تشمل جميع (الذين آمنوا)، فكأن الإمام هنا يريد أن يتنبه الناس إلى جلالة (الولاية) في القرآن الكريم، وتوجيهها إلى أصحابها الشرعيين.

وقد وضع عليه السلام منهاجاً للتعامل مع هؤلاء يقوم على التسامح والإرشاد، فحينما تخلف عن بيعته من تخلف لم

يجبرهم عليها ما داموا مسالمين، وعدهم من المفتونين الذين ينطبق عليهم قوله عليه السلام (ما كل مفتون يعاتب)^(٤) وعودة إلى الآية المتممة لآية سورة المائدة المشار إليها، تبين لنا دقة التوجيه الذي تمسكنا به، وهي قوله تعالى بعد تلك ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٥). إذ إنّ دلالة هذه الآية متعلقة تماماً بدلالة السابقة، وما فيها من بيان ناتج عنها، (فمن يتولّ هؤلاء فهو من حزب الله، وحزب الله غالب)^(٦)، لأنّ الأصل في حزب الله تعالى الرسول ﷺ و (الذين آمنوا) في الآية السابقة، وهو علي عليه السلام فهما غالبان، ومن يتولى الله ويتولاهما غالب لا محالة، بيد أن اللافت للنظر إن الراغب الأصفهاني في تفسيره، وقف عند الله تعالى ورسوله وتخلّى عما اثبتته الآية من ولاية الذين آمنوا، وجعل الغلبة في الآية لهما، ولم يشرك معهما علياً عليه السلام بوصفه المصدق الحقيقي لدلالة (الذين آمنوا) في الآية السابقة، على النحو الذي بسطته لنا القراءة التأويلية للآية وعاضدته الرواية الصحيحة.

١- نخالف هنا ما ذهب إليه ابن أبي الحديد في تفسيره قول الإمام. ينظر شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٧٧.

٢- ينظر موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ١٣٧.

٣- م. ن.

٤- شرح نهج البلاغة ٤ / ١٨، ١٠، ١١٩.

٥- المائدة ٥٦

٦- تفسير الراغب الأصفهاني ٤ / ٣٨٢.

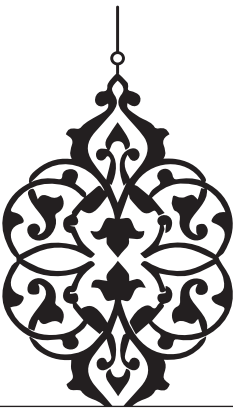


الخاتمة

هذا التفكك العقائدي، ولو عاد الناس إلى لغتهم التي تشرفت بنزول القرآن الكريم بها، وقرأوا الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، على وفق هذه الرؤية المستمدة من اللغة فهي ليست روايات حتى يُطعن بها، وإنّما هي توجيه للنصوص بحسب مقتضيات اللغة، أقول لو فعل الناس ذلك لابتعدوا عن كل ما يُبعدهم عن هدي اللغة.

لقد أظهرت الصفحات السابقة للبحث، إنّ (الولاية) لأهل البيت عليهم السلام، أمر رباني تكفّل ببيانه حديث الغدير بروايته الصحيحة، وعضدته الآيات القرآنية التي استوقفنا في البحث، وعلى الرغم من صحّة الروايات، ورجاحة آراء المفسرين التي نحت هذا المنحى، فإنّ القراءة التأويلية التي أمدتنا بها اللغة، جعلت مضمون حديث الغدير ومدايل الآيات القرآنية، لا تصل إلّا للدلالة على إنّ علياً وليّ للمسلمين - من أعتقد بذلك أو من لم يعتقد -، لأنّ اللغة لا تبيح غير هذه الدلالة، ولذلك لم يقع خلاف بين المسلمين في صدر الإسلام حول هذه القضية، بل كان الجميع يُسلمون بها، لأنّهم أهل اللغة ويفهمون ما تؤدّيه تماماً. ولكن حينما بعدوا عن العصر الأول، تركوا الدلالات اللغوية وتمسّكوا بروايات يمكن أن يُقال فيها أشياء قد تخرج بعضها من ثوب رزانتها الذي غلفت به.

إنّ عدم الالتفات إلى المعاني التي تؤدّيها اللغة في النصوص القديمة عامة، قاد إلى



أبواب المعرفة



المصادر والمراجع

● القرآن الكريم.

١- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي- (بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣- تفسير الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد ت ٥٠٢هـ)، تحقيق د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين / جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

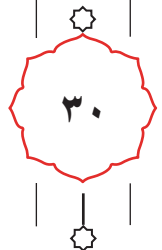
٥- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي ت ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٦- تفسير مقاتل بن سليمان (أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي ت ١٥٠هـ)، تحقيق عبد الله محمد شحاتة، دار إحياء التراث، ط ١، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٧- تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ت ٤٦٠هـ، تحقيق السيد حسن الخراسان، تصحيح الشيخ محمد الآخوندي، مطبعة خورشيد، نشر دار الكتب الإسلامية، ط ٤، ١٣٦٥هـ.

٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور (السيوطي ت ٩١١هـ)، دار المعرفة، مطبعة الفتاح، جدة، ١٣٦٥هـ.

٩- الراسخون في العلم ٥ مدخل لدراسة ماهية علم المعصوم وحدوده ومنابع الهامه، محاضرات السيد كمال الحيدري، بقلم الشيخ خليل رزق، ط ٥، دار فراق للطباعة



والنشر، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، قم،
ايران.

١٠- زاد المسير في علم التفسير، ابن
الجوزي (جمال الدين أبو الفرج
عبد الرحمن بن علي بن محمد
الجوزي ت ٥٩٧هـ)، تحقيق عبد
الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي،
بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

١١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد
المعتزلي ت ٦٥٦هـ، تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل،
بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م.

١٢- الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق
علي أكبر غفاري، دار الكتب
الإسلامية، ط ٣، ١٣٨٨هـ.

١٣- كشف الخفاء ومزيل الالباس،
إسماعيل بن محمد العجلوني، دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
ط ٢، ١٤٠٨هـ.

١٤- كمال الدين وتام النعمة،
الشيخ الصدوق، تحقيق علي
أكبر الغفاري، مؤسسة النشر
الإسلامية، جماعة المدرسين، قم،
١٤٠٥هـ.

١٥- لسان العرب، ابن منظور (أبو

الفضل جمال الدين بن محمد بن
مكرم بن منظور ت ٧١١هـ)، دار
صادر، بيروت، لبنان.

١٦- معاني النحو، الدكتور فاضل
السامرائي، مطبعة دار الحكمة
للطباعة والنشر، الموصل، العراق.

١٧- من لا يحضره الفقيه، الشيخ
الصدوق (أبو جعفر محمد بن
علي بن الحسين ت ٣٨١هـ)، تحقيق
علي أكبر غفاري، جماعة المدرسين،
قم، ١٤٠٤هـ.

١٨- موسوعة مصطلحات التصوف
الإسلامي، الدكتور رفيق العجم،
مكتبة لبنان - ناشرون، بيروت،
لبنان، ١٩٩٩م.

١٩- تفسير الميزان في تفسير القرآن،
العلامة السيد محمد حسين
الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية،
طهران، ١٣٧٩هـ.

٢٠- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي
طالب عليه السلام، جمع الشريف الرضي،
تحقيق وشرح الشيخ محمد عبده،
دار المعرفة، بيروت، لبنان.



القيم العصرية في فكر الإمام علي عليه السلام

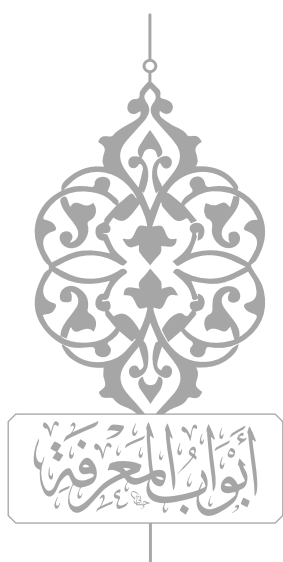
(دراسة في الأنساق الثقافية)

أ. د. سمير الخليل



كلية الآداب - الجامعة المستنصرية







الملخص:

تمثل أقوال الإمام علي عليه السلام وخطبه إحدى المهيمنات المركزية في مجمل الموروث المعرفي والثقافي العربي والإسلامي لما انطوت عليه من عمق في الدلالة وخلود في المعنى، وقد أحدث فكر الإمام بشموليته انعطافاً تاريخياً في مختلف ميادين الحياة وحقول المعرفة، وتجلت إضافاته ورؤاه الثقافية تطوراً واضحاً في الفلسفة الحياتية، ولا سيما الاهتمام بالإنسان - وجوداً وحقوقاً - وتمركز فكره حول القيم الرفيعة والمثل العليا وتمجيده للحرية والتسامح والحض على العلم، ووضع العقل في موضع القوة المحركة لكل توجهات الإنسان إلى جانب الدعوة إلى المنطق والاعتدال وعدم الإذعان للظلم، والاستبداد ومساوئ التسلط، فهو يستشرف المستقبل بالقيم التي تؤكد ما جعلها حاضر الإنسان المعاصر، ويمكن الاستدلال على منظومة متقدمة، تؤسس لمفاهيم رصينة ومنفتحة على كل زمان ومكان، وذلك لما أضافته الخطب والأقوال والوصايا للعلاقة مع الآخر المختلف، وتأسيس سلوك عقلائي وتحليل لنوازع النفس البشرية وتحذير الإنسان من الضعف والهوان وعدم الاتزان بالاستغراق في الشهوات والرغبات

التي من شأنها إضعاف كينونة الإنسان وتفكك المجتمع.

إن دراسة دلالية وموضوعية لمجمل الأفكار والأقوال والتصورات التي قدمها الإمام علي عليه السلام وفي جميع ميادين الحياة والوجود والإنسان والمصير والسلوك والرقي توصلنا إلى أن فلسفته الرصينة تتأسس على دراسة وتأشير العلاقة بين (الذات والآخر) و(العقل والعاطفة) و(الحقيقة والزيغ) و(الشجاعة والاستخاء) وبما يبلور فكراً ومنظومة من الأنساق الثقافية وخطاباً منفتحاً على أنسنة الخطاب وتأسيس توجهات وصياغات للتثاقف والجدل والحوار وتقدير رؤية وخلاصة تشكّل مرجعية ريادية سبّاقة ليس في تاريخ العرب والمسلمين بل في تاريخ الفكر الإنساني بأسره، «فالتأمل بوعي لسيرة وفكر الإمام يدرك تماماً البناء السليم للذات، فلقد تحوّل فكر الإمام وسيرته وتوجهاته إلى مثال إنساني رفيع مما جعل أنساق هذه القيم الأخلاقية ونسقتها الثقافية تكتسب المرونة وصلاحية تعاملها وجدلها مع كل المراحل والأزمات.

والمتبصر في هذا الفكر الساطع يدرك عظمة التصورات بشكل عام على احترام

القيم العصرية في فكر الإمام علي عليه السلام

تمثل أقوال الإمام علي عليه السلام وخطبه إحدى المهيمنات المركزية في مجمل الموروث المعرفي والثقافي العربي والإسلامي لما انطوت عليه من عمق في الدلالة وخلود في المعنى، وقد أحدث فكر الإمام بشموليته انعطافاً تاريخياً في مختلف ميادين الحياة وحقول المعرفة، وتجلت إضافاته ورؤاه الثقافية تطوراً واضحاً في الفلسفة الحياتية، لاسيما الاهتمام بالإنسان -وجوداً وحقوقاً- وتمركز فكره حول القيم الرفيعة والمثل العليا وتمجيده للحرية والتسامح والحض على العلم، ووضع العقل في موضع القوة المحركة لكل توجهات الإنسان إلى جانب الدعوة إلى المنطق والاعتدال وعدم الإذعان للظلم، والاستبداد ومساوئ التسلط، فهو يستشرف المستقبل بالقيم التي تؤكد لها مما جعلها حاضر الإنسان المعاصر، ويمكن الاستدلال على منظومة متقدمة، تؤسس لمفاهيم رصينة ومنفتحة على كل زمان ومكان، وذلك لما أضافته الخطب والأقوال والوصايا للعلاقة مع الآخر المختلف، وتأسيس سلوك عقلائي وتحليل لنوازع النفس البشرية وتحذير الإنسان من الضعف والهوان وعدم

الآخر وخياراته من دون قمع أو إقصاء أو تكفير كهنوتي، وخير مثال لهذا التوجه والنسق الثقافي في التسامح والانفتاح على الآخر ما أبداه الإمام في إشكالية ومنهج الخوارج وسلوكهم وكيف تعامل معهم بمنطق الحوار والثقافة وليس بمنطق التسلط والإقصاء فقال: «لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه».

هذا التوصيف والتمركز حول الحوار مع الآخر يبرهن على وجود المنظومة وعمقها التعاملية والقائمة بين الذات والآخر، وبما يمليه النسق الثقافي المعرفي والبحث عن البرهان والدلالة العقلية والإيمانية في السلوك والتصرف والمواقف، فلقد أسس الإمام عبر سيرته ومواقفه وما عبرت عنه رسائله، وخطبه ووصياه عن موسوعة للتعامل مع الظواهر، على وفق رؤية فكرية وأخلاقية رفيعة بعيداً عن التوجهات الأنوية والغايات البغيضة التي تحاول وضع الالتباس والتشابك بين القيم لتمرير خطابها (البراغماتي/ الذرائعي) وإدانة القبح والزيف والهوى بقوله: «الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلقتك بجلمك، وقاتل هواك بعقلك».





الاتزان بالاستغراق في الشهوات والرغبات التي من شأنها إضعاف كينونة الإنسان وتفكك المجتمع.

حرص فكر الإمام عليه السلام وعبر بلغة بلاغية وفكرية عن الأسس المنطقية والعقلية والروحية لتشكيل شخصية الإنسان المرتكزة على الرهان المعرفي والعقلي وتمجيد قيم الوجود الأمثل وبما يؤدي إلى مجتمع راسخ ومنتج للقيم وعظمة هذا الفكر، إنه لم يتجه إلى علم أو ميدان أحادي، فقد تميّز بالعمق والشمولية والتنوع فوجد تلك التوجّهات الموضوعية في السياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس المعاصر والسلطة والناس والزهد والترفع ورفض الجور، وإشاعة التناغم والتآصر والتوادد بين مختلف طبقات المجتمع، وهناك شذرات ساطعة في التمسك بالحق والحقيقة ونبذ الباطل والزيف ومداهنة السلطات، ودعوة إلى الترفع والعقلانية والوجود والعطاء والتفاعل مع الحياة، والتحريض على العمل، وبناء الحياة والقيم والتعمّق بالجانب الروحي والإنساني، ولم تكن تلك الموجهات على وفق صياغة لفظية وبلاغية لكنها مثلت كشوفات برهانية وأدلة وأداء معرفي يقترب كثيراً من الطروحات العلمية المعاصرة التي تُبرهن على وجود

عقل زاخر بالعلوم وفهم ثاقب، ورؤية استشرافية، تمثل السر في خلود هذه المنظومة المعرفية وتناغمها مع كل عصر وزمان وبما يعكس انشاق حداثة مبكرة وتأسيس منطق فلسفي، ومنطلقات تهتم بكل شؤون الحياة وميادينها والوجود والإنسان.

أقوال الإمام وخطبه فيها دعوة ورعاية لحقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق العامل والأجير وحقوق الرعية والدعوة إلى مجتمع يقوم على الحق والحقيقة ونبذ النزعة القطعية بالدعوة إلى مجتمع يهتم بالفكر والتأمّل والخيارات الحقيقية وليس من المغالاة القول إنه أسّس لصرح حضاري على مستوى التفكير الشمولي وتجاوز جمهوريّة (أفلاطون) وطروحات الفلاسفة الإغريق ويوتوبيا (توماس مان) و(ميتافيزيقيا توما الإكويني)، وسبق بإشارته الدالة ومنظومته الشاملة أفكار وطروحات (جان جاك روسو)، في نظرية العقد الاجتماعي وطروحات (جون لوك) و(توماس هوبز) و(سينوزا) و(كارل ماركس) في شؤون الدولة والنظم التي تمجّد الإنسان والحرية وشخص أثر الصراع الطبقي ولذا كثرت إشارات بعض الباحثين والمثقفين بأن طروحات الإمام عليه السلام وتصوراته هي أول إرهاصات



الحياة والوجود والإنسان والمصير والسلوك والرقي توصلنا إلى أن فلسفته الرصينة تتأسس على دراسة وتأشير العلاقة بين (الذات والآخر) و(العقل والعاطفة) و(الحقيقة والزيف) و(الشجاعة والاستخاء) وبما يبلور فكراً ومنظومة من الأنساق الثقافية وخطاباً مفتوحاً على أنسنة الخطاب وتأسيس توجهات وصياغات للتثاقف والجدل والحوار وتقديم رؤية وخلاصة تشكّل مرجعية ريادية سبّاقة ليس في تاريخ العرب والمسلمين بل في تاريخ الفكر الإنساني بأسره، «فالمثأمل بوحي لسيرة وفكر الإمام يدرك تماماً البناء السليم للذات»^(١)، فلقد تحوّل فكر الإمام وسيرته وتوجهاته إلى مثال إنساني رفيع مما جعل أنساق هذه القيم الأخلاقية ونسقها الثقافي تكتسب المرونة وصلاحيّة تعاملها وجدلها مع كلّ المراحل والأزمنة.

طروحات ومنظومات الفكر عند الإمام عليه السلام لم تتمركز حول التحديدات الدينية والوصايا وأسلوبيات الأداء البلاغي بل انطلقت في فضاءات إنسانية أكثر سعةً وشمولاً وعمقاً وريادة وما من فكرة أو مفهوم فلسفي أو ثقافي

التفكير الموضوعي والفلسفة الاشتراكية، وهو رائد من رواد الفكر الإنساني في السياسة والسلطة والاهتمام بالفرد وحقوقه وبالمجتمع وأسس وفي نهج البلاغة تتجلى الرؤى المبكرة والعميقة لفلسفة التصوّف والزهد والسلوك الاتزاني، ونجد مقولات ساطعة للمركز حول مفاهيم العقل والعقلانيّة، وقد التقط المعتزلة مقولاته في تمجيد العقل والاستبصار والاهتمام بحرية المعتقد وبحريّة الإنسان، وحتّى الفرق والجماعات التي غالت في توجهاتها استمدت زخماً من هذا الفكر الريادي المتوهّج والمحرض (حركة الزنج) (القرامطة) وقد اهتدى الكثير من الفلاسفة والأدباء والمصلحين بفكر الإمام عليه السلام وفلسفته القائمة على العقل والحقيقة وبناء الإنسان والدولة والمجتمع والموازنة بين الحقوق والواجبات وعدم الرضوخ لفلسفة الأمر الواقع أو اليأس أو النكوص كقوله: «لا تستوحشوا طريق الحق لقلّة سالكيه»^(١).

إنّ دراسة دلالية وموضوعية لمجمل الأفكار والأقوال والتصورات التي قدمها الإمام علي عليه السلام وفي جميع ميادين

١- نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، مطبعة الاستقامة- مصر، (د.ت) ٢٠٧/٢.
٢- الإمام علي، إيمان وفكر وعمل، حيدر قاسم مطر التميمي، بيت الحكمة- بغداد، ٢٠١٩: ٢٦٧.



ونبذ الهوى والميل العاطفي، بل مسألة التحكيم وقضية الاحتكام إلى القرآن كان الإمام قد كشف عنها، وعن التواء فكرتها وأدرك خدعتها، وهي بدعة (ديماغوجية) وضبابية، ولذا أطلق حكمه الفكري وفهمه السديد فقال وأكد على مفردة (كلمة) لأنها الأس الأساس في أي حوار يقوم على الوعي وليس على المؤثرات الخارجة عنه، وإن الجهل يقود الإنسان إلى الزلل والانحراف «الناس أعداء ما جهلوا»^(٢)، فوصف هذا السلوك الالتوائي بـ«كلمة حق يراد بها باطل»^(٣)، واستخدم الإمام لفظة (الكلمة) لتدل على فكر، ووصف الأمر بأنه تحاور واختيار مختل، وركز على أنه وجهة نظر واحترم الجزء الأول منها، وهو توصيف يدل على الرهان على النسق الثقافي التحاوري، ولم يلجأ إلى توصيفات الإقصاء والعنف والتكفير، وخلصت إلى أن فكرة التحكيم برمتها ما هي إلا حوار يمثل الخداع، والزيف، والتلاعب بعقول الناس.

هذا التوصيف والتمركز حول الحوار مع الآخر يبرهن على وجود المنظومة وعمقها التعاملية والقائمة بين الذات والآخر، وبما يمليه النسق الثقافي المعرفي

في كتب الأقدمين والمحدثين إلا وتجدد إرهاباته الأولى في فكر الإمام وتوجهاته على وفق نزعة إنسانية وإشاعة روح التثقيف والوعي المعرفي والوجودي بمعناه الإنساني وليس المذهب المعروف، وهذا هو سر بقاء هذه القيم والدلالات والاستبصارات وكأنها كتبت لهذا العصر، والمتبصر في هذا الفكر الساطع يدرك عظمة التصورات بشكل عام على احترام الآخر وخياراته من دون قمع أو إقصاء أو تكفير كهنوتي، وخير مثال لهذا التوجه والنسق الثقافي في التسامح والانفتاح على الآخر ما أبداه الإمام في إشكالية ومنهج الحوار وسلوكهم وكيف تعامل معهم بمنطق الحوار والثقاف وليس بمنطق التسلط والإقصاء فقال: «لا تقتلوا الحوار بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»^(١).

ووصيته المعروفة بعدم التعرض لقاتله عبد الرحمن بن ملجم... وموقفه من كل الجماعات التي انتجها الحوار كان يدعوهم إلى أعمال العقل والتروّي والاستبصار ويدعوهم أساساً إلى نسق من الحوار وتبادل البراهين والرهان على حجج العقل والإيمان وتمجيد الحق

١- نهج البلاغة: ١/ ١٠٣.

٢- المصدر نفسه: ٣/ ٢٥٨.

٣- ألف كلمة للإمام علي، الشيخ عبد الحميد المقرئ، دار التربية- بغداد، ١٩٩٧: ٤١.



يصبح أهم وأكثر ظاهرة يتحدث عنها الإمام، ويقلّب وجوه التفكير بها، فالجهل على وفق هذا المنظور يعدّ الظاهرة المضادة للسلوك العقلاني فهو يمثل في منظور الإمام عليه السلام «من أمّتهات الرذائل وأكثرها خطراً وكفى بالجهل غياً وفساداً فإنّ الجاهل يعادي، ويعاند ما فيه خيره وصلاحه، دنيا وآخرة، ولا دواء للجاهل إلا أن يعلم بأنّه جاهل، وأنّه لا غنى له، عمّن يقوده ويهديه، وأخطر الخطورة أن يرى الجاهل نفسه عالماً»^(٢).

ومن يتمعن في مجمل خطاب الإمام علي عليه السلام يجد فيه انفتاحاً على تجسيد صورة للمثال الإنساني المؤطر بالقيم الرفيعة والخيارات الراقية ويشعر بأنه إزاء أدب وفلسفة الفضائل والأنموذج المرتجى وتوصيف لنخب أو (انتلجنسيا) معدّة لخوض غمرات وصراعات الحياة القديمة منها والمعاصرة، وطبقاً لهذا التوصيف فليس من التعذر تأشير وجود هذه القيم التي اكتسبت خلودها وديمومة دلالاتها لأنّها ما تزال حيّة وتنمو، ولم يندثر سطوعها وحضورها مما يدل على تمكّن الإمام من تقديم قراءة للإنسان، وإشكاليات وجوده ومسالكه قراءة تتسم

والبحث عن البرهان والدلالة العقلية والإيمانية في السلوك والتصرّف والمواقف، فلقد أسس الإمام عبر سيرته ومواقفه وما عبّرت عنه رسائله، وخطبه ووصياه عن موسوعة للتعامل مع الظواهر، على وفق رؤية فكريّة وأخلاقية رفيعة بعيداً عن التوجّهات الأنوية والغايات البغيضة التي تحاول وضع الالتباس والتشابك بين القيم لتمرير خطابها (البراغماتي/ الذرائعي) وإدانة القبح والزيف والهوى بقوله: «الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلّقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك»^(١).

ولعلّ ظاهرة التوكيد والتركيز على الحلم، والعقل، والتروي، والتأمل، والعلم، وغيرها من الترادفات التي تشير إلى إعمال الذهن والتفكير فإنّها -أي المقولات- تؤسس لتوجّه معرفي قائم على الحوار والتصالح مع الذات، حين يتحوّل بطبيعة الحال إلى تحاور وثقاف مع الآخر، وكلّ خطب الإمام وأقواله تدعو إلى الحوار، وتبادل وجهات النظر، وليست هي وصايا ذات بُعد واحد، وطروحات فقهية ملزمة، والاهتمام بالحوار، كنسق ثقافي يشير ضمناً إلى أهمية العقل الذي

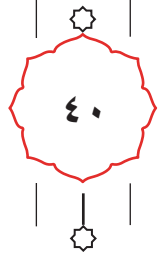
١- ألف كلمة للإمام علي: ١٤.

٢- في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار الملايين - بيروت، ١٩٧٣، ٤/ ٣٢٦-٣٢٧.



بتجاوز حدود الزمان والمكان فمقولاته لا زالت قائمة وفاعلة ولم تنغلق أو تنكفى على مرحلتها وحقتها التاريخية تأويلاً، وفهماً وقدرة على التفاعل مع الأجيال المعاصرة حتى أن الكثير من أقواله قد تحولت إلى أمثال وموروثات تداولية بين مختلف التوجهات، والطبقات، والمذاهب، بسبب أن شمولية خطابه كانت عابرة لحدود الزمن ولكل أشكال التشظي والانقسام، فلقد ظل منطوقه سائراً على ألسنة وأذهان كل الجماعات والفرق على الرغم من اختلافها لكن لا يتيح الجدال على أن جدل هذا الخطاب يمثل وعياً ممتداً ومتناسلاً يمثل القيم العصرية، ولو أحصينا أهم خصائص الحداثة والتنوير المعاصر على مستوى النسق المعرفي فإننا نجد أن التجوهر حول ماهية العقل والعقلانية، هو السمة الغالبة وخطاب الإمام كان خطاباً يحتفي بالعقل، والتفكير، والاعتدال والترفع عن الصغائر، على وفق توصيفات لصناعة ذات متعالية معرفياً وسلوكياً.. ذات تركز حول الفهم والنزعة العلمية ونزعة رفض الباطل والبلادة، والسلطة الغاشمة والزيغ، ولذا نجد هذا الفكر يدحض الفكر الظلامي، بل إن الكثير من رؤاه واستنتاجاته هي

نبوءة بما سيحدث، وبما ستصل إليه التوجهات الرديئة من استثمار التدين وتمجيد التقديس الذي يناقض توجهه الحقيقي والكوني للقيم الناهضة البعيدة عن توظيف الوسائل، والتظاهر بالقيم، لتمرير خطاب رديء، وخطاب غياقي، ويحمل في طياته المطامع والطبقية وأفكار التسلط والاستغلال ومحاربة الحق والحقيقة والعلم والأخلاق وجمالية السلوك، ويمكن تأمل هذه المقولات عميقة الدلالة الباذخة في معناها وهي ترسم خطأً بيانياً لقيم معاصرة تشد الخلاص والرقى، والتناغم والتصالح مع الذات والآخر، على وفق نسق ثقافي نابع من وعي الذات والسير باتجاه التميز والتفرد، «لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوى، ولا قرين كحسن الخلق، ولا ميراث كالأدب، ولا قائد كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح، ولا ربح كالثواب، لا ورع كالوقوف عند الشبهة، ولا زهد كالزهد في الحرام، ولا علم كالنفكر، ولا عبادة كأداء الفرائض، ولا إيمان كالحياء والصبر، ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم، ولا عز كالحلم ولا مظاهرة أوثق من المشاورة»^(١).



ولو تفحصنا هذه الأقوال صفة صفة ودلالة دلالة لوجدنا أنها خلاصة الاتجاهات الأخلاقية المتناسكة وخصائص الإنسان الراقية على مستوى (الأيولوجيا) والسلوك العقلائي وعلى مستوى الأفراد والجماعات بل إنها خصائص التحضر والجمال، إذ نجد فيها عمقاً ورصانة وتناغماً مع الواقع الإنساني بمختلف أشكاله وتحولاته، ونجد في استهلال النص التوكيد على أهمية وضرورة العقل، وهذا المنحى العقلائي ينتظم أغلب أقوال الإمام وتوجهات الخطاب والتوكيد على الأدب كسلوك متحضر ومتناغم مع السياق الجمالي، ونجد التوكيد على الأدب، وحسن الاختيار والتصرف والعمل الصالح، وكذلك التأكيد على الزهد والترفع، ونجد معطيات لتجذير الحياء، والتمسك بالصبر، والمجالدة والتماسك، وهذه القيم الإنسانية الرفيعة تعكس الذات المفكرة والمتائلة مع الصور العليا للأخلاق، وبناء الإنسان وتصالحه مع ذاته، وهذه الخصائص الجمالية تعكس قوة داخلية واستيعاب لتناقضات الواقع ومحاولة الانتصار بقوة العقل واجمال ضد كل أشكال القبح والزيف وتلك سمات عصرنا الحديث.

ويؤشر الإمام كثيراً من الظواهر في الاقتصاد والتربية وأحوال السلطان وعلم النفس وبنه براءة وبلاغة وينتقد مديح المتسلط، والمستبد، والميل إلى أهل العقل والورع، «ويوصي الإمام عليه السلام مالك الأشتر بضرورة الالتصاق بأهل الورع والتقوى كي يارسوا عملية النقد بكل صراحة حيث يقول: «والصق بأهل الورع والصدق ثم رخصهم -عودهم- على أن لا يطروك ولا ييجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني -تقرب- من العزة أي التكبر»، فلا ينبغي للحاكم أن يكون أسيراً للكلمات المديح والإطراء وإنما همّه إقامة العدل بين الناس، وإشاعة الأمن والاستقرار فيسعد حين يرى تنعم أفراد المجتمع وتقدمهم، فإذا جاء المديح بعد ذلك فلا ضرر في ذلك شريطة أن لا يولد الزهو والغرور في نفسه»^(١).

وهذا التوصيف لسلوك الحاكم ودهاقنة التملق يعكس الخطاب المضاد لما طرحه (ميكافلي) المفكر (البراغماتي) الإيطالي في كتابه (الأمير) من تحويل المجتمع إلى أنصار ومتزلفين، وطبقة لمديح السلطة والأمير بنسخته الاستبدادية، ويوصي (الأمير) بأن يصنع طبقة

١- النظام السياسي في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، الشيخ نوري حاتم، مؤسسة المرتضى العلمية- بيوت، ١٩٩٤: ٤٦.



من المروّجين والمزيّفين، ومن حوارى التسلّط^(١)، فخطاب الإمام يفصح أنويّة السلطان وغطرسته المتأّتية من زيف الطبقة التي وظّفها للمدح والولاء الزائف فهو يمثل الفكر المضاد بالمفهوم المعاصر (للميكافيلية) والذرائعية وتمجيد السلطة من قبل المنافقين والمتملّقين وصغار النفوس، وفي مجمل طروحاته نجد هذا النقد اللاذع للاستبداد وتفكيك كينونته، ومحاربته بالوعي، وشجاعة القول وعدم التزلّف والسقوط في أهواء النفس، ومظاهر التسلّط والتطاوس والرياء فكل ذلك يؤدّي إلى خراب الناس وخراب الولاية والسلطان، مظاهر النسق الثقافي تتجلّى في التوكيد على الوعي وإثارة الجدل والإقناع، وتفضيل الفهم العقلي والتروي والتأمّل، والبحث عن الجواب، والطريق والوسيلة، وهو ما نجده في اختياره الرسائل والوصايا والحوار والرسائل والخطب التي تمثّل وسائل الخطاب للآخر وتعتمد الجدل النافع، والسعي المنتج وهذا الميل بدلالاته وتمثّلاته يعكس خيار الثقاف، ونسق التحاور، بعيداً عن المصادرة والخطاب السلطوي، أو منطق الوصايا الملزمة والمواعظ المثالية

المحض، إنّه يدعو إلى الحوار وقرع الحجة بالحجة ويحرض على الاستشارة وتمييز المواقف وأعمال التفكير قبل النطق أو التصرف وكل رسائله إلى ولاته وعمّاله على الأمصار والمدن والإمارات تعكس أدباً أخلاقياً ليس فيه صيغة الأمر أو التمرّكز السلطوي بل هي لمسات لقيم إنسانية، ودعوة لنسق ثقافي يعتمد الوعي والحرص ومراقبة النفس والتوجّه إلى الناس وإلى الخيارات المتوازنة.

ولعل من القيم المعاصرة في خطاب الإمام توكيده الغريب على أهمية الاقتصاد في تشكيل المجتمعات المتحضرة والمعاصرة، فالأخلاق والتوجهات إلى النيات السليمة لا تكفي لخلق أوطان عامرة ومستقرة، من دون جهد الحياة، والكفاح والعمل وتوفير مستلزمات النهوض، ولذا نجد إضامة كبيرة من أقوال الإمام وخطبه يعرض فيها لنقد الفقر والعوز بل إنّه يقرن الوطن بكرامة وكبرياء الإنسان، في مقولة سبقت فلاسفة اليونان قبل (أفلاطون) وبعده، وسبقت (هيجل) و(ماركس) و(روسو) في مقولة تثير كثيراً من استباقية الرؤية وعمق الصورة، ونسقتها الثقافي الدال، «الغنى في الغربة

١- ينظر: هوامش حول كتاب الأمير، كمال مظهر عارف، الموسوعة الصغيرة، دائرة الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ١٩٨٩: ٣٠ وما بعدها.



وأبطالاً، وهم يسمعون صرير بطونهم الجائعة، فرغيف الخبز هو الحصانة (البيولوجية) لأي سلوك راق، وكل ما عدا هذا الفهم الاقتصادي الاستشرافي يقع في عداد الخطابات الرومانسية والثورية الزائفة، ومنطلق الخطاب عند الإمام، يعتمد الثقافة والجدل القائم بين وعي الإنسان وسلوكه وبين توفير القاعدة والمستلزمات التي تضمن وتديم وجوده كونه كائناً ذا حاجات ومتطلبات، ويعيب بل يشخص أن أصل البلاء هو في مفهوم تعاضم الملكية الخاصة التي تتحول إلى مميزات وخنادق واصطفاف من شأنه تأسيس المنطق الطبقي والاستعلاء والرجسية الاجتماعية وهذه التمايزات هي من صنع الإنسان والسلطة وهوس (الأيديولوجيات)، «فالتباين أو انعدام المساواة لا وجود له في الحالة الطبيعية، إنها حياة الاستقرار وطمأنينة وبراءة، لا نزاعات ولا تناقضات، فالأرض واسعة وتزيد عن حاجات البشر، إنهم لا يعرفون حب الظهور والتباهي، وليس لديهم أية فكرة عما هو (لي) و(لك)»^(٢).

سبق الخطاب الاغترابي ونسق التشخيص الثقافي وتشكيل الطبقات

وطن، والفقر في الوطن غربة»^(١)، وفي المقولة إشارة إلى الغربة والاغتراب التي تحدث عنه فلاسفة مفكرون معاصرون لكن الاغتراب وجذوره هو أهم وأخطر أنواع الاغتراب، وهذا تأشير مبكر ورؤية استباقية لفكرة وفلسفة الاغتراب المعاصرة ونلاحظ في هذه المقولة الاختزال والعمق والتضاد بين المفردات وبما يشكل ثنائيات ضدية مثل (الفقر/ الغنى) و(الوطن/ الغربة) و(الوجود/ اللاوجود) و(الحياة/ العدم)، ويغلب في هذا الأداء مفهوم الوطن، فالوطن ليس مساحة أو مكاناً مجرداً، ما لم يتوافر على تأسيس، وضمان الاستقرار المتمثل بالوجود والقدرة الحياتية والاقتصادية، ويصبح الوطن مفهوماً ذاتياً وموضوعياً، ولا يمكن الفصل بين هذه الثنائية التي تقوم على المقارنة، وجدل النقيض بالنقيض، مع أن الإمام عليه السلام وفي مقولات كثيرة، لا تُحصى يؤكد أهمية الاقتصاد في حياة الناس، وينتقد العوز والفاقة، وإن الفقر هو مصدر الشرور والردائل، وقد نحتاج الكثير من المساحة نستعيد هذا التوجه في وعي النسق الثقافي والتنوير بأن الاقتصاد هو في الحقيقة المحرك الأساس للحياة، ولا يمكن أن نطالب الجياع أن يكونوا نبلاء ومثاليين

١- نهج البلاغة: ٣/ ١٦٤.

٢- الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، د. فيصل عباس، دار المنهل اللبناني - بيروت، ٢٠٠٨: ٢٩.



والوعي السلبي، واختلاف أنماط الثقافة من وجهة النظر الاقتصادية فقد سبق الإمام كل الفلاسفة المعاصرين في تشخيص ظاهرة الاغتراب، وأوجزها بثلاث كلمات إشكالية في الملكية الخاصة، وكونها تمثل الأس في الامتلاك والتحول إلى طبقة وتراتب طبقي، حيث قال: «من ملك استأثر»^(١)، وتعمق أكثر في دلالة الطمع والنزوع المادي، بمقولة أكثر تأثيراً ودلالة، حين قال: «الطمع رق مؤبد»^(٢)، وفيها إشارة ذكية إلى الاستعباد والأنوية، والطبقية المقيتة التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة، فقد تحولت الحياة إلى بعد واحد هو البعد الاقتصادي وكثرت احتياجات الإنسان، وتحول المجتمع خلافاً للدعوة الرومانسية لـ (روسو) وإلى التمتع ببراءة الطبيعة حين استحالَت المجتمعات المعاصرة إلى مجتمعات استهلاكية، وتمثل مجتمعات ذات بُعد واحد، ولذا أن إشارة الإمام لربط الاقتصاد بخطاب الإنسان، وتحولاته الطبقية، هو الأساس في حركية المجتمعات، أفراد أو جماعات، على الرغم من أن مرحلة الإمام وطبيعة عصره لم

توح بهذا الاكتظاظ، وكثرة الحاجات وتعقيدات الاقتصاد لكنها لمحة الرؤية النبئية والاستشراف وتبثت القيم والنظريات التي لا تصدأ.

يتعمق خطاب الإمام، وبدقة متناهية حول تأثير المنطوق اللساني ومكونات العقل الباطن وصلتها بتكوين شخصية الإنسان ويمجد دور الوعي والكلمة وسياقات التعامل بهما ما يؤكد هيمنة أنساق الثقافة، وأهمية أن يكون الإنسان مكتسباً للإيمان والإدراك وهو مؤثر قوة وفضيلة، ونورد بعض الأقوال التي فيها مقارنة ذهنية لهذا المعنى، وتحيل إلى نسق ثقافي وإنساني يعيش في عصرنا:

«العلمُ علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع»^(٣).

وقوله بعبارة بلاغية موجزة: «تكلّموا تعرفوا: فإنَّ المرءَ مخبوء تحت لسانه»^(٤)، وعن تأثير المنطوق اللساني ودوره يقول: «ربّ قولٍ أنفذ من صول»^(٥). وفي وصف فيه البراعة والاستبطن قوله: «القلب مصحف البصر»^(٦)، وقوله وهو يختزل

١- ألف كلمة للإمام علي عليه السلام: ١٠.

٢- المصدر نفسه: ١٠.

٣- نهج البلاغة: ٣/ ٢٣٣.

٤- المصدر نفسه: ٣/ ٢٤٨.

٥- المصدر نفسه: ٣/ ٢٤٨.

٦- المصدر نفسه: ٣/ ٢٥١.



كتبها الشاعر اللبناني المعروف (جورج جرداق) في كتابه الموسوم بـ(روائع نهج البلاغة) ليس من الصعب عليه اكتشاف أن نهج البلاغة كتاب يتمركز نهجه حول الإنسان والإنسانية، والعقل والعقلانية، وإنه إبلاغ بليغ وشكلاً من أشكال التعبير الذي يحرض على القيم السامية التي لا تختص ولا تقتصر على زمان معين.

ويصف الشاعر (الباحث) شكل الخطاب العلوي وركائزه التي تمثل نسقاً تعبيرياً وثقافياً وبلاغياً، وهذا سر نسغه الداخلي وديمومة الرؤى التي تبشّر بها، «ومن شروط الذكاء العلوي النادر هذا التسلسل المنطقي الذي تراه في النهج أنى اتجهت، وهذا التماسك بين الفكرة، والفكرة حتى تكون كلّ منها نتيجة طبيعية لما قبلها وعلّة لما بعدها، ثم أن هذه الأفكار لا تجد فيه ما يُستغنى عنه في الموضوع الذي يبحث فيه، بل إنك لا تجد ما يستقيم البحث بدونه، وهو -لاتساع مداه- لا يستخدم لفظاً إلا وفي هذا اللفظ ما يدعوك لأن تتأمل وتعمّن في التأمل ولا عبارة إلا وتفتح أمام النظر آفاقاً وراءها آفاق، ففي أي رحب وسيع من مسالك التأمل والنظر يكشف لك قوله «(الناس أعداء ما جهلوا)» (قيمة كلّ امرئ ما

فكرة كبيرة في مفردتين تمجّدان التعقل وكتمان الغضب: «الحلم عشيرة»^(١). وهذه المقولات الاختزالية تمثل نمطاً من أنماط النسق الثقافي والأداء التعبيري الذي تفرّد به خطابه المؤثر، وهذه الأقوال تفيّد صياغة الإنسان وتحوّله إلى كائن جمالي متماسك ونافع، ومرتبطة بالخير والنماء وفيها إشراق وتفاؤل وتنوير، «ولولا هذه الثقة، وهذا التفاؤل لما كان من أمره مع الناس ما كان، ولما قال: (لا تظننّ بكلمة خرجت من أحدٍ سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محتملاً)، ثم لما توجّه إلى الضمير الفردي والجماعي بوصاياه التي تجمع عمق الفهم وحرارة العاطفة والسمو، ونبيل المقصد، هذه الوصايا التي أرادها حصناً متبّعاً للأخلاق العامة، والعاطفة الإنسانية وتركيز العمل النافع القائم على الأسس الإيجابية، في العقل والضمير واستناداً إلى هذه الثقة بالضمير الإنساني وتحصيناً للعمل الخير الشريف نراه يقيم على الناس إرصاداً من أنفسهم وعيوناً من جوارحهم فخطبهم قائلاً: «اعلموا أن عليكم رصداً من أنفسكم وعيون جوارحكم وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم»^(٢)، ومن يطالع الكتاب النفسي والدراسة العميقة التي

١- المصدر نفسه: ٢٥٣/٣.

٢- روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، دار الشروق - بيروت، ط ٢، ١٩٧٨: ٧٤.



يحسنه) أو (الفجور دار حصن ذليل)، وأي إيجاز معجز مثل هذا الإيجاز»^(١).

نجد جهداً رصيناً في دراسة كل مفاصل نهج البلاغة، وبأسلوب باهر، يجمع بين الشاعرية والمعرفية، وهي شهادة من باحث شاعر ومن دين وتوجه آخر، إذ لم يركّز على المنحى التقديسي والديني بل انطلق لاستظهار القيم العصرية، والبلاغة الخالدة والسبك اللغوي، ووجود هذا النسق الثقافي والتعبيري في الأقوال والخطب والاستعارات، والصّور التي تصل إلى الإدهاش والتنوير، وقد وجدنا ضرورة هذه الإشارة لأهمية هذه الدراسة الموضوعية المتسمة بالتأمل والتحليل والانتباهات الدالة.

توجه كثير من الأدباء والشعراء والدارسين والباحثين ومن مختلف الأطياف والمشارب إلى دراسة الخزين المعرفي والثقافي للإمام علي عليه السلام فإنه دلالة على أن القيم والأفكار والمضامين التي بشر بها، وعبرت عنها كلّ آثاره فإنّها تتسم بديمومتها وتواصلها الجدلي مع تحولات العصور والأزمات، وإنّها تمثّل نسقاً من الوعي وخطاباً معاصراً، لم يؤثر فيه القدم والتقدم.

١- المصدر نفسه: ٨-٩.

٢- في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٩/١.

ويلخص الباحث المجتهد الشيخ (محمد جواد مغنية) في موسوعته الكبيرة بأجزائها الأربعة والموسومة بـ(في ظلال نهج البلاغة)، يخلص إلى أنّ فكر الإمام علي عليه السلام لا يختلف عن فكر العلماء وطرائقهم التجريبية والتحليلية في دراسة الظواهر والتعمق بأسرار الكون والإنسان والمجتمع والأمور الفقهية وشؤون الدولة وضرورة العقل والمنطق والفضائل وهذه الإشارة تدلّ على أنّ الموروث الفلسفي للإمام علي يمثل تعالقاً نسقياً وثقافياً منسبكاً مع قيم وتوجهات العصر وفتوحاته الحديثة، فيقول: «وهذا هو منهج الإمام بالذات، وهو المنهج السوي وبه أخذ التجريبيون وعلماء الطبيعة حيث يشاهدون ظواهرها، ثمّ يتفرغ أحد أو نفر منهم، للبحث في ظاهرة من الظواهر، ويتبع خصائصها وآثارها، ويمضي في درسها، وتحليلها، حتى إذا انتهى انتقل من المشاهدة والإدراك المباشر إلى الاستنتاج، والحكم العام على أفراد تلك الظاهرة ما شاهد منها، وما غاب عنه»^(٢)، وهذه إشارة أو برهنة على أنّ خطاب الإمام عليه السلام يستدل في الدراسة ويعتمد معايير ووسائل وآليات التحليل (العلمي/ التجريبي) على وفق صياغة من النسق الثقافي،



باصطدامها بحركية وحقيقة الواقع المراد، «ليس في الدنيا شيء يمكن أن يتلذذ به الإنسان تلذذاً مستمراً، فكلّ لذة مهما كانت عظيمة تتناقص تدريجياً عند تعاطيها، وهذا ما يعرف في علم الاقتصاد الحديث بقانون المنفعة المتناقصة»^(٢)، فالقراءة غير الحقيقية للنص القرآني هي في حقيقتها قراءة -نفعية- تحاول استثمار استعارات ودلالات اللغة باتجاه توليد أفكار غير حقيقية، وليست هي جوهر النص، بل إنها تتناقض معه، ويكشف خطاب الإمام عليه السلام في كثير من المواضع بمقولات تحتزل المعاني الكبيرة وتكشف عن الظاهرة النفعية وهذا تعالق مع ما طرح من فلسفة (البراغماتية) أو النفعية (الذرائعية)، وقد نظّر لها (جون ديوي) و(بيرس) و(بنتام) وغيرهم^(٣)، وهي من التوجّهات الفلسفية المعاصرة التي تنظر إلى الظواهر على وفق المنظور الأحادي وتركز على النتائج العملية (النفعيّة) من دون أي اهتمام، أو اعتبار للقيم الأخلاقية والإنسانية، وهي التي أفرزت إفراسات الذهنيّة الرأسمالية واستثمار نتائج العلم والواقع باتجاه الاحتكار، والتملك

وعلى وفق هذا فإنّ المضامين والقيم التي تبناها وتضمّنتها أقواله وخطبه، تمثّل الإضاءة الناصعة بديمومتها وحضورها، وتناغمها مع تحولات الزمان والمكان، إنّها قيم قبلت في زمان مضى لكنّها تتسم بالمقاربة والتفاعل مع ظواهر الواقع الإنساني المعاصر، «وبهذا يتبين أنّ منهج التجريبيين في إثبات ما يشبّهون للطبيعة من قوانين عامة، ويرسلونها عليها من أحكام تشمل كل فرد من أفراد تلك الظاهرة ما كان منها وما يكون»^(١)، وعلى وفق هذه التصورات والتحليلات اتخذت موروثات الخطاب العلوي خاصّة التنوع والمسايرة، والنماء، ولم تقتصر على كونها أحكاماً أو وصايا فقهية ومحددات أخلاقية بل إنّها ارتقت لتمثل توجهات تجمع بين العلم والفلسفة، والعقل البرهاني، وطرائق الدراسة والنظر إلى الظواهر على وفق منظور استدلالي يركز على المعرفة وبصياغة بلاغية، وفصاحة تستقطب الأذهان بتفردّها.

إنّ التأويل السلبي لبعض سور القرآن هو استنطاق (براغماتي) قد يلتدّ به من يركز عليه لكن هذه المقاربة تتلاشى

١- في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١٠/٢.

٢- مهزة العقل البشري، علي الوردي، مكتبة دجلة والفرات - بيروت، ط ٨، ٢٠٠٩: ١١٤.

٣- ينظر: دراسات في الفلسفة العلمية والإنسانية، د. قيس هادي أحمد، المكتبة العصرية - بغداد، ٢٠٠٤: ١٥٠ وما بعدها.



والاستغلال، والنفوذ والهيمنة، والشراسة (الرأسمالية)، وفلسفة استغلال الإنسان، وتحويله إلى كائن شيئي وكذلك النظر إلى كل الظواهر، وبما تعطيه، وما تنطوي عليه من فائدة، وهذا النزوع النفعي نجد كثيراً من الإشارات التي تدحضه، وتنبذه في معظم مقولات وإشارات واستبصارات الإمام عليه السلام.

ويوجز الإمام عليه السلام تشخيص هذه الظاهرة، وهي إحدى القيم الزائفة التي ما زالت توجّهات التوظيف لها حاضرة في كل الفلسفات المعاصرة، لاسيما الفلسفات اللاقيمية واللاإنسانية التي تنطلق من روح الإقصاء والسيطرة والأدلة المقيتة، يقول الإمام عليه السلام: «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»^(١)، وهذه المقولة التي تتسم بتحليل اجتماعي وعبادي، و(سايكولوجي) فإنّها تركّز أو تنتقد السلوك الذي ينطوي عليه نوع من النزوع الذي يمثّل نسقاً (أخلاقياً وثقافياً) باتجاه الزيف والاستئثار، والتملك، ويميّز الخطاب بين تنوّع السلوك وتوجّهاته وبين النسق الجوهرية، وثقافة ودوافع كلّ طائفة، فهناك نسق أو ثقافة التجار، ونسق

وثقافة العبيد، ونسق وثقافة الأحرار. وعلى الرغم من أنّ الظاهرة تمثّل أصنافاً وتنوعاً من التوجّهات ذات التأطير التقديسي لكنها تخفي أو تضرر نسقاً مستتراً، تبعاً لأغراض الإنسان، وغاياته الدنيوية المرتبطة بالزيف والميل الغرائزي، بعيداً عن القيم السامية، والأخلاق السامية التي أسّس لها الإمام في موروثه المعرفي والثقافي المتكامل وبما يوحى بتأسيس مدينة فاضلة ومشعة، ومنتجة لقيم الخير والحق والحقيقة، والمثال الموضوعي المتقدّم والمركّز على العقل، والنباهة، وصفاء النفس وثناء الروح.

فَسَدِّدْ

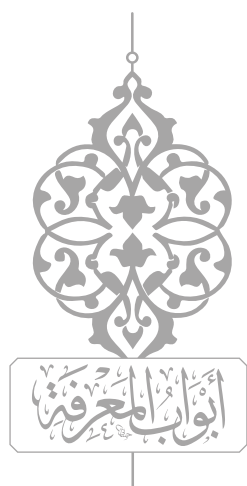
الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام
والحضارة الإسلامية

أ.د. محمد علي آذرشب



أستاذ اللغة والادب العربي







المقدمة

الإنسان: موجود مخلوق من «طين» و«من صلصال من حمأ مسنون»، وهو الجانب الأرضي الهابط من هذا الموجود. وفيه «نفخة من روح رب العالمين» وهو الجانب السامي المتعالي من الكائن البشري. الجانب الطيني يحرك الإنسان غريزياً ليحافظ على بقائه الحيواني، وتدور طموحاته حول المحور الفردي الذاتي من متطلبات الإنسان.

و«النفخة الإلهية» تثير فيه الأشواق والدوافع للسمو والارتفاع، وللخروج من الذات الفردية إلى أهداف سامية خارج الذات.

يؤدي الجانب «الطيني» في الإنسان دوره بشكل غريزي، في حين يحتاج الجانب المتسامي إلى توجيه وهداية وتوعية وإلا بقي تحت ركام متطلبات الجسد.

«الحياة» الإنسانية تتجلى بحركة الكائن البشري بدوافع نفخة روح رب العالمين، وإلا فهو يعيش ليأكل ويشرب كما تأكل الأنعام.

الدين الإلهي: هو مشروع إحياء الإنسان، أي إخراجه من دائرة الطين إلى رحاب نفخة روح رب العالمين، من عبادة الذات إلى عبادة الإله الواحد الأحد،

من الظلمات إلى النور، من المثل الأعلى الهابط إلى المثل الأعلى المطلق، من عبادة الطاغوت إلى عبادة الله.

عملية الإحياء: عملية الإحياء عملية ثقافية، بل إن الثقافة الحية تتجه إلى إحياء الإنسان.

ونعني بالثقافة المكون الفكري والشعوري للإنسان، أي كل ما يحمله الفرد من تصور تجاه نفسه وتجاه الكون والحياة، وما ينطوي عليه من عواطف ومشاعر تنبثق من هذا التصور.

وتنطوي الثقافة على «عناصر محرّكة» للإنسان، لو فُعلت لتتحرك الإنسان على طريق كماله، ولو ركّدت وختلت وفترت لأصاب المسيرة فتور وخمول.

وعملية الإحياء تتجه إلى تفعيل تلك العناصر.

بقي أن نقول إن الثقافة الحية يمكن أن تقوم على تصورات منحرفة عن الكون والحياة والإنسان، فتحرّك الفرد والجماعة على طريق منحرف.

والثقافة في إطار الدين الإلهي.. تحرّك.. وتوجّه الوجهة الصحيحة.

الحضارة: هي حصيلة حركة الإنسان الثقافية.





غَرِيبٌ فِي بَلَدَتِهِ وَالْعَجْزُ أَفَةٌ وَالصَّبْرُ
شَجَاعَةٌ وَالزُّهْدُ ثَرَوَةٌ وَالْوَرَعُ جَنَّةٌ وَنِعَمَ
الْقَرِينُ الرَّضَا (الحكمة ٣)

البخلُ مظهر من مظاهر الذاتية
والأنانية، وهو إذن من معوقات الحركة
الحضارية، وهو نقص في الإنسان المكلف
بالتحرر من سجن الذات والانطلاق إلى
رب العالمين.

والجبنُ منقصة، إنه أيضًا من مظاهر
الذاتية، والجبان هو الذي يخاف من كل
حركة تكاملية، ويرى فيها تعارضًا مع
مصالحه الذاتية، ومن هنا تُشَلِّ مساهمته في
البناء الحضاري.

والفقر من عوامل الإذلال، فهو مضادٌّ
لشخصية الإنسان وقواه الإنسانية.. مضادٌّ
حتى لفطنته فلا يستطيع أن يقدم الحجة
والدليل على دعواه، وبذلك يتخلف عن
مكانته الاجتماعية وعن دوره في الحركة
الإنسانية.

والمقلُّ (الفقير) لا يشعر بالانتماء إلى
مجتمعه، بل يشعر بالسخط عليه، إذ يفتقد
هذا المجتمع إلى أهم أصوله وهو التكافل
الاجتماعي، ومن هنا يشعر المقلُّ بالغربة
في هذا المجتمع ولا يندفع فيه إلى أية
مساهمة اجتماعية تكاملية.

ومن الطبيعي أن تتسم الحضارة
بمكونات الثقافة؛ لذلك تكون الحضارة
مادية إذا كانت الثقافة مادية قد أهملت
الجانب الإلهي من الإنسان. وتكون
الحضارة روحية صرفة إذا كانت الثقافة
روحية قد أهملت الجانب المادي من
الفرد. وتكون «إنسانية» إذا كانت وراءها
ثقافة شاملة تستوعب الجانب المادي
والمعنوي من الوجود البشري. وهذه
هي الحضارة الإسلامية بدليل ما قدمته
لل بشرية في عصور ازدهارها من تقدم
في جميع المجالات الإنسانية، المادية منها
والمعنوية.

الثقافة الحضارية في كلمات الإمام

ما العناصر الفاعلة في الثقافة الإسلامية؟
نحاول أن نبحث عن هذه العناصر عن
طريق نصوص أعظم من نهض بمشروع
الإحياء بعد رسول الله (ص)، وهو الإمام
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). وكان
هو ومن سار على طريقه من بعده
وراء استمرار عملية الإحياء والإنتاج
الحضاري الإسلامي.

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْبُخْلُ عَارٌ وَالْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ
وَالْفَقْرُ يُجْرِسُ الْفُطْنَ عَنْ حُجَّتِهِ وَالْمَقْلُّ



العجز آفة؛ بل هو أكبر آفة لحركة الإنسان نحو مثله الأعلى، والعجز حالة نفسية يشعر معها الفرد بعدم القدرة والضعف، وهو آفة لأنه يأتي على كل طاقات الإنسان ويشلّها.

والصبر شجاعة، وهو الصبر على تحمّل أعباء الحركة نحو الله. التخاذل والتراجع أمام هذه الأعباء جُبن ما بعده جُبن، ومواصلة المسير نحو الكامل المطلق بصبر وثبات يحتاج إلى شجاعة وشهامة وقوّة إرادة.

والزهد ثروة، وليس الزهد الابتعاد عن ممارسة الحياة، بل هو ممارسة لكل شؤون الحياة مع التمكن منها، وامتناء أعباء الحياة مع الأخذ بزمامها، وفي هذه الحالة يشعر الإنسان بالغنى دائماً وفي كل حال، لأن الأطماع لا تستولي عليه، وفقدان الفرص المادية لا يجزّنه. فهو ثروة لا تنضب.

والورع جُنة، إنه جُنة، أي وقاية للإنسان حين يتعرض لكل ما يصدّ حركته الحضارية. الورع وهكذا التقوى سلاح مهم لمواجهة أخطار التحدي الحضاري.

وقال ﷺ: نعم القرين الرضا، والعلم

وراثه كريمة، والآداب حُللٌ مجدّدة، والفكر مرآة صافية (الحكمة ٤).

الرضا ليس قبول الأمر الواقع، فقد يكون هذا الواقع فاسداً يجب رفضه وعدم الرضا عنه. الرضا هو الذي ذكره القرآن عن «النفس المطمئنة».. الرضا هو حالة الانسجام النفسي مع خالق الكون ومخلوقاته، والتعامل مع الحياة بحالة من الاستبشار وعدم الحزن وعدم الخوف، وهي حالة تجعل الإنسان في حالة نشاط وحركة وبُعد عن اليأس والقنوط والتوقّف.

والعلم أفضل وأكرم ما يتركه الإنسان لجيله والأجيال القادمة، لأن عطاءه متدفّق متواصل كريم، ويساهم في إثراء مسيرة الإنسان نحو الله.

والآداب حُللٌ لا تبلى، فهي متجدّدة دائماً؛ لأنها تتكامل باستمرار، ولا تبقى عند حدٍّ، فهي متجدّدة، وتسهم في تطوير الحركة التكاملية دونما توقّف.

والفكر أفضل مصادر المعرفة واستثارة التفكير تأكيد قرآني: ﴿لعلهم يتفكرون﴾ ﴿لقوم يتفكرون﴾، وهو وراء إغناء مسيرة الحضارة وإثرائها وتعميقها.

وقال ﷺ: من أبطأ به عمَلُهُ لم يُسرِعْ به





نَسْبُهُ (الحكمة ٢٢).

هذا مفهوم حضاري يدعو إلى العمل، وعدم الاعتماد على مفاخر النسب. إنّه يبيّن معيار مكانة الإنسان وقيّمته، فلا فائدة في نسب كريم إذا لم يقترن بالعمل. وكم من المتقاعسين المتخلّفين في حاضرنا الإسلامي من يتغنّى بالآباء والأجداد!! فيفتفخون غرورًا ظانين أنهم في مقدمة أمم الأرض، ولكن الحقيقة هم في مؤخرتها بسبب عدم اجتهادهم في السير على مسيرة الحضارة.

وقال عليه السلام: أفضل الزهد إخفاء الزهد (الحكمة ٢٧)

كل القيم الإنسانية الكبرى معرّضة لخطر الرياء .. لخطر أن تتحول إلى دكان للمتاجرة، وإلى تظاهر .. عندئذ تفقد دورها في تحرير الإنسان من ذاتيته، بل تتجه نحو تكريس الذات. ولذلك من الأفضل إخفاء الزهد كي لا يشوبه رياء، ولكي يؤدي دوره في عملية تحرير الإنسان ودفعه على مسيرته الحضارية.

وقال عليه السلام: قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمرّ مرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير (الحكمة ٢٠).

نصّ مهم في الحثّ على استثمار عنصر

الزمان، بوصفه من عناصر الانطلاق الحضاري. فإذا تهيّب الإنسان من الدخول في تجارب الحياة خاب سعيه، ولا يصل إلى نتيجة.

ومن حجبهِ الحياء عن اقتحام ميادين الخير حُرّم من الخير، والحياء هنا ليس ذلك الحياء الممدوح الذي يقابل الصلافة والواقحة، بل هو - كما يقتضي السياق - التردد وعدم اتخاذ القرار الحازم، وعدم التحلّي بالأريحية الاجتماعية.

والفرصة تمرّ مرّ السحاب، وكلّ لحظة من لحظات الزمان فرصة للتكامل والسير على طريق الحياة الطيبة. والإنسان إن لم ينتهز فرص الخير، ضاع عمره، وفقد دوره على ساحة الحركة المتكاملة.

وقال عليه السلام: أَيْلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَائِرٌ إِلَّا وَيَدُ اللَّهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ (الحكمة ١٩).

هذا النص له دلالة مهمّة على منهج التعامل مع الآخر في المنظومة الإسلامية، إنه منهج يقوم على حفظ «كرامة» الإنسان و«عزّته» و«شخصيته» كي يواصل عطاءه على الساحة الإنسانية. فإذا عثر إنسان فلا تواجهه بما يعمّق عثرته ويبعده عن حركته الرائدة، بل تخلّقوا بأخلاق الله



الذي يأخذ بيد العاثر ويقلبه (يرفعه) من سقطته.

وقال ﷺ: لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ السُّرَى (الحكمة ٢١).

إنه استنهاض لطلب الحق.. وطلب الحق وراء كل حركة تكاملية في تاريخ البشرية. والسكوت عن طلب الحق وراء كل ركود وذلل وفتور في المجتمعات. ولا بد من طلب الحق حتى ولو تطلّب الأمر تحمّل المشاكل والصعاب.. ولو تطلّب ركوب أعجاز الإبل وهو ركوبٌ شاقٌّ على العكس من ركوب ظهورها. بل ولو طال السرى (السفر في الليل).

وقال ﷺ: كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنَ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيَرْكَبَ وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ (الحكمة / ١).

الفتنة هي حالة الانحراف التي تصيب المجتمع الإسلامي، والانحراف يعني ظهور العوائق التي تصدّ المجتمع عن حركته التكاملية، والنصّ يشير إلى نوع من الانحراف يتمثل في سيطرة الظالمين والمستبدّين على المجتمع، والمستبدّون يعمدون إلى استغلال الأفراد لصالح فرض استبدادهم، والدعوة في النصّ إلى أن

يكون الإنسان أمام محاولات الاستغلال هذه كابن اللبون (ابن الناقة) لا يمكن استغلاله في الركوب وفي الحلب.

إنها دعوة إلى اتخاذ الموقف المناسب من حالة السيطرة الفرعونية المضادة للمسيرة الحضارية في المجتمع.

وقال ﷺ: أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنْ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعِ وَرَضِيَ بِالذَّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ (الحكمة ٢).

دعوة إلى أن يحفظ الإنسان عزّته وكرامته، واستشعار العزّة من أهم المحركات الثقافية في المسيرة الحضارية. والطمع يهين شخصية الإنسان ويحطّ منها، والطمع هو الاستزادة من فضول العيش، وعدم الاكتفاء بضرورات الحياة، وقديماً قيل:

لقد دقت ورقّت واسترقت
فضول العيش أعناق الرجال

كذلك الذلّ كلّ الذلّ في الكشف عن الضرّ. وكم من الناس يواجهون الصعاب بصدر رحب، لا يشكون ولا يتأفّفون ولا يضجّرون، وثمة أناس ما إن يصيبهم سوء حتى هاجوا وماجوا وشكوا إلى هذا



وذاك، وقد يملّ الناس من كثرة شكواهم،

ويؤدي أمرهم إلى الخطّ من شأنهم، وهذا مما يضرّ بمكانة الإنسان ودوره في الحركة الحضارية.

واللسان حين يكون أميرًا على الإنسان، يدفع بصاحبه إلى الهذر وضياع العقل والابتعاد عن الحكمة والتدبّر. والإنسان الحضاري ينبغي أن يحكّم عقله على لسانه فينطق بالصواب وبما ينفع الناس.

وقال عليه السلام لابنه الحسن: «يَا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا وَارْبَعًا لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ وَأكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمَقُ وَأَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ وَأكْرَمُ الْحُسْبِ حُسْنُ الْخُلُقِ» (الحكمة / ٣٨).

قال عليه السلام: «وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينُ الْأَنْبَارِ فَرَجَلُوا لَهُ وَاسْتَدُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ فَقَالُوا خُلِقْنَا مِنْ نَعْظٍ بِهِ أَمْرَاءَنَا فَقَالَ وَاللَّهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أَمْرَاؤُكُمْ وَإِنَّكُمْ لَتَشَقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَتَشَقُّونَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ». (الحكمة / ٣٧)

هذا النصّ يبيّن سيرة الإمام في تربية المجتمع. وتقوم على التربية العقلية والنفسية والسلوكية.

الاهتمام بالجانب العقلي كثير في نصوص نهج البلاغة، والعقل موجّه للإنسان في سيره وسلوكه، والمسلم عقلانيّ في تفكيره، وهذه العقلانية طبعت الإنتاج الحضاري الإسلامي المعرفي.

الإنسان بحاجة إلى الشعور بالغنّى، والإمام يوجّه هذا الشعور لأن يكون الغنى غنى العقل: إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، لا المال والثروة.. ومقابل ذلك الفقر، فإن «أكبر الفقر الحمق» وهو أن لا يحكم المرء

هذا موقف حضاري مهم من الإمام عليه السلام، فيه تأكيد على عزّة الإنسان، ونهي عن إهدار هذه العزّة على طريق تعظيم الأشخاص - مهما كانت مكانة هؤلاء الأشخاص - وتحذير لمن يحبّون أن يحاطوا بالأدلاء المتملقين. يقول لهؤلاء الدهاقين (كلمة فارسية جمع دهقان وهو المزارع ويظهر أنهم إيرانيون): اتركوا هذا اللون من التعظيم للأمرء، فهو لا ينفع الأمرء،



عقله في الأمور.

ثم في النصّ تربية نفسية تدعو إلى ترك العُجب والعجب من أعراض مرض التخلف الحضاري، حيث تُصبح الذات هي المحور، وهي الإله، ومثل هذا الإنسان يشعر بالوحشة من الناس، والناس يستوحشون منه؛ لأنّ الذاتية تستفحل هنا، ولا تدع الفرد يتفاعل مع الجماعة.

وفي دعوة الإمام تربية سلوكية، إذ يدعو إلى ترك التفاخر بالأحساب، ويجعل معيار الكرامة حسن الخلق. وحسن الخلق هو اتخاذ الموقف الكريم من الآخر، والتعامل مع الناس بصورة تحافظ على العلاقات الإنسانية العاطفية معهم. ومثل هذا السلوك لا يصدر إلاّ عن نفس تتعالى على ذاتيتها وتخرج من قوقعتها، فتحترم الآخر وتفتح عليه، وهذا عنصر ثقافي من عناصر الحركة الحضارية.

وقال عليه السلام: «لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَ قَلْبُ الْأَخْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ» (الحكمة / ٤٠).

في هذا النصّ أيضاً تركيز على الجانب العقلي من التربية الإسلامية، وتوجيه كلام الإنسان ليكون منطلقه العقل.

لسان العاقل أي نطقه وبيانه ومواقفه

«وراء قلبه» أي وراء تفكيره وإدراكه. والقلب هنا كالفؤاد يرد في النصوص الإسلامية على أنه مركز الإدراك والفهم والتفكير. وخلاف ذلك الأحق الذي تصدر مواقفه وأقواله من خلفية لا تستند إلى فكر ومنطق وتفهم.

وقال عليه السلام: «قَدَرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدَرِ هِمَّتِهِ وَ صِدْقُهُ عَلَى قَدَرِ مُرُوءَتِهِ وَ شَجَاعَتُهُ عَلَى قَدَرِ أَنْفَتِهِ وَ عِفَّتُهُ عَلَى قَدَرِ غَيْرَتِهِ» (الحكمة / ٤٧).

الهمة، والمروءة، والأنفة، والغيرة.. من العناصر المؤلفة للثقافة الإسلامية المتحركة، فالهمة ترفع الإنسان ليندفع نحو الأفضل والأسمى، وقدر الرجل على قدر هِمّته وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

والمروءة: قيل إنها «الإنسانية»، وهو تعريف جميل أي أن يكون المرء حاملاً للخصائص التي يجب أن يتحلّى بها «الإنسان»، وقيل إنها الرجولة وهي بهذا المعنى، ومؤدّى المعنيين أن يكون الإنسان ذا شخصية محترمة، وأن يحترم الإنسان نفسه قبل أن يحترمه غيره. لذلك حين سُئل أحدهم عن المروءة قال: «أن لا تفعل في السرّ أمراً تستحيي أن تفعله جهراً»



هنا- أن الجهل لم يضعه الإمام مقابل العلم، بل مقابل العقل؛ لأنّ العقل يدفع الإنسان للتعلم إن كان جاهلاً، أما إذا فقد العقل فهو جاهلٌ حتى وإن كان

متعلِّماً، وما أكثر المتعلمين الذين يكتنزون المعلومات، ولكن ليست لهم القدرة العقلية على تحليلها والخروج منها بنتائج تعود بالنفع على حاملها وعلى المجتمع.

وأعظم الميراث ميراث الأدب، والأدب في القرن الأول الهجري يعني كلّ إنتاج فكري أو شعوري ينتجه الإنسان، وهذا توجيه إلى تقديم ما يخلّد الإنسان بعد موته، ليس هو المال والثروة والبنون، بل هو عطاء الإنسان الفكري والشعوري.

ثم إن أعظم ما يدعم الإنسان في مواقفه هو المُشاورة. والمُشاورة ظاهرة ثقافية مهمّة في إعداد الإنسان الحضاري. التخلّف الثقافي يقرّز الاستبداد والاعتداد بالرأي، في حين تفرز الثقافة المتطورة المتحرّكة المُشاورة والانفتاح على الرأي الآخر، واستماع القول واتباع أحسنه.

النصّ إذن- يتضمن إضافات ثقافية مهمّة للحركة الحضارية.

وقال عليه السلام: «لَا تَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفَرِّطًا أَوْ مُفَرَّطًا» (الحكمة / ٧٠).

ومن يحترم نفسه لا يكذب، فالكذب يصدر من نفس خسيصة لا قيمة لها عند صاحبها، من هنا كان صدق الإنسان على قدر مروءته.

والأنفة: هي العزّة، وهي عدم الخضوع للإهانة والذلّ، ومثل هذا الإنسان شجاع لا يضطرب له قلب ولا يرتجف له بدن أمام الأخطار، فشجاعة المرء على قدر أنفته.

والغيرة: أن يأبى الإنسان تعرّض محارمه للانتهاك. ومن تكن له هذه الصفة في محارمه فهو حريصٌ أيضاً على عدم انتهاك محارم غيره. ومن كان متساهلاً في محارمه فهو في محارم الآخرين متساهل أيضاً، ولذلك كانت عفة الإنسان على قدر غيرته.

قال عليه السلام: «لَا غِنَى كَالْعَقْلِ وَلَا فَقْرَ كَالْجُهْلِ وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَلَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ» (الحكمة / ٥٤).

يعرض الإمام المعايير التي يجب أن تسود في المجتمع المسلم.

أعظم الغنى غنى العقل.. فمن كان عاقلاً كان حكيماً ومن يؤث الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

وأعظم الفقر فقر الجهل. ويرى -



الإفراط والتفريط من مظاهر الثقافة المتخلفة، لأن وراءها جهلاً، والجهل كما مر ليس مقابل العلم، بل مقابل العقل. والعقل هو - كما ذكرنا - الحكمة التي أحسن ما قيل فيها: أنها وضع الشيء في محله.. والعقل متعادل في سلوكه، وهذا التعادل من سمات الإنسان الذي لا يتحرك من منطلق العقد النفسية والاجتماعية، والتخلف الثقافي يخلق هذه العقد، ومن ثم يخل بالتعادل، ويتجه الإنسان والمجتمع عندئذ إلى إفراط في ممارسة الأمور، أي الذهاب فيها إلى أكثر مما تستحق، أو إلى تفريط، وهو عدم إعطاء الأمور من الأهمية ما تستحق. فيظهر الغلو في الحال الأولى والتقصير في الحال الثانية.

وقال ﷺ: «إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ» (الحكمة / ٧١).

في النص معيار آخر للتخلف والتطور، المجتمع العاقل والفرد العاقل يعمل أكثر مما يتكلم، أما التخلف فلا يفرز إلا الكلام والهذر والجدل والخطابات الرنانة، ولا ترى وراء كل ذلك من عمل إلا قليلاً.

وقال ﷺ: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ

وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ» (الحكمة / ٧٣).

يضع الإمام معياراً مهماً لقائد المسيرة، مهما كان حجم هذه المسيرة، فلا بد أن يكون سباقاً إلى كل توجه تكاملي، وبذلك يستطيع أن يضخ طاقة الحركة فيمن يقودهم وأن يهديهم الطريق المنشود.

أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه، وإصلاح المحتوى الداخلي مقدمة ضرورية لإصلاح المجتمع.

وأن يكون تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وإلا كان مصداقاً لمن لا مهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

معلم النفس أحق بالإجلال من معلم الناس؛ لأن تعليم النفس هو الجهاد الأكبر، هو تصعيد الإرادة وضبط الشهوات، وتوطين النفس على مواصلة السير نحو الكمال، عندئذ يكون بسلوكه معلماً للناس أيضاً.



المُورِد» (الحكمة/ ٧٧)

هذا النص يتضمن:

التحرّر من الاتباع الأعمى إلى الأهداف الدنيوية، أي الأهداف الصغيرة التي تصدّ الإنسان عن التوجه إلى الأهداف الكبرى.

ويعبر عن ذلك بأسلوب خطابي رائع للدنيا فيه تكرر للمخاطب: يا دنيا يا دنيا وكأنه يريد أن يقرع أسماعها بخطاب يصدر عن أعماق القلب.. هيهات غري غيري إنها قطيعة كاملة مع النزول إلى الأهداف الصغيرة: قد طلقك ثلاثاً لا رجعة فيها.

ويتضمن النص - أيضاً - استشعار عظم المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان، وضرورة التزوّد بالمؤونة التي تؤهله لحمل هذه الأعباء: آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد، والمورد هنا موقف الورود على الكامل المطلق سبحانه.

ومن كلام له عليه السلام: للسائل الشامي لما سأله أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدّر بعد كلام طويل هذا مختاراً:

«وَيْحَكَ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءَ لَزِمًا وَقَدَرًا حَاتِمًا لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ

إنّ ما حدث من انتكاس في المسيرة الحضارية الإسلامية يعود في معظمه إلى غياب القادة المبدئين، وغياب القادة الذين علّموا أنفسهم وضبطوا سلوكهم، ولم يكن دافعهم في حركتهم غرائزهم وشهواتهم وأهواءهم.

وقال عليه السلام: «إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَبَهَتْ اغْتَبِرَ أَخْرُهَا بِأَوَّلِهَا» (الحكمة/ ٧٦).

وهذا درس في فهم سنن الكون والحياة، وإشارة إلى أن الأمور (المسيرة الحياتية) تتحرك على وفق سنن ثابتة، وإذا التبست هذه الأمور، فإن ما تحكّم فيها من السنن في الماضي سيجري في الحاضر والمستقبل.

وَمِنْ خَبَرِ ضَرَارِ بْنِ خَمْزَةَ الصَّبَائِيِّ عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَسْأَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَقَالَ فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مَحْرَابِهِ قَابِضٌ عَلَى حَيْثِهِ يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ. ويقول: «يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكَ عَنِّي أَيْ تَعَرَّضْتُ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتُ لَا حَانَ جِئِكَ هَيْهَاتَ غُرِّي غُرِّي لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ قَدْ طَلَقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا فَعَيْشُكَ قَصِيرٌ وَخَطَرُكَ يَسِيرٌ وَأَمْلُكَ حَقِيرٌ آه مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ وَطُولِ الطَّرِيقِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَعَظِيمِ



إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخَيُّرًا وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا وَكَلَّفَ يَسِيرًا وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا وَلَمْ يُطْعَ مُكْرَهًا وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لِعِبَادٍ وَلَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا وَلَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» (الحكمة / ٧٨).

ويتضمّن النصّ وضع أسس ثقافية مهمّة لنظرة الإنسان إلى الكون والحياة والأنبياء:

فالإنسان مخيّر وليست حركته جبرية بقضاء لازم وقدر حاتم، وهذه قاعدة مهمّة ينطلق منها مفهوم كرامة الإنسان بوصفه المخلوق الوحيد الذي ينال درجة التخيير، وينطلق منها مفهوم المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه في انتخاب الطريق وعدم الانسياق وراء الغريزة.

ويتضمّن - أيضًا - عظمة الرسول والمرسل، فليس في مسألة النبوة لعبٌ وليس في الكتاب المنزل عبث. بل هو من أجل الجدّ في الحياة، ولغرض الحركة نحو الله، ونحو الكمال المطلق.

وفيه أيضًا إلفات نظر إلى الحكمة البالغة في خلق الكون، فليس فيه باطل،

بل كلّ شيء قد خلق بقدر، وعلى وفق أصول تيسّر للإنسان حركته على الأرض نحو كماله المرسوم.

وقال ﷺ: «خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلْجُلُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ» (الحكمة / ٧٩).

الحكمة هنا هي الفكرة الصحيحة الصائبة، والإمام يحثّ على أخذها حتى إذا صدرت من منافق.. وفي النصّ توجيه مهم نحو الإصغاء إلى الآخر، وأخذ ما ينفع منه، ولو كان ذلك الآخر مخالفًا للمتلقّي. وهذه تربية ثقافية مهمّة على طريق الحركة الحضارية.

إذا ضرب الإنسان على سمعه حصارًا، أي إذا أصرّ أن لا يسمع إلاّ من جماعته وحزبه وعشيرته فإنه بذلك يحصر حركته في أطر ضيقة، وتتحول هذه الأطر إلى طاغوت يمنعه من الحركة إلى الله ومن التكامل. وجاء هذا المفهوم ضمن تأكيد قرآني في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

ومثل ذلك قوله ﷺ: «الْحِكْمَةُ ضَالَّةٌ





الْمُؤْمِنِ فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ»
(الحكمة / ٨٠).
وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرٍ مَعَهُ» (الحكمة / ٨٢).

وقال عليه السلام: «قيمة كل امرئ ما يحسنه».

والإحسان: تقديم العمل الحسن، والعمل الحسن هو العمل الجميل النافع المفيد. وقيمة الإنسان بما يقدمه من عمل كهذا. قيمته ليست بماله وأصله ونسبه ولونه، بل ولا بدينه ومذهبه. وهذه قيمة حضارية كبرى وقف عندها الشريف الرضي معجباً إذ قال معلقاً: وهي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة. هذه القيمة الحضارية هي التي صيّرت أرسطو اليوناني المعلم الأول لدى المسلمين، وهي التي جعلت الشريف الرضي يرتبط بأبي اسحاق الصابي برباط صداقة عميقة على الرغم من أن أبا إسحاق ليس بمسلم، وجعلت الشريف برثي صديقه بأروع قصائد الرثاء في الشعر العربي.

يحث الإمام مخاطبيه على خمسة أمور ويفتح الخطاب بذكر أهميتها: لو ضربتم أباط الإبل لكانت لذلك أهلاً.

أن يرجو الإنسان ربه .

ورفع آمال الإنسان ورجائه إلى هذا المستوى إنما هو دفع للإنسان ليعلو بطموحاته إلى الكامل المطلق سبحانه.

وأن لا يخاف إلا ذنبه. والذنب إذا فهمناه في إطار المفهوم الإحيائي بأنه خطوة إلى الخلف في عملية الإحياء ومسيرة التكامل، فإن خوف الذنب يعنى خوف الوقوع في انتكاس المسيرة الحضارية التكاملية.

وعدم الاستحياء من قوله: لا أعلم، يصبّ أيضاً في المفاهيم التربوية الحضارية. لأن الاستحياء من قول: لا أعلم ناتج عن غرور وذاتية وأناية.. بل أيضاً عن جهل بواقع العلم، إذ مهما بلغ الإنسان في علمه يجب أن يدعن بأنه جاهل بكثير من الأمور. ومجھولات الإنسان تزداد بقدر ازدياد معلوماته.

ومثله قوله عليه السلام: «من ترك قول: لا أدري أصيبت مقاتله» أي حين يترك هذا القول فإنه مضطر لأن يقول بما لا يدري فيتبين

وقال عليه السلام: «أَوْصِيَكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ لَكَانَتْ لِدَلِكْ أَهْلًا لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ وَلَا يَسْتَحِينَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ وَلَا يَسْتَحِينَ أَحَدًا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ



جهله، ويمقته الناس ويسقط في المجتمع (أُصِيت مقاتله).

الكلمة - إذن- حثّ على العيش بعزّة وكرامة مَهْمَا كانت التضحيات، وهو أساس كلّ حركة حضارية في التاريخ. والمجتمع الذي يرث الفداء والتضحية من الجيل السابق يعيش في عزّة وكرامة، على خلاف الذي يرث حال الذلّ ممن سبقه.

وعدم الاستحياء من التعلّم يأتي في هذه السياق. كما أن فيه إضافة تدعو إلى طلب العلم حتى ولو كان في حالة تدعو إلى الاستحياء كالتعلم في الكبر، أو التعلّم على يد من يرى أنه دونه، أو في حالة أخرى تتطلب كسر الغرور والخروج من الذاتية.

وقال ﷺ: «رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ الْغُلَامِ وَرُؤْيٍ مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ» (الحكمة / ٨٦).

والحثّ على الصبر مفهوم له قيمته في المنظومة الثقافية المتحضّرة، إنه الصبر على مواصلة طريق ذات الشوكة، إنه الدعوة إلى تحمّل أعباء المهمة الحضارية الموكولة إلى الإنسان بوصفه خليفة الله في الأرض. وهذا الصبر هو الذي يمدّ الإيمان بالحياة والحركة، كما يمدّ الرأسّ الجسد بالحياة والحركة.

جلّد الغلام محبوب إنه شجاعته وإقدامه وهمتّه في خوض معارك الحياة وساحات الجهاد، لكنّ الأحبّ منه الفكر والتدبير والتخطيط. وهو رأي الخبير صاحب التجربة: رأي الشيخ. وهذا يعني أن الأهم من الحركة هو اتجاه الحركة في طريقها الحكيم الصحيح.

وقال ﷺ: «بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَدًا وَأَكْثَرُ وَلَدًا» (الحكمة / ٨٤).

وقال ﷺ: «مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ» (الحكمة / ٨٩)

يقول الأستاذ محمد عبده في معنى بقية السيف: «هم الذين يبقون بعد الذين قُتِلُوا في حفظ شرفهم ودفع الضيم عنهم وفضلوا الموت على الذلّ، فيكون الباقون شرفاء نجداء، فعددهم أبقي وولدهم يكون أكثر، بخلاف الأذلاء فإن مصيرهم

إصلاح علاقة الإنسان مع الله في المفهوم الإحيائي يعني انشداد القلب إلى الحي





والانتكاس في هذه الحركة التكاملية يؤدي إلى حرمان الإنسان من هذه الرحمة وتعرضه إلى سنة مكر الله. فلا بد أن يكون على حذر من السقوط.

وقال عليه السلام: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ» (الحكمة / ٩١).

هذه دعوة إلى إبقاء القلوب نشطة متحركة لا تشعر بالملل ولا بالتعب. والقلب هنا هو (الشعور) الذي يشكل الطاقة المحركة في الإنسان. وعلاج هذا الملل: طرائف الحكمة والطريف هو الذي تنبسط إليه القلوب وتنشرح به الصدور. فهو - إذن - الجميل البهيج المؤثر في الشعور من الكلام، وقد يكون المقصود هو الأدب بمعناه المعروف اليوم.

وقال عليه السلام: «أَوْضَعُ الْعِلْمَ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ» (الحكمة / ٩٢).

هذا معيار لما يجب أن يكون عليه العلم. ليس هو معلومات تكتنز ويتظاهر بها اللسان، فهذه هي الحال المتخلفة من العلم. العلم ينبغي أن يظهر في الممارسات العملية للفرد والجماعة.

وقال عليه السلام: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ

القيوم وإزالة كل عائق من مسيرة الإنسان نحو الكامل المطلق. عندئذ تصلح علاقة الإنسان بالإنسان، لأن القلب حين يتعلق بالله فإنه سيخلو من كل ما يعكّر صفو العلاقة بين البشر. وإصلاح أمر الآخرة يأتي أيضا بنفس معنى إصلاح العلاقة مع الله، وعندئذ يصلح أمر دنياه، على وفق القاعدة نفسها، فالساعي إلى الآخرة ساع إلى الكمال المطلق، وهذا السعي يفتح أمام الإنسان أبواب التعامل الصحيح المتعادل الإيجابي مع الدنيا.

وأن يكون الإنسان واعظاً لنفسه، فإنه يعني أن يكون متنبهاً دائماً وحذراً دائماً من الوقوع في الزلات والسقوط في المزالق، أي كان محفوظاً بإذن الله تعالى.

وقال عليه السلام: «الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ» (الحكمة / ٩٠).

الفقيه: من استوعب الرسالة وفقهها (علم أبعادها وتفصيلها)، والفقيه الحقيقي من يفتح قلوب الناس أمام رحمه الله.. والقلوب تحيا بالأمل وتموت باليأس والقنوط.. والأمل في رحمة الله ولطفه ورأفته (رَوْحِهِ) يدفع إلى حركة كمال نحو الله، واليأس يسد منافذ الإحياء.



مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ بَعُدَتْ حُجَّتُهُ وَإِنْ عَدُوٌّ مُحَمَّدٍ مِّنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قُرِبَتْ قَرَابَتُهُ» (الحكمة / ٩٦).

هذا معيار مهم لمكانة الفرد في الإسلام. إنه العلم بالرسالة، لا القرابة النسبية. وهذا المعيار يرفض الأسلوب الوراثي والأسري والعشائري في تقويم الأفراد وفي أهليتهم لقيادة المجتمع. وهو الأسلوب الذي مثل عاملاً أساسياً في انتكاس مسيرة المجتمع الإسلامي على مر التاريخ.

وقال وقد: «سَمِعَ ﷺ رَجُلًا مِّنَ الْحُرُورِ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ فَقَالَ نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ» (الحكمة / ٩٧).

يحصل اليقين لدى الإنسان حين لا تتنازع عوامل الأهواء النفسية فيما يحمل من اعتقاد وإيمان. والشك ناتج عن هذه العوامل. اليقين يحرك ويوجه، والشك يجعل الإنسان في تردد من الحركة، وإن تحرك لا يهتدي إلى سواء السبيل.

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مِّنْ اسْتِعَاذَ فَلَيْسَتْ عِزٌّ مِنْ مُضْلَاتِ الْفِتَنِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُخْتَبَرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِتَبَيَّنِ السَّاحِطِ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِي بِقِسْمِهِ وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَكِنْ لَتُظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ» (الحكمة / ٩٣).

هذا توجيه للاستعداد إلى خوض امتحان الحياة. فالمسيرة الحياتية فيها تقدم ونكوص، وفيها نجاح وسقوط. نجاح الإنسان بمقدار تمكنه من أن يمسك زمام غرائزه وأن لا ينساق وراء مصالحه الصغيرة، وفشله بمقدار انحداره بدوافع غريزيه غير منضبطة وبضياع الأهداف الكبيرة. فهو إذن أمام (فتنة) مستمرة تظهر فيها قدرته وكفاءته لمواصلة طريقة تكامله. وهذا الامتحان فيه إبراز لعظمة الإنسان وتمييزه من سائر الأحياء، وما يجب أن يحذر منه الإنسان هو الامتحان الذي يفشل فيه: مضلات الفتن.

وقال ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ ثُمَّ تَلَا إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ



الذين يحبّون المدح والثناء، وما يتبع ذلك من كثرة المدّاحين والمتملّقين.

ومن مظاهر الذاتية والزيّف والشعور بالنقص حبّ الفرد أن يُمدح ويثنى عليه، وهذا ما ساد في تاريخنا بين فئات الطبقة الحاكمة، وساد معه شعر المديح الذي أزرى بالأدب العربي وجعل الشاعر غالباً يدخل في تجربة شعورية كاذبة.

الإمام برّدّه على الذي مدحه في وجهه ينهى بأدب جم عن هذه الحال التي تعبّر عن تخلف حضاري.

وقال عليه السلام: «لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ وَبِاسْتِكْتِمَائِهَا لِتُظْهَرَ وَبِتَعَجُّلِهَا لِتَهْنُؤَ» (الحكمة/ ١٠١).

في عبارة الإمام توجيه إلى سبيل معالجة الأمور:

باستصغارها: حتى تكتمل وتظهر جليّة تعظم.

واستصغار الأمور حالة نفسية لا تتحقق إلّا في نفس عظيمة: وتصغر في عين العظيم العظائم. واستصغار المهمّة تجعل القادم عليها واثقاً في إنجازها غير متهيّب منها.

وباستكتمانها: وكتّان المهام لا يفعله إلّا ذوو الصدور الواسعة والقلوب الكبيرة،

من هنا كان النوم على يقين -بحيث يستطيع بعده النائم أن يواصل حركته إلى الله-، خير من صلاة في شكّ، إذ هذه الصلاة لا تربيّ، ولا تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وقال عليه السلام: «اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلٌ رِعَايَةٌ لَا عَقْلٌ رِوَايَةٌ فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِعَاةُ قَلِيلٌ» (الحكمة/ ٩٨).

هذا قاعدة حضارية مهمة في التلقي، ومن ذلك تلقي الخبر والعلم وتلقي منهج السلوك. واعقلوا هنا تعني: تلقوا، وتوجيه الإمام أن تتلقى الخبر برعاية. أي بتعهّد تربيته وتنميته، لا أن نردده بالأفواه من دون أن ننميّه وننضجه.

كل تطوير للحركة الحضارية يتطلب رعاية ما نتلقاه كي ننميّه ونطوّره وننضجه. والذين يقرأون ويلقون ما قرأوه كثير، والذين يطورون ما يقرأون ويفكرون ويتعمقون فيما يتلقون قليل.

وقال عليه السلام وقد: «مَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ وَاعْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ» (الحكمة/ ١٠٠).

ومن مظاهر انحطاط الأمم كثرة

التكوين هو الذي يوزن به الإنسان، لا بمظاهره التي غالباً ما تؤدي إلى قسوة القلب وجموح النفس. لباس الإمام يخشع له القلب وتذل به النفس.

والثاني: يؤدي إلى تحويل السلطة إلى خدمة لا غنيمة، ولذلك عطاؤه الكبير على المجتمع، كما أنه يقدم القدوة التي تبعد عامة المؤمنين عن التظاهر والتفاخر والتكاثر والتنافس المحموم على حطام الدنيا.

الثالث: نقف عنده بمقدار ما يسعه هذا الاستعراض: الدنيا والآخرة عدوان متفautان.. ولا يقصد الإمام الدعوة إلى الإعراض عن خوض ساحة الحياة... فهو الإمام الذين دخل هذه الساحة من أوسع أبوابها، محارباً وداعية وإماماً وحاكماً ومعلماً وموجهاً في سبيل الله.

القصد - هنا - أن يكون الإنسان مالكا لزام الحياة لا أن يكون مملوكاً لها، وأن يكون متمطياً لصهوة الدنيا يوجهها على وفق معتقده وإيمانه، لا أن يكون منقاداً خاضعاً عديم الإرادة فيها.

الدنيا المبعوضة هي التي تصد الإنسان عن الأهداف العليا وتجعله مرتبطاً بالصغائر، وتجعل همومه لا تتعدى الهموم الغريزية.

من الذين يستوعبون الأمور، ولا تضيق صدورهم بها. وبتعجيلها: عدم التباطؤ والتسوية في الإنجاز، والتباطؤ والتسوية من مظاهر الإرادة الضعيفة المهزوزة.

التوجيهات الثلاثة في معالجة الأمور تدخل في تربية الإنسان المؤهل لحمل المسؤوليات الكبار.

وقال ﷺ: «وَرُئِيَ عَلَيْهِ إِذَا رَأَى خَلْقَ مَرْفُوعٍ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ:

يُخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ وَيُقْتَدَى بِهِ الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدَوَّانٍ مُتَفَاوِتَانِ وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا وَهَمَّا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا شَبَّيْنَهُمَا كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ وَهَمَّا بَعْدُ ضَرَّتَانِ» (الحكمة/ ١٠٣).

في النص ثلاثة عناصر ثقافية:

١- الإعراض عن المظاهر والتفاخر والتكبر.

٢- نزول الحاكم إلى أدنى مستوى معيشي في المجتمع.

٣- علاقة الدنيا بالآخرة.

الأول: فيه دعوة إلى العناية بتكوين الإنسان النفسي والفكري والروحي، فهذا



حركة في الحياة الفردية والاجتماعية. ومن هنا حملت كتب التراث تقابلاً بين (العقل) و(الجهل)، لا بين (العلم) و(الجهل).

وقال عليه السلام: «نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى بِهَا يُلْحَقُ التَّالِي وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي» (الحكمة / ١٠٩).

والنمرقة: ما يُستند إليه. وعظمة علي وأهل بيته تتجلى أكثر ما تتجلى في هذه (الوسطية). فهم المعيار الذي يوازن بين التأخر والتطرف، بين التالي والغالي. وفي تاريخنا الإسلامي حتى يومنا هذا نلاحظ مشهدي الإفراط والتفريط، وتقف إمامة أهل البيت أمام المشهدين لتكون المرجع الوسط، ولتحقق ما أراده الله لهذه الأمة من وسطية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وهذه الوسطية هي التي تؤهل الأمة الإسلامية لتكون شاهدة على الساحة، وأن توازن بين شعوب العالم في حركتها.

وقال عليه السلام: «لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا وَحْدَةً أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ وَلَا عَقْلٌ كَالْتَّدْبِيرِ وَلَا كَرَمٌ كَالْتَّقْوَى وَلَا قَرِينٌ كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا مِيرَاثٌ كَالْأَدَبِ وَلَا قَائِدٌ كَالْتَوْفِيقِ وَلَا تِجَارَةٌ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَلَا رِبْحٌ كَالثَّوَابِ وَلَا وَرَعٌ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ

الاهتمام بالآخرة يعني الاهتمام بمسؤوليات الاستخلاف والأمانة الكبرى، وبقطع طريق الكمال نحو الكامل المطلق. ومن الطبيعي أن يكون هذا الاهتمام متعارضاً مع الارتباط بالهموم الدنيوية الصغيرة.

وقال عليه السلام: «لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لَأَسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ» (الحكمة / ١٠٦).

أمر الدين في نص الإمام هو ما يدفع الناس نحو حركتهم الإحيائية، وترك هذا الأمر لاستصلاح دنياهم يعني ترك الأهداف الكبرى في الحياة من أجل الحصول على مغانم صغيرة، وهذه انتكاسة في المسيرة الحضارية. ولعل ما حدث من انتكاسات في مسيرة الشعوب عامة ومسيرة التاريخ الإسلامي خاصة يعود إلى هذا الهبوط في التطلعات والأهداف والاهتمامات.

وقال عليه السلام: «رُبَّ عَالَمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ» (الحكمة / ١٠٧).

العالم في تعبير الإمام قد يكون جاهلاً، لا ينفعه علمه. والمقصود بالعالم هنا من اختزن المعلومات من دون أن يعقل. أي من دون أن يربط بينها ليحولها إلى مشروع



الشُّبْهَةُ وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ وَلَا عِلْمَ
كَالتَّفَكُّرِ وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَلَا إِيْمَانَ
كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ وَلَا حَسَبَ كَالْتَوَاضُعِ وَلَا
شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلَا عِزًّا كَالْحِلْمِ وَلَا مُظَاهَرَةَ
أَوْثَقَ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ (الحكمة/ ١١٣).

في النص مفردات كثيرة تثري المنظومة
الثقافية الإسلامية.

لا مال أعود (أنفع) من العقل.
فالعقل ثروة يحسّ معها المرء بالغنى، وإذا
فَقَدَ العقل فَقَدَ هذا الإحساس حتى وإن
اجتمعت عنده الأموال الطائلة.

وكم من الأفراد والشعوب انهمكوا
في تكديس الثروة، لكنهم لم يتفنعوا بها!
وكم منهم من استثمروا عقولهم، فكانت
عندهم الثروة النافعة!

والعُجب وحشة، لأن المعجب بنفسه
يتعالى على الناس ويحتقرهم، فينعزل
عنهم. ويرى نفسه دائماً بأنه مغبون لم
يُعْطِ حَقَّهُ فيسخط على مَنْ حوله.

والتدبير أفضل مراتب العقل، لأن
التدبير هو التفكير في عاقبه ما يؤول
إليه الأمر. أي إنه التفكير المستقبلي.
وهي دعوة مهمّة إلى أن نفكّر في المستقبل
ونخطط له ونرسم آفاقه. فذلك من
كمال العقل.

والعلاقة بين الكرم والتقوى قد لا
تكون واضحة. ولكن إذا فهمنا الكرم بأنه
ما يجود به الإنسان ليتفنع به الآخرون،
والتقوى إلزام النفس على الخروج من
الذاتية والأنانية، نفهم العلاقة بينهما.

فالتقوى حين تكون بالمعنى المذكور
فإنها ستحول الإنسان إلى بذل وعطاء
حقيقيين.. إلى إحسان لا ينتظر مقابلاً، وإلى
كرم لا يريد تظاهراً وسُمعة. ومن هنا
فإنه لا كرم كالتقوى.

ولا قرين كحسن الخلق، فالإنسان
يُعرف بقرينه، ولا شهرة للإنسان أفضل
من أن يعرف بحسن الخلق. ثم إن القرين
يربّي ويوجّه وينمّي ويشرح الصدر ويلغي
السأم، وهكذا يفعل حسنُ الخلق.

ولا ميراث كالأدب والأدب هنا نفهمه
من قول رسول الله ﷺ: «أدبني ربّي
فأحسن تأديبي» وهو مكارم الأخلاق،
ولا شيء يرثه الإنسان أفضل من هذا
الميراث.

ولا قائد كالتوفيق. والتوفيق تسهيل
طريق الخير للإنسان. ولا توفيق إلا بالله.
ولا يتيسّر طريق الخير إلا بفضل سبحانه
وهدايته. وهذا الفضل وهذه الهداية لا
يتيسران إلا بسنن إلهية تقوم على تغيير



نفس الإنسان.

ولا تجارة كالعمل الصالح. والإنسان بطبيعته يحب الربح ولذلك يحب التجارة.. والعمل الصالح تجارة لن تبور. وبذلك يعين الإمام معيار الربح والخسارة بما يقدمه الفرد من عمل صالح مفيد للمجتمع، ومثله قوله: ولا ربح كالثواب.

ولا ورع كالوقوف عند الشبهة، الشبهة ما اختلطت فيها الأوراق والأمور، فلا يُعرف الحق من الباطل. كثير من الانحرافات السلوكية تصدر عن الإنسان حين يتقحم الشبهات، أي حين يلج مسلماً لم تتبين معالمه كاملة. وطالما وقعت القيادات والشعوب في فخ بسبب عدم وقوفها عند الشبهة. والورع الذي يأبى إلا أن يسير على النهج القويم الصحيح يقف عند الشبهة حتى يتبين له صحة الطريق.

ولا زهد كالزهد في الحرام، الزاهد من روض نفسه ليملك زمامها، فيوجهها إلى ما فيه كمالها، ويبلغ الزهد أعظم درجاته حين يقف الإنسان أمام محرم تشتهيه النفس وترغب فيه، وتوسوس له أن يرتكبه، فيقف من ذلك موقف المالك لزمم النفس، ولا ينحدر نحو الهبوط.

ولا علم كال تفكر هذه العبارة لها قيمتها الكبرى في بيان مراتب العلم، وفي بيان أهمية التفكير. فأعظم مراتب العلم هو التفكير. أي استثمار الطاقات التي أودعها الله في الإنسان للنظر في الأشياء وفي عللها وفي العلاقات التي تربط بينها، وهذا هو أساس كل إبداع وابتكار واختراع في الساحة البشرية.

ولا عبادة كأداء الفرائض العبادات منها الفرائض ومنها النوافل، وأداء الفرائض، أي الإتيان بها بشكل كامل من أعظم العبادات. وفي العبارة تأكيد على أن مهمة الإنسان الأولى في ارتباطه بربه أن يؤدي ما عليه من واجبات على النحو الأكمل.

ولا إيمان كالحياء والصبر للإيمان درجات، وأسمى درجاته ما اقترن بالحياء والصبر، والحياء خصلة إنسانية تجعل الإنسان منضبطاً في الخلق الكريم عند تعامله مع نفسه وربه وأفراد مجتمعه. والصبر مواصلة طريق الكمال مهما كانت العقبات والمشاق.

ولا حسب كال تواضع الحسب هو الانتماء إلى الأصل الكريم الشريف، وهو من أسباب ارتفاع مكانة الإنسان في المجتمع بحسب العرف الجاري. لكن الإنسان لا يحصل على رفعة كما يحصل



عليها من التواضع. إذ يرتفع المتواضع في أعين الناس مهما كان حسبه، ويهبط المتكبر في مكانته الاجتماعية مهما علا نسبه وحسبه.

ولا شرف كالعلم والشرف ما علا به الإنسان بين أبناء جلدته، وقد يعلو لأسباب عديدة، ولكن لا علو كالعلو بالعلم. فالعلم - خاصة إذا كان نتيجة تفكير - يرفع بمنزلة الإنسان ويعلو به في الأنظار، ويفتح له منافذ النفوس والقلوب.

ولا عز كالعلم العز هو نيل مكانة خاصة فيها الرفعة والعلو في المكانة الاجتماعية وفي عواطف الناس وقلوبهم. وللعز أسباب يصل بها الإنسان إليه. وأفضل الأسباب الحلم. والحلم حالة نفسية تجعل الإنسان يتعد عن الانفعال وعن ردود الأفعال وعن اتخاذ المواقف المتسرعة، وهو من أجل مظاهر التكامل الإنساني.

ولا مظاهره أوثق من المشاورة، المظاهرة الاستناد إلى قوة تحمي ظهر الإنسان، وتسند في المهمات، وأفضل ما يسند الفرد في مسيرته هو المشاورة. والمشاورة تتطلب الانفتاح على الرأي الآخر، والاستعانة بالفكر الآخر، وهي

حالة حضارية تدفع نحو الكمال.

وقال ﷺ: إضاعة الفرصة غصة (الحكمة / ١١٨).

الإفادة من الوقت عنصر ثقافي مهم للحركة الحضارية. والعمر كله فرصة ليثبت فيها الإنسان لياقته لعملية الاستخلاف، وإضاعة الوقت وتفويت فرص التكامل في الحياة مما لا يمكن جبره، لذلك كان غصة ونكدًا في الحياة.

وقال ﷺ: شَتَانُ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ عَمَلٌ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَبَقِيَ بَعْتُهُ وَعَمَلٌ تَذْهَبُ مَثُونَتُهُ وَبَقِيَ أَجْرُهُ... (الحكمة / ١٢١).

في العبارة تمييز رائع بين عملين: الأول ينطلق من غريزة يندفع إليها الإنسان طلبًا للذة، لكن هذا العمل لا يؤدي إلى العطاء، بل يتحمل صاحبه وزر عواقبه وتبعاته بعد أن تذهب اللذة المطلوبة. والثاني عمل فيه جهد واجتهاد وتحمل أعباء، لكن أعباءه ومثونته تذهب ويبقى العطاء الذي يندرج ضمن ما يؤجر عليه صاحبه.

وقال ﷺ: من قصر في العمل ابْتُئِلَ بالهم، ولا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب (الحكمة / ١٢٧)

العبارة تعالج مسألة ثقافية مهمة وهي



صغيراً في عينيه.

قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَأَخْرَجَنِي
إِلَى الْجَبَانِ فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ
قَالَ:

يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ
أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا فَأَحْفَظْ عَنِّي مَا
أَقُولُ لَكَ

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَى
سَبِيلِ نَجَاةٍ وَ هَمَّجٌ رَعَاغٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِيٍّ
يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَصِيحُوا بِنُورِ
الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ يَا كُمَيْلُ
الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ
تَحْرُسُ الْمَالَ وَ الْمَالُ تَنْقُصُهُ النِّفَقَةُ وَ الْعِلْمُ
يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ وَ صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ
بِزَوَالِهِ يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ
يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي
حَيَاتِهِ وَ جَمِيلَ الْأُخْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَ الْعِلْمُ
حَاكِمٌ وَ الْمَالُ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ يَا كُمَيْلُ هَلْكَ
خُزَانُ الْأَمْوَالِ وَ هُمْ أَحْيَاءُ وَ الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ
مَا بَقِيَ الدَّهْرُ أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وَ أَمْثَالُهُمْ فِي
الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ هَا إِنَّ هَاهُنَا لِعِلْمًا جَمًّا وَ
أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً
بَلَى أَصَبْتُ لِقْنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلًا
آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا وَ مُسْتَظْهِرًا بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى
عِبَادِهِ وَ بِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ أَوْ مُنْقَادًا

الحث على نوع خاص من العمل، الذي
يتحرك فيه الإنسان خارج إطار متطلبات
الذات.

لا بد للإنسان أن يسعى ويتحرك غير
أنه إذا كانت حركته في إطار تلبية غرائزه
و ذاتيته وأنانيته ابتلي بالهموم. الهموم
الصغيرة التي لا حد لها ولا حصر.
والساعي على طريق السمو والكمال قد
يبتلي بالهموم أيضاً، لكنها هموم كبيرة
تبارك العمر وتزكية، وتشرح الصدر
وتضع عن صاحبها الوزر.

والله سبحانه مع الذين يعطون من
أموالهم وأنفسهم في سبيله، أي في سبيل
الكمال والسمو.

وأما الذين يعيشون في قوقعة ذاتيتهم
فلا حاجة لله بهم، أي يهملهم وشأنهم، ولا
يأخذ بأيديهم إلى سبيل الرشاد.

وقال عليه السلام: عَظُمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ
الْمُخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ. (الحكمة/ ١٢٩).

عظم الخالق عند الإنسان يعنى أنه
وضع الله سبحانه هدفاً لكسب رضاه،
وهو هدف تكاملي كبير يجعل كل شيء
صغيراً أمام هذا الهدف. وإنسان يعظم الله
في عينيه لا يُبدل نفسه لمخلوق، ولا يخضع
لظالم ومتجبر مهما علا وتغطرس، إذ يراه



لِحِمْلَةِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ أَوْ مِنْهُمَا بِاللَّذَّةِ سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالْإِدْخَارِ لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَّهَا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمُوتِ حَامِلِيهِ اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمِ اللَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجُجُ اللَّهِ وَيَنَائِيهِ وَكَمْ ذَا وَآيِنَ أَوْلَيْكَ، أَوْلَيْكَ وَ اللَّهُ الْأَقْلُونَ عَدَدًا وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدَرًا يَخْفِظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَيَبْنِيهِ حَتَّى يُودِعُوها نُظَرَاءَهُمْ وَيَزَرِّعُوها فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرَفُّونَ وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَصَحَّبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ أَنْصَرَفَ يَا كَمِيلُ إِذَا شِئْتَ. (الحكمة/ ١٤٧).

في النص مجموعة توجيهات ثقافية متحركة تدفع بالفرد والمجتمع نحو البناء الحضاري منها:

تقسيم الناس على:

● عالم رباني وهو العالم الذي اتخذ

رب العالمين مثله الأعلى، فهو في حركة تكاملية مستمرة لا حد لها نحو الكامل المطلق سبحانه.

● ومتعلم على سبيل نجاة وهو من تلقى من وقود الحركة التكاملية ما يجعله يسير عليها من دون أن ينحرف إلى ما سواها، ومن دون أن يحقق مكاسب العالم الرباني.

● وهمج رعاع وهم الذين ليس لهم مثل أعلى سوى غرائزهم، تدفعهم يمنية ويسرة.

وفي هذه التوجيهات مقارنة بين المنهمكين في جمع المال، والساعين في طلب الكمال.

وعبارة معرفة العلم دين يُدان به لها مدلولها المعرفي الكبير، لم يقل: تلقي العلم، بل قال: معرفة العلم، وكأنه يريد أن يجعل طالب العلم ينظر إلى ما يطلبه بنظرة نقدية معرفية. وهذه المعرفة «دين يُدان به»، أي هي السبيل الأمثل لمدرسة الحياة، منهجًا وفكرًا.

ثم يعود الإمام إلى ذكر أهمية العلم في حياة الإنسان وفي حياة المجتمع، ويبين مكانة العلماء. وبعدها يبيّن همومه العلمية.. وهي هموم الإنسان العالم





وعرًا، لأنه ليس بطريق ينسجم مع طلاب الشهوات الهابطة، إنه طريق الصعود، والمترفون ينشدون طريق الهبوط. وطريقهم يستوحش منه الجاهلون، لأن الجاهلين يأفنون بما يأفنون، وهم أعداء ما جهلوا.

وهؤلاء أيضًا منشدون إلى الكمال، وفي حركة دائمة نحو الكمال المطلق؛ لذلك فإن أرواحهم منشدة دائمًا إلى المحل الأعلى.

ويتأوه الإمام وتتصاعد همومه ويمكن أن نحس ما أصابته من حال حين قال لكميل: انصرف يا كميل إن شئت!!

قال عليه السلام: «مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُوبِهَا» (الحكمة - ١٦١).

الاستبداد بالرأي ناتج عن استفحال الذاتية، وتحولها إلى طاغوت يمنع الاستماع إلى الآخر، ومن هنا فهو محروم من بشرى القرآن: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. والاستبداد بالرأي على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة أكبر عقبة على طريق التكامل والتطور الحضاري.

الحقيقي الذي يبحث عن طالب حقيقي فلا يجده بل يجد:

لقدنا غير مأمون عليه، أي لا يقيم لما يأخذه حرمة، بل يستخدم العلم سلمًا لتحقيق أهدافه التافهة.

أو منقادًا لحملة الحق لا بصيرة له، وهم الذين يسرون وراء «حملة الحق»، ولكن دونما بصيرة، فينحرف في أول شبهة تعترض طريقه.

أو منهومًا باللذة سلسل القياد للشهوة، وهم الذين يعيشون لشهواتهم الهابطة، لا يهمهم سواها.

وبعد أن يبين أنواع الذين لا ينتفعون بالعلم، يوضح خصائص حملة العلم الحقيقيين:

هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، أي لا يتحركون بغرائزهم في طريق العلم، بل يتحركون ببصيرة للوصول إلى حقيقة البصيرة، وهي حركة معرفية مهمة لتحقيق أهداف البشرية التكاملية. ولذلك وصلوا إلى درجة اليقين: باشروا روح اليقين، أي أصبحت نفوسهم واثقة من السبيل الذي يسلكونه، والهدف الذي يتجهون إليه.

وهؤلاء يسلكون طريقًا يحسبه المترفون

وقال ﷺ: «الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ»
(الحكمة - ١٦٣)

الفقر من أكبر عوامل الشعور بالذلّ، والذلّ موت، من هنا كان الفقر موتاً أكبر. ومن الواضح أن المقصود بالفقر هنا هو الذي يؤدي إلى الشعور بالذلّ، لا الفقر الذي يختاره لأنفسهم عن إرادة المتحررون من المال والمتاع، فذلك فخر لهم. الفقر المُذلّ أكبر عقبة أمام إحياء الفرد والجماعة.

وقال ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِخُلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» (الحكمة - ١٦٥)

طاعة المخلوق حين تكون في اتجاه مخالف لطاعة الخالق هي من موانع الوصول إلى الكامل المطلق، ومثل هذه الطاعة تحوّل المخلوق المطاع إلى طاغوت، وإلى وثن يتعملق على طريق الكمال، ويصدّ المسيرة التكاملية.

وقال ﷺ: «الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ الْازْدِيَادَ»
(الحكمة - ١٦٧)

الازدياد هنا هو الازدياد في قطع أشواط طريق الكمال. وإذا ابتلي الفرد أو الجماعة بالإعجاب، فلا يطلبون الازدياد، ويتحول هذا الإعجاب إلى عقبة على طريق الكمال.

وقال ﷺ: «النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا»
(الحكمة - ١٧٢)

كثير من المواقف السلبية المعادية التي يتخذها الأفراد من الأفكار والعقائد والأشخاص والجهات هي نتيجة جهلهم بما يعادونه. من هنا فإن كلمة الإمام هذه تتضمّن التوصية بمراجعة مستمرة لمواقف الإنسان السلبية تجاه الآخر. هل هذا الموقف نتيجة علم بسلبات هذا الآخر أو نتيجة جهل به. وهي توصية حضارية مهمّة تضع معياراً لمواقف الإنسان، وهو أن تقوم على العلم والدقة والتمحيص.

وقال ﷺ: «آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ»
(الحكمة - ١٧٦)

سعة الصدر تعني استيعاب ما يواجهه الإنسان من أمر لا يرغب فيه ولا يستسيغه. وهذه لا تتوافر إلاّ عند من يتعالى على ذاتيته وأنانيته. وهذا التعالي لا بدّ أن يتوافر فيمن يريد أن يتولى أمور الناس ورئاستهم. ومن دون ذلك فإنه يصطدم وينازع ولا يستطيع إدارة الأمور. والتخليّ عن الذاتية والأنانية في الإدارة توصية لها قيمتها التكاملية الحضارية في الرئيس والمرؤوسين.

وقال ﷺ: «لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ



الحُكْمُ كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ» (الحكمة - ١٨٢)

حُكْمَ إِلَّا اللَّهَ: كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ» (الحكمة - ١٩٨).

نهي الإمام عن الصمت في الحكم وعن القول بالجهل، النهي الثاني يبين أن النهي الأول عن الصمت في حال العلم واليقين. إذن هنا نهى عن حرمان الآخرين من عطاء العلم، ثم نهى عن قول لا يصدر عن علم. وهذا المعيار في القول والصمت معيار حضاري؛ لأنه يقوم على أساس العلم.

وقال عليه السلام: «كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ».

وقال عليه السلام: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالَ وَ إِدْبَارًا فَاتُّوْهَا مِنْ قَبْلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَكْرَهَ عَمِي» (الحكمة - ١٩٣).

هذه نظرة مهمة للعلم، فهو لا حد له، ثم إن الإنسان كلما استزاد منه شعر بأن هناك فراغاً معرفياً فيه يجب أن يملأه، وهو دعوة إلى طلب العلم من دون انقطاع، ودعوة إلى الأجيال المتعاقبة أن لا تتوقف عند حدٍّ معين في المسيرة العلميّة.

المقصود من القلوب هنا كما يظهر من السياق وعاء المعرفة. يفتح هذا الوعاء أحياناً ليستقبل، وينغلق أحياناً أخرى ليستدبر، والاستثمار الصحيح لهذا الوعاء هو اغتنام فرصة انفتاحه، وعدم إكراهه حين ينغلق أو يدبر. فالإكراه يسد منافذ تلقي المعرفة ويعمي القلب.

وقال عليه السلام: «الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ» (الحكمة - ١٢٥)

والخلاف لا يعني الاختلاف، بل هو الشقاق والنزاع. وهذا يحجب الرؤية الصحيحة، ويهدم التفكير الصحيح. لأنه يجعل الجو متشنجاً متعصباً مفعماً بالبغضاء والشنآن، كما يجعل أطراف

وهذا درس تربوي للمربي والمتربي، وهو السعي لفتح منافذ المعرفة كي يكون التلقي عن رغبة وعشق، لا عن إكراه وإجبار.

وقال عليه السلام: «لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ لَا



حضاري مهم. فالمقدرة تعني شعور الإنسان بالافتقار والعزّة والكرامة، ومثل هذا الإنسان يرتفع إلى مستوى أهداف كبيرة، فلا تستفحل فيه الشهوات والأهواء والأهداف الصغيرة.

والعكس صحيح، فحين يشعر الإنسان بالضعف في قدرته، تكبر عنده الأهداف الصغيرة وتتضخم لديه الشهوات.

وقال ﷺ: كان لي فيما مضى أخ في الله.. ويصف هذا الأخ وصفًا يرفعه إلى مستوى الإنسان الحضاري الذائب في رسالته ثم يقول عنه: «كَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ» (الحكمة - ٢٨٩).

وهذه صفة مهمّة يقف عندها الإمام في وصف هذا الأخ الإلهي. فهو حريص على أن يسمع أكثر من حرصه على أن يتكلّم.

ولا تتوفر هذه الصفة إلّا عند من اجتنب طاغوت الأنانية والذاتية. فهو يريد أن يسمع، أي يتلقّى من الآخر. وأما طاغوت النفس فيسدّ منافذ الاستماع ويجعل الفرد لا يهوى إلّا أن يطرح نفسه، ويتكلّم ويتكلّم من دون أن يسمع. وذلك الحريص على الاستماع هو الذي يقول عنه سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ

الخلافا لا تستمتع إلى رأي الآخر بل يهملها نقضه وإفحامه.

وقال ﷺ: «أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ» (الحكمة - ٢١٩)

والمطامع هي الاتباع الأعمى إلى الأهداف الهابطة وتسخير طاقاته لئليها، وهذا الاتباع يكون على حساب الارتفاع إلى مستوى ما يدعو إليه العقل الإنساني من أهداف كبرى. وعبارة «مصارع العقول» تعبير جميل عن الصراع الذي يدور بين المثل العليا الهابطة والمثل الأعلى السامي.

وهكذا عبارة «بروق المطامع» فالأهداف التافهة لها بريق كاذب كبريق السراب.

وقال ﷺ: «الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الدُّلِّ» (الحكمة - ٢٢٦)

والمطامع كما ذكرنا أعلاه من يهبط إلى مستوى الأهداف الصغيرة، فيفقد عزّته التي لا تتحقق إلّا بالسير نحو المثل الأعلى المطلق سبحانه، ويسقط في وِثَاقِ الدُّلِّ.

وقال ﷺ: «إِذَا كَثُرَتِ الْمُقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ» (الحكمة - ٢٤٥).

التقابل بين المقدرة والشهوة له مفهوم



أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ

قال عليه السلام وكان ركبًا وحرب بن شرحبيل الشبامي يمشي معه: «ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيِي مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمِثْلُهَا لِلْمُؤْمِنِ» (الحكمة - ٣٢٢).

يتجلى في هذه العبارة اهتمام الإمام بعزة المؤمن وبابتعاد الحاكم عن الغرور والافتتان. وهو اهتمام حضاري، وفيه درس للحاكم في تعامله مع الناس.

وقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ» (الحكمة - ٣٢٨).

هذه العبارة: «فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ» تقرر قاعدة اقتصادية مهمة وتشكل معلماً حضارياً في الحياة الاقتصادية إذ تقرر: أن الفقر سببه سوء التوزيع لا قلة الانتاج. فالأرض فيها ما يفي بحاجة الناس، لكن سوء التوزيع هو الذي يصادر حاجة طبقة الفقراء.

سمع أحد الخوارج كلاماً لأمر المؤمنين فأعجبه فقال هذا الخارجي: قاتله الله كافراً ما أفقهه!!

فوثب أصحاب الإمام إليه ليقتلوه. فقال عليه السلام: «رُويَداً إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ» (الحكمة - ٣٥١).

وهذا ارتفاع في الشخصية، إذ ليس في وجود الإمام روح للانتقام، بل هو معيار الشرع وليس معيار هوى النفس.

لقد ذكر الخارجي ما يجول في نفسه عن الإمام بلغة فجّة فيها تكفير وفيها سباب، والموقف منه إمّا «سَبٌّ بِسَبٍّ» وأسمى منه «عفو عن ذنب».

عناصر التفعيل الحضاري في كلام الإمام:

فيما قدمناه من كلام الإمام نرى عناصر ثقافية مهمة من عناصر الإنتاج الحضاري، ونقف عند بعضها:

العزة: عنصر ثقافي مهم، إن توافر تتوافر معه الحياة في دائرة الفرد ودائرة الجماعة. فالعزيز يشعر بشخصيته وقدرته على الإبداع والتطوير والحركة والتكامل. وبالعكس الذليل ينهار لديه هذا الشعور ويصاب بالشلل الفكري والروحي والنفسي ويفقد إرادته، وباختصار يفقد مقومات الحياة الإنسانية.

من هنا في مواضع عديدة من نهج البلاغة نرى تأكيداً على صيانة عزة



الإنسان وإبعاده عن كل عامل يؤدي إلى إزالته.

التحرر من الذاتية: الإنسان الغارق في ذاتيته الفردية سجين أهوائه وغرائزه الهابطة؛ ولذلك يفقد كل حركة لها طابع اجتماعي أو تقدمي، ويفقد كل تطّلع مستقبلي.

دعاة الإحياء يتجهون إلى إنقاذ الفرد والجماعة من هذه الذاتيات الضيقة، ليتحرك نحو الأهداف الاجتماعية والإنسانية الكبرى، وكلمات الإمام مفعمة بهذه الدعوة التحررية.

التغيير الداخلي: في وجود الإنسان «نفخة من روح رب العالمين» ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وهذه النفخة الإلهية أصبح مستحقاً ليكون مسجود الملائكة، وهذه الخصلة في وجود الإنسان تحتاج إلى رعاية وتنمية على وفق المنهج النبوي، وإذا أهمل الإنسان تنمية هذا الجانب فسيقع تحت ركام متطلبات الجسد الهابطة، وتُصبح الغرائز هي التي توجّه حركة الإنسان، وهي حركة ليس فيها تكامل ولا فيها قيم إنسانية سامية. من هنا كان اهتمام الإحيائيين الرساليين بتغيير المحتوى الإنساني للفرد والمجتمع، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا

عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وفي نهج البلاغة توجه مركّز نحو صياغة المحتوى الداخلي للإنسان كي يتحرك بدوافع الجانب الإلهي نحو الكامل المطلق سبحانه.

الثقة بالنفس: الثقة بالنفس تبلغ ذروتها حين يثق الإنسان بالله وبنصرتة وتسديده ورحمته. والوثاق لا يتردد في اقتحام طريق ذات الشوكة وفي مواجهة الصعاب للوصول إلى الهدف المطلوب. والمتردّد ليس له مكان في ساحات الكمال، والتهيب لا يستطيع صعود الجبال ويبقى أبداً يعيش بين الحُفَر.

والإمام فيما وصلنا من أقواله يوجه رسائل مهمّة للإنسان كي لا يفقد ثقته بنفسه، ولكي يفهم أنه إذا سار على طريق الكمال نحو الله فكل قوى الكون معه.

الانفتاح على الآخر: من مفردات الثقافة الإحيائية: «التعارف»، والتعارف مبدأ أكد عليه القرآن في سياق بيان سبب التعددية للبشر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..﴾ والتعارف هو التبادل المعرفي. والكائن الحي يطلب المعرفة والحكمة «ولو من أهل النفاق»،





يجب أن تتجه نحو تحقيق مقصد عملي، وإلا كانت هذراً من القول، وبطراً من الفكر. الابتلاء بالهذر الفكري من عوامل تخلف الأمم، والعناية بالعمل بوصفه قيمة سامية من عوامل التحضر. تأكيد الإمام على العمل يأتي في سياق تأكيد القرآن والسنة على هذه القيمة الحضارية.

إحياء الأمل في النفوس: فالأمل يفتح آفاق المستقبل أمام الفرد والجماعة، ويدفع نحو تحقيق الأهداف الكبرى من دون تردد أو قلق، على العكس من اليأس، فهو يقتل كل تطلع مستقبلي، ويخلق حالة الضجر والقنوط والاستسلام أمام العوائق.

الإمام - فيما وردنا عنه من نصوص - يحث الدعاة على بث روح الأمل، وإذكاء الشعور برحمة الله في النفوس.

رعاية العلم: طلب العلم وعشقه من العناصر الثقافية المهمة في الإنتاج الحضاري. لكن الذي يؤكد عليه المشروع الثقافي الإسلامي، هو أن لا يكون حامل العلم ﴿كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أي أن لا يكون العلم فيه ركائماً من المعلومات من دون أن يربحها ويضمها ويطورها، ويحولها إلى بناء حضاري إنساني.

أما الذي يفقد الحياة فيعيش في قوقعته، ولا يفتح على الآخر. لا يسمع، بل يريد فقط أن يتكلم.. لأن الاستماع للآخر يحتاج إلى تحرر من طاغوت الذاتية، وهذا التحرر هو الحياة، وهم الذين يشرهم القرآن بأنهم قادرون على استماع القول واتباع أحسنه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

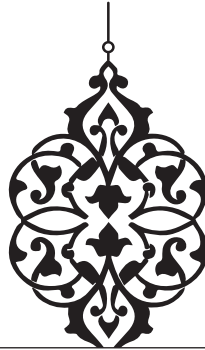
وفي نصوص ما وردنا عن الإمام تأكيد متكرر على هذا الانفتاح، وأخذ الحكمة، وعدم الاستحياء من التعلم والاستماع إلى رأي أهل التجربة.

العناية بعامل الزمن: وقد أسهب الإحيائيون في الحديث عن عامل العناية بالزمن في البناء الحضاري. الموجود الحي يُدرك ضرورة اغتنام الفرص؛ لأنها تمرّ مرّ السحاب، والذي يفقد الحياة يعيش عابثاً من دون أن يرى للعمر قيمة تكاملية حضارية. والشعوب التي تطورت على مرّ التاريخ اغتنمت فرص الحياة ولم تنهال في اغتنامها. والإمام في نصوص النهج يوجّه الأمة نحو هذه الحقيقة، ويحث عليها وكأنها من مبادئ مشروعه الإحيائي.

العناية بالعمل: كل المشاريع الفكرية



وهذا ما يؤكد ﷺ في نصوص عديدة
فرواة العلم كثير ورعاته قليل...
وأرجو ممن قرأ نهج البلاغة أن يعيد
قراءته بنظرة ثقافية حضارية، عندئذ
سيجد كلام الإمام كـلّه يندرج في منظومة
إحيائية تتجه نحو بناء حضاري إنساني.
هذه وغيرها من مكونات ثقافة البناء
الحضاري نراها متناثرة في كلمات الإمام،



أبواب المعرفة



البلاغة والبليغ
في التفكير اللساني عند
الإمام علي عليه السلام

أ.د. فاضل عبود التميمي



جامعة ديالى: العراق







تقديم:

تسعى هذه الدراسة - برؤية المنهج الوصفي التحليلي - إلى الوقوف عند مصطلح (البلاغة) في التفكير اللساني عند الإمام علي عليه السلام (٤٠هـ) بوصفه مفتاحاً يحيل على مجموعة من المهارات اللسانية الخاصة التي تجعل المبدع قادراً على القول البليغ، فضلاً عن الوقوف عند سمتي (البليغ) عنده؛ أي الناطق بالبلاغة، على أن المراد بالتفكير اللساني في الدراسة لا يتجاوز دلالة الانتماء إلى اللغة العربية، وتحقق نتائجها في اللسان العربي المنتج.

مدخل:

أولاً: تعريف البلاغة:

البلاغة في اللسان العربي؛ الانتهاء، والوصول، يُقال بلغ الشيء وصل إليه، وانتهى إليه، وتبلغ بالشيء؛ وصل على مراده، والبلاغ ما يتبلغ به، ويتوصل إلى الشيء المطلوب^(١)، وهذا التفصيل المعجمي عند العرب في قديم ثقافتهم يحيل على ما تعودوا عليه في طرائق

الاتصال بينهم مشافهة لا مكاتبة، وهذا ما قالت به جهود بعض النقاد العرب القدماء في نقل تعريفاتها، منهم على سبيل المثال؛ الجاحظ (٢٥٥هـ) الذي نقل تعريفات البلاغة مقترنة بخطابها الشفاهي الدال على وصول المعنى إلى القلب^(٢)، وأبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) الذي رأى أن البلاغة (كل ما تبلى به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسه مع صورة مقبولة، ومعرض حسن)^(٣)، فهي على حدّ قوله معنى يتمكّن من الاستحواذ على مقدرات المتلقي شرط أن يكون ذلك المعنى مقبولاً، وفي قالب مقبول.

ارتبطت البلاغة عند العرب في القرن الأول الهجري، وقبله بنزعة المشافهة التي كانت سائدة بين الشعراء ومتلقيهم إلاّ فيما ندر، وهي نزعة اتّخذت من السماع، والحفظ معياراً لها، بدليل قول ابن المقفع (١٤٣هـ): من البلاغة ما يكون في الاستماع^(٤)؛ أي في التلقي، فكانت خير مقدمة لمرحلة التوثيق اللاحقة التي أتت

١- لسان العرب: ابن منظور: تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي: دار المعارف بمصر: د.ت: مادة بلغ.

٢- ينظر: البيان والتبيين: الجاحظ: تحقيق عبد السلام محمد هارون: الناشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى في بغداد ط ١٩٦٠: ١: ٩٠، ٩٦.

٣- كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري: تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي ط ١٩٧١: ١٦.

٤- ينظر: كتاب الصناعتين: ٢٠.



تحدث عنها د. حمادي صمود تردّ إلى قلة فطري مشقّه بقصد تدوينه، والإفادة منه. البلاغة وتأريخها^(٢).

إن قلة ما وصل إلينا من مؤلفات لها صلة بالبلاغة تشكّل عائقاً في طريق الوصول إلى الحقيقة التي يبتغيها الباحث المعاصر إلا أنّها لا تدعو الباحث إلى الركون، وترك الحبل على الغارب بانتظار تحقيق معجزة خارقة تتعلّق بظهور كتابات جديدة، بل تدعوه لأن يدقّق في تلك المتون القليلة علّه يجد فيها ما يشفي الصدور، ويقرب الحال نحو الحقيقة التي يرغب الجميع في بلوغها.

سنقف الآن عند تعريفات البلاغة التي نطق بها رجال عاشوا في مدّة زمنيّة قريبة من زمن الامام علي عليه السلام عسى أن تهدي البحث إلى سبيل معلوم، أو تعطي فكرة عن طبيعة تعريف الإمام عليه السلام، فقد عرّف الإمام الحسن بن علي (هـ ٥٠) البلاغة على أنّها (إيضاح الملتبسات، وكشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات)^(٣)، فالبلاغة عنده إيضاح ما هو ملتبس، وكشف لجهل في قضايا غير

على كلّ خبر، وقصيدة، وسجال، ونقد الزمنيّة التي عاش فيها الإمام علي عليه السلام أن يقدّم تصورات مقبولة عن مفهوم البلاغة منها: تصوّر صحرار بن عياش العبدي (حوالي ٤٠ هـ) أنّ البلاغة شيءٌ تحيِّش به الصدور، فتقذفه على الألسن، مقترّناً بالإيجاز؛ أي أن تحجب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ^(١)، بمعنى أنّ البلاغة عند العرب في عهد صحرار كانت استعداداً نفسياً مرهوناً بحالة ما، سمتها الاقتصاد في اللفظ، وهدفها التواصل.

إنّ البحث في طبيعة البلاغة في عهد الإمام علي عليه السلام، ولا سيّما في مفهومها؛ أي في النصف الأول من القرن الأول الهجري صعبٌ جداً، ومحفوف بالمخاطر المنهجية؛ لأنّ تلك المرحلة تعدّ من أقل المراحل وضوحاً، وأكثرها استعصاء على الضبط الدقيق؛ لأنّها تمثل طور نشأة العلم، وبداية التعرّض لمسائله المختلفة، وليست الصعوبة خاصّة بالبلاغة دون غيرها من العلوم العربيّة الإسلاميّة الأخرى، فالصعوبة التي

١- ينظر: البيان والتبيين: الجاحظ: ١: ٩٦.

٢- التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره الى القرن السادس: مشروع قراءة: حمادي صمود: منشورات الجامعة التونسية: ١٩٨١: ١٩، ٢٠.

٣- كتاب الصناعتين: ٥٨.



معلومة بيسر، وهو يرى أنَّ البلاغة تتحقّق بإيضاح الملتبس من المعنى، والكشف عن المراد من القول، بالعبارة السهلة الموجزة الواضحة، التي لا عسر فيها^(١).

وعرّف محمد بن الحنفية عليه السلام (٨١ هـ) البلاغة بقوله البلاغة (قولٌ تضطرُّ العقولُ إلى فهمه بأسهل العبارة)^(٢)، وهو تعريف ينسجم تماماً وطبيعة الخطاب الأدبي يوم ذاك، وقد فسّره أبو هلال العسكري بقوله: (تضطر العقول إلى فهمه عبارة عن إيضاح المعنى، وقوله بأسهل العبارة تنبيه على تسهيل اللفظ وترك تنقيحه)^(٣).

إنّ وضوح التعريفات السابقة على قلّتها لا يعفيها من افتقارها إلى الدقّة الاصطلاحية، وحضور التعميم في أهم أنساقها التعريفية، وهذا ما أدّى فيما بعد إلى عدم استقرارها بوصفها مصطلحاً، ومفهوماً تنازع القول فيهما عدداً غير قليل من المشتغلين في حقلها، أو في الحقول المجاورة لها، إلا أنها - التعريفات - مع ذلك قدّمت تصوّراً مبكّراً عن مفهوم البلاغة تزامناً، أو ابتعد قليلاً عن زمن الإمام علي عليه السلام.

في ظلّ الحياة الثقافية العربية إبان القرن الأول الهجري الموسوم بتعدد مشارب القول في مصطلح البلاغة قدّم الإمام علي عليه السلام تعريفاً للبلاغة قال فيه:

ونقل ابن الأعرابي (٢٣١ هـ) عن المفضّل الضبيّ (١٧٨ هـ) أنّ الأخير سأل أعرابياً ما البلاغة؟ أجاب (الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل)، والإيجاز عن الضبيّ (حذف الفضول، وتقريب البعيد)^(٤)، وفي تعريف آخر قال (البلاغة التقرب من البغية، ودلالة قليل على كثير)^(٥)، ففي التعريفين قرن البلاغة بالإيجاز أيضاً، فضلاً عن الإطناب غير

١- سر الفصاحة لابي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده، الازهر ١٩٦٩ م.

٢- كتاب الصنائع: ١٢.

٣- نفسه: ١٨.

٤- البيان والتبيين: تحقيق عبد السلام محمد هارون: الناشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى في بغداد ط ١٩٦٠: ٩٧.

٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني: دار الجيل: بيروت: ١: ٢٤٦.



الأعجمي، بالضم فصاحة: تكلم بالعربية وفُهِمَ عنه، وقيل: جادت لغته حتى لا يَلْحَنُ، وأفصح كلامه إفصاحاً. وأفصح: تكلم بالفصاحة؛ وكذلك الصبي؛ يقال: أفصح الصبي في منطقه إفصاحاً إذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم. وأفصح الأغتم إذا فهمت كلامه بعد غتمته. وأفصح عن الشيء إفصاحاً إذا بينه وكشفه. وفصح الرجل وتفصح إذا كان عربي اللسان فازداد فصاحة؛ وقيل تفصح في كلامه. وتفصح: تكلف الفصاحة. يقال: ما كان فصيحاً ولقد فصَحَ فصاحة، وهو البين في اللسان والبلاغة. والتفصح: استعمال الفصاحة، وقيل: التشبه بالفصحاء، وهذا نحو قولهم: التحلُم الذي هو إظهار الحِلْم^(٢)، والكلام الفصيح؛ العربي الخالص من العجمة^(٣).

والفصاحة في الاصطلاح تبارى القول فيه عددٌ من أهل اللغة والبلاغيين، أولهم ابن سنان الخفاجي (٤٧٧هـ) الذي عدَّ الفصاحة؛ الظهور والبيان، فهي مقصورة على الألفاظ، وقد وضع شروطاً لفصاحتها؛ أن يكون تأليف اللفظ من

(البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة، وإبانة عن مشكل)^(١)، ترى كيف يمكن للنظر النقدي: البلاغي المعاصر أن يدقق في هذا التعريف، وبماذا يستنتج؟.

تفكيك التعريف:

يتدئ تعريف البلاغة السابق بـ(الإفصاح)؛ جاء في لسان العرب: الفصاحة: البيان؛ فصَحَ الرجلُ فصاحةً، فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفُصِّح؛ وقال سيبويه: كسروه تكسير الاسم نحو قضيب وفُضِّب؛ وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح، تقول: رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ، ولسانه فصيح أي طلق. وأفصح الرجل القول، فلما كثر وعرف أضمرُوا القول واكتفوا بالفعل مثل أحسن وأسرع وأبطأ، وإنما هو أحسن الشيء وأسرع العمل، قال: وقد يجيء في الشعر في وصف العُجَم أفصح يريد به بيان القول، وإن كان بغير العربية؛ كقول أبي النجم: أعجم في آذانها فصيحاً، يعني صوت الحمار انه أعجم، وهو في آذان الأثْن فصيح بَيِّنٌ. وفُصِّح

١- كتاب الصناعتين: ٥٨، ونهاية الإرب في دراية الأدب: النويري: دار الكتب والوثائق القومية: القاهرة: ط ١: ١٤٢٣هـ: ٦، ٧.

٢- لسان العرب: ابن منظور: مادة فصح.

٣- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: تحقيق عبد السلام هارون: مطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر: ط ٢: ١٩٧١.

١٩٧١: مادة فصح.



حروف متباعدة، وأن يكون له في السمع حسنٌ ومزيّة، وأن يكون غير متوعّر، ووحشيٍّ، ولا عاميٍّ، وأن يكون جاريًا على العرف العربيّ الصحيح، وأن لا يعبرّ به عن أمر يُكره ذكره، وأن يكون معتدلاً، وأن يكون مصغّراً في موضع لطيف، أو خفيٍّ، أو قليل^(١)، فالفصاحة على وفق الرأي السابق معنية بجمال اللفظ الذي يؤدي - بالتأكيد - إلى جمال المعنى.

والفصاحة عند ابن الأثير (٦٣٧هـ) تقتزن بالكلام الفصيح أي الظاهر البين^(٢)، أي الكلام الذي يمتاز بالفهم، والحسن في الاستعمال، ولكنها عند القزويني (٧٣٩هـ) وصف للفظ المفرد، والكلام، والمتكلم معا^(٣)، فقد غطّى وصفه أركان العمليّة التي يتمّ عن طريقها إجراء الكلام واستقباله، وقد استقرّ مفهوم الفصاحة مرتبطاً بما قاله القزويني، وهذا يعني أنّ أول شرط وضعه الإمام علي عليه السلام للإفصاح الذي جاء على زنة (افعال) غطى مساحة واسعة من سلطة القول مرتبطاً بمن يقول.

أمّا (القول) في لسان العرب فهو من قَوْل: الْقَوْلُ الْكَلَامُ عَلَى التَّرتِيبِ، وَهُوَ عِنْدَ الْمُحَقِّقِ كُلُّ لَفْظٍ قَالَ بِهِ اللِّسَانُ تَامًّا كَانَ أَوْ نَاقِصًا، تَقُولُ: قَالَ يَقُولُ قَوْلًا، وَالْفَاعِلُ قَائِلٌ، وَالْمَفْعُولُ مَقُولٌ، قَالَ سَيِّوِيَّة: وَاعْلَمْ أَنَّ قُلْتِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِنَّمَا وَقَعْتَ عَلَى أَنَّ تَحْكِي بِهَا مَا كَانَ كَلَامًا لَا قَوْلًا، يَعْنِي بِالْكَلامِ الْجَمْلَ^(٤)، وهو مالم يكن مكنتياً بنفسه؛ أي الجزء من الجملة^(٥).

والقول نتاج اللسان الأدبي الذي يحيل على الأدب بجنسيه: الشعر والنثر، وهو ما عناه الإمام علي عليه السلام، حين جمع بين الفصاحة والقول، ليحيل على بلاغة الشعر والنثر في اللسان العربي، من دون أن يرجّح جنساً على آخر، وهو في هذا الصنيع خرج عن جادة التفصيل بين الجنسين التي لا طائل منها.

ثمّ أكمل الإمام علي عليه السلام الأمر فربط بين فصاحة القول، والحكمة، وهي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكمة البالغة؛ رأي حكيم موافق للحق والصواب،

١- ينظر: سر الفصاحة: المطبعة الرحمانية: ابن سنان الخفاجي: القاهرة: ١٩٣٢: ٥٩، وما بعدها.

٢- ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة: مطبعة نهضة مصر: ١٩٥٩: ٦٤: ١.

٣- الايضاح في علوم البلاغة: القزويني: تحقيق لجنة من علماء الأزهر: مطبعة السنة المحمدية: د.ت: ٢٤.

٤- لسان العرب: مادة قول.

٥- لسان العرب: مادة: كلم.



أن الكلمة أو القول بمنزلة الحكمة التي يستظل بها المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها فهي له، فالأدب بشعره ونثره، وبلاغته رهين الموهبة، وعلو كعب اللغة عند الأديب.

أمّا (الإبانة) عن (مشكل)، فهي الظهور، والانتضاح الذي يجب أن يرافق الخطاب البلاغي؛ بمعنى أن الأدب البليغ يُحيل على دلالات بائدة كانت مستغورة، ولا معماة، فهي كامنة في صدور قائلها، والقول فيها يُحيل حتماً على مشكل يراد حل إشكاله.

إذا كان الدكتور حمادي صمود رأى في تعريف الإمام علي عليه السلام أن وظيفة البلاغة تنحصر في الإبانة، والإفصاح، والبيان ليربط موضوعها بالحكمة طريقاً إلى زكاة النفس، وتربيتها، وتأديبها، فقد أراد الإمام كما يقول (صمود) أن يبرز الطابع النفعي المنتظر من كل خطاب بليغ^(٤)، وهكذا يظهر لنا ادراك الطابع الفني، والتأثيري في التعريف مرتبطاً بجملته معطيات لسانية أسهمت في تقديم التعريف تقديمًا واضحًا ودقيقًا.

جاء في الحديث الشريف: إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ حِكْمَةً، بمعنى أن الحكمة قول محكوم بالصواب والجمال، والحكمة بحسب ابن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧هـ) (اتفاق المعاني اللائقة بأحوال الناس والتعبير عما يقع لهم في غالب الأمور، ولا تصدر الحكمة في الغالب إلا عن العقلاء المجربين المتبصرين بعواقب الأمور، فينطق الإنسان عن أحوال الناس بكلمة تجمع أنواعاً كثيرة، والناس متفاوتون في ذلك، فمنهم من يوسط، ومنهم من يجيد^(١)، وقد وُصفت الحكمة بـ(المستغلة)، والمستغلق من استغلق عليه الكلام: استعصى، لم يستطع التكلّم، توقّف فجأة عن الكلام لصعوبة أو تعذّر واستحالة^(٢)، بمعنى أنها مستورة في جوانح قائلها لا تخرج إلا بعد معاناة، وهذا يعني أن الحكمة المستغلة بوصفها خطاباً لا تتوافر لمن هبّ ودبّ، فهي نتاج العقول التي تربّت على إبداع الأدب، وهي (خلاصة تجربة يصوغها الإنسان في عبارة موجزة)^(٣)، فضلاً عن أنها على لسان النبي عليه الصلاة والسلام وعلى آله (ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها، ولا يبالي من أيّ وعاء خرجت)، معناها

١- جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة: ابن الأثير الحلبي: تحقيق محمد زغلول سلام: دار المعارف - الاسكندرية - ٢٠٠٩م: ٥٦٧.

٢- معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر: عالم الكتب - القاهرة: ٢٠٠٨م استغلق.

٣- معجم النقد العربي القديم: د. أحمد مطلوب: ج ١ و ج ٢: دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد: ١٩٨٩: ٤٤٩.

٤- ينظر: التفكير البلاغي: ١١٥.



إنَّ أول ملاحظة يمكن أن نضعها بعد الاطلاع على تعريف الإمام علي عليه السلام خلوه من فكرة مقتضى الحال التي كانت تتويجاً لمبدأ: المقام والمقال الذي بُنيت عليه أصول البلاغة العربيّة بعد القرن الثالث الهجري، من خلال وقفات بشر بن المعتمر (٢١٠هـ) التي نقلها الجاحظ، فضلاً عن تعليقات الجاحظ نفسه^(١)، وأبي هلال العسكري^(٢).

وتتضمّن كلمة (خطابة) في جميع مشتقاتها وجود آخرين بإزاء المتكلم^(٦)، بمعنى أنّها تتمّ عن طريق آليات التلقي المحض التي تفترض وجود خطيب: مُرسل، وجمهور مستقبل، وخطبة: رسالة؛ ولهذا ارتبطت بالمتكلم؛ أي الخطيب، وهو عين ما رآه القزويني في البلاغة التي جعلها في المتكلم حصراً.

وفكرة المقام، والمقال التي تنصّ على أنّ (لكل مقام مقال)^(٣)، هي تجسيدٌ حيٌّ لوجود المتلقي (صاحب المقام)، والنصّ (المقال)، مع ضرورة الموازنة بينهما تبعاً لأعراف ومقتضيات ليس -هنا- مكان شرحها، وهي فكرة كما يبدو لي لم تشغل تفكير الإمام علي عليه السلام في حينها؛ لأنها جاءت بعد استشهاده بزمان ليس بالقليل، ولم يكن قريباً من عالمها الرابط بين النص والمتلقي؛ لأنّه وجد البلاغة أبعد من موافقة الحال، ومناسبة المقال للمقام؛ تلك التي تقوم على أسس بلاغة الخطابة المبنية على وجود متكلم، وسماع، ولكي

إنَّ مبدأ المطابقة في البلاغة العربيّة هو حجر الزاوية في البلاغة اليونانيّة، وكتاب أرسطو مارّ الذكر استند كله إلى مبدأ المطابقة، وهو تفصيل دقيق لشؤون الخطابة لا الشعر من أجل تحقيق

١- ينظر: البيان والتبيين: ١: ١٣٦.

٢- ينظر: كتاب الصناعتين: ٣٣.

٣- البيان والتبيين: ١: ١٣٨.

٤- ينظر: دراسات نقدية وبلاغية: جدل التراث والمعاصرة للدكتور ناصر حلاوي: جمع ودراسة أ.م.د. د. حامد ناصر حلاوي: دار ومكتبة البصائر: ط ١: ٢٠١٣ البصرة: العراق: ٢٣٩-٢٤٠.

٥- ينظر: البيان والتبيين: ١: ٤١.

٦- مقدمة في النقد الأدبي: د. علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط ٢: ١٩٨٣: ١٧٠.



الإقناع الذي هو هدف الخطيب إذ لا بدّ من مراعاة أحوال السامعين، والفرق بين دراسة اليونان للخطابة، والعرب أنّ اليونان قسّموا الخطابة إلى مشورية، وقضائية، وبرهانية، وأنّ العرب عنوا بالخطيب، وما تحيطه من تقاليد^(١)، وهذا يعني أنّ البلاغة عند اليونان كانت قضائية تعني بخطاب المحاكم الذي يتبارى فيه الخطباء أمام السلطات القضائية من أجل دفع مظلمة، وإحقاق حقّ، ولم تسلك البلاغة العربيّة ذات السلوك السابق فقد ارتضت لنفسها أن تعيش في وسط الفضاء القرآني مبسّرة بجماله، وإعجازه.

لم يكن الإمام علي عليه السلام في تعريفه السابق منحازاً إلى الخطابة والخطيب، إنّما كان يريد من البلاغة أن تكون دليلاً للمتكلّم، والكلام كي يعبر الأول عمّا في داخله من شعور، ففكرة التعبير البلاغي التي شغلت عناية الإمام هي فكرة أوسع من قضيّة الخطابة والخطيب، بل الخطابة جزء من أجزاء التعبير الذي يخرج إلى جنسي الأدب: الشعر والنثر، وأنواعهما، وتلك مزيّة أخرى تحسب لتعريف الإمام.

لقد تنبّهت الأسلوبية في العصر الراهن إلى إبعاد قضية مقتضى الحال عن فضاء فهم الصوغ الأدبي حين رأت أنّ الكلام الأدبي لا ينبغي له أن يطابق مقتضى الحال؛ لأنّه يتأثر بالموقف؛ أي الظروف التي عادة ما تحيط بالمبدع منتج الكلام التي لا علاقة لها بمقتضى الحال^(٢)، ومقتضى الحال الذي تظهر فاعليّته في أثناء الاستماع إلى الخطبة تكاد تنتهي تلك الفاعليّة حين يكون النصّ الأدبي موثقاً، وقابلاً للقراءة في أي وقت، من هنا ندرك أهميّة تعريف الإمام عليه السلام للبلاغة وهو خارج حدود الخطابة، وهذا ما فعله السكاكي (٦٢٦هـ) فيما بعد حين عرّف البلاغة على أنها (بلوغ المتكلّم في تأدية المعاني حدّاً له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها)^(٣)، وهذا التعريف علمي حدّد أسس البلاغة، ووضع موضوعاتها في أبواب، وفصول ليصل إلى الصيغ البليغة حينما يريد الأديب أن يتحدث أو يكتب، ولو تحدّث (السكاكي) في تعريفه عن البديع أيضاً لكان تعريفاً شاملاً كاملاً^(٤)، ثم جاء القزويني (٧٣٩هـ) من بعد

١- ينظر: نفسه: ٤٣٩، ٤٣٨.

٢- ينظر: مدخل إلى علم الأسلوب: د. شكري محمد عياد: دار التنوير للطباعة والنشر: ٤٤، ٤٩.

٣- مفتاح العلوم: السكاكي (٦٢٦هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية لبنان ٢٠٠٠م: ٥٢٦.

٤- ينظر: البحث البلاغي عند العرب: د. أحمد مطلوب: الموسوعة الصغيرة: الجمهورية العراقية: دار الجاحظ:



السكاكي ليعيد الحال إلى ما كانت عليه فيعرّف بلاغة الكلام على أنّها (مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته)^(١)، مؤكّداً على مقتضى الحال والمقامات المختلفة، ليكون تعريفه متداولاً عند أغلب البلاغيين، والنقاد، والدارسين القدماء والمعاصرين على أنّه تعريف للبلاغة، وهو في الأصل تعريف لبلاغة الكلام فحسب؛ لأنّ البلاغة فضاءً رحباً يتجاوز بلاغة الكلام إلى بلاغة المتكلم أيضاً، وهذا ما لم يدركه الناقد حمادي صمود في تعريف الإمام وقد خلص إلى أن تعريف الإمام علي عليه السلام السابق تعلّق بالوظيفة التعليمية، وتمسك بالناحية النفعيّة، فلم تخرج البلاغة عنده عن معناها اللغوي الذي يرتبط بالإفصاح والإبانة^(٢)، وقد نصّ عليهما الإمام في التعريف، وفكّكنا وظيفتهما في متن البحث.

ثانياً: سمّا البليغ:

البليغ في المعجم من: البُلُغُ والبُلُغُ: البليغ من الرجال. ورجل بليغٌ وبليغٌ: حسنُ الكلام فصيحُه يبلغُ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمعُ بُلُغَاءٌ، وقد بُلُغَ،

بالضم، بلاغةً أي صار بليغاً^(٣)؛ أي ناطقاً بكلام فصيح بليغ، والبليغ عند العرب في عصر ثقافتهم الشفاهيّة من امتلك قدرًا من البلاغة التي تؤهّله لأن يقول كلاماً مفوّهاً؛ أي شعراً، أو خطابة، أو وصايا، أو أمثالاً، أو سجع كهان.

قال الإمام علي عليه السلام وهو بصدد الحديث عن أهم سمات البليغ عند العرب: (ما رأيت بليغاً قطّ إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة)^(٤)، فهو فيالنص الواصف لم يكن معرّفاً بالبلاغة كما تصوّر أحد النقاد ذلك^(٥)، إنّما كان بصدد الحديث عن سمات البليغ كما أدركها هو استناداً الى الذائقة المعيارية المتداولة في عصره؛ وهي ذائقة لا يمكن فصلها عن الإدراك الذوقي للأدب وأنواعه في عصره؛ تلك التي تستند إلى معايير صنعتها الحياة وطبيعة التذوق عند الناس.

إذا كانت البلاغة عند العرب في أول عهدها مقرونة بالمشافهة بسبب طبيعة بواكير الثقافة العربيّة التي ارتضت لنفسها بعداً عن الكتابة إلّا في حالات في عصر الجاهليّة، ثمّ أصبحت عندهم وسيلة

١- الإيضاح في علوم البلاغة: ٩.

٢- ينظر: التفكير البلاغي: ١١٤.

٣- لسان العرب: مادة بلغ.

٤- كتاب الصناعتين: ١٨٠.

٥- ينظر: ينظر: التفكير البلاغي: ١١٤.



تفكيك الوصف:

كان الإمام علي عليه السلام قد خصّ البليغ بوصف دال على الإحاطة، والشمول حين جعله متّصفاً بالإيجاز، والإطالة المخصوصة، فهو بصدد الوقوف عند بلاغته بعد أن وقف وقفته الشهيرة عند (البلاغة) معرّفاً، وقد اقترن توصيف البليغ في لسان الإمام علي عليه السلام بوصفين دقيقين:

الأول: الإيجاز:

يُعد الإيجاز مهارة تكسب المتكلم قدراً عالياً من البلاغة المبنية على عدم الإسهاب، ومن أجل ذلك قال أكثرهم بن صيفي التميمي (٩هـ)؛ وهو أحد بلغاء العرب: إنّ البلاغة هي الإيجاز^(١)، وقال الجاحظ متحدّثاً عن الكلام الموجز (أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك من كثيره)^(٢)، وهذا يعني أن بلاغة الإيجاز مبنية على مبدأ الاقتصاد اللفظي، فضلاً عن وفرة المعاني، والإيجاز في البلاغة العربيّة مبنيّ على قاعدة (التعبير عن المعاني الكثيرة باللفظ القليل)^(٣).

التدوين في عهد الإسلام، فإنّ (البليغ) عند العرب إنّ تلك الحياة من اتصف ببلاغة العرب بالإحالة على اللسان؛ أي على نتاج اللسان المشقّة، والمدون، وهو ما قصده ابن وهب الكاتب (حدود ٣٣٥هـ) في أنّ لفظ اللسان في كتابه (البرهان في وجوه البيان) ورد بدلالة: اللغة ونتائجها، في قوله: (فاللسان ترجمان اللبّ، وبريد القلب، والمبين عن الاعتقاد بالصحة، والفساد)، وقد أحال على قول للنبيّ محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) حين سأله ابن عباس: فيم الجمال يا رسول الله فقال: في اللسان^(٤)، والإحالة تكشف عن مقدار عناية (ابن وهب) في فهم الظاهرة اللسانية، والتمسك بأصولها، وهو ما نراه ملزماً لنا في هذه الدراسة.

إنّ من يتأمّل الحديث عن البلاغة، وهي معنيّة بالاتصال بالآخر؛ أي التواصل مع متلقين حقيقيين، وافتراسيين يراها تقترن بالإفهام المغلف برؤى الفصاحة والبيان، وهذا يعني أنّ من يتكلّم على وفق فنونها بلا شك هو (البليغ) الذي تعامل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مع أهمّ سماته.

١- ينظر: البرهان في وجوه البيان: ساعدت جامعة بغداد على نشره في العام ١٩٦٧م، وطبع بطبعته الأولى في مطبعة العاني: بغداد: تحقيق: د. أحمد مطلوب، و د. خديجة الحديثي: ٦٣، ٦٤.

٢- كتاب الصناعتين: ١٣٧.

٣- البيان والتبيين: ١: ٨٣.

٤- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة وكامل المهندس: مكتبة لبنان ط ٢: ١٩٨٤: ٧٠.



يظهر من خلال التوصيفات السابقة أنّ تعريف البلاغة، والخوض في مضمونها في حدود القرن الهجري الأول كانت مرتبطة بالإيجاز الذي قال عنه الجاحظ فيما بعد هو الجَمْعُ بين المعاني الكثيرة مع الألفاظ القليلة^(١)، وهو تعريفٌ دقيقٌ جمع الاقتصاد في الكلام مع السعة في المعاني، والإيجاز في الفكر البلاغي نمطاً (قوامه قلة اللفظ، وكثرة المعنى اعتماداً على قدرات اللغة الكامنة كطاقة الإشارة، والإيحاء بحيث تخرج الدلالة من الإدراك المباشر إلى التداعي فتفجر المعاني تفجراً يأخذ بعضها برقاب بعض)^(٢)، وهذا ما فهمته من وصف الإمام عليه السلام.

الآخر: الإطالة:

أراد الإمام علي عليه السلام بسمّة (الإطالة) أنّ المعنى يفتح على دلالات غير مبتسرة؛ بمعنى تشتمل على تكثيف دلاليّ له سلطة تحقيق الكفاية الخاصّة بالمعنى، والإحاطة بمضامين الكلام، والإطالة في ذلك المعنى لا تعني الإسهاب، أو الإطناب؛

لأنّ الإسهاب يقترن بوفرة الكلام سواء أكان في الخطأ أم الصواب، وكان الإطناب قرين المبالغة في الكلام^(٣)، فضلاً عن وصف الدلالة بالطول والتتابع^(٤)، بمعنى آخر أنّ الإطالة تعني حضور المعنى القابل لأن يتناول ومقتضيات الفهم من خلال التلقي.

بالإحالة على التعريفين السابقين يتبيّن لنا أنّ الإسهاب، والإطناب ليسا من البلاغة في شيء، وإنّ الإطالة في المعنى شيء آخر اقترن بالمعنى المغني عن التفصيل، وهذا ما ذهب إليه ابن جني (٣٩٢هـ) فيما بعد حين قال: (الإطالة والإيجاز جميعاً إنّما هما في كلّ كلام مفيد مستقل بنفسه)^(٥)، بمعنى انفرادهما في الإفادة، فضلاً عن تلوين الخطاب بالجمال اللساني.

جمع الإمام علي عليه السلام في الوصف السابق الشكل مع المضمون ليحيل على بلاغة الألفاظ والمعاني معاً، وهي بلاغة شاملة غير مقتصرة على جانب واحد من عناصر التكلّم والإخبار، وهذا ما فعله

١- ينظر: كتاب الحيوان: الجاحظ: ج ٢: تحقيق عبد السلام محمد هارون: مكتبة مصطفى البابي الحلبي: ١٩٣٨: ٨٦: ٢.

٢- التفكير البلاغي: ١١٦.

٣- لسان العرب: مادة: طنب.

٤- ينظر: البيان والتبيين: ١: ٩١-١٩٥.

٥- الخصائص: ابن جني: تحقيق محمد علي النجار: القاهرة: ١٩٥٢: ١: ٣٠، والبيان والتبيين: ١: ١١٢، ١١٦.



الشعرية، والثريّة الخاصّة بعينة أي شاعر، أو مؤلّف نائر، وهو يفتح على الحقائق الأدبيّة، والأنساق المجازيّة معبراً عن وجوده الماثل في الحياة.

وبعد: فليس ما مرّ من تفصيل، وتحليل بحق الإمام علي عليه السلام بالكثير عليه، يقول الشريف الرضي (٤٠٦ هـ) (كان أمير المؤمنين عليه السلام مَشْرَع الفصاحة، وموردّها، ومنشأ البلاغة ومولدّها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثله هذا كلُّ قائل خطيب، وبكلامه استعان كلُّ واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدّم وتأخروا؛ لأنّ كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي) (٣)، فهو إمام البلغاء، وسيد الفصاحة الذي قيل في كلامه - كما نقل ابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ) - أنّه (دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة) (٤)، وهاتان شهادتان متقدّمتان لا يمكن الجرح بمضمونها، جاءت الأولى من لدن شاعر فحل، وبلاغيّ كبير، وكانت الثانية من أديب معتزليّ تولّى جمع تراث الإمام علي عليه السلام، وحفظه.

(ابن الأثير) فيما بعد حين عدّ بلاغة الكلام شاملة للألفاظ والمعاني (١)، والإمام في كلامه السابق أشار إلى قضيّة من صميم خصائص اللغة، وقد اعتمد على إبراز طاقة من طاقاتها الكامنة؛ وهي الطاقة الإيجائية (٢)، التي لها سلطة بناء نسق كتابي خاصّ؛ هو جزء من الأسلوب الذي يميّز من بين مئات الأساليب ليكون للأديب فحسب، فهو نسق ينتمي إلى معجمه وحده، وإلى مزيج من المتداول المعروف، والماضي الزاهر، وما بينهما ينهض النصّ بما يمتلك من طاقة لغويّة جاذبة، وسياقات دالّة على نوع من التأليف المشتبك مع العناصر الفاعلة في النصّ المملوء طراوة، ورونقاً، ووهج ذات.

إنّ الإيجاز والإطالة من شأنهما الإحالة على مرجعيّات ثقافيّة مصوغة بأسلوب المؤلّف وهو يتبارى مع نفسه في سياقات تستجيب لذوقه الخاصّ ليكون أسلوبه شاهداً على مزاجه التألفي الذي استحضّر ألفاظاً تنتمي بالضرورة إلى اختياره الذي مارسه في الكتابة، ويستطيع المتلقي أن يُمسك بالمستوى اللغوي الحقيقي الذي يُمثّل الظاهر، ويشير إلى المضمّر في المتون

١- ينظر: المثل السائر: ابن الأثير: ١: ٦٩.

٢- ينظر: التفكير البلاغي: ١١٤.

٣- نهج البلاغة: وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: الشيخ محمد عبدة: مكتبة النهضة بغداد: مقدمة الشريف الرضي: ١٩٨٤: ١١.

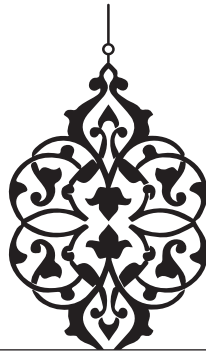


الخاتمة:

كان تعريف البلاغة عند الإمام علي عليه السلام قد اقترن بوجود ثلاثة عناصر فاعلة في الخطاب الأدبي سواء أكان الخطاب شعراً، أم نثراً، وهي (الفصاحة) و(الإبانة)، وما بينهما تجري (الحكمة) في القول الأدبي مناسبة للتعبير عن وجود مشكلة يراد تمثيلها أدباً، وهو في تعريفه هذا قريب جداً من فكرة التمثيل الأدبي التي تجري على وفق خطابات أدبية مختلفة متسمة بسمة البلاغة والإبلاغ.

لقد بقي تعريف الإمام علي عليه السلام رهين خطابه هو، ولم يكتب له الشيوخ لأسباب

تتعلق بطبيعة المرحلة التي عاشها، وكثرة الحروب الداخلية التي واجهها في أثناء خلافته، تلك التي عملت على الانشغال بفتن المحن التي أسهمت في ركود الوعي الأدبي، ولما طُلَّ القرن الثالث الهجري فُتِحَ باب الترجمة، والمثاقفة فكان لأرسطو حصّة التأثير في مجرى الحياة الأدبية، ولا سيما في الخطابة عند العرب التي قدّم فيها الخطيب على الشاعر مقترناً بمبدأ (المقام والمقال) الخطابي الأصل المستعار من البلاغة اليونانية إلى البلاغة العربية ليكون تعريفاً للبلاغة، وهو في الحقيقة تعريف لبلاغة الكلام فحسب.



ابواب المعرفة

المصادر والمراجع:

قراءة: حمادي صمود: منشورات
الجامعة التونسية: ١٩٨١.

٦. جواهر الكنز تلخيص كنز البراعة
في أدوات ذوي البراعة: ابن الاثير
الخلبي: تحقيق محمد زغلول
سلام: دار المعارف - الاسكندرية
- ٢٠٠٩م.

٧. الخصائص: ابن جني: تحقيق محمد
علي النجار: القاهرة: ١٩٥٢.

٨. دراسات نقدية وبلاغية: جدل
التراث والمعاصرة للدكتور ناصر
حلاوي: جمع ودراسة أ.م. د.
حامد ناصر حلاوي: دار ومكتبة
البصائر: ط ١: ٢٠١٣ البصرة:
العراق.

٩. سر الفصاحة لابي محمد عبد الله
بن محمد بن سنان الخفاجي (ت
٤٦٦ هـ) شرح وتصحيح عبد
المتعال الصعيدين مكتبة ومطبعة
محمد علي صبيح واولاده، الازهر
١٩٦٩م.

١. الايضاح في علوم البلاغة:
القزويني: تحقيق لجنة من علماء
الأزهر: مطبعة السنة المحمدية:
د. ت.

٢. البحث البلاغي عند العرب: د.
أحمد مطلوب: الموسوعة الصغيرة:
الجمهورية العراقية: دار الجاحظ:
١٩٨٢.

٣. البرهان في وجوه البيان: ساعدت
جامعة بغداد على نشره في العام
١٩٦٧م، وطبع بطبعته الأولى في
مطبعة العاني: بغداد: تحقيق:
د. أحمد مطلوب، و د. خديجة
الحديثي: ٦٣، ٦٤.

٤. البيان والتبيين: الجاحظ: تحقيق
عبد السلام محمد هارون: الناشر
مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة
المنشي في بغداد ط ١٩٦٠.

٥. التفكير البلاغي عند العرب أسسه
وتطوره الى القرن السادس: مشروع



١٠. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد:
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم:
دار إحياء الكتب المصرية.

١١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه
ونقده: ابن رشيق القيرواني: دار
الجيل: بيروت.

١٢. كتاب الحيوان: الجاحظ: ج ٢:
تحقيق عبد السلام محمد هارون:
مكتبة مصطفى الباي الحلبي:
١٩٣٨.

١٣. كتاب الصناعتين: أبو هلال
العسكري: تحقيق علي محمد
البجاوي، ومحمد أبو الفضل
إبراهيم دار الفكر العربي ط ٢:
١٩٧١.

١٤. لسان العرب: ابن منظور: تحقيق
عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد
حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي:
دار المعارف بمصر: د.ت.

١٥. المثل السائر في أدب الكاتب
والشاعر: تحقيق أحمد الحوفي
وبدوي طبانة: مطبعة نهضة مصر:
١٩٥٩.

١٦. مدخل إلى علم الأسلوب: د.
شكري محمد عياد: دار التنوير
للطباعة والنشر.

١٧. معجم اللغة العربية المعاصرة:
أحمد مختار عمر: عالم الكتب -
القاهرة: ٢٠٠٨.



الحمد لله
الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا
هدى الله لنا



المرجعيات الثقافية في شعر السيد رضا الهندي الموسوي

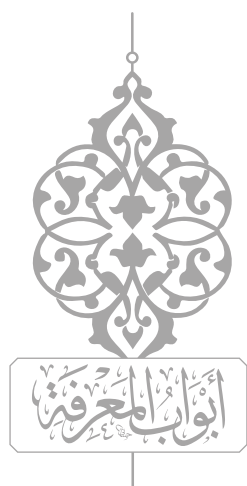
غديرياته مثلاً

م. خالد عبد النبي الأسدي



كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء





المقدمة:

الحمد لله مالك الملك مجري الفلك
مسخر الرياح فالق الإصباح ديان الدين،
رب العالمين، والصلاة والسلام على خير
خلقه ونبراس بريته محمد بن عبد الله
وعلى آله الغر الميامين الذين كانوا لعباده
كسفينة نوح (من ركبها نجا ومن تخلف
عنها غرق وهوى).

وبعد..

فالغدير: الحادثة التي ملأت الدنيا
وشغلت الناس وألهمت الشعراء ورفدت
العقول بالآيات الكريمة والأحاديث
النبوية الشريفة، الحدث الأبرز على مدى
تاريخ الإسلام الحنيف، إذ لا يوجد حدث
أكثر منه وثاقة وتأكيذاً وتبيناً.

لا ينسى من وقف ذلك الموقف في
هجير الصيف القاتظ الذي ألهب النفوس
والأجسام بعد أن أخذ الحج منهم مأخذه
من التعب؛ استكمل الرسول الأعظم
مسيرته بتمام النعمة وكمال الدين بولاية
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبلغ
رسالة ربه الخاتمة، وكان هذا الحدث
رافداً مهماً أرفد الشعراء والرواة منذ
ذلك الحين وإلى أن يرث الله الأرض ومن
عليها.

ومن الشعراء الذين أرخوا لهذه

الحادثة في شعرهم؛ العلامة الفهامة سماحة
السيد رضا الهندي اللكهنوي الموسوي
ت (١٣٦٢هـ - ١٩٤٣ م) فقد أرّخ لهذه
الحادثة بقصيدتين جعل من روافده فيها
القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف،
مما حدا بنا إلى دراسة هاتين القصيدتين
ليبين الروافد التي كان يمتلكها السيد
الهندي، فجاء عنوان البحث (المرجعيات
الثقافية في شعر السيد رضا الهنديغديرياته
مثالاً)، وقد قسمت البحث على بحثين:

درسنا في المبحث الأول: الروافد
المعرفية القرآنية في غديريات السيد رضا
الهندي، إذ بينّا الرافد القرآني المباشر وغير
المباشر الذي كان ينسجه السيد الهندي في
قصيديه.

والمبحث الثاني: درسنا فيه الروافد
المعرفية الحديثية في غديريات السيد رضا
الهندي، واتضح من الدراسة ما يمتلكه
السيد الهندي من معرفة في الحديث النبوي
الشريف.

وانتهى المطاف بخاتمة حملت أبرز
النتائج التي توصل إليها البحث، ومن
ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي كانت
معيناً للبحث.

والحمد لله رب العالمين....



التمهيد

ولادته:

السيد رضا الهندي: حياته ونشأته وآثاره ووفاته.

١ - نسبه، ولادته:

نسبه:

هو السيد رضا بن السيد محمد بن هاشم بن مير شجاعة علي النقوي الرضوي الموسوي ^(١) وسُمِّيَ بـ (الهندي) وذلك لهجرة أحد آبائه إلى الهند في عصر من عصور الاضطهاد فالتصق القلب بعائلتهم، ويرجع نسبه إلى الإمام العاشر من أئمة أهل البيت عليه السلام وهو (الإمام محمد بن علي الهادي النقي) لذلك كان أحد ألقابه النقوي ومنه إلى الإمام الرضا عليه السلام فلُقِّبَ بالرضوي، ومنه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فلُقِّبَ بالموسوي، وأكثر ألقابه معرفة عند الناس هو الموسوي الهندي ^(٢).

ولد شاعرنا الكبير في النجف الأشرف في ليلة الاثنين ثامن ليالي شهر ذي القعدة عام ١٢٩٠ هـ ^(٣) وهاجر إلى سامراء في الثامنة من عمره مع أبيه حين اجتاحت الطاعون مدينة النجف الأشرف والتقى هناك بالمجدد الإمام الشيرازي صاحب فتوى ثورة العشرين المباركة وقد أعجب السيد الشيرازي ت (١٩٣٢م) بشاعرنا وجعله تحت رعايته في درسه وقتذاك، وقد لازمه الشاعر طيلة مكوثه في سامراء إلى أن عاد إلى النجف الأشرف مع والده عام ١٣١١ هـ.

٢ - نشأته:

كانت نشأة السيد رضا الهندي في سامراء التي كانت حينها زاهرة بالعلم ومحافل الأدب ونوادي التدريس، ففي هذه الأجواء نشأ وترعرع بين أحضان العلم والمعرفة إلى أن رجع مع والده للنجف الأشرف عام ١٣١١ هـ، وطوال هذه المدة هو يتمتع بعناية الإمام

١ - يُنظر: ديوان السيد رضا الهندي، جمعه: السيد موسى الموسوي، راجعه وعلق عليه: الدكتور عبد الصاحب الموسوي، مؤسسة الثقلين، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٨م: ٨. الكوكب الدرّي من شعراء الغري، علي الخاقاني، ذوي القربى، النجف الأشرف، ط ١، ١٤٢٧ هـ: ٢٥١.

٢ - يُنظر: ديوانه: ٨.

٣ - نقلاً عن كشكول السيد محمد الهندي والد الشاعر، مخطوط. وقد ذكر ذلك أيضاً جامع ديوانه، يُنظر: ديوانه: ٨٩.



الشيرازي وحبّه ورعايته^(١)، فكان يتمتع بفضيلة وذكاء وسرعة بديهية وسعة اطلاع، وقد تتلمذ على أساطين العلم والمعرفة في النجف الأشرف آنذاك، منهم والده السيد محمد الهندي ت (١٩٢٨م) والإمام الشيرازي ت (١٩٣٢م) والسيد محمد الطباطبائي ت (١٩٣٣م) والشيخ محمد طه نجف ت (١٩٣٥م) والشيخ حسن صاحب الجواهر، والشيخ محمد كاظم الخراساني، (وكان يروي إجازة عن أبيه وعن الشيخ أسد الله الزنجاني، والسيد حسن الصدر، والسيد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ آغا بزرك الطهراني، حتى شهد له الشيخ محمد طه نجف بالاجتهاد المطلق سنة ١٣٢٢ للهجرة)^(٢).

٣- آثاره: له كثير من المؤلفات منها:

أ- الميزان العادل بين الحق والباطل: رسالة رد على كتابيين، وهو مطبوع في بغداد سنة ١٣٣١ هـ على نفقة الشيخ حسن علي بن بدر القطيفي.

ب- بلغة الراحل: في العقيدة، مخطوط.

ج- الوافي في شرح الكافي في العروض والقافي:

وهذا الكتاب يكشف مدى قدرته على النظم الشعري ومحبه له، وما زال هذا الكتاب مخطوطاً.

د- شرح على باب الظهار.

هـ- سبيكة العسجد في التاريخ بأبجد:

كتاب حافل بفلسفة التأريخ بأبجد ويُعدّ نحواً من التأليف لم يسبق إليه مازال مخطوطاً ويقال انه فُقد.

و- الرحلة الحجازية:

رسالة يصف فيها رحلته إلى الحجاز في تأديته شعيرة الحج، وكأنه يكشف لنا تأثره بالرحالة القدماء الذين كانوا يكتبون آثار رحلاتهم في كتب مستقلة، كابن خلدون وابن بطوطة، وهذا يكشف مدى الثقافة التي كان يحوزها السيد رضا الهندي ر، وهذا الكتاب ما زال مخطوطاً.

ز- درر البحور في العروض:

كثرة تأليفه في العروض والقوافيين حبّه للشعر وبحوره وأنغامه.

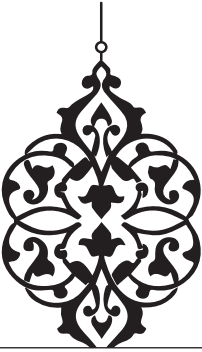
ح- شرح رسالة غاية الإيجاز:

رسالة (غاية الإيجاز) تأليف والده السيد محمد الهندي، فقام السيد رضا

١- يُنظر: ديوانه: ٩. شعراء الغري: ٦/ ٥١٧، الكوكب الدري من شعراء الغري: ٤٨٣.

٢- المصدر نفسه: ٩- ١٠.

علماً أنَّ السيد رضا الهندي له قصيدتان في الغدير المقدَّس، فالأولى جاءت بعنوان (في عيد الغدير) وهي من البحر الطويل، والثانية جاءت بعنوان (رضي الله عليا) وهي من بحر الرمل، وقد أغدق فيهما من معارفه ما لا يمكن غض الطرف عنها، وهذا ما سنراه في المباحث بعون الله.



ابواب المعرفة

بشرحها، وهذا الكتاب إلى الآن مخطوط ^(١).
وغيرها من الآثار العلميَّة والفكريَّة التي رَشَّحها فكر السيد رضا الهندي ﷺ ولكن للاختصار وخشية الترهل نكتفي بهذا القدر من حياته.

٣- وفاته: انتقل السيد رضا الهندي إلى جوار ربِّه سنة ١٣٦٢ هـ الموافق ١٩٤٣ م (فكان لوفاته صدى مروع في أوساط العلماء والصالحين، وفي كافة أرجاء المجتمع العراقي، وقد شيع جُثمانه الطاهر من ناحية المشخاب حتى مركز قضاء أبي صخير محمولاً على أكتاف المشيعين، ومن هناك اتَّجه بالجثمان إلى النجف موكب من مئات السيارات حيث كانت جماهير المدينة المقدَّسة بانتظار الموكب المهيب على مسافة من الطريق، وحمل الجثمان على الأعناق ثانية إلى الصحن العلوي الشريف، وقد صلى عليه كبار العلماء المراجع ومن ورائهم مئات الوجوه من طلبة العلم وسائر الناس، وكان يوماً مشهوداً في النجف التي أغلقت أسواقها ونشرت أعلامها السوداء في كل مكان، وقد دُفن في مقبرة أبيه وأخيه في داره الكائنة في محلة الحويش من النجف الأشرف، قدَّس الله نفسه) ^(٢).

١- يُنظر: ديوانه: ١١، ديوان السيد رضا الهندي وأبنائه: ٢٦-٢٩.
٢- ديوانه: ١٣، بقلم الدكتور عبد الصاحب الموسوي محقق الديوان.





المبحث الأول

الروافد القرآنية في غديريات السيد
رضا الهندي

ذكرنا في التمهيد أنَّ السيد رضا الهندي هو أستاذ في الحوزة الدينيَّة في النجف الأشرف، إلَّا أنَّ القرآن الكريم كان يجري فيه مجرى الدم في عروقه، وهذا ما لمسناه في غديرياته عن طريق الأثر المباشر وغير المباشر من القرآن الكريم.

١ - التوظيف القرآني في غديريات السيد رضا الهندي:

يكفي القرآن الكريم فخراً وعظمةً ومنزلةً أنَّه كلام الله، ومعجزة النبي الأكرم محمد المصطفى ﷺ، وقد اتخذ مكانة في نفوس المسلمين، يستلهمون هدايته، ويستوحون إشاراته، جعله الله منارة للإعجاز في علومه المختلفة، من تشريع وبلاغة وعلوم أخرى^(١)، وكان للشعراء قصب السبق في التأثر به والنهل منه والاستلham من بلاغته وأمثاله معرفتهم بأسرار اللغة ودواليز العربية التي لا يقتحمها إلَّا ذو حظٍ عظيم، ولم تكن دراستنا هذه بكر في هذا الموضوع، إذ سبقت هذا البحث دراسات كثيرة تحت مسميات مختلفة منها ما جاء تحت اسم

(الأثر القرآني) ومنها ما جاءت تحت عنوان (الاقتباس والتضمين) ومنها ما جاءت تحت عنوان (التناص) أو تحت مصطلح جديد هو (القرآنية) بالمصطلح الحديث، وكلُّ هذا للدراسات ذات مضمون واحد، وهو إظهار التأثير بالقرآن الكريم للذي دخل حيِّز الدراسة أو طاله البحث لمعرفة مدى تأثير القرآن الكريم في نتاجه هل كان مباشراً (توظيفاً) أو غير مباشر.

كما أننا لا نؤمن بأنَّ مصطلح التناص يعني (السرقه)، وإنَّما هو اقتباس بإطار جديد؛ لذا زأوجنا في هذا البحث بين الأثر القرآني والتناص، فالمباحث ستكون مباحث تناصيَّة عن طريق قوانين التناص. التوظيف: ففي المصطلح الحديث يُسمَّى اجتراراً، وهذا المصطلح لا قى رواجاً كبيراً في الأوساط البحثيَّة الأكاديميَّة وهو يعني:

في اللغة: لم يكن جذرها عند أهل اللغة (اجتر) لكنَّهم أشاروا إليها وإلى معناها تحت جذر (جر)، يقول ابن منظور: (والجرَّة: جرَّة البعير حين يجترُّها فيقرُّضها ثم يكظمُها. الجوهري: الجرَّة، بالكسر، ما يخرج البعير للاجترار. واجترَّ البعير: من الجرَّة، وكل ذي كرشٍ يجترُّ. وفي الحديث:

١- ينظر: مباحث علم المعاني في تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي: ٧.





بإعادته كما هو، أو مع إجراء تغيير طفيف لا يمس جوهره بسوء؛ بسبب نظرة من التقديس والاجترار لبعض النصوص والمرجعيات ولا سيما الدينية منها^(٢) ويذكر محمد بنيس، أن الاجترار يسود ويظهر دائماً في عصور الانحطاط على الأخص، إذ يتعامل الشاعر مع النص الغائب بوعي سكوني يجعله غير قادر على عد النص إبداعاً نهائياً^(٣).

وظاهرة الاجترار في غديريات السيد رضا الهندي جاءت في قصيدة (في عيد الغدير) يمدح بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويستذكر يوم غدير خم، اليوم الذي نصّب به رسول الله ﷺ علياً عليه السلام إماماً وخليفة على المسلمين من بعده، فيقول:

[من الطويل]

وَأَنْتَ [الصراطُ المستقيمُ] وَعِنْدَكَ الدَّ
جَوَازُ فَمَنْ تَمَنَّحَهُ جَازَ عُبُورُهُ^(٤)

في هذا البيت يُشيرُ الشاعر ﷺ إلى آية قرآنية وحديث نبوي شريف، وكذلك في البيت من الفنية الشعرية الرائعة

أنه خطب على ناقته وهي تَقْصَعُ بَجَرَّتَهَا؛ الْجِرَّةُ: ما يخرج به البعير من بطنه لِيَمْضَغَهُ ثم يبلعه، والقَصْعُ: شِدَّةُ المضغ. وفي حديث أم مَعْبِدٍ: فضرب ظَهْرَ الشاة فَاجْتَرَّتْ وَدَرَّتْ؛... ابن سيده: وَالْجِرَّةُ ما يُفَيْضُ به البعيرُ من كَرِشِه فيأكله ثانية. وقد اجْتَرَّتِ الناقة والشاة وَأَجَرَّتْ؛ عن اللحياني. وفلانٌ لا يَخْنُقُ على جِرَّتِه أي لا يَكْتُمُ سرّاً، وهو مثْلُ بذلك. ولا أَفْعَلُهُ ما اختلف الدَّرَّةُ وَالْجِرَّةُ... وروي ابن الأعرابي: أَنَّ الْحَجَّاجَ سَأَلَ رجلاً قَدِمَ من الحجاز عن المطر فقال: تتابعت علينا الأَسْمِيَّةُ حتى مَنَعَتِ السُّفَارَ وَتَطَالَمَتِ المَعَزَى وَاجْتَلَبَتِ الدَّرَّةُ بِالْجِرَّةِ. اجْتَلَابُ الدَّرَّةِ بِالْجِرَّةِ: أَنَّ المَوَاشِيَ تَتَمَلَأُ ثم تَبْرُكُ أو تَرَبِّضُ فلا تزال تَجْتَرُّ إلى حين الحَلَبِ^(٥)، فهو الإمضاغ واللّوك في الطعام، ولعلّه يعني زيادة الإمضاغ للذة الطعام كما لو كان المُجْتَرُّ لا يُريد ابتلاعه لطعمه اللذيذ.

في الاصطلاح: يعرف الاجترار بأنه (تكرار للنص الغائب من دون تغيير أو تحوير وهذا القانون يسهم في نسج النص الغائب؛ لأنه لم يطروره ولم يحاوره واكتفى

١- لسان العرب: مادة (جرّ).

٢- التناص في شعر الرواد: ٤٣.

٣- ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقارنة بنوعية تكوينية، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٨٥ م: ٢٥٣.

٤- ديوان السيد رضا الموسوي الهندي: ٢٣.



المؤمنين ﷺ، وقد خرجت الجملة الخبرية
ههنا للتوكيد.

وجاء الاجترار عند السيد رضا
الهندي في قصيدة (رضي الله عنهما) والتي
قالها في مناسبة عيد الغدير الأغر؛ سنة
١٣٥٥ هـ، فيقول:

[من الرمل]

أيَّ عيدٍ مثَلْ هذا اليومَ فينا
[رضي الله به الإسلام ديناً] (٢)

فقد اجترَّ عجز البيت من قوله تعالى:
﴿..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا...﴾ (المائدة: ٣)، ولكن اختلاف
عجز البيت عن الآية المباركة هو إنَّ الآية
المباركة كانت بأسلوب التكلم، والبيت
الشعري كان بأسلوب الغيبة، لذلك كان
البيت الشعري مظهرًا لمضمّرات الآية
المباركة، واستبدل الضمائر بالأسماء،
والاستفهام هنا خرج إلى التشويق وبيان
التهلف لهذا اليوم، كما أنَّ البيت مصرّع
كونه مطلع القصيدة، وتماز هذه القصيدة
بالسلاسة والمرونة لاشتغالها على الفرح
والحبور، وقد اختار الشاعر لها بحر
(الرمل) لمرونته وجماليته، وهو أكثر

التي تكشف عن امتلاك الشاعر القوّة
والسيطرة على أدواته في الاستعمال؛
وهو التدوير الشكلي في البحر، فما بين
المعقوفين مأخوذة من قوله تعالى:
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦)،
وبها يُبيّن اعتقاده بأنَّ الصراط المستقيم
المذكور في القرآن الكريم هو أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب ﷺ، وهذا فيه من البنية
الحجاجية التي يُدافع بها الشاعر عن
الإمام علي بوسيلة قرآنية لا يمكن ردها
أو رفضها، وأردفها بحديث نبوي صحيح
السند بتصرف منه في الحديث وهو عجز
البيت، حيث مأخوذ من قول رسول الله
ﷺ فقد (روى الشافعي ابن المغازلي في
كتابه من عدة طرق بأسانيدھا عن النبي
ﷺ والمعنى متقارب فيها أنَّ النبي
ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط
على شفير جهنم لم يمرّ عليها إلّا من كان
معه كتاب بولاية أمير المؤمنين ﷺ، وفي
بعض رواياتهم بأسانيدھا إلى النبي
ﷺ أنّه قال: لم يحز على الصراط إلّا من كان
معه جواز من عليّ بن أبي طالب ﷺ) (١)،
وهذا يكشف الثقافة التي يتمتع بها
السيد رضا الهندي ﷺ، ومدى تمكنه من
استخدام الفكرة وتوظيفها في شعره. وجاء
هنا بالجملة الاسمية لتفيد الثبوت في أمير

١- شرح الكافي- الأصول و الروضة (للمولى صالح المازندراني): ٢١٩ / ٥.

٢- ديوان السيد رضا الموسوي الهندي: ٣٢.





وانقلاب القوم من جهة، ومشابهة هذا الانقلاب بعد حادثة الغدير من جهة أخرى، وقد كشف الخبر الإنكاري الذي جاء به الشاعر في صدر البيت ليفيد فيه فائدة عدم الاكتراث من ناحية، ومعرفة الأمور مسبقاً من ناحية أخرى، وقد خرج الخبر هنا إلى بيان المآل، ومصير الأمور.

٢- الحوار القرآني في غديريات السيد رضا الهندي:

كما تقدّم في المبحث السابق؛ فإن استهواء الشعراء للقرآن الكريم، ورأينا كيف وظّف السيد رضا وولده آيات من القرآن الكريم في شعرهم لفظاً ومعنى، ومن هذا الاستهواء هو ما كان توظيفاً آخر استعمله الشعراء باستلھامهم المعنى المراد من الآيات المباركة مع بقاء بعض منها في البيت الشعري، وهذا كان معروفاً لدى السابقين بمصطلح (الاقْتباس) غير المباشر) وهو الاقتباس الذي يتضمّن كلمة أو كلمتين من آية قرآنية مباركة مع بقاء رحي البيت تدور حول معنى الآية المباركة التي تتضمّن هذا اللفظ الوارد في البيت الشعري، وقد ذكر المحدثون هذا المعنى بمصطلح جديد أسموه (الحوار) وهو أعلى مرحلة من مراحل

البحور استعمالاً للأفراح، كما نراه عند الأندلسيين في موشحاتهم، لأنّه قريب من الطرب وروح الفرح، لذا كان استعماله في الفرح أكثر إيراداً من الحزن والمدح وغيرها من الموضوعات.

وفي القصيدة نفسها قوله:

أنّه [مَنْ يَنْقَلِبُ لَيْسَ يَضُرُّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ] ^(١)

وهو اجترار مباشر من قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٤، فقد وظف الشاعر الآية المباركة توظيفاً غاية في الروعة، بحيث انسجمت انسجماً كلياً مع المعنى الذي أراده من الانقلاب الذي حدث في سقيفة بني ساعدة، في حين الآية المباركة تتكلم عن انهزام المسلمين في يوم أحد التي حدثت سنة (٣هـ)، والشاعر يتكلم عن يوم الغدير الذي كان في السنة (١١هـ)، ولكن انسجام القصيدة مع الحادثة أنتجت معنى ملائماً لربط الحادثتين، وقد وُفق الشاعر في اختزال المعنيين لإظهارهما في حادثة واحدة، وهو شهادة رسول الله ﷺ



قراءة النص الغائب؛ لأنه يعتمد النقد المؤسس على أَرْضِيَّة علميَّة صلبة، تحطّم مظاهر الاستلاب، مهما كان شكله ونوعه وحجمه، فلا تقديس لكل النصوص الغائبة مع الحوار^(١)، إذ إنّه (تغيير للنص وقلبه وتحويله بقناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي يغلق الأشكال والتعميمات، والكتابة من جديد، وتناسي الاعتبار الدينية والعرفية والأخلاقية، والخوض في المسكوت عنه لضرورة الأدب)^(٢)، وهذا من أكثر أركان التناص شيوعاً واستعمالاً عند الشعراء، ويُعدّ قانوناً مرناً من قوانين التناص؛ إذ يُتيح للكاتب محاورة النص المتأثر به وإدخاله في نصّه لغرض إظهار المعنى الكامن في داخله للآخرين.

وغدير يات السيد رضا الهندي حوت من هذه الظاهرة مواضع قرآنية حاور بها السيد الهندي آيات من الذكر الحكيم، منها ما جاء في قصيدة (رضي الله عنهما) قوله:

[من الرمل]
أَيُّ عِيدٍ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ فِينَا
رَضِيَ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ دِينَا
بَلَّغَ الْهَادِي بِهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فِي شَأْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٣)
فعجز البيت الأول محاورة مع قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣)، والتي نزلت في يوم الغدير عندما حجّ رسول الله ﷺ وأصحابه حجّة الوداع، وهي آخر حجّة لرسول الله قبل وفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى، وقد ورد من طرقنا أنّه: (الْحُسَيْنُ الصَّائِغُ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّيْرَفِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَزَّازِ عَنْ فُرَاتِ بْنِ أَخْنَفَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ [لَهُ] جُعِلَتْ فِدَاكَ، أَلِلْمُسْلِمِينَ عِيدُ أَفْضَلُ مِنَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ قَالَ فَقَالَ لِي نَعَمْ أَفْضَلُهَا وَأَعْظَمُهَا وَأَشْرَفُهَا عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الدِّينَ وَأَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ

١- ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقارنة بنوعية تكوينية: ٢٥٣، لغة الشعر عند أحمد مطر (رسالة): ٢٢٢.

٢- التناص في شعر الرواد أحمد ناهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ٢٠٠٤ م: ٥٧.

٣- ديوانه: ٣٢.



الشاعر على المحاوراة مع الآيات القرآنية المباركة، وإيلاجها في شعره، وكأنتها منه، والذي لم تطرق أذنه هذه الآيات لما عَرَفَ أنَّها من باب الحوار، فقد قام الشاعر بالتصرف المحمود من دون الإخلال بالفكرة التي تريدها الآية المباركة، وكأنَّه أراد تبيان اتباعه للقرآن الكريم وبيان الأثر القرآني في شعره، كما هو الحال يبدو واضحاً جلياً، والاستفهام هنا في صدر البيت الأول خرج إلى التعجب والتنبيه، ثُمَّ أَرَدَفه بالجملة الخبرية وهي التي كانت حواراً للآية المباركة آنفة الذكر في عجز البيت الأول، وهذا الخبر كان جواباً للصدر من طريق البيان لماهيّة العيد، وكان سرد الأبيات اللاحقة كلّها بطريق الخبر البياني، منه ما كان ابتدائياً ولم يحتاج إلى تأكيد لتبتيته، ومنه ما كان طلبياً ومنه إنكارياً بحسب المقام، والبيت الثاني جاء بالخبر الابتدائي، يقيناً منه أنَّ الأمر لا يحتاج إلى تأكيد، لأنَّ إثبات الآية القرآنية له لم يُبقِ للشكّ سبيلاً.

٣- التضمن القرآني في غديريات السيد رضا الهندي:

من قوانين التناس الذي وضعه العلماء؛ قانون الامتصاص، وهو لا يقلُّ أهمية عن القانونين السابقين إنَّ لم يكن

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً قَالَ قُلْتُ وَ أَيُّ يَوْمٍ هُوَ قَالَ فَقَالَ لِي إِنَّ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَعْقِدَ الْوَصِيَّةَ وَالْإِمَامَةَ لِلْوَصِيِّ مِنْ بَعْدِهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ جَعَلُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيداً وَإِنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي نَصَبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيّاً لِلنَّاسِ عَلَماً وَأُنْزِلَ فِيهِ مَا أُنْزِلَ وَكَمَلَ [أُكْمِلَ] فِيهِ الدِّينَ وَتَمَّتْ فِيهِ النُّعْمَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَالَ قُلْتُ وَ أَيُّ يَوْمٍ هُوَ فِي السَّنَةِ قَالَ فَقَالَ لِي إِنَّ الْأَيَّامَ تَتَقَدَّمُ وَتَتَأَخَّرُ فَرَبَّمَا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ إِلَى آخِرِ الْأَيَّامِ [السَّبْعَةِ] قَالَ قُلْتُ فَمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَالَ هُوَ يَوْمٌ عِبَادَةٍ وَصَلَاةٍ وَشُكْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] وَحَمْدٍ لَهُ وَ سُرُورٍ لِمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ وَلَايَتِنَا وَ إِنِّي أُحِبُّ لَكُمْ أَنْ تَصُومُوا [تَصُومُوا] ^(١)، فيوم الغدير عيد الله الأكبر، وهذه الرواية تدل على أنَّ شاعرنا كان له الباع الأطول في معرفة الروايات الواردة من طرق آل البيت.

أمَّا البيت الثاني الذي ذكرناه، فهو حوار مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، وقد بيَّن البيتان قدرة



الشعراء قديماً وحديثاً، فلو أجال النقاد نظرهم فيأشعار السابقين والمحدثين والمعاصرين لوجدوا كثيراً من التناص في أشعارهم من القرآن والحديث النبوي والروايات والسير وأشعار من سبقهم، إذ أشار السابقون إلى ذلك كثيراً.

وكما مرّ بنا حصافة السيد رضا الهندي وإمكانيته الشعرية، إلا أننا وجدنا في هذا الموضوع ما يبعث على التأمل؛ لأنّ هذا الموضوع يكشف مدى إمكانية الشاعر في امتصاص النصوص من جهة، واتساع ثقافته القرآنية من جهة أخرى، وكيفية توظيفها شعراً من جهة ثالثة، وستتبع في ذلك عنوانات عامّة تندرج تحتها الموضوعات التي تحمل خاصية الامتصاص.

ومن الامتصاص الذي جاء في شعر السيد رضا الهندي ﷺ ما جاء في قصيدته (عيد الغدير) التي يقول فيها:

[من الطويل]

وَأَنْتَ قَسِيمُ النَّارِ؛ قَسْمٌ تُجِيزُهُ
عَلَيْهَا؛ وَقَسْمٌ مِّنْ لِّظَاهَا تُجِيرُهُ
وَلَمَّا اسْتَمَّ الدِّينُ؛ أَوْفَى بِحَافِلِ
حَقْدِ أَخِي حَقْدِ عَلَيْكَ يَثِيرُهُ

أهمّ منهما، وهو أكثر منهما صعوبة بالنسبة للكاتب أو الشاعر، لأنّه يمتصّ النصّ كما يمتص الشخص التمرة ليأخذ منها حلاوة المعنى ويترك الألفاظ التي هي بمثابة الإطار الخارجي الموصل للمعنى، (وينطلق هذا القانون من فكرة الإقرار بأهمية النصّ الغائب وقداسته ولكنه يتعامل وإياه كحركة وتحول لا ينفيان الأصل، بل يسهمان في استمراره كجوهر قابل للتجدد)^(١)، فالامتصاص هو تمثل النص الغائب وإعادة صياغته على وفق متطلبات تاريخية معينة^(٢)، وهذه العملية يبذل بها الكاتب جهداً كبيراً بالحصول على الفحوى المراد سكبها في قالب جديد ليخرجها نصّاً يُخَيَّلُ للقارئ أنّه للكاتب لفظاً ومعنى، إلاّ أنّه يتضح لدى الناقد الحصيف معرفة النص الأصلي الذي امْتَصَّ منه هذا المعنى فَيُبَيِّنُهُ حين النقد، وهذا لا يُعتبر مثلبة تنقّص من الكاتب؛ بل على العكس من ذلك فهي تُحسب له، لأنّه استطاع توظيف نصّاً آخر داخل نصّه الجديد، وهذا يُبَيِّنُ ثقافة الكاتب والشاعر واطلاعه على الثقافات الأخرى كي لا يكون مغلقاً على نفسه؛ لأنّ الانغلاق يؤدّي إلى الركود ومن ثمّ الاضمحلال شيئاً فشيئاً، وهذا ديدن

١- لغة الشعر عند أحمد مطر: ٢٢١، ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقارنة ببنوية تكوينية: ٢٥٣.

٢- ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي، محمد بنيس: ٢٥٣، التناص معياراً نقدياً: ٥٣.



دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ (المائدة: ٣)،
وفي هذه الأبيات حوارية رائعة مع الآية
المباركة، فهو يريد القول: الذي أتم الله
له دينه ونعمته واستتم أمره بيد الله فما
يضره إن لا تتم أموره مع الناس، ثم
إنَّ الأمر كان بيدك ولو شئت اثكلت
العدو بإزهاق نفسه وأنت قادر على
ذلك، وجعلته يدعو بالويل والثبور على
نفسه، لكنَّ نفسك الكريمة تأبى المكر
والخداع والبطش بغير الحق، وجاء شاعرنا
بأسلوب الخطاب المباشر من باب (إيَّاك)
أعني واسمعي يا جاره؛ لأنَّ الإمام لا
يحتاج لتنبيه؛ لأنَّه العالم بطرق السماوات
أكثر من طرق الأرض، وهذا الحجاج
بهذا الأسلوب أبلغ من توجيه الخطاب
مباشرة إلى خصوم أمير المؤمنين عليه السلام
وقد قال الخطيب اللوذعي عميد المنبر
الحسيني الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمته الله في
قصيدته الشهيرة (إلى أبي تراب):

[من الكامل]

حَقْدٌ إِلَى حَسَدٍ وَخَسَةٌ مُعَدِنٌ
مَطَرْتُ عَلَيْكَ وَكُلَّهِنَّ هَتُونٌ
رَامُوا بِهَا أَنْ يَدْفَنُوكَ فَهَالِهِمْ
أَنْ عَادَ سَعْيُهُمْ هُوَ الْمَدْفُونُ

وَمِثْلُكَ مَنْ إِنْ تَمَّ لِلدِّينِ أَمْرُهُ
فَمَا ضَرُّهُ إِلَّا تَتَمَّ أَمُورُهُ
وَلَوْ شِئْتَ أَثْكَلْتَ الْعَدُوَّ بِنَفْسِهِ
فَأَصْبَحَ يَعْلُو وَيَلُوهُ وَثْبُورُهُ
بِبَاسٍ يَدِلُّو صُلَّتْ يَوْمًا بِهَا عَلَى
ثَبِيرٍ؛ إِذَا لَأَنْدَكَ مِنْهَا ثَبِيرُهُ
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الصَّبْرَ أَحْجَى وَلَمْ يَنْلُ
ثَوَابَ مَقَامِ اللَّهِ إِلَّا صَبُورُهُ
فَدَيْتُكَ أَدْرِكَ بِالشَّفَاعَةِ مَذْنَبًا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْصُرْهُ عَزَّ نَصِيرُهُ
وَلَا يَتِهِ إِلَّا أَقْوَى وَسِيلَةً
سَيُمَحِّى بِهَا تَقْصِيرُهُ وَقُصُورُهُ^(١)

في هذه القصيدة فيها من الحجاج
غير المباشر كثير بأسلوب الحوار، منها
قرآني ومنها روائي ومنها ما كان حواراً
مع خطب أمير المؤمنين عليه السلام فلو أنعمنا
النظر في البيت الأول لوجدناه حواراً
مع قول رسول الله ﷺ: (يَا عَلِيُّ أَنْتَ
قَسِيمُ النَّارِ تَقُولُ هَذَا لِي وَهَذَا لَكَ)^(٢)،
ثمَّ يُحَاوِرُ آية إكمال الدين وإتمام النعمة
التي جاءت في سورة المائدة في الأبيات
التي تليه، امتصاص من قوله تعالى:
﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

١- ديوانه: ٢٣ - ٢٤.

٢- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٣٨٩.



وتوَّهُمُوا أَنْ يُغْرَقُوا بِشْتَمِهِمْ
أَخْافُ مَنْ غَرِقَ وَأَنْتَ سَفِينٌ؟
سْتَظِلُّ تَحْسَبُ الْكَوَاكِبُ كَوَكْبًا
وَيَهْزُ سَمْعَ الدَّهْرِ مِنْكَ رَنِينٌ
وَتَعِيشُ مَنْ بَعْدَ الْخُلُودِ دَلَالَةً
فِي أَنْ مَا تَهْوَى السَّمَاءُ يَكُونُ^(١)
وهو كذلك سيبقى أمير المؤمنين ألقاً
يعانق أعنان السماء ويُرَاهِنُ العصور
خلوداً، ولا ينثني مهما عصفت به رياح
الحقد والحسد، فقد مزق أودية الكفر،
وكسّر أنوف العتاة رُغم قلة الناصر وألم
الوحدة، فسيبقى يهزّ سَمْعَ الدهر رنينه،
ويبقى إسفين الخطر الذي يدكّ معاقل
أعداء الإنسانية، فهو صوت العدالة
الإنسانية المدوّي في أرجاء المعمورة
وهو يهدد الطغاة والظلمة، فكُلَّمَا يطرق
مسامعهم ترى فرائضهم لا تعرف سبيلاً
للسكون، وسيبقى ذهباً نقيّاً كُلَّمَا مرَّ عليه
الدهر يزداد ألقاً.

ثمَّ يستأنف شاعرنا بطريق الاستدراك
(ولكن رأيت الصبر..) وهذا البيت
امتصاص من قول أمير المؤمنين (عليه السلام)
خطبته المعروفة بالخطبة الشقشقية، في
قوله (عليه السلام): (..فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا

أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى وَفِي
الْحُلُقِ شَجًّا..)^(٢)، وكل هذه الأبيات
جاء بها بطريق أسلوب الخبر الطلبي
والإنكاري لرفع الشكّ بفضائل أمير
المؤمنين عن ذهن المتلقي، وقد حاجج
بها المخالف من طريق أسلوب الخطاب،
إذ المراد من الخطاب البيان والتثبيت،
ومن خلال ذلك بيّن الشاعر في البيت
الأخير وهو امتصاص من قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا
إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥)، فيوضح الشاعر
بأسلوبه أَنَّ المقصود بالوسيلة هو أمير
المؤمنين، وبثّ فيها نكران ذاته فتحدّث
عن نفسه بأسلوب الغائب وهذا الخبر
خرج للتحقير وتقليل الشأن، وجاء
بالضمير المنفصل ليفيد التخصيص،
إذ الولاية لك لا لغيرك فولاية هذا
المنبو هو يقصد نفسه التي والاك بها هي
خاصة لك لا يشترك معك بها أحد، لأنّه
يعتقد أنها أقوى وسيلة لله تعالى، وفيها
تُحصى الذنوب ويُغفر التقصير.

١- ديوان الوائلي: ٨٤.

٢- نهج البلاغة: ٣٠.

المبحث الثاني

الروافد الحديثة في غديريات السيد
رضا الهندي

بعد إن قدّمنا التعريفات العامّة للروافد المعرفيّة الاشتقاقية من اجترار وحوار وامتصاص قبل الولوج إلى النصوص الشعرية للسيد الهندي، الآن ندخل مباشرة إلى النصوص النبوية في غديرياته.

١- التوظيف الحديثي في غديريات السيد رضا الهندي:

جاء الاجترار الروائي (الحديث النبوي حصراً) في غديريات السيد رضا الهندي في أكثر من موضع، منها ما جاء في قصيدته (في عيد الغدير) قوله:

أبا حسنٍ تالله أنتَ لأحمد
أخوه وقاضي دينه ووزيره^(١)

فهذا البيت اجترار من حديث الدار المبارك الذي نقله كثير من المفسرين وأرباب السير في تفسير قوله تعالى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

الشعراء/ ٢١٤، فقال الشيخ الطوسي: (إنّما حصّ عشيرته الأقربين؛ لأنه يمكنه أن يجمعهم ثم يذرهم، وقد فعل ﷺ ذلك. والقصة بذلك مشهورة، فقد روي أنّه أمر ﷺ عليّاً بأن يصنع طعاماً ثم دعا عليه بني عبد مناف وأطعمهم الطعام. ثم قال لهم: أيكم يؤازرن على هذا الأمر يكن وزيراً وأخي ووصي، فلم يجبه أحد إلا علي ﷺ والقصة في ذلك معروفة^(٢)، وذكر الشيخ الطبرسي وغيره من علماء التفسير والحديث القصة مفصلة^(٣).

وذكر ابن كثير عدّة طرق لهذا الحديث، لكنّه يجعلها من غرائب الأحاديث ويُكرها^(٤)، وابن كثير معروف المنهج والسلوك فلا غرابة منه من نكران الحديث، والسبب في ذلك هو أنّه فضيلة من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، على الرغم من أنّ البغوي قد ذكر ذلك وجعلها من المسلمات

١- ديوانه: ٢٣.

٢- التبيان: ٦٢/٨. ويُنظر: الأمالي للشيخ الطوسي: ١٦٣/٢.

٣- مجمع البيان: ٣٢١-٣٢٢. وينظر في ذلك: الكافي: ٢٩/١، تفسير نور الثقلين: ٧/٧١، مناقب آل أبي طالب: ٣٥٨/١، بحار الأنوار: ٤٠/٩، الميزان: ١٥/١٧١، مستدرک سفينة البحار: ١/٢٠٥، وغيرها من مصادر مدرسة أهل البيت

٤- يُنظر: تفسير القرآن العظيم: ٦/١٦٦-١٧٠.



والمشهور^(١) ورواه ابن عساكر والحاكم^(٢) في قصيدة (رضي الله عنهما):

قائلاً: إِنَّ عَلِيّاً وارثي
ووزيرٍ وإمامَ المسلمينا
أَيُّهَا النَّاسُ أَطِيعُوا واسمعوا
إِنِّي لَسْتُ عَلَى الْغَيْبِ ضَئِينَا
لَسْتُ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي قَلْتُهُ
إِنَّمَا أَتَّبَعِ الْوَحْيَ الْمُبِينَا^(٤)

وهذه الأبيات اجترار من حديث الغدير المبارك وهو أشهر حديث على الإطلاق، إذ رواه أكثر من ثمانين ألف صحابي بعد رجوعهم من الحج الأخير الذي حجّه رسول الله ﷺ فهو فوق حدّ التواتر، بل عبر حاجز المسلمات وأصبح من اليقنيات التي لا يدخلها الشك أبداً، والشاهد في الأبيات قول رسول الله ﷺ من الخطبة الشريفة عن علي عليه السلام: ... قم يا علي فقامت فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، فقام سلمان فقال: يا رسول الله ولاء كماذا؟ فقال عليه السلام ولاء كولائي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من

وغيرهما من أرباب الحديث والسير، وقد ذكر السيوطي الحادثة بالتفصيل في قوله: (تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخبري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنى على أمري هذا، ويكون أخى ووصيى وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً، وأنا أحدثهم سنأفقت أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال هذا أخى ووصيى وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيعه^(٣)، ولا يضير علياً إن نعق الناعقون فيكفه فخراً أنّه الوحيد الذي شهد الله له بالإيمان وشهد له رسول الله بحب الله له يوم خيبر.

فاليست الشعري اجترار من هذا الحديث المبارك الذي أورده السيد الهندي في قصيدته.

والمورد الآخر الذي جاء به الاجترار من الحديث النبوي في الغديريات؛ ما جاء

١- يُنظر: معالم التنزيل، البغوي: ١٣١/٦.

٢- يُنظر: تاريخ دمشق: ١٠١/١، المستدرک على الصحيحين: ٢٠٤/٢.

٣- تفسير الجلالين: ١٤٥/٧، يُنظر: تفسير الخازن: ٥٩/٥، السراج المنير: ٢٩٤٦/١، الباب في تفسير الكتاب، ابن عادل الحنبلي: ٢٨١/١٢.

٤- ديوانه: ٣٢.





الهندي هذا المقطع من الحديث الشريف وجعله في شعره وجعله في سبيل الحجاج الروائي في الشعر، وهذا من باب التوكيد، والتنبيه في قوله: (أيها) جاء للتحذير بصيغة النداء وهاء التنبيه، فإن لم تُطِعوه وتسمعهو فستهلكون.

٢- الحوار الحديثي في غديريات السيد رضا الهندي:

جعل السيد رضا الهندي من الحوار في غديرياته حواراً ذاتياً، إذ تبنّى الحديث وصار يتكلم بضمير الأنا المتكلم، وكأنّه هو من قال هذا لأول مرة، وذلك في قوله في قصيدة (في عيد الغدير):

وأنت قسم النار قسم تميزه عليها،
وقسم من لظاهها تُجِيره^(٢)

فهذا البيت حوار مع قول الرسول الأعظم ﷺ الذي ذكر الشيخ الطوسي في تفسيره: من طريق (عمر بن شبة وغيره: إنَّ علياً عليه السلام قسم الجنة والنار، فروى بن شبة بإسناده عن النبي ﷺ إنّه قال: يا

نفسه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ وكبر رسول الله ﷺ وقال الله أكبر تمام نبوتي وتمام ديني دين الله عزّ وجلّ وولاية على بعدي، فقام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول الله هذه الآيات خاصّة في علي؟ فقال ﷺ: بلى خاصة فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة، قالوا: يا رسول الله بينهم لنا قال علي أخِي ووزيرِي ووارثِي ووَصِيِي وخليفَتِي في أمتِي وولي كلّ مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على حوضي؟ قالوا: اللهم نعم قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء وقال بعضهم: قد حفظنا جل ما قلت ولم نحفظه كله، وهؤلاء الذين حفظوا أختارنا وأفاضلنا، فقال علي عليه السلام صدقتم ليس كل الناس يتساوون في الحفظ^(١)، فقد اقتبس السيد رضا

١- نور الثقلين: ٢/ ٢٢٠، ويُنظر: علل الشرائع: ١/ ٢٣٠، مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان: ١/ ٢٣٨، ما نزل من القرآن في علي بن أبي طالب عليه السلام، للجلودي: ٢٩، خصائص أمير المؤمنين، للشرف الرضي: ٧، الإحتجاج: ١٤، شواهد التنزيل، للحسكاني: ١/ ١٨٩، الأمالي الشجرية: ١/ ١١١، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٥٩، بحار الأنوار: ٧/ ٢٨٢، تفسير الصافي: ٢/ ١٢٩، شواهد التنزيل لمن خص بالفضيل، ابن رويش: ٤/ ١١، بناييع المودة: ١/ ٢٩٦، مجمع الزوائد: ١/ ١٦١، الغيبة: ٢٠، الغدير، للاميني: ١/ ٢٠٨، وغيرها من المصادر وأمات الكتب المعتبرة التي ذكرت هذا الحديث المبارك، وما ذكرناه للمثال لا للحصر.



علي كأي بك يوم القيامة وييدك عصا من عوسج تسوق قوماً إلى الجنة وآخرين إلى النار^(١)، وذكر الشيخ الصدوق في علل الشرائع من طريق الإمام الصادق عليه السلام هذا الحديث بالتفصيل، وذلك في قوله: (عن الفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام بما صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار؟ قال: لأن حبه إيمان وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة، والجنة لا يدخلها إلا أهل محبته والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه، قال الفضل: يا ابن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم...)، فقد حاور شاعرنا السيد الهندي هذا الحديث الشريف بطريقة التكلم، إذ تبني هذا الحديث لنفسه وصاغ من كلماته بيتاً من الشعر ووضع في غديرته المباركة وهو بطريقة الإخبار الذي أفاد التنبيه والبيان أنهما يعني أمير المؤمنين عليه السلام هو قسم الجنة والنار لا غيره وعلى الجميع أن يؤمن بذلك؛ لأنه جاء

١- التبيان: ٤/ ٤١٢.

٢- علل الشرائع: ١٢١، يُنظر: تفسير نور الثقلين: ٣/ ٣٥، تفسير الصافي: ١/ ٢٨، بحار الأنوار: ٧/ ١٨٧. وغيرها من المصادر التي ذكرت هذا الحديث المبارك.

٣- ديوانه: ٣٢.

٤- التبيان: ٦/ ٢١٨. وكثير من التفاسير التي ذكرت هذه الرواية المباركة، وقد عبرت حد التواتر ووصلت إلى المسلمات.

من فم من لا ينطق عن الهوى، وبهذا قد صبَّ عقيدته وإيمانه في قالب البيت الشعري ليسينها وكيفية تسليمه لها تسليماً تاماً.

ومنه ما جاء في قصيدة (رضي الله عنهما) بذات الطريقة والأسلوب الذي اتبعه سابقاً، فهو يتبنَّى قول الرسول الأعظم ويصوغه شعراً محاوراً إياه محاورة رائعة الغرض منها التنبيه والتوكيد والبيان، وذلك في قوله:

رضي الله عنهما هادياً
بعد طمعه فسمعنا ورضينا^(٣)

إذا إن هذا البيت حوار مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ذكره الشيخ الطوسي في تفسيره عن ابن عباس: (عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره، وقال: أنا المنذر ولكل قوم هاد وأوماً بيده إلى منكب علي عليه السلام، فقال: أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي^(٤)، وهذا ما يُسمَّى بالخبر الإنكاري، وهو



الأميني عليه السلام في غديره قول عمر بن الخطاب الذي هو أقرب للبيت الشعري المذكور قوله: (وقال فيه عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر، ولا أعاشني الله لمشكلة ليس لها أبو الحسن).^(٣) فكان هذا القول رافداً معرياً لشاعرنا لصياغة هذا البيت.

أمّا البيت الثاني فهو امتصاص من قول الرسول الأعظم عليه السلام لأمر المؤمنين علي عليه السلام: (يا علي أنت أمير المؤمنين وإمام المتقين، يا علي أنت سيد الوصيين ووارث علم النبيين وخير الصديقين وأفضل السابقين، يا علي أنت زوج سيدة نساء العالمين وخليفة خير المرسلين، يا علي أنت مولى المؤمنين والحجة بعدي على الناس أجمعين)^(٤)، فقد صاغ من الرافد النبوي شعراً وتبنى القول وكأن السامع لأول وهلة ولم يعرف بالحديث لفهم من ذلك أن الشاعر هو من أبدعه، ولو أنعمنا النظر في غديريات شاعرنا لوجدناه قد بثّ فيها من الآيات والأحاديث والروافد الروائية ما يُشعرنا بقوة ملكة الشاعر بالتصرف في النصوص من جهة وبيان معرفته بهذه الروافد من جهة أخرى.

مجيء أكثر من مؤكّد لرفع الشكّ من ذهن السامع، وهذا التوكيد جاء به رسول الله عليه السلام للتثبيت، وتبنّاه الشاعر ليجعل منه بيتاً شعرياً حاوِّره به للغرض ذاته، فهو أيضاً أراد منه التنبية والتثبيت والتوكيد.

فكان الحديث النبوي رافداً في شعر السيد رضا الهندي ومحوراً أساسياً يعتمد عليه في بناء غديرياته، وهو أسلوب دفاعي توكيدي لبيان الأفضليّة.

٣- التضمن الحديثي في غديريات السيد رضا الهندي:

كان للامتصاص في شعر السيد الهندي نصيب، منه ما جاء في قصيدته (في عيد الغدير)، قوله:

فلا مُشْكِلٌ إِلَّا وَأَنْتَ مَدَارُهُ
ولا فَلَكَ إِلَّا وَأَنْتَ مُدِيرُهُ
ولا أَمَّةٌ إِلَّا وَأَنْتَ أَمِينُهَا
ولا مُؤْمِنٌ إِلَّا وَأَنْتَ أَمِيرُهُ^(١)

فالبيت الأول هو امتصاص من قول عمر بن الخطاب: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)^(٢)، وقد ذكر العلامة

١- ديوانه: ٢٣.

٢- شرح بن عقيل: ١٨٣/٢، يُنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/٤، بحار الأنوار: ١٠٩/٣٦.

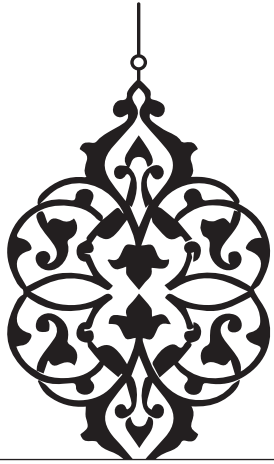
٣- الغدير في التاريخ والأدب: ٧٦/٥.

٤- بحار الأنوار: ٦٣/٢٧، ويُنظر: تفسير فرات الكوفي: ٢٣/٤.

ومنه ما جاء في قصيدة (رضي الله عنهما) في قوله:

أي عيب في الذي خاف من اليم
فاختار بأن يأوي السفينة^(١)

هذا البيت امتصاص من حديث السفينة المبارك وهو قول رسول الله ﷺ: (إنما مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة بني اسرائيل، من دخله غفر له)^(٢)، فقد أرفد الحديث المبارك شاعرنا في هذا البيت وصار رافداً معرفياً له، والمعنى: هو ما الضير أو ما المعيب على الذي خاف من بحر الظلمات والتهيه والخوف من النار ومن الفتن ليأوي إلى السفينة المنجية التي قال عنها رسول الله: أئتمها كسفينة نوح، والذي يأوي إليهم يقينا حليفه النجاة والمتخلف عنهم حليفه الغرق لا محال. والاستفهام هنا أفاد النفي والمعنى: لا عيب في الذي يخاف من اليم ويختار الركوب في السفينة.



ابواب المعرفة

١- ديوانه: ٣٣، وهذا البيت مدور حسب عرف أهل العروض.
٢- شواهد التنزيل لمن خص بالفضل، ابن رويش: ٣/ ١٠.

الخاتمة

٧- بثَّ الشاعرُ عقائده وما يؤمن به في القصيدتين بطريقة الفخر، كونه ينتمي لهذا الإمام الهام المقدم (عليه أفضل الصلاة والسلام).

٨- في القصيدتين كثير من الروافد المعرفية الأخرى لكننا اقتصرنا على رافدي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف خشية الإطالة والإطناب.

وفي الختام سائلين المولى عزَّ وجل أن يُثبتنا على ولاية محمد وآل محمد وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا وأن لا يُفترق بيننا وبين محمد وآل محمد طرفة عين، ولا ندعي لعمَلنا هذا الكمال لأنَّ الكمال لله وحده آملمين أن يفيد غيرنا من صحيحه ويعمد إلينا من يرى عيوبه لتصحيحها ورحم الله من حفظ أخاه وأرشدته إلى المسار السوي.

والحمد لله رب العالمين..



بعد هذه الرحلة الأدبية وسبر أعماق قصيدتين من قصائد أديب ألمعي من المحدثين توصلنا إلى النتائج الآتية:

١- يمتلك الشاعر حساً مرهفاً اتضح في اختياره للألفاظ الجزلة الرقيقة، والبعيدة عن التعقيد.

٢- استعمل في القصيدتين أسلوب السهل الممتنع.

٣- كان الرافد القرآني أكثر إرواءً في غديريات السيد رضا الهندي.

٤- يمتلك الشاعر أدوات رائعة لحرفته لصياغة الآيات والأحاديث صياغة جديدة تنم عن مدى معرفته في كيفية التحويل والتبديل والصناعة.

٥- أغدق الشاعر مشاعره في قصيدة (رضي الله عنهما) أكثر من قصيدة (عيد الغدير) وكان التعامل مع المفردات بحرفية عالية لغرض بيان مراده الذي يريد توصيله.

٦- اتخذ من الأسلوب الخبري وسيلةً لبيان أحقية أمير المؤمنين في الخلافة من غيره، وهو أسلوب يُستخدم في المسلمات من الأمور.





المصادر

الدمشقي ت (٧٧٤هـ) تحقيق:
مصطفى السيد، وآخرون، مؤسسة
قرطبة، مصر، الجيزة، ط١،
٢٠٠٠م.

■ تفسير القمّي، علي بن إبراهيم،
تعليق: طيب الموسوي الجزائري،
دار الكتاب، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

■ التفسير الكبير المسمى (مفاتيح
الغيب)، فخر الدين محمد بن
عمر الرازي ت (٦٠٦هـ)، دار
الكتب العلمية، ط٢، د.ت.

■ التناص في الشعر الغربي، عبد
الواحد لؤلؤة، مجلة (الأقلام)،
العدد (١٠، ١١، ١٢)، ١٩٩٤م.

■ التناص في شعر الرواد، أحمد
ناهم، دار الشؤون الثقافية العامة،
بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.

■ خصائص أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب عليه السلام، الشريف الرضي
ت (٤٠٦هـ)، مؤسسة الأعلمي،
بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

■ الدر المنثور في التفسير بالمأثور،
جلال الدين السيوطي
ت (٩١١هـ)، تحقيق: عبد الله بن
عبد المحسن التركي، مركز هجر
للبحوث والدراسات، القاهرة،

■ القرآن الكريم.

■ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،
مؤسسة البعثة، بيروت، ط١،
١٩٩٢م.

■ بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة
الأطهار، محمد باقر المجلسي
ت (١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء،
بيروت، ط٥، ١٩٨٨م.

■ تحفة الأحوزي في شرح سنن
الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي
السلمي ت (٢٧٩هـ)، دار إحياء
التراث العربي، بيروت، ط٢،
١٩٨٣م.

■ تفسير البغوي، المسمى (معالم
التنزيل)، الامام أبو محمد الحسين
الفراء البغوي ت (٥١٦هـ)،
مطبوع على هامش تفسير الخازن،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي
واولاده، مصر، ط٢، ١٩٥٥م.

■ تفسير العياشي، أبو النضر محمد
بن مسعود العياشي ت (٣٢٠هـ)،
تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية،
مؤسسة البعثة، قم، د.ت.

■ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير





- ط ١، ٢٠٠٣ م.
- ديوان السيد رضا الهندي، جمعه: السيد موسى الموسوي، راجعه وعلق عليه: الدكتور عبد الصاحب الموسوي، مؤسسة الثقليين، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٨ م.
- ديوان السيد رضا الهندي وأبنائه، اعداد: السيد هادي حسين الموسوي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، د.ط، د.ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ت (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، فخر الدين محمد بن ادريس الحلبي، (ت ٥٩٨هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المشرفة، ط ٢، ١٤١٠هـ.
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل ت (٧٦٩هـ)، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، مصر، د.ط، ٢٠٠٥ م.
- شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل، عيدروس (ابن رويش) الأندونيسي، اتشارات الشريف الرضي، أميرقم، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- شواهد التنزيل، للحاكم الحسكاني، دار ابن الجوزي، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنوية تكوينية، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٨٥ م.
- عيون أخبار الرضا، ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ت (٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٩٨٤ م.
- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، تهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري ت (٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود،



علي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٩٩٨ م.

■ الكوكب الدري من شعراء الغري، علي الخاقاني، ذوي القربى، النجف الأشرف، ط ١، ١٤٢٧ هـ.

■ لسان العرب، ابن منظور، (ت ٧١١ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ١٩٩٩، ٣ م.

■ لغة الشعر عند أحمد مطر، مسلم مالك الاسدي، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٧ م.

■ ما نزل من القرآن في علي بن أبي طالب عليه السلام، عبد العزيز بن يحيى الجلودي ت (٣٣٢ هـ)، تحقيق: نزار عبد المحسن المنصوري، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، العراق / كربلاء، ط ١، ٢٠١٨ م.

■ مباحث علم المعاني في تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقى المدرسي، خالد عبد النبي عيدان الأسدي، (رسالة ماجستير)، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١٧ م.

■ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن

الحسن الطبرسي ت (٥٤٨ هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له: السيد محسن الأمين العاملي (مؤلف كتاب الغدير)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م. المالكي الشجرية، ابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن، ١٣٤٩ هـ.

■ مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الأذهان، المولى احمد الأردبيلي، (ت ٩٩٣ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ط ١، ١٤١١ هـ.

■ المصباح المنير، احمد بن محمد بن علي المقري، (ت ١٦٣١ م)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٤، ١٩٩٩ م.

■ نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام جمع: الشريف الرضي ت (٤٠٦ هـ)، شرح: الشيخ محمد عبدة، مؤسسة المختار، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٨ م.

العشرة
المتكبر



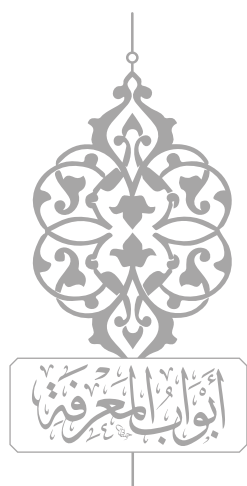
القوَّة البدنيَّة للإمام علي عليه السلام والتحليل الفلسفي

أ.د. يسار الشماخ



كلية الطب - جامعة الكوفة







مقدمة

بمناسبة عيد الغدير الأغر استوقفتني القوة البدنية النادرة للإمام علي عليه السلام لذا كان عنوان البحث: (القوة البدنية للإمام علي عليه السلام والتحليل الفلسفي). الإمام علي عليه السلام من أبوين هاشميين فهو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف (فهو هاشمي، مكّي مدني، طالبي حجازي، تقي نقي، وفي وفطري، بهي لودعي) ولد على الرخامة الحمراء في الكعبة الغراء في ١٣ رجب سنة ٢٣ قبل الهجرة، التي لم يولد قبله ولا بعده مولود فيها فالإمام علي عليه السلام ولد في حجر ابن عمه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قبل الإسلام واستشهد في بيت الله والصلاة بين شفتيه، بتاريخ ٢١ رمضان سنة ٤٠ للهجرة؛ لذلك يكون عمره عند استشهاده ٦٣ سنة.

وكان المثل الأعلى للزاهدين العابدين والقمة الشماء للحاكمين العادلين، وأول من أدخل الحوار مع الخصوم، ومنه يُستمدُّ العزم والإقدام في ساحات الجهاد، ومنه يستقي رجال القضاء أصول العدالة والفصاحة والنبوغ عندما صرّح أمام الملاء: (سلوني قبل أن تفقدوني). وقد فقدك

الناس قبل أن تُكمل رسالتك في الإسلام. وكانت شجاعتك ملازمة إلى تضحياتك يوم مبيتك في فراش النبوة، وقد زينت الخلافة وهي كانت أحوج إليك أكثر من حاجتك إليها. ومن ألقاب الإمام علي عليه السلام: قائد الغر المحجلين ويعسوب الدين وسيد الوصيين وإمام المتقين.

ونسعرض في هذا البحث بعض الوقائع التي تُشير إلى القوة البدنية للإمام علي عليه السلام وشجاعته النادرة في ميادين القتال، ثم نقوم بعد ذلك بالتحليل الفلسفي لتلك القوة النادرة والهائلة التي يمتلكها الإمام علي عليه السلام، والواقع أن الأقلام تعجز عن وصف شجاعة الإمام علي عليه السلام والقوة الجسدية الهائلة في الصلابة والرجولة والشجاعة، ولا شك أن مصدر هذه القوة النادرة من نوعها مستوحاة من القوة الإلهية واندماج انقطاعه لعبادة الله تعالى بقوته الجسدية.





صفاته وقوته البدنية..

من المعروف عنه في صولاته في الحروب والقتال وقوته الخارقة التي لا مثيل لها عند سائر البشر، إذ ورد في وصف قوته الجسدية إنه إذا أمسك بذراع البطل كأنه أمسك بنفسه^(١)، فلا يستطيع أن يتنفس (أي انقطاع الهواء عن الرئتين).

ومن مهابته عليه السلام إنه كان ينظر إلى العدو من أعدائه بنظرة الغضب فيورثه الموت والعطب. ولم يبادر أحدهما تميز من قوة وشجاعة إلا صرعه، وكان يمسك الفرس وهو في أشد جريانه فيضع صدره فيرده.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوصف بقوته الخارقة في شبابه وفي كهولته وكان محافظاً على تكوينه المكين حتى ناهز الستين.

وهذه الأمور أيضاً يخالف صفة سائر البشر من الناحية الفلسفية لجسم الإنسان، إذ تضعف القوة البدنية للإنسان مع تقدمه في العمر.

وقد وُصف الإمام علي عليه السلام وهو في تمام الرجولة أنه كان أميل إلى القصر، أسمر البشرة، شديد الأدمة، أصلع مبيض الرأس واللحية طويلها، ثقیل

العينين في دعج وسعة، حسن الوجه، واضح البشاشة، أغيد، كأنها عنقه إبريق فضة، عريض المنكبين لها مشاش (أي رأس العظم) كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضده من ساعده قد ادججت ادماجاً وكان أبجر، أي كبير البطن يميل إلى السمنة في غير إفراط، ضخم الساق دقيق مستدقها، ضخم الذراع دقيق مستدقها، شئن الكفين، يتكافأ في مشيته على نحو يقارب مشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لا يبالي بحر الصيف وبرد الشتاء، وقد سئل عند ذلك فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليّ وأنا أرمد العينين يوم خيبر فقلت: يا رسول الله إني أرمد العين، فقال: اللهم اذهب عنه الحر والبرد ومسح الرسول بريقه عين الإمام عليه السلام فذهب عنها الرمد.^(٢)

وقد شارك الإمام علي عليه السلام في جميع المعارك ما عدا تبوك عندما تركه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه يقيه بنفسه من الأعداء، وكما قال: كلما أوقدوا للحرب ناراً أطفئها الإمام علي عليه السلام بسيفه الغالب، كما وصفوه سيف الله الغالب وقد قيل في حقه: إن الإسلام بني على ثلاث، خلق محمد وأموال خديجة، وسيف علي، وكان شديد البأس في الصولات في المعارك وسمي

١- (الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة)

٢- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ج ٢، ص ٤٩٧



بالكرار، وهو غير مبالٍ بالجراح والنبال والطعنات التي يتعرض لها جسده في أثناء القتال.

وقد ورد في الأحاديث التي مفادها أنهم إذا أرادوا إخراج الحديد والنشاب من جسده تركوه حتى يصلي، فإذا انشغل بالصلاة، وأقبل إلى الله تعالى أخرجوا الحديد من جسده الشريف؛ لأنه منقطع روحًا وجسدًا إلى الله تعالى.^(١)

وكان يضع خدّه على التراب؛ لأنه يعلم أن الإنسان خلق من تراب، ومصيره إلى التراب؛ لذا سمّاه النبي ﷺ: (أبو تراب)^(٢).

ومن صفات قوته إنه بقي ثلاثة أيام هو وعائلته من دون طعام، عندما قدّموا طعامهم لثلاث ليالٍ للمسكين واليتيم والأسير، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا^(٣).

وكان الإمام يضع الحجر على بطنه من شدّة الجوع، إلا أنه مع ذلك بكامل قواه البدنيّة، وجاهز على الدوام لتلبية نداء الرسول ﷺ في أية لحظة لخوض المعارك

ضد المشركين لإعلاء لواء الإسلام؛ لأنّ الطعام لم يكن مصدر الطاقة والقوّة البدنيّة عنده كسائر البشر، فضلاً عن أنّ طعامه في الأيام الاعتياديّة هو الملح وجريش الخبز والطحين والبن والتمر. وواضح أنّ طعامه لا يتناسب مع قوّته البدنيّة الهائلة.

فعلى سبيل المثال نجد أن أبطال رياضة رفع الأثقال (الربّاعين) يتناولون وجبات كبيرة وكثيرة من اللحوم والفواكه مع أدوية مقوية من الفيتامينات المتعدّدة وغيرها كي يؤهلهم ذلك لرفع الأوزان الثقيلة. وكان أعلى رقم عالمي لرفع الأثقال هو ٥٠٠ كغم، فإذا ما قارنا هذه الأثقال مع وزن باب خيبر الذي ورد أنّ وزنه ٨٠٠ مَن، وقيل أكثر من ألف مَن. وكما هو معروف إنّ المَن الواحد يساوي أربعة كيلوغرامات (٤ كغم)؛ لذا فإنّ حاصل ضرب ٨٠٠ $\times$ ٤ = ٣٢٠٠ كغم (ثلاثة آلاف ومئتان كغم)، لذلك لا توجد نسبة للمقارنة مع الرياضيين في رياضة رفع الأثقال التي مرّ ذكرها مع وزن هذه الباب فضلاً على أنّ هذا الباب ليس له مقابض مثل لعبة رفع الأثقال لتسهيل رفعها.

١- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، ج ٩، ص ١٩٩.

٢- غاية المرام، ج ١، ص ٥٨.

٣- (سورة الإنسان الآية: ٨-٩)



السنة السابعة بعد الهجرة (لذلك عمره ٢٣+٧=٣٠ سنة)، ومن صفات هذا الباب أنَّها كانت من الصخر الصلد طولها أربعة أذرع وعرضها ذراعان وسمكها ذراع واحد، وقيل أكثر من ذلك، علماً أنَّ هذا الباب كان يغلقها ويفتحها في حصون خيبر عشرون رجلاً.

وفي منازلته مع مرحب وهو أقوى أبطال اليهود في معركة خيبر قال مرحب مخاطباً الإمام: إنَّ أمه أخبرته أنه يُقتل على يد فارس يُدعى (حيدر)، وأنَّ اسمك (علي). فردَّ الإمام علي: وأنا أُمي سمتني (حيدرة)، فضربه الإمام بضربة على رأسه فشطر الحجر الذي كان يضعه على رأسه، وكذلك شطر جسده إلى شطرين، من أمَّ رأسه إلى مؤخرته. (وكانت ضربات الإمام عليه السلام توصف إمَّا قد أو قط (طولاً أو عرضاً) ^(٣)

وقال رسول الله ﷺ بحق الإمام علي عليه السلام في المنازلة مع مرحب: برز الإيمان كلُّه إلى الكفر كلِّه. ^(٤) وفي معركة الخندق قال رسول الله ﷺ في وصف ضربة الإمام علي عليه السلام التي صرع بها أشجع شجعان قريش (عمرو

هذا الباب وبهذا الوزن اقتلعه الإمام عليه السلام من حصون خيبر في معركة خيبر وتترس به (مثل الدرع) ثم وضع حافته على حافة الخندق والأخرى على ظهره أو على كتفه، إذ جعلها جسراً عَبَر عليه جيش المسلمين هم وخيولهم وعتادهم، وكان ذلك سبباً في انتصار جيش المسلمين في تلك المعركة وبعد انتهائها رمى ذلك الباب الضخم في الفضاء، ولم يستطع سبعون رجلاً من إزاحته من مكانه؛ لذلك لُقِّبَ الإمام عليه السلام بـ(داحي باب خيبر) ^(١).

ووصف الشاعر ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) هذه الواقعة بقوله:-

يَا قَالَعَ الْبَابِ الَّذِي عَنْ هَزَّهَا
عَجَزَتْ أَكْفُ أَرْبَعُونَ وَأَرْبَعُ ^(٢)

وبعد انتهاء المعركة سأله المسلمون كيف استطاع اقتلعه وكذلك رمية في الفضاء، فأجابهم إنَّها -والله- من قوَّة الله تعالى.

وقد كان عمر الإمام عليه السلام في واقعة خيبر هو ٣٠ سنة؛ لأنَّه وَلِدَ في سنة ٢٣ قبل الهجرة، وأنَّ واقعة خيبر كانت في

١- الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٥٥.. ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٤٩-٣٥٠.
٢- الروضة المختارة (شرح القصائد العلويات السبع)، ابن أبي الحديد المعتزلي، ص ١٤٠.
٣- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، ج ٥، ص ٤٩٨.
٤- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩ / ٦١. ينابيع المودة، القندوزي، ج ٢، ص ١٠٨.



التحليل الفلسفي للقوة البدنية للإمام عليه السلام:

مما تقدّم من هذا البحث عن شخصية وشجاعة الإمام علي عليه السلام نود أن نبين ما يأتي:

لم يكن الطعام هو مصدر الطاقة والقوة البدنية للإمام كسائر البشر. فمن المعروف أن مصدر الطاقة عند الإنسان هو الغذاء من مكوناته كافة، وعندما يكون هناك نقص في بعض مكونات الغذاء تظهر بعض الأعراض المرضية عند الإنسان؛ لأنّ فعالية الخلايا تعتمد كلياً على الغذاء، إلا أنّ الحال مختلفة عند الإمام عليه السلام، إذ لم يكن الطعام هو مصدر الطاقة والقوة البدنية للإمام علي عليه السلام كسائر البشر؛ والدليل على ذلك أنّه بقي ثلاثة أيام هو وعائلته من دون طعام عندما قدموا طعامهم للمسكين واليتيم والأسير، إلا أنّه بقي بكامل قواه البدنية وجاهز لنداء الرسول ﷺ لخوض المارك في أية لحظة، فضلاً عن أنّ غذاءه الملح و الطحين (جريش الخبز) واللبن والتمر، وهذا الطعام لا يتناسب مع قوة الإمام الهائلة.

بن ود العامري) أنّ ضربة علي عليه السلام تعادل عبادة الثقلين، وكان الإمام علي عليه السلام حامل لواء المسلمين في المارك ضد الماركين، ومنها معركة أحد، فقد كان الإمام علي عليه السلام يكشف الكرب عن وجهة الرسول ﷺ، وكانت كتائب الماركين تهرب من الإمام وقد قتل تسعة ممن توالوا على حمل لواء الماركين وسمع هاتف في السماء ينادي: (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) (١). وفي معركة بدر كان نصف قتلى الماركين على يد الإمام علي عليه السلام، وكذلك وشارك الإمام عليه السلام المسلمين في قتل النصف الآخر من الماركين، كذلك قاتل الإمام علي عليه السلام الناكثين (يوم الجمل) والقاسطين (يوم صفين) والمارقين (يوم النهروان). ومن قوته أنّه أزاح الصخرة الكبيرة عن بئر الماء المعروف حالياً (جامع برائا) في بغداد، وذلك عندما كان في طريقه لمعركة النهروان، حيث كان جيش المسلمين في أشدّ العطش، وكان هناك دير فيه راهب، فقال للإمام إنّ هذه الصخرة في كتبنا لا يستطيع إزاحتها إلا نبي أو وصي؛ فلذلك أسلم على يدي الإمام علي عليه السلام (٢).



١- الغدير، الاميني، ج ٢، ص ٥٩. سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٥٢.

٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٧، ص ٤٠٥.



كان يوصف بقوته الخارقة في شبابه وفي كهولته، وكان محافظاً على تكوينه المكين حتى ناهز الستين، وهذا أيضاً يخالف سائر البشر من الناحية الفلسفية لجسم الإنسان؛ لأنَّ القوة البدنية للإنسان تقلّ مع تقدّمه في العمر؛ لأنَّ هناك وقتاً محدداً لخلايا جسم الإنسان، وهنالك أيضاً عدد محدّد من الانقسامات الخيطية للخلية لتشديد فعاليتها، وتكون في أوج فعاليتها عند عمر الأربعين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(١).

أي بعد عمر الأربعين تقلّ فعالية الخلايا بالتدريج مع تقدم العمر وبالأخص في عمر الخمسين، أمّا بعد عمر الخمسين فتقلّ فعالية الخلايا بشكل ملحوظ، فضلاً عن بعض التغيرات الفلسفية، إذ تقلّ قوته البدنية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾^(٢) إلا أنَّ الإمام عليه السلام كان محافظاً على تكوينه المكين حتى ناهز الستين، أي أنَّ الإمام عليه السلام بقي بنفس القوة البدنية في شبابه وفي كهولته، ولا يوجد تفسير علمي لهذه

الحال، إلا أننا نقول إنَّ هنالك سرّاً ربانياً وعنايةً إلهيةً خاصّة في خلقه للإمام عليه السلام، فقد خلق الله تعالى له جينات وراثية تحمل هذه الصفات من القوة البدنية الهائلة التي لا توجد عند سائر البشر، لكي تكون القوة الضاربة ضدّ المشركين، لنشر الدعوة الإسلامية مع الرسول الأعظم محمد ﷺ، فضلاً عن أنَّ الإمام عليه السلام هو من ضمن الشجرة النبوية كما تؤيد ذلك الأحاديث النبوية بحق الإمام علي عليه السلام، ومنها:

١- أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنّه لا نبي بعدي^(٣).

وهذا مطابق للآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾^(٤).

٢- حديث النبي ﷺ مع الإمام علي عليه السلام عندما قال له: (لحمك لحمي ودمك دمي، وأن الإيمان مخالط لحمك ودمك، كما خالط الإيمان لحمي ودمي)^(٥)، وكيف لا وهو ابن عم الرسول. وهذا هو أحد الأسرار للقوة البدنية العظيمة للإمام علي عليه السلام

١- سورة الاحقاف: الآية ١٥.

٢- سورة الروم: الآية ٥٤

٣- الشيخ الصدوق، الامالي، ص ٤٩١، المجلس ٦٣، ح ١٠؛ الشيخ الطوسي، الامالي، ص ٢٥٣.

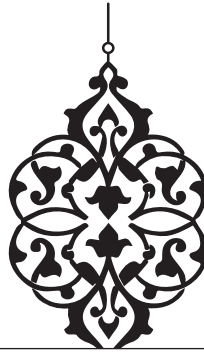
٤- سورة طه: ٢٩-٣٢

٥- الامالي، الشيخ الصدوق، ص ١٥٧.

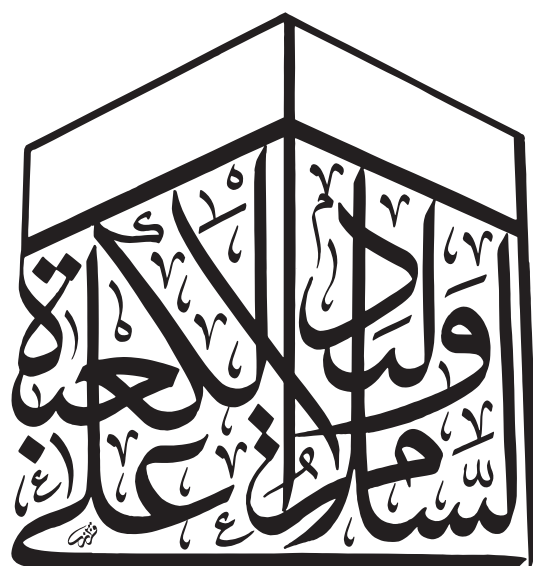


فضلاً عن ترفّعه عن ملذات الحياة بقوله: (يا دنيا غرّي غيري). وأنّ الله تعالى يرسل الأنبياء والرّسل مبشرين ومنذرين لنشر تعاليم الأديان السماوية على البشر، ولكي يتمّ ذلك هناك حاجة ماسة وضرورية لوجود قوّة فاعلة وضاربة لدعم نشر هذه الدعوة كما شبهه النبي بهارون من موسى، وهذه القوّة الضاربة ليست بعيدة عن شجرة النبوّة، كما ورد في الحديث النبوي الشريف: (أنا وعلي من شجرة واحدة وسائر الخلق من شجرٍ شتى) ^(١)، وكيف لا وهو ابن عم النبي؛ لأنّ نسب النبي ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف،

والإمام علي هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فضلاً عن أنّ والدته الإمام هي فاطمة بنت أسد بنت هاشم بنت عبد مناف (هي أيضاً من شجرة النبوّة)؛ لذلك يكون من الواضح أنّ الإمام علي هو من الشجرة النبوّة، وأنّ الله سبحانه وتعالى يختار الأنبياء لنشر الأديان السماوية ومنها الدين الإسلامي مع خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ، واختار وصيه الإمام علي عليه السلام قوّة ضاربةً لأعداء الدعوة الإسلامية، ومن الشجرة النبوّة نفسها.



ابواب المعرفة



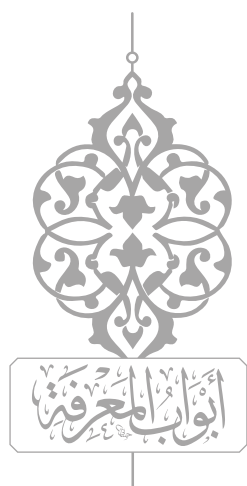


الحجاج البلاغي في أقوال الإمام علي عليه السلام وخطبه

(دراسة في ضوء البلاغة الجديدة)

د. نضال السلطان







لا يُمكن للغايات أن تتحقق، وأن نصل إليها ما لم يقترن ذلك بوجود منظومة حجاجية، وتأسيس منطق للإقناع بلغة ذات إحاء وأبعاد بلاغية جمالية، وإشاعة المعنى وإضاءة الأهداف، وينطبق هذا الفهم على المقاصد بمختلف معانيها وحجمها وتأثيرها سواء أكانت مطالب صغيرة أم استراتيجيات عميقة وواسعة الدلالة، فالجهد السلوكي وتغيير الحياة والقيم وحرية المجتمع لا يمكن تحقيقها ما لم يؤسس لإرادة التعبير والتغيير لأُسُس ووسائل وجماليات معرفية لتكون دافعاً ومحفزاً على الفعل والعمل الناتج عن الإيمان والقناعة والوعي، وعلى وفق هذا التوجّه تتجلى أهمية النسق المعرفي لمنطق التحاور والإقناع وخلق بنية تواصلية غايتها تحويل الأفكار إلى المضامين والرؤى والآراء ووجهات النظر من أجل خلق نسق إقناعي مؤثر في النفوس والعقول.

إن أي فكرة أو موضوع أو توجّه ما لم يؤطر بمنطق بياني إقناعي لا يكتسب أية قيمة، ولا يحظى بأي تأثير فعلي، وطبقاً لهذا المفهوم تأتي الأهمية القصوى لتطويع الخطاب وبثّه في أقوال الإمام علي عليه السلام وخطبه، وتصديره عن طريق استثمار جماليات الإقناع البلاغي، وتحشيد الأفكار على وفق إرسالية تركز على

فنون البلاغة وأساليبها، وتحويلها إلى منظومة تجمع بين جمالية التعبير وعمق المضمون ورسائله، فإن أي موضوع أو مضمون أو فكر أو نظرية أو أحكام تحتاج إلى أسلوب يسوّج وجودها ويكشف عن ضرورتها ويحمل وقعها ودلالاتها، حتى يمكن القول -مجازاً- بأنّ المهم ليس ما نقوله، بل كيف تؤثر وتقنع، بل كيف تقول؟ فالكيفية أو الشكل الذي تطرح فيه الموضوعات والغايات، هو الجانب العملي المؤثر.

لا يُمكن الكشف عن قوّة الموضوعات والغايات وقيمتها إلا عن طريق الصورة الموحية أو الشكل الجمالي في التعبير، والمقترن بوجود أدلة وإشارات ورؤى تمثل -بحد ذاتها- مضموناً آخر يعزّز وحدة الفكرة بين دلالتها ومقاصدها، وبين الشكل التعبيري الذي يطرحها ويحيلها إلى قيم إقناعية حجاجية تداولية مؤثرة، وإن أية دراسة مستفيضة وشاملة ومعاينة استكشافية في تاريخ الفكر الإنساني تكشف عن عناية الإنسان بإيجاد منطق وأساليب لسانية ذات سمة بلاغية واستثمار اللغة وأساليبها وعلاماتها لخلق مساحة من تأطير الأفكار وتصديرها، ولا بدّ لكلّ مسعى أو نظرية أو حركة لبناء الحياة والابتكار والإصلاح أن



متعطف تاريخي، وهو النسق الذي تحترفه الشخصيات المنتجة والمؤثرة والمبتكرة في مجمل تاريخ الإنسان، والفكر وصيرورة الجدل المنتج، وإذا ما بحثنا عن ظاهرة بهذا المستوى من الأهمية والعمق، فإننا نجد النسق الحجاجي الإقناعي عند الإمام علي عليه السلام بوصفه أنموذجاً دالاً ومشعاً ومكتسباً لكل اشتراطات المنطق والصياغة البلاغية الجمالية الفاعلة، وتوظيف صورها وأساليبها وفنونها وصولاً إلى أداء جمالي يستنفر العقول والأذهان والأسماء بعذوبة مفرداته وخلاصاته الذهنية والإشارية.

تنوج باستحضار الجانب البرهاني الذي من شأنه تحويل القيم إلى بنية منطقية تستمد ضرورتها عن طريق الكشف عن أهميتها وارتباطها بالفعل القادر على بناء ما تسعى إليه التوجهات الإنسانية على مستوى الأفراد والجماعات، وإنّ هناك صورة أنموذجية تسعى إليها الحياة بكل حراكها، وهناك فلاسفة الحوار اليومي المتصل بحياة الإنسان ووجوده وكيونته وحرية مثل سقراط، وهناك السفسطائيون الذي يتركزون حول الجدل والسعي إلى التلاعب باللغة والأفكار إلى أقصى مساحات الجدل والتأويل، وهؤلاء وأمثالهم أسرفوا في التطرف لفكرة التحوّل والجدل لذاته، لكنّ الفهم الموضوعي لكل أنواع الثقافت يسعى إلى تأسيس بنية إقناعية مبنية على الحجاج منتجة ومحرضة على سلوك إنساني ورؤى متقدمة.

تصبح اللغة - بوصفها بيت الكينونة - كما وصفها (مارتن هايدجر)؛ هي الفضاء الذي يُستثمر ليس لتسويق الموضوعات والايديولوجيات والنظريات الفلسفية وتصديرها ودفعها، بل إنها تتحوّل إلى حاضنة منتجة للنسق الدلالي الحجاجي؛ فالخطاب الإقناعي وفن تأطير الفكر هو الأساس الفاعل الذي تقوم عليه أية فلسفة أو حركة أو ثورة أو أي



الحجاج البلاغي ودوره في البلاغة الجديدة

عند (باختين)^(٤).

يُعدّ القاسم المشترك بين التداوليّة والأفعال الكلاميّة هو ارتباطهما بالحجاج اللغوي في أن كليهما يعتمد المتكلم وطريقة استعماله للغة التي تمتلك قوة تأثيرها في المتلقي بعدهما المرجعيّة الأساسيّة له؛ فالحجاج يشترك بهذه الصفات معهما، ويتكئ أيضاً على أفضية التناص المستند للحوار الذي يسعى في سياقه نحو تدعيم حجته وتقويتها بالأدلة التي تستدعي مناصات متعددة تكون ملائمة لمقام القول، ويستند الخطاب الحجاجي عند (ديكرو) إلى ملفوظين على الأقل يقوم أحدهما بتعزيز الآخر واسناده، فالملفوظ الأول يسمّى (الحجة) وإذا تعددت الحجج بداخلها فتسمى بالفئة الحجاجيّة، أمّا الملفوظ الثاني فيسمى (النتيجة) التي نحصل عليها عندما تكون الحجة فاعلة وقوية^(٥)؛ فالحجاج يستهدف إقناع الآخر بالنتيجة المطلوبة.

يُعرف الحجاج على أنّه نمط من أنماط النصوص يُستعمل لتعزيز قبول معتقدات معينة أو أفكار محددة وتقييمها بوصفها صحيحة لا خاطئة، إيجابية لا سلبية^(١)، فهو يجري مجرى حمل المتلقي على الإذعان للحجج المنطقيّة القوية، ويتحقق عبر «دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة الأذهان أو زيادة تعلقها بالأطروحات التي تعرض من أجل أن تقبلها»^(٢)، ولا يحدث هذا التقبّل إلّا في سياق الإقناع، ويُعد الحجاج جهداً إقناعيّاً (تأثيريّاً)، وصار البعد الحجاجي جوهريّاً في الاستعمال اللغوي؛ لكون المتكلم يطمح بأن يكون خطابه فاعلاً^(٣)، وهو ما استند إليه (ديكرو) في سياق تحديد المرجعيّات الأساسيّة التي تكمن في لسانيات التلفّظ التداولي عند (إيميل بينسيت)، ولا سيما في بناء الحجاج اللغوي ونظريّة أفعال الكلام عند (اوستن) ومفهوم الحواريّة

١- ينظر: Beau grand, Rand Dresser. (1981) Introduction to Text linguistics, London: long man:184

٢- تاريخ نظريات الحجاج، (فيليب بروتون جيل بوتيه)، ترجمة: د. محمد صالح ناصي الغامدي، مركز النشر العلمي / جامعة الملك عبد العزيز، ط ٢٠١١، ٤٢: ٤٢.

٣- ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي ضمن كتاب (الحجاج، مفهومه ومجالاته) دراسات نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة ١/ ٦٢٤-٦٢٥.

٤- ينظر: التحليل الحجاجي للخطاب، تقديم (د. سعيد العوادي، د. أحمد قادم)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط ٢٠١٦: ٣٧، ١.

٥- ينظر: المصدر نفسه: ٣٧-٣٨.





يشير البعد المهاري إلى أن البلاغة ليست معرفة نظريّة فحسب، بل مهاريّة أيضًا؛ هدفها إكساب دارسيها مهارات متنوعة تشمل مهارات إنتاج الكلام البليغ، ومهارات تحليله وتلقيه، والاستجابة له، ويلقي هذا التصوّر للبلاغة بظلاله على جميع مناحي تدريسها...»^(٢).

استثمر الحجاج بشكل أوسع في البلاغة الجديدة؛ لأنّ أرضية الخطاب مهياة لهذا النوع من الحجاج، فعبارة البلاغة الحجاجيّة بالخطاب جعله نصّاً منفتحاً وخلاقاً يعتمد في بناء مشروعيته وجهة النظر المُعبر عنها على وفق كفاءة المستمعين، وعلى إلغاء الخطابات المنافسة لإلغاء حجاجيّاً^(٣).

ويسعى هذا الأسلوب إلى اعتماد التحوّل أساساً للنقاشات التي ستكون أكثر معرفةً ونفعاً مع الحجاج، ويكون الحجاج البلاغي أكثر فاعلية وتأثيراً مع من يمتلك ثقافة معرفيّة تهيئ له فرصة تقبّل الحجج المنطقيّة الإيجابية التي تسعى نحو تدعيم الحوار وزيادة فاعليته بين

لقد صار الإقناع حاجة ملحة تطلبها كلّ عمليّة فكريّة سواء أكانت هذه الحاجة فكرة أم مقالة أم حركة^(١)؛ وتكون الحاجة له أشدّ إلحاحاً مع تطوّر الحياة الالكترونية التي تجلت في الممارسات الكتانيّة لسهولة انتشار الكتب الكترونيّاً ومواكبتها، فأخذ الإنسان يتطلع إلى التعبير عن رأيه ويقنع الآخر به، بغض النظر عن مخزونه الثقافي والمعرفي، وهذا التعبير يتطلب حججاً إقناعيّة يجب أن يلمّ بها الكاتب أو المتكلم وتدخل عند البلاغيين في ضمن مشروع التجديد البلاغي، الذي تقوم فلسفته على «أنّ علم البلاغة علم حياتي عملي ثقافي مهاري، يعني كونه علماً حياتياً أنّه وثيق الصلة بالحياة، يؤثر فيها ويتأثر بها، أمّا كونه عملياً فيشير إلى أنّه يوظف لإنجاز أغراض عمليّة في مناحي شتى في التواصل الشخصي أو المؤسسي أو الجماهيري... وكون البلاغة ثقافيّة تعني أنّها متأثرة على نحو جذري بالخصوصيات الثقافيّة للمجتمعات التي تنشأ فيها، وأنها من ثمّ متنوعة ومتباينة قدر تباين هذه الثقافات وتنوعها، وأخيراً

١- ينظر: مفهوم الحجاج عند بيرمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الأمين، (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت، مج ٢٨، ع يناير/ مارس (٢٠٠٠): ٥٧.

٢- البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات)، د. عماد عبد اللطيف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ط ١: ٥١٤.

٣- ينظر: معجم تحليل الخطاب، إشراف/ باتريك شاردو ودومينيك منغنو، ترجمة/ عبد القادر المهيري وحمادي حمود، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة - تونس ٢٠٠٨: ٤١٨.



الباث والمتلقي وصولاً للإقناع، فضلاً عن تمييزها من الحجاج السلبي؛ لذا تتنوع الحجج المتوافرة لدى الباث بحسب ثقافة المتلقي وطرق إقناعه «ويرى بيرلمان أن هذه المسألة في الحجاج كانت مفقودة لدى البلاغيين القدماء، فهم لا يفصلون بين تشكّل الأفكار وانتقالها»^(١)؛ فالفرق مختلف بين تشكّل الأفكار إلى مصطلحات تجسدها وانتقالها إلى المتلقين بحسب تنوع مقاماتهم الفكرية والاستيعابية، وهذا أمر مهم يجب مراعاته ممن يتبنون أسلوب الحجاج.

أداة لبناء أرضية مشتركة بين الثقافات والحضارات، والبلاغة عبر الثقافات، وأداة فهم تاريخ الإنسان وخصوصيات الأمم والشعوب بفضل ما تنجزه البلاغة المقارنة، وأداة لفهم وظائف العلامات المرئية في إنجاز الإقناع والتأثير في زمن الصورة بفضل ما تنجزه البلاغة المرئية، وأداة لنقد خطابات الهيمنة والتلاعب بفضل ما تنجزه المقاربة النقدية... وغيرها، ولعلّ في استعادة الوظائف العملية للبلاغة الجديدة برهاناً جديداً على حيويتها وضرورتها»^(٣).

أكد بيرلمان في الحجاج البلاغي ضرورة «أخذ المتلقي وظروفه النفسية والاجتماعية بعين الاعتبار من أجل تحقيق حجاج فعال، علماً أنّ الخطاب الموجّه إلى متلقٍ خاصّ يهدف إلى الإقناع، في حين يهدف الخطاب الموجّه إلى المتلقي الكوني (العام) إلى الاقتناع، والفرق بين الإقناع الذي يخاطب الخيال والعاطفة، والاقتناع الذي يخاطب العقل»^(٢).

جاءت البلاغة الجديدة بعد نظرة علمية ودراسات رصينة حاولت أن تجعلها فاعلة ومؤثرة في الدرس النقدي والبلاغي «ويستعمل تعريف البلاغة الجديدة وصفاً لمنجز معرفي هائل، يمتدّ عبر عقود طويلة، أسهم في إنجازه مئات الباحثين متنوعو المشارب والثقافات، إذ يوصف بالبلاغة الجديدة حشد كبير من التوجهات البلاغية، أصبح يشكّل حقولاً معرفية فرعية في إطار علم البلاغة، مثل البلاغة المقارنة، والبلاغة

سعى بعض نقاد البلاغة باتجاه «استعادة الوجه العملي للبلاغة، فهي

١- البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات)، د. عماد عبد اللطيف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط ٢٠٢٠: ٢١٨.

٢- Perelman L L'empire de la Rhétorique et de l'Argumentation Opacity P:23-31 نقلاً من كتاب الحجاج وتحليل الخطاب، تنسيق: د. رشيد شجاع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط ١٧: ٢٠١٧.

٣- البلاغة العربية الجديدة: ٥٢٤.



الرقميّة، والبلاغة الإدراكيّة، وبلاغة المرئي والبلاغة الفاحصة، والبلاغة عبر الثقافات، والبلاغة النقديّة، وبلاغة الجمهور وغيرها^(١).

يتّجه بعضُ البلاغيين ومنهم الدكتور (عماد عبد اللطيف) نحو «اقتراح تأسيس توجّه جديد للبلاغة العربيّة يتجاوز مشكلات التوجّهات القائمة والمتمثلة بشكل أساسي في عدم اكترائها بالخطابات البلاغيّة في الحياة اليوميّة أو تحولها إلى ممارسة سلطوية تُعزز من سيطرة المتكلم وهيمنته على المخاطب، وقد أطلق على هذا التوجّه اسم (بلاغة المخاطب) وسوف تكون مادته هي الخطابات البلاغيّة الجماهيريّة وموضوعه دراسة الكيفيّة التي تستعمل بها هذه الخطابات اللغويّة لتحقيق الإقناع والتأثير، وأثر ذلك في تشكيل استجابة المخاطب، وإمكانيات تعديلها وتكييفها، وصولاً إلى تحقيق اتصال حُرّ بمفهوم (ها برماس)^(٢).

إنّ البلاغة الجديدة بحسب رأي الدكتور (عماد عبد اللطيف) هي ذلك

العِلْم الذي «يقوم بتحديد مهارات إنتاج الخطاب غير السلطوي ويمرن على مقاومته، ويعرف المتكلم البليغ بأنه من يقوم بإنتاج خطاب غير سلطوي، والمخاطب البليغ بأنه من يقوم بإنتاج استجابات بليغة، أي مقاومة للخطاب السلطوي...»^(٣). وهذا يتطلّب وعياً لدى المتلقي، كي يكون مشاركاً في إنتاج النص إذ «إنّ الطريقة الأساسيّة - وربما الوحيدة- لتعرية هذا الخطاب وكشف سلطويته حال غياب خطابات تعارضه وتتصارع معه، هو اكتساب القدرة على تمييز الخطاب السلطوي والوعوي بالوسائل اللغويّة التي يستعملها لتفعيل سلطويته والاستجابات الفعّالة التي يستطيع المخاطب بواسطتها مقاومته، هذا ما تحاول بلاغة المخاطب القيام به»^(٤)، فالارتباط بين «البلاغة والسلطة يفسّر أولاً حرص الأنظمة الدكتاتورية على السيطرة على الخطابات البلاغيّة الجماهيرية عن طريق السيطرة على وسائل الاتصال الحاملة للخطاب البلاغي واجهاض البلاغات الخطابيّة المعارضة عبر القمع المادي بوسائله المختلفة والتحكم في

١- البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات)، د. عماد عبد اللطيف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ط ٢٠٢٠، ١-١٤٤١: ٢-المصدر نفسه: ٣٠١. ٣-المصدر نفسه: ٣٠٦. ٤-المصدر نفسه: ٣١٣.



عقول الجماهير بوساطة خطابات بلاغية سلطوية تمارس بفعالية عمليات التضليل والخداع، كما يفسّر ثانيًا أطّراد العلاقة في بعض الحالات بين امتلاك السلطة لخطاب بلاغي فعّال وقدرتها في السيطرة على الجماهير من ناحية، واتجاهها ضد مصالح الجماهير من ناحية أخرى، وثالثًا يفسّر ذلك الصراع^(١).

عدّ (باتريك شاردو) أنّ «الخطاب مَهْمًا كانت طبيعته لا يتضمّن الحجاج من تلقاء ذاته، أي باعتباره ملازمًا له، فهو لا يمتلك بُعدًا حجاجيًا إلا انطلاقًا من قصدتنا نحن وباعتبار الهدف الذي نرسمه له، وبهذا يكون نمط صياغة الخطاب هو المتحكم فيما سيؤول إليه الخطاب في النهاية»^(٢)؛ هنا تحرك القصدية أبعاد الخطاب وتُعطيّه بُعدًا حجاجيًا بحسب الباحث وقصديته.

بتبريرات في الحالة المعاكسة^(٣)، «والحجج والآراء بحسب المعنى الذي أضفاه عليها (غويتي) لها نفس الطبيعة التداوليّة... ومن ثمّ فهي ليست ملفوظات حتى وإن احتاجت في التعبير عن نفسها إلى ألفاظ، بل هي مجرد وظائف يمارسها فاعل، هو في حقيقة الأمر من يدي بآراء ويحاجج عليها ولا يفضّل للأقوال والألفاظ إلا وظيفة التعبير عن هذه الحجج والآراء، تمامًا مثلما تسمح الأقوال والألفاظ بالتعبير عن أعمال اللغة لدى سيرل»^(٤).

يرتبط المستوى التداولي بقصدية المتكلم وظروف الخطاب أو المقام واستعمال اللغة، كما لا تشير الخاصيّة الاستعماليّة للغة، بل إخراج اللغة التداوليّة من القوة إلى الفعل، لكن تعني مع ذلك استعمال كلّ الآليات المنطقيّة والبلاغيّة التي تصحب الاستعمال التداولي بسبب أفراد المجتمع.

أقام (غويتي) «حدودًا فاصلةً بين الحجّة والرأي من أن الحجّة تستوجب ضرورة تلازم فعلين اثنين: القضية والمبرر، وبعدّ حضورهما معًا جوهر الخبيصة التفاعليّة في العمليّة الحجاجيّة»^(٥)؛ فالحجّة

يحملُ الحجاجُ البلاغيّ قضية «موجهة نحو طرف ثانٍ حاضر في الخطاب واقعيًا أو افتراضيًا، وتأتي عارية من كلّ تبرير يسندها حين لا يكون لدى المدعي نية إقناع الآخر أو التأثير فيه، وتأتي مسندة ومعززة

١- البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات): ٣١٥.

٢- الحجاج وتحليل الخطاب د. رشيد شجيع، عالم الكتب الحديث، أربد - الأردن، ط ١٧، ٢٠١٧: ٩٦.

٣- المصدر نفسه: ١٠٠.

٤- المصدر نفسه: ١٠٤.

٥- الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٣١٨.



ضرورة لتغيير قناعة المتلقي من ثم يأتي دور الرأي الذي يحمله الباث للتأثير في المتلقي بشكل إيجابي فاعل والذي تتولى زمامه الحجاج الممهدة للرأي.

وفي موضع آخر «يقيم (غويتي) تماثلاً بين الحجاج والآراء... وبين الأعمال اللغوية كما حددها (جون سيروول)، فحسب هذا الأخير عندما نتكلم فنحن ننجز أعمالاً على غرار الوعد، الأمر، الاثبات والشكر وغيرها، ولا تختزل أعمال اللغة هذه في الملفوظات التي تسمح بتحقيقها بقدر ماهي وحدات منطقية تضاهي الحجاج والآراء... بيد أن طريقة تحققها وإنجازها تجعلها من طبيعة تداولية في الأساس، فهي كما تدلّ على ذلك تسميتها، تمثل فعلاً أو عملاً يتم تنفيذه من قبل فاعل معين، إذ المتكلم هو الذي ينجز فعل الوعد، فعل الأمر والاثبات والنفي، وما الأقوال والملفوظات التي يستعملها إلاّ حوامل لتحقيق الفاعل لهذه الأعمال»^(١)

وصف (شاردو ومنغنو) عمل بيرلمان وتيتيكا بأنّه «ردّ اعتبار للحجاج لاسيما بعد أن فقد التصور القديم للخطابة، إذ كان

الحجاج يمثل العمود الفقري له، وصياغة نظرية حجاجية يعني من وجهة نظرهما وصف الخطاب الحجاجي من الداخل عن طريق أشكال البنية ومن الخارج بوساطة أثره المباشر الذي هو الإقناع»^(٢)؛ فالحجاج هو اتحاد للشكل والمضمون بشكل يطغى عليه الأثر الإقناعي على المتلقي، في الحجاج البلاغي لم يفصل (بيرلمان وتيتيكا) بين الشكل والمضمون أي هنالك اتحاد بين بنية الكلام والمعنى الذي يحمل تأثيراً بوساطة الحجاج؛ فلا يمكن دراسة البنى الأسلوبية منفصلة عن أهدافها الحجاجية فحتى ما ينشأ في الخطاب من تناغم وإيقاع وغير ذلك من الظواهر الشكلية المحضة يمكن أن يكون له تأثير حجاجي من خلال ما يتولّد عنه من إعجاب ومرح وانسباط وحماس لدى جمهور السامعين^(٣)، وبذلك تغدّى الحجاج من التداولية ومنطق الإقناع فضلاً عن البلاغة بأساليبها الموحية والمنفتحة الدلالة.

إنّ تأثير الحجاج البلاغي أدّى دوره الفاعل في البلاغة الجديدة في سياق البلاغة

١- الحجاج وتحليل الخطاب، رشيد شجيع، ص ١٠٣.

٢- البلاغة الجديدة (دراسة في الثقافات المؤسسة)، وليد فرحان، دراسات أدبية، منشورات آداب المستنصرية ٢، ط ١، ٢٠١٢: ٢٠١٨-٢٠١٣.

٣- ينظر: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف/ حمادي حمود: ٣١٧.



الإقناعية التي تعتمد على سيمائية الصورة المرئية لما تتميز به من قدرة على تثبيتها في ذهن المتلقي بالشكل الذي تعد في سياقها أكثر التصاقاً وتأثيراً من المادة المقروءة وقابليتها على الرسوخ في الأذهان أكثر ثباتاً؛ لأنَّ الصورة الحجاجية البلاغية أكثر تأثيراً وثباتاً في أذهان المتلقين من الصور الحجاجية التي لا تتميز ببعدها البلاغي، إذ تتميز بقدرتها على البقاء مطبوعة في الأذهان لفترات أطول، وتخلق تلك الصور استجابات بليغة تكون ردة فعلها حاسمة التأثير في المتلقي.

إنَّ دراسة أقوال الإمام علي عليه السلام وخطبه ووصاياه ورسائله تكشف عن أداء رفيع في استثمار اللغة وأساليب التعبير البلاغي وفنونه، وبتأطير الغايات والأهداف مما يجعلها قريبة وبتماس مؤثر وهو يوظف التشبيه والجناس والاستعارة والكنية والطباق؛ وإيجاد مساحة منتجة لثنائيات التضاد أي توظيف الفكرة أو الصورة والمضاد لها لتوضيح الحقائق وترسيم الغايات في خطاب الإمام (علي) الحجاجي القائم على ثنائية العقل البرهاني والبياني، بمعنى آخر أنه يؤكد العلم المقترن بجمال الأداء، ويكاد الأداء لا ينفصل عن المحتوى الإقناعي، وهذه الخصائص والتوصيفات هي التي جعلت

فكر الإمام علي عليه السلام وموروثه لا يتوقع في إطار فقهي ووصايا وعظية فحسب، بل انطلق إلى مديات أعمق وأوسع بما يشكّل إضافة وإسهاماً فكرياً وإنسانياً ينطوي على قيم رفيعة وتوجّهات ساطعة في مختلف ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وفي الحوار مع الآخر وعلم النفس وعلم الاجتماع والتفسير والأخلاق والمثل والحقوق وصراع الخير والشر والحق والباطل، ونجد الخصائص الأدبية والبلاغية تتضافر في نصوصه مع المنطق والدليل الحجاجي والفهم والتفهم والإقناع، مما يمنح موروثه القولي السلاسة والعذوبة و طاقة من التأثير والتداولية، وديمومة وخلود للقيم والدلالات.

إنَّ مزيّة الخطاب الحجاجي عند الإمام علي عليه السلام تكمن في التمرکز حول العقل والمعرفة وجعلها القوة الكامنة والمحركة لكل القيم والحراك الإنساني، ووجود منظومة تؤسس لمفاهيم حقيقية ومتوازنة وبما يجعلها حيّة ومرنة للتعاطي مع كلّ زمان ومكان؛ بسبب أن خطابه الحجاجي يستلهم المعطى والتوجّه الكوني؛ فالإنسان المتعالي والمثال بكل حيثياته هو كائن كوني، بل هو محور الكون، ملامح أو مؤشرات جوهر الخطاب الحجاجي عند



وتطبيقاته، لكن إشارة الإمام تُعدّ إشارة ريادة واستباقية في رسالته (لعبد الله بن عباس) لما بعثه لمحاججة الخوارج وإقناعهم بالعدول عن منطق العنف والتحريف حين قال له: «لا تُخاصِمهم بالقرآن؛ فإن القرآن حمّالٌ ذو وجوه تقول ويقولون، ولكن حاجِجهم بالسنة؛ فإنهم لن يجدوا عنها محيصة»^(١)، وعبارة (حمّالٌ ذو وجوه) استقراء لظاهرة الإعجاز في القرآن، وتعاطي المنطق القرآني والبيان الإعجازي لمرونة التأويل والبحث عن المعاني الخفية والكامنة؛ فالنص القرآني ولعظمة معجزته قابل للقراءة التأويلية شريطة ألاّ يستثمر التأويل لأغراض تصرف الأذهان عن المعنى الحقيقي، وإشارة الإمام علي عليه السلام شخّصت وبزمن مبكّر عن تحليل نبؤي استشرافي إلى هذه الظاهرة التي تم استثمارها وتوظيفها وقراءة النص القرآني بما يدعم الأهواء والتوجّهات البعيدة عن روح السور ومضامينها، وبهذا فهي قراءة أحادية ذات بعد غرضي واحد، والأهم في كلّ هذا هو اتقان الإمام لفنّ الحجاج والإقناع إلى الحدّ الذي لم يمارسه فحسب، إنّما يوجّه عامله لطرق المحاججة الناجحة في الإقناع، ودحض أفكار الآخرين لاسيما الخوارج الذين يعرفهم ويفهم منظومتهم

الإمام علي عليه السلام تتمثل بالخطب والوصايا والرسائل والأقوال، وكان أسلوب التواصل مع الآخر يتمثل بالرسائل بعدها وسيلة للتحاور والجدل وتصدير الخطاب للآخرين، إذ يؤمن بالرسائل بعدها وسيلة بلاغية وإبلاغية وفضاء للجدل والثقاف مع الآخر (المتفق أو المختلف)، وتستهدف رسائله للخوارج ومعاوية وشخصيات اختلف معها، إذ نجد عمق الخطاب وقوته ووسائل عرض الحقيقة، والعقل والدعوة إلى النباهة، والتروّي، والتذكير بالقيم السماوية والإنسانية، ولا تنطوي الرسائل على استثمار زمني، أو (براغماتية الموقف)، بل إنّها تسعى إلى منطق عقلاني وقيمي لفك الاشتباك في المعنى والتوجّه وعدم خلط الظواهر.

يتلخّص النسق الحجاجي بعناية الإمام علي عليه السلام بمنطق الحجاج البلاغي المعتمد على التحليل والتعمّن والتأمّل، وعدم التأثير بظاهر النص ويشير بذكاء ودلالة ساطعة إلى ظاهرة التأويل القرآني ودورها في توظيف ظاهر اللفظ إلى غايات التفسير واستثمارها لتكوين وجهة نظر، قد تكون بعيدة عن المعنى الحقيقي والمنهج التأويلي (الهرمونيطيقي) منهج حديث في تنظيراته



الفكرية والحجاجية.

خطبة الإمام علي عليه السلام التي يقول فيها: «أيها الناس، شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح، هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها أكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها، كالزارع بغير أرضه»^(١)، نجد فيها خطاباً مغايراً ونهجاً في اختيار المعاني والصور، والحض على أن يكون الإنسان حقيقياً بلا زيف أو زلل، ووظف الإمام عليه السلام أسلوب التحذير في أسلوبه الحجاجي، ليس بصيغة الأمر بل بصيغة النصيح والتسديد والكشف عن بواطن الأمور عبر سلسلة من المتواليات الاستعارية والتشبيهات والإشارات الدالة، ونجد الصور تميل إلى التجسيد العياني المحسوس، (شقّوا)؛ التي تعمق المعنى وتوسّعه عبر الصيغ البلاغية كالتشبيه والاستعارة والإحالات على وفق منطق إقناعي مثل (الآخر)، وهو غير مستساغ، ويتوّج المعنى بأن الزيف يقود المرء إلى واقع غير منطقي وغير مسوّغ وكأنّه يزرع ثمراً في غير أرضه، هذا الخطاب العقلائي والبلاغي والمؤطر بالتحذير والنصح يتضمن فضاءً تتفاعل

فيه الثنائيات وتصوير النقيض تعميقاً للصورة الحقيقية المتوازنة والبلاغية.

إنّ الأسلوب التحذيري الذي يتّسم بالرفق والنصيحة هو أسلوب مؤثر، ويميل إلى استثمار الجانب (السيكولوجي) للإحساس بالعواقب، فإنّ النص يحيل إليها بوصفها نتائج، وهذا الاشتغال يوحى معبراً عن ثنائية السبب والنتيجة في الإقناع، فالمقدمات تنبئ عن النهايات وهو استقرار دال ومنطق يعتمد تقديم الواقع وبديله ولا يكتفي بالتحذير المجرد، إنما بما ينم عن خطورة الفتنة ووحشيتها وكيفية أدها بجهود الخيرين من الناس.

ونلاحظ الصور البلاغية والمعاني الدالة واللغة الموحية في إحدى خطبه التي يستهلها بصيغة النداء المؤثر باستعمال (أيها) ثم يخاطب الناس عبرها، وهذه الصيغة توحى باستقطاب الآخر، وجعل الاستهلال بداية تستدعي الانتباه، وتتبع الأفكار بقوله: «أيها الناس إنّنا قد أصبحنا في دهر عتود ورمن كنود يعدّ فيه المحسنُ مُسيئاً ويزداد الظالمُ فيه عتوّاً لا ننتفع بما علّمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتّى تحلّ بنا. والناس على أربعة أصنافٍ منهم من لا يَمْنَعُهُ الفسادُ في الأرض إلا مهانةً نفسه وكلاله حده





بعض السلوك والخيار الخاطيء لما حدثت النتائج والأحوال والانحراف، فهو خطاب عقلائي يحاجج به من يمتلك التفكير السليم والنباهة الكامنة بأسلوب تحشد فيه فنون البلاغة والايحاء، بأن ما حدث مرتبط بخيار توجه كل امرئ، «أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهْنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَعُمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ التَّيَهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا بِمَا خَلَفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ»^(٢)

تتوافر هذه الخطبة على خطاب حجاجي بلاغي رصين ينطوي على الجدل، ووضع الحقائق على وفق العيار الحقيقي، والخيار غير الحقيقي باستعمال (لو) كحرف امتناع لربط حال المتوقع وغير المتوقع؛ فالمنطق العقلائي يؤشر أن كل فعل يؤدي إلى نتيجة يحتملها المنطق وطبيعة التوجّه، فلولا الاستغراق في الزيف والباطل، والركون إلى التواكل السلبي وعدم النهوض والاستنهاض والمبادرة، والإمساك بالأمر وتسيير دفتها بغير جدارة وبغير استحقاق، ونجد الصورة البليغة بأن بني إسرائيل،

وَنَضِضُ وَفَرِهِ وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ وَالْمُغْلِنُ بِشْرَهُ وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ حُطَامٍ يَنْتَهَرُهُ»^(١)

هذه الخطبة الدالة والموجزة تلخص صفات الانحراف عن جادة العقل والحق والتمظهر بصورة الباطل والاستعلاء، وحشد مظاهر الكذب والزيف، ونجد جمال الصورة وبراعتها في وصفه للدهر والواقع الذي يعيشه الناس في زمن الفتن، والانكسار وتحوله إلى دهر عنود والزمن إلى زمن الغفلة، ولا يتنبه الإنسان إلا وقد وقعت المصيبة والنكبات بسبب الغفلة، والنظر إلى الواقع بمنظور التحسب العقلائي، ويدين منطق القوة الباطلة، فإن هذا المنطق واختيار العنف والاستقواء بالذات على الآخرين لا يقود إلى مجتمع متماسك، ويكون صاحب القوة أنموذجاً للعدمية، والاختيار الخاطيء، وهو إيجاء ضمني بأهمية العقل والحوار بدلاً من العنف والتسلط والفوضى والهيمنة المزيقة، ونلاحظ أسلوب الكشف (السيكولوجي) وتصوير من وقع ضحية ضعفه وتردده وانحسار فطنته، فتلك الصفات أو الصور التي تتواتر هي تجسيد للشخصية أو الذات القلقة، ولولا

١- نهج البلاغة شرح محمد عبده: ١/ ٧٣.

٢- المصدر نفسه: ٢/ ٩٦.



وهو إحياء بضائع الطريق وانحساره، والسير باتجاه المجهول، ومن يفارق عقله وتدابير شؤونه سيكون بلا دليل وبلا طريق، وبلا جدوى أو وجود حقيقي، وكم كانت الصورة (بما خلفتم الحق وراء ظهوركم)، وهي صورة استعارية بلاغية حجاجية تكشف عن تصرف غير متزن وبعيد عن الحكمة والاستقامة والتروى والإدراك في تكوين شخصية الإنسان وبما ينعكس على توجهاته ورهانه ومصيره، فكلُّ موكول إلى إعمال الفكر ومعاينة الظواهر، ونجد صورة لاستدعاء التفكير والتحريض على النباهة، والإفادة من تجارب الحياة حين يصف الغفلة، وعدم الاعتبار بجمل اختزالية تحيل إلى مساحة من التفكير بها كما في قوله: «مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الْإِعْتِبَارَ!»^(١)، ويمكن معاينة النسق الحجاجي والأداء البلاغي في جمع المتناقضات للكشف عن الصورة المرتجاة والفكرة المتعالية، فهناك استهلال يستقطب الأذهان وفيه مسحة أو دلالة تعجب (ما أكثر... ويقابلها (أقل الاعتبار)، والتقابل الحجاجي بين (العبر) و(الاعتبار) وهذا الجناس بين الفكرتين عمق الفكرة والدلالة، وقدم صورة مختزلة لفكرة كبيرة، وهي تحريض على

هناك مقولات للإمام أو أقوال قصيرة دالة تقترب من أسلوب الإيجاز والفصاحة التي تعتمد على أقل الألفاظ والمفردات لكنها تكشف وتشير إلى معانٍ وصور تثير الأذهان، وتكشف عن عوامل منتجة للتساؤل والتمعن فيها، منها: «النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَلَا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ»^(٢)، فهل هناك صورة بلاغية إقناعية مؤثرة ذات نزعة حجاجية مثل هذه المقولة المختزلة لفكرة عميقة، واستشرافيه، وتذكير بحقيقة علمية وواقعية ومنطقية، وهي الإشارة إلى علاقة الابن بأمه، فأنه منقاد إليها وكذلك الدنيا للإنسان، والنص فيه حجاج علمي و(سيكولوجي) عن طبيعة الميل الطبيعي والحتمي للدنيا، فكيف إذا كانت الأم هي الدنيا بكل أهوائها ومنزلقاتها وزيفها ورغباتها المستعرة؟!.

ونلاحظ اقتران التشبيه بالحقيقة العلمية

١- نهج البلاغة شرح محمد عبده ٣/ ٢٢٥.

٢- نهج البلاغة شرح محمد عبده ٣/ ٢٢٦.



ونجد أسلوباً حجاجياً عند وصيته
لمالك الأشتر فيه الحجة والدليل
والاستشراف والفهم والإقناع بقوله:
«وَأَلْصَقَ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدِيقِ ثُمَّ رُضُّهُمْ
-عَوْدَهُمْ- عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ
بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ
الزَّهْوَ وَتُذْنِي مِنَ الْعِزَّةِ وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ
وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ»^(٣)، فلا ينبغي
لالحاكم أن يصيبه الغرور وتضخم الأنا،
بسبب المديح الزائف، فهو قائم بفعله
أساساً على إقامة المساواة والعدل بين
الرعية من دون ميل أو تأثر، والتقرب من
أهل العلم والتقوى هو دليل حجاجي
على أنهم بعيدون عن الإطراء والميل
والخدعة فإنَّ العقل والدين يعصمان
الإنسان أن يسلم مثل هذا السلوك.

ونلاحظ مظاهر الخطاب الحجاجي حين
جمع الإمام الناس وحضهم على الجهاد
فسكتوا ملياً فقال: «أَمْحُرسُونَ أَنْتُمْ، فَقَالَ
قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا
مَعَكَ فَقَالَ ﷺ مَا بِالْكُمْ لَا سُدَّدْتُمْ لِرُشْدٍ
وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ
أَخْرُجَ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ يَمُنُّ
أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ وَلَا
يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدْعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَيَبْتَ الْمَالَ

والمنطق الموضوعي وينفتح النص على
تأويل الفكرة والتحريض الذهني ويخرج
باتجاه الحكمة والاستدلال الأخلاقي
والإنساني فمن يترك الدنيا سينال العالم
الآخر بالاقتراب من قيم أخرى، ونجد
منطق الثنائية ومقارنة النقيض للنقيض هو
المنطق والاستقراء الحجاجي الذي غالباً ما
تكشف عنه مثل هذه النصوص في خطب
الإمام علي وأقواله ووصياه ومن ذلك قوله
الذي يؤكد أهمية المنطق والتحاور وتأثير
الكلام «رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ»^(١)،
فالصرع ليس صراعاً في جانبه المادي،
بل إنَّ الصراع الحقيقي هو صراع الفكرة
وصراع الخطابات، والتوجهات؛ لذا فإنَّ
الفكر واللغة ومنطق القول، هو الصولة
التي تثمر، وتحسم كثيراً، وكم منتصر
لكنه مهزوم بفكره.

ونلاحظ النفحة أو المسحة البلاغية في
قوله: «مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ»^(٢)، فإنه
يقدم حجاجاً بلاغياً مؤثراً عن طبيعة
الصراع، وكشف عن قوة الحق بصياغة
فيها التجانس اللفظي بين (صارع)
(و(صرع)، وهو تحريض على المعاناة بوعي
وترو إلى الحقائق من دون استخفاف أو
زلل.

١- المصدر نفسه: ٢٤٨.

٢- المصدر نفسه: ٣/ ٢٥١.

٣- المصدر نفسه: ١/ ٦٣.



وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»^(١)، وهذا منطق حجاجي فيه حصافة وبرهان للفصل بين مهمة القائد ودوره وواجب الرعاية.

ونجد عمق الحجاج الخطابي القائم على الجدل واستقامة النظر ودقة الحكم على المواقف، وكيف وصف الأمر ببلاغة اللفظ وعمق المعنى، حين سمع من يسعى إلى سبّه والتعريض به، وتوجه لأصحابه بهذا النسق من الفهم، وإشاعة الاقتناع وتقييم ما حدث واستجلاء الأمر، وفي نظرة استشرافية يقول: «أَمَّا إِنَّهُ سَيُظْهِرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْذَحِقُ الْبُطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ فَأَقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ إِلَّا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّءُوا مِنِّي فَإِنِّي وَلَدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ»^(٢)، والمتأمل لهذه الخطبة يجد فيها سياقاً مؤثراً استشرافاً لما ستؤول إليه الأمور ونفحة حوارية قائمة على تحديد منطقي وتبصير دقيق، لقد أعطى لكل شيء أو طرف حقه وقوة الحجّة وصلت به أن يأمرهم ب(سبّه) فهو باب نجاة لهم

وزكاة له، لكنّه استدرك برويّة وبنظرة إنسانية، والاحتكام إلى الحق والحقيقة، فنهاهم عن البراءة منه، وساق الحجج والموانع، فهو سابق في إيمانه وسابق في هجرته إلى الحق والحقيقة، والتجاوز على هذه القيم ليس تجاوزاً عليه، بل هو تجاوز على القيم والأعراف والأخلاق الإيمانية فكان خطابه بليغاً في بلاغته واستدلالياً في التحدث عن القيم وليس عن اشخاص وشخصنة الجدل ومن قوة استبصاره كشفهم بأنهم لن يقتلوه أي (الرجل الذي سيولّي عليهم) فهو واثق مما يعتمل في دواخلهم وإعطائهم بهذا المنطق الحجاجي نقاط ضعفهم وقوتهم بمنظور موضوعي إشاري قلّ نظيره.

وحملت خطبه البلاغية رسائل توعوية تحذيرية من مزالق الحياة الدنيا وفتنتها الزائلة القصيرة والحث على تهذيب النفس، ففي وقوع الموت بعد فوات الأوان وانقضاء المدّة المحددة التي منحها الله تعالى لنا غصّة مؤلمة وعذاب كبير، كما في قوله: «قَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةَ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ، هِيَ هَاتَ هِيَ هَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِهَآ فَمَا

١- نهج البلاغة شرح محمد عبده: ٢٣٠/١ - ٢٣١.

٢- المصدر نفسه: ١٠١/١.



الإبل وعدوها بأنّها تشعر بغريزة القطيع المهزوم من دون تفكير أو ترو أو إدراك وكل واحدة تقلّد الأخرى فيصاب الجمع بعدوى الهرب، وترك المكان أو مورد الماء على ظمئها، مع أنّ الحياض يمثل وجودها وحياتها، وكم كانت براعة التشبيه بالإبل كونها تمتلك أجساداً وهيئة ضخمة مخيفة لكنها منهارة من الداخل، وهذا ما يصيب الرجال الرعايد الخائفين، والأجمل في كلّ ذلك لم يواجههم بالخطاب المباشر (التقريري)، إنّما أوحى إليهم بعدم رضاه عنهم، وصور وضعهم بما يجعلهم خجلين من هذه الحجج ذات المنحى البلاغي.

ونجد في نصوص أخرى توظيفاً للمحسنات اللفظية والمعنوية لأغراض إقناعية حجاجية تؤدي دوراً فاعلاً في تغيير قناعة المتلقي بحسب توجهات الخطاب ومضامينه، تتضافر في سياقه بلاغة الحجاج ومنطقيته بالشكل الذي تسهم بدور مؤثر في تغيير قناعة المتلقي لاسيما إذا كان المتكلم بليغاً يختار الأسلوب البلاغي الذي يتناسب مع إمكانات المتلقي وقناعاته وتوجهاته.

بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ»^(١).

تواجهنا البلاغة في الأداء والحجاج وقوة الإقناع، والتوصيف لبعض أصحابه، ممن تراجعوا في الحرب. «وَقَدْ رَأَيْتُ جَوَلْتَكُمْ وَانْجَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ مُحُوزُكُمْ الْجَفَاءُ الطَّغَامُ وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ وَأَنْتُمْ لَهَا مَيْمُ الْعَرَبِ وَيَافِيخُ الشَّرَفِ وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ وَالسِّنَانُ الْأَعْظَمُ وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوَحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتَكُمْ بِأَحْرَةٍ مُحُوزُكُمْ كَمَا حَازُوكُمْ وَتَزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ حَسّاً بِالنِّصَالِ وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ تَرْكَبُ أَوْلَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهَيْمِ الْمَطْرُودَةِ تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا وَتَذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا»^(٢).

نلاحظ أنّ النصّ حافلٌ بالتشبيهات، والاستعارات، والصور، والتوصيفات، لما اعترى القوم من ضعف وتردد، ونقص في الرجولة ووصف من يخاطبهم بأنهم يشبهون الإبل العطشى وهي تزاح عن حياضها ومورد شرايها من دون مقاومة وتصدّ باستخذاء مهين، ولعلّ صورة تفكك قطيع الإبل هي صورة غاية في البلاغة، بعد أن وظّف (كاف) التشبيه ببراعة ودلالة، ومما يُعرف عن حراك

١- نهج البلاغة شرح محمد عبده: ١٣/ ٨٩.

٢- المصدر نفسه: ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦.



يحمل النص السابق أشكالاً بلاغية متنوعة تكمن بعضها في الجوانب اللفظية مثل (الجناس) الذي يجمع بين معنيين هما (المكر والشر) في كلمتي (الحيلة والغيلة) المتقاربتين في اللفظ والمختلفتين في المعنى، أما الجوانب المعنوية فتجلت في كلمتي (أدبرت، أقبلت)، ونلاحظ أن هذا الحجاج المعنوي البلاغي يترك شحنات انفعالية في ذهن المتلقي ونفسه التواقية لجمال الكلمات؛ فحين تطرق كلمة (أقبلت) الموظفة لوصف كلمة (الغيلة) بمعنى (الشر) بما تحمله من معاني الإرادة المشحونة بالشر في مسامع المتلقي تحدث صحوه فكرية إقناعية تسهم في تغيير قناعات المتلقي نحو موجهات النص وغاياته، فضلاً عن توظيف التناص القرآني الذي أسهم في تكوين سيفساء من الأساليب الإقناعية المتعاضدة في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، بما يحمله من معاني مجازية وصور جمالية حملت بعداً كنائياً تجلّى في أنهم لا يستحقون البكاء عليهم ولا التأسف على ما آلت إليه أحوالهم، كذلك أدى أسلوب التكرار إلى ترسيخ الحجج المراد إقناع المتلقي بها، وكذلك عزز الحجج الإقناعية، وزاد من قوتها التأثيرية في أن فوات الأشياء لا يورث إلا

الندامة والتأسف غير المجدي.

وخلاصة لكل ما تقدّم في هذا البحث فإنّ خطاب الإمام علي عليه السلام بكل تجلياته وتمثلاته يكشف عن توجّه، لاستثمار منطق حجاجي بغلاف بلاغي قائم بالأساس على العقل والتدبر والمعاينة والقياس والتأمل، ولكن بتوظيف النسق البلاغي وجماليات الخطاب الإقناعي.



قائمة المصادر والمراجع:

الجديدة ١/ ٦٢٤-٦٢٥.

الحجاج وتحليل الخطاب/ د. رشيد شجاع، عالم الكتب الحديث، أربد / الأردن، ط ١٧، ٢٠١٧.

الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية (مقاربة تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، مؤسسة الانتشار العربي - نادي أبها الأدبي، ط ١، ٢٠١٣.

معجم تحليل الخطاب، إشراف/ باتريك شاردو ودومينيكا منغو، ترجمة/ عبد القادر المهيري وحمادي حمود، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة - تونس ٢٠٠٨: ٤١٨.

مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الأمين، (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت، مج ٢٨، ع يناير/ مارس (٢٠٠٠): ٥٧.

نهج البلاغة شرح محمد عبده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة - القاهرة (د.ت).

البلاغة الجديدة (دراسة في الثقافات المؤسسة)، وليد فرحان، دراسات أدبية، منشورات آداب المستنصرية ٢، ط ١، ٢٠١٨.

البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات)، د. عماد عبد اللطيف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ط ١.

تاريخ نظريات الحجاج، (فيليب بروتون جيل بوتيه)، ترجمة: د. محمد صالح ناصي الغامدي، مركز النشر العلمي/ جامعة الملك عبد العزيز، ط ١، ٢٠١١.

التحليل الحجاجي للخطاب، تقديم (د. سعيد العوادي، د. أحمد قادم)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٦.

الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف/ حمادي حمود: ٣١٧.

الحجاج والاستدلال الحجاجي ضمن كتاب (الحجاج، مفهومه ومجالاته) دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة



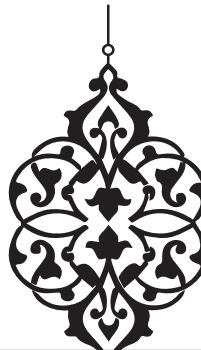


المراجع الأجنبية:

نقلا من البلاغة العربية الجديدة (مسارات ومقاربات)، د. عماد عبد اللطيف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ط ١.

Perelman L *empe Rhetorique et Argumentation Opacity* - نقلا من كتاب الحجاج وتحليل الخطاب، تنسيق: د. رشيد شجيع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط ١.

Beau grand. – Rand Dresser. (1981) *Introduction to Text linguistics*, London: long man: 184



نَفْسُ السَّلَامِ

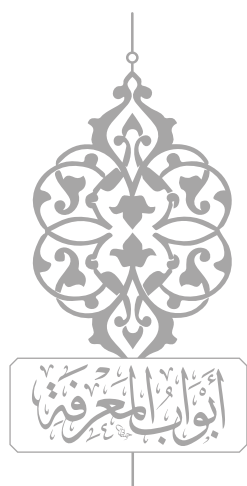
الولاية والخلافة والإمامة
في حديث الغدير
دراسة دلائية

أ. م. د. د. سحر ناجي فاضل المشهدي



الكلية التربوية المفتوحة - النجف الاشرف







الملخص:

يسعى بحثنا إلى دراسة هذه الخطبة في ضوء المفهوم الدلالي، فقد ضُمَّت بين أركانها معاني ترتكز على أُسس ومفاهيم دلالية تقاربت بين معنى (الولاية والإمامة والخلافة)، إلا أنَّ هنالك فروقاً دلالية تختص بكلّ لفظ، فقد ضمّ حديث الغدير ألفاظاً تدعو إلى وجوب المبايعة والولاء والنصرة لسيدنا وإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام.

إذ حمل الرسول العظيم تعاليم النص القرآني في التبليغ بما جاء عنه تعالى على لسان الوحي جبرائيل في قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».

وما ذلك التبليغ إلا لبيان منزلة إمامنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام من النبي محمد صلى الله عليه وآله، فهو منه بمنزلة هارون من موسى وهو الخليفة على الأمة من بعده، لقوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

وقد وجّه رسولنا العظيم الأمة الإسلامية أجمعها بوجوب اتباعه بلفظ

(معاشر الناس)، إذ تكرر هذا النداء في معظم الخطبة وهو خطاب عام؛ فالإمام عليه السلام ليس ملكاً للإسلام فحسب، بل هو قيمة إنسانية عالمية للعالم أجمعه.

قال رسولنا الكريم: «فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ ذَلِكَ فِيهِ وَافْهَمُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِمَاماً فَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَعَلَى الْبَادِي وَالْحَاضِرِ، وَعَلَى الْعَجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَعَلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَعَلَى كُلِّ مُوَحَّدٍ مَاضٍ...» و بمجيئه أُقيمت دولة العدل الإلهي على الرغم من المتصدين له.

وقد اتبعت في دراسة هذا البحث منهجاً تحليلياً، فعدتُ إلى المعنى اللغوي في معجماتنا اللغوية لبعض الألفاظ في نصوص الخطبة فتفتحت دلالات النصوص و حملت معاني متعددة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله المتجبين.



Abstract

the nation after him, for he says:(but God and His Messenger and those who Believe those who pray and pay zakaah while they are bowing

Our great prophet has directed the entire Islamic Ummah to follow the word «cohabitation of the people» as this call is repeated in most sermons and is a public discourse; the Imam(peace be upon him) is not only the property of Islam, but is a universal human value for the whole world.

Holy Prophet said: «ye know Socialized people that it and Avanmoh, and know that God has set it up to you and Leah imam to impose obedience on immigrants and supporters and those who followed them in truth, and the Badi and present, and the Ajami and the Arab, and

the free-owned and small and large, and the black and white, and every uniform The State of Divine Justice was established in spite of those who confronted it

And I followed in the statement of this research analytical approach and returned to the linguistic meaning in our linguistic expressions for some of the words in the texts of the sermon opened connotations texts and carried multiple meanings.

Our last prayer is that Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon our master Muhammad and his family





المقدمة:

الرسول الأعظم بتنصيبه والياً وخليفة وأميراً للمسلمين و للأمة الإسلامية جمعاء، ودلينا عقلي ونقلي، إذ أكّدت السنة النبوية ذلك، وحديث الثقلين يؤيد ذلك: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم بهما لن تضلوا بعدي»^(٢).

وحديث غدير خم فيه إجماع لسماع النص وتأکید للحجة، فمنع الناس من النيل منه و بالمقابل ضمن له العصمة، فأمر المسلمين بتهنئة الإمام بالإمارة والولاية. وتكليف الإمامة تفضل من الله على الإمام كتفضل النبوة في المقال والتعظيم والتبجيل والتعظيم^(٣).

وعن سعيد بن المسيب: لما قُتل عثمان جاء الناس أمير المؤمنين ودخلوا داره قائلين: نبايعك، فمدّ يدك، فلا بدّ للناس من أمير، فأجابهم الإمام: «ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر، فمن رضوا به فهو خليفة» فأتاه أهل بدر قائلين: ما نرى أحداً أحقّ بها منك، فسأل عن طلحة والزبير، فبايعه طلحة بيده وكانت إصبعه شلاء فتطير منها، وكان الإمام على يقين بنكته للمبايعة، ثم من بعده الزبير^(٤).

إنّ حديث الغدير، وتنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حديث يتعدّى أمر الخلافة والحكم، وهو ليس حدثاً عابراً فُرض على المجتمع آنذاك؛ بل هو أمر نابع من الصميم، وإشارة النبي الكريم ﷺ إليه وجعله قدوة وأسوة يُحتذى به بلغ في الخطورة ماله، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»^(١)، هو أمر صريح بوساطة فعل الأمر (بَلِّغْ)، وقوله: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) جعل أمر الإمامة منوطاً بالرسالة والنبوة.

وأصبح هذا الموضوع الخلاف الأكبر بين المسلمين منذ رحيل الرسول الأعظم، فقد اختلقوا فيه بين طائفتين (منهم من يوالي الإمام، ومنهم من يوالي الخلفاء)، و بحث هذا الموضوع أمر يتعدى صفحات بحثنا عبر التاريخ الإسلامي الطويل.

ويرى الإمامية إنّ في حديث الغدير شهادة ودلالة صريحة وواضحة من

١- سورة المائدة / ٦٧

٢- بحار الأنوار: ٢ / ٢٢٦

٣- ظ: أوائل المقالات: ٦٤.

٤- ظ: كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١٥٠.



أولاً: الولاية:

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ (٢).

فالله (سبحانه وتعالى) ولي المؤمنين فجاء بلفظ (ولي) مفرداً، والذين كفروا: نصراء الكافرين، وهم الأنداد والأوثان فجاء بلفظ (أولياء). والولي بمعنى (فاعل) فهو من يلي القوم بالتدبير والأمر، والولاية بخلاف العداوة، والله ولي المؤمنين متكفل بمصالحهم، وقيل: ولي المؤمنين (أنه يحبهم) أو يجب تعظيمهم (٣). قال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): «وليه وليا: دنا منه، وأوليته إيّاه: أدنيتيه» (٤).

وقال تعالى: «والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت «ناصرهم إلى الضلال، و يتعدّى (تولّى) بنفسه وبـ(عن)، فإن تعدّى بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع، ومنه قوله تعالى: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا»، أي: لنعطيك ونمكنك من استقبال القبلة تحبها وترضاها» (٥).

و إنْ عُدِّي بـ (عن) لزم معنى (الإعراض و ترك قربه).

اختلف في تفسير معنى الولاية، وتناول معناها على وجوه عديدة، وسنبداً من أصل معناها الذي يعني القرب والدنو، فالولي بخلاف العدو، والولاية بخلاف العداوة، قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في أصولها أنّ «الواو واللام والياء: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قرب، ومنه الولي: القرب ومن بابـه: المولى: المُعْتَق والمُعْتَق والصاحب والحليف وابن العم والناصر؛ وكلّ هؤلاء من الولي وهو القرب» (١).

وذهب الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) بين الولاء والتوالي فيحصل شيان وصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار للقرب من المكان، والنسبة والدين والصدقة والنصرة والاعتقاد، فالولاية: النصرة، والولي والمولى يستعملان في معنى الفاعل المولي، وفي معنى المفعول أي الموالي، فالمؤمن ولي الله، وليس مولاه، والله ولي المؤمنين ومولاهم وناصرهم وهاديهم، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ

١-مقاييس اللغة: ٦ / ١٤٢.

٢-ظ: المفردات: ٦٩٢ علم أنّ الآية الواردة هي البقرة / ٢٥٧.

٣-ظ: التفسير الكبير: ٧ / ١٩ - ٢١.

٤-أساس البلاغة: ٢ / ٥٢٨، و ظ: القاموس المحيط: ١٧٣.

٥-ظ: التفسير الكبير: ٤ / ١٢٧، علما ان الآية الواردة هي البقرة / ١٤٤.



ثانياً: الخلافة:

الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قُدَّام، والثالث التغيُّر^(٣).

والخلف ضد قُدَّام، وهو ما جاء من بعد^(٤).

وأصل خليفة (خَلِيٍّ) بغير هاء بمعنى الفاعل والهاء فيه للمبالغة ويوصف به الرجال خاصّة، ويجمع على خلفاء و خلائف^(٥).

ويُقال: استخلفته أي جعلته خليفة، والخليفة الذي يُسْتَخْلَفُ من قبله وجمعه خلائف، وقال سيبويه: خليفة وخلفاء كسروه تكسير فعيل؛ لأنّه لا يكون إلّا للمذكر، والخلافة: الإمارة، ورأى الزجاج أنّه من الجائز أن يُقال للأئمة خلفاء الله في أرضه، فجاء مفرداً مشيراً إلى خلافة الإنسان في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٦)، فجاء لفظ (خليفة) منكرّاً دالّاً على الإطلاق.

والخليفة: السلطان الأعظم، واستخلفه

والتوليّ قد يكون بالجسم أو بترك الإصغاء كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾^(١).

والموالة في ضوء المفهوم الشرعي: أن يُعاهد شخص شخصاً آخر، والمولى: الرّب والمالك وكلّ من ولي أمراً أو قام به، و الولي: المحبّ، والصاحب، والشريك، والصهر، والقريب من العصمة كالعم وابن العم، والولاية: القرابة، ويُقال: القوم عليه ولاية ولاية يد واحدة يجتمعون في الخير والشر^(٢).

وقد صرّح بهذا المفهوم النبي الكريم ﷺ بقوله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» فمن كان يدين بالولاية ويلتزم بأوامره (هذا)، وهو اسم إشارة للقريب (علي) تصريح به، وإطاعته جزء من إطاعة النبي، فمنزلته بالمنزلة نفسها التي جعلها الله (تبارك وتعالى) لنبيه الكريم.

١- ظ: المفردات: ٦٩٤، والآية الواردة هي الأنفال / ٢٠.

٢- ظ: المعجم الوسيط: ١٠٥٧.

٣- مقاييس اللغة: ٢ / ٢١٠.

٤- ظ: مختار الصحاح: ١١٩.

٥- ظ: المصباح المنير: ١٧٩.

٦- ص / ٢٦.





وجعله خليفة^(١). وهي خلافة مطلقة.

ثالثاً: الإمامة

لفظ الإمام بمعنى القُدَّام فإمام أي شيء يعني قدامه، ومن أصل حروفه؛ فلهزمة والميم، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين. وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي القامة والحين والقصد^(٥).

وإمامة: مصدر من (أَمَّ) وقوله: أَمَّهُمْ وَأَمَّ بِهِمْ: تقدَّمهم، والإمام: كُلُّ مَنْ اتَّمَّ بِهِ قَوْمٌ كَانُوا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَوْ ضَالِّينَ، والقرآن إمام المسلمين، ونبينا محمد إمام الأئمة والخليفة إمام الرعية^(٦). وهو الطريق الواسع، قال تعالى: ﴿وَأَمِّنَّا لِبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٧).

أمَّا المعنى الاصطلاحي فلم يخرج عن المعنى اللغوي، فالإمام: هو الخليفة والعالم المقتدى به ومن يؤتَمُّ به في الصلاة ويُطلق على الذكر والأنثى، والإمام اسم

وجاء بصيغة الجمع مشيراً إلى خلافة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، فجعل أمة محمد خلائف لكل الأمم.

والخلافة: النيابة عن الغير لغية أو لموت أو لعجز أو لتشريف المنوب عنه، و به استخلف الله أولياءه في الأرض^(٣).

والخلافة: الإمارة والإمامة^(٤).

وما يختص به بحثنا هو المعنى الأول؛ فالأول الخلف، وما جاء بعده، ويقولون: خلف صادق من أبيه وسوء من أبيه فإن لم يذكروا صدقاً أو سوءاً قالوا للجيّد خَلَفَ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾.

ومن تتبع آيات القرآن الكريم نجد أن مفهوم الخلافة في القرآن الكريم جاء ليَدُلَّ على أنّه أمر إلهي لا دخل لبشر فيه،

١- ظ: مختار الصحاح: ١١٩.

٢- سورة الأنعام / ١٦٥.

٣- ظ: المفردات: ٢٠٦-٢٠٧.

٤- ظ: المعجم الوسيط: ٢٥١.

٥- مقاييس اللغة: ١ / ٢١.

٦- ظ: لسان العرب (مادة أمم): ١٢ / ٢٤.

٧- الحجر / ٧٩.



لا صفة، يكثُر في الرجال دون النساء^(١).

يقول الراغب: «و الإمام المؤتم به إنساناً كأن يقتدى بقوله أو بفعله، أو كتاباً أو غير ذلك مُحققاً كان أو مبطلاً وجمعه أئمة^(٢)».

وقال الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»^(٣)، فالإمام هو القدوة الحسنة، واختلف بين المذاهب الإسلامية في تطبيق سلطتها هل هي دينية أم سياسية؟، فنحن الشيعة نجد أن ممارسة سلوكها سياسي وديني، و هي ضرورة امتدادا للنبوة؛ لاتصال الرسول بالوحي وبذلك فإن تنصيب الإمام يوجب بالنص من الله حرصاً.

في حين يرى أهل السنة أن في ممارستها اجتهاداً سياسياً؛ انطلاقاً من أن النبي يقوم بالدور السياسي، ويعتمد الاجتهاد، فتنصيبه عن طريق اختيار الناس له.

نستنج مما سبق أن لفظ (إمام) أعمّ وأشمل من الخليفة والوالي؛ لأن معاني (ولي) تدلّ على القريب والصاحب والناصر، والخلافة تدلّ على التالي؛ أمّا الإمام

فهو الأصل والمرجع والطريق المستقيم فهو أعمّ وأشمل من سابقه. وقد عمل الحكّام الأمويون على أن يجعلوا مفهوم الولاية مرادفاً لمفهوم الخلافة، وشاعت هذه المفاهيم في المجتمع القائم آنذاك فالخلافة نمط من أنماط الإمامة وكل إمام هو خليفة وليس كل خليفة إمام.

والإمامة ليست محصورة بإمام واحد، إذ جاء الإمام علي عليه السلام، ومن بعده أحد عشر إماماً، محتسماً بإمامنا المهدي، وقد اختصّ بها سيدنا إبراهيم عليه السلام، فوهبه الله بعد أن كان نبياً تحمل أعباء الرسالة فكان على مقام رفيع، على وفق عقد إلهي اصطفاه الله لعباده الصالحين.

والإمامة قول وفعل وتقرير، والإمام حجة على الناس تجب عليهم الطاعة، بخلاف النبوة التي تقتضي طاعة الأحكام الإلهية فقط.

وقد صرح القرآن بلفظ الإمامة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام في آيات عديدة ومنها: (أولي الأمر، الذين آمنوا).

١- ظ: المصباح المنير: ٢٣ - ٢٤

٢- ظ: المفردات: ١ / ٢٩

٣- الأحكام السلطانية: ٣.



رابعاً: التطور الدلالي للفظ (ولي):

إِنَّ الْأَصْلَ فِي لَفْظِ (وَلِي) يَدُلُّ عَلَى الْقُرْبِ الْحَسِّيِّ، ثُمَّ تَوَسَّعَ اسْتِعْمَالُهُ وَأُطْلِقَ عَلَى الْمَعْقُولَاتِ، فَجَاءَ لَفْظُ وَلِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَائَتَيْنِ وَثَمَانِيَةِ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعاً^(١)، بِمَعْنَى النَّاصِرِ وَالْحَلِيفِ وَالصَّدِيقِ، وَكُلُّهَا مَعَانٍ تَدُلُّ عَلَى الْقُرْبِ، وَاقْتَرَنَ بِالْأَفْظَادِ مَعِينَةُ كَ (نَصِيرٍ، شَفِيعٍ، وَاقٍ)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾^(٤)، فالولي هو الله وهو (النصير، الشفيع، الواقفي)

و جاء في موضع واحد مقترن مع لفظ

١- ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٥٥.

٢- سورة البقرة / ١٠٧

٣- سورة الأنعام / ٥١

٤- سورة الرعد / ٣٧.

٥- سورة فصلت / ٣٤.

٦- ظ: غريب القرآن: السجستاني: ١٧٥.

٧- سورة مريم / ٥

٨- سورة النساء / ٣٣

(حميم) مع العباد من المؤمنين أو الكفار ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٥).

والمولى هو الولي، على ثمانية أوجه (المعتق بالكسر والفتح، والولي الأولى بالشيء وابن العم والصهر والجار والحليف)^(٦).

وجاء الولي في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة، منها:

الابن: ﴿إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾^(٧).

الورثة: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَاتَوْهُمُ نَصِيحَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾^(٨).

القرب من المكان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ



الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾.

ويبدو أن هذا مأخوذ من التصوف،
فولي الله هو الناصر والمخلص له، وأولياء
المؤمن إخوانه.

القرب في النسب: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى
عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ (٢)

الولاية في الدين: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ
الْحَقِّ﴾ (٣)

خامساً: التطور الدلالي للفظه إمام:

يعدّ لفظ (الإمام) من الألفاظ التي
تطورت معانيها الدلالية، ففي العصر
الجاهلي أُطلق على الخشبة أو الخيط يسوى
بها البناء، قال النابغة:

أَبُوهُ قَبْلَهُ وَأَبُو أَبِيهِ بَنَوْا مَجْدَ الْحَيَاةِ
عَلَى إِمَامٍ (٨).

ويعني به (المثال)، والإمام: خشبة
البناء والطرق والقدّام (٩).

وفي العصر الاسلامي تطوّر معناه،
إذ تكرر لفظ (إمام) في القرآن الكريم في
اثني عشر موضعاً (١٠)، ومنها المعاني الآتية:

السَّيِّد: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ
عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ (٤).

الحليف والجار: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٥)،
وكلّها معانٍ تدلّ على النصرة كولاية
الحكم العامّة (الإمامة الكبرى) وولاية
الخاصّة (القضاء) أو قد تنشأ من
العقد كالوكالة والوصيّة (٦). ثم أُطلق
اللفظ (الولاية) على المركز الذي يستقر فيه
محافظ المدينة. ومنه ولي الصبي أو الطالب:
من يلي أمره، وولي النعمة: صاحبها، وولي
العهد من يخلف السلطان (٧).

١- سورة التوبة / ١٢٣

٢- سورة الدخان / ٤١

٣- سورة الكهف / ٤٤

٤- سورة النحل / ٧٦

٥- سورة الأنفال / ٤

٦- ظ: الولي و الولاية في القرآن الكريم: ٤٠

٧- ظ: المصدر نفسه.

٨- ظ: ديوانه: ٦٧

٩- ظ: لسان العرب: ١٢ / ٢٥.

١٠- ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٩٩.





المثال: ﴿إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فجاء لفظ (إمام) بمعنى القدوة أو المثال، فالله جعل سيدنا إبراهيم ﷺ إماماً و سألته بأن تكون الأئمة من بعده في ذريته، ومن هذه الآية تتبين منزلة الإمامة التي فاقت منزلة النبوة والرسالة، فقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٢).

كتاب الأعمال:

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أَؤْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٣)، فإمامهم: كتاب أعمالهم، فمن أوتي كتابه بيمينه: فرحته وسروره بما فيه من عمل صالح^(٤).

اللوح المحفوظ أو الكتاب المقتدى به

أو صحائف الأعمال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٥).

التوراة: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾^(٦)، وهنا استفهام انكاري، فالكتاب الذي أنزل على موسى ﷺ و (إماما) نصب على القطع، ورحمة عطف على الإمام، كأنه قيل: ومن قبله كتاب موسى إماما لبني إسرائيل يأترون به و رحمة من الله تلاه على موسى^(٧).

الطريق الواضح: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ﴾^(٨).

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٩).

الكتاب السماوي التشريعي: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَزِيزٍ لِّبْنِ الْذِينَ

١- سورة البقرة / ١٢٤

٢- سورة الفرقان / ٧٤

٣- سورة الاسراء / ٧١

٤- ظ: تفسير ابن كثير: ٢٨٩.

٥- ظ: الجامع لأحكام القرآن: ٤٤١ علما ان الآية الواردة هي سورة يس / ١٢

٦- سورة هود / ١٧

٧- ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤ / ٢٦٤.

٨- سورة الحجر / ٧٩

٩- سورة يس / ١٢



ظَلَمُوا وَبُشِّرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾

قائد القوم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٢)

﴿وَأِنْ تَكْثُرُوا أَيَّامَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (٣)

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٤)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥)

فالإمامة تتقدم على منزلة النبوة وهبها الله لنبينا إبراهيم عليه السلام، ونالها بعد ابتلاء واختبار، أثبت فيه أهليته، فلفظ (جاعل) اسم فاعل ومفعوله إماماً بعد أن أتم إبراهيم الابتلاءات، ثم أنه كان نبياً وأبلي، بعد أن كبر سنّه وتساءل عن بنيه (ومن ذريتي)، وأبناؤه هم: (إسماعيل، وإسحق) وبشارته بهم بعد كبره «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ». فالإمامة هي مقام تشريعي و تكويني و يطلق على شخص تتحقق فيه شروط معينة منها (العصمة) (٦).

إذن الإمامة من المعاني التي تطوّرت دلالتها فتأتي بمعنى: (الرئاسة لأمر الدنيا، الرئاسة لأمر الدين والدنيا، أو تحقيق المناهج الدينية بتطبيق أحكام الدين الاسلامي وبالإضافة إلى النبوة والرسالة، وهي هداية تكوينية (٧). وذهبت الإمامية إلى أن الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه بدليل قطعي.

خامساً: الآيات الدالة على إمامة وولاية مولانا علي عليه السلام:

آية الولاية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٨).

إذ عطف ولاية الذين آمنوا على ولاية الله ورسوله، من باب التدرج من

١- سورة الأحقاف / ١٢.

٢- سورة القصص / ٤١.

٣- سورة التوبة / ١٢.

٤- سورة السجدة / ٢٤.

٥- سورة القصص / ٥.

٦- ظ: الإمامة والولاية: ٣٧.

٧- ظ: الأمثل: ١ / ٣٦٩.

٨- سورة المائدة / ٥٥.



لأخيه المؤمن وناصر له. فتفويض الولاية للرسول ولأولي الأمر مع حفظ تسلسلهم وأوليتهم، فالآية غرضها الواقعي الإشارة إلى ولاية الإمام علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فضلاً عن ذلك فإن الاختصاص المستفاد من لفظ (إنما) وأحاديث شأن النزول الواردة في الإمام علي عليه السلام (فهذه الوجوه الثلاثة تجعل الآية كالنص في الدلالة على ما يرتئيه الإمامية في مسألة الإمامة. فإن قلت: إذا كان المراد من قوله: (الذين آمنوا) هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (فلماذا جيء بلفظ الجماعة؟، الجواب: ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها، فإطلاق لفظ الجمع على أمير المؤمنين، تفخيماً وتعظيماً، فأهل اللغة يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التعظيم، وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه، وربما يقال إن المراد من الولي في الآية ليس هو المتصرف، فالمراد الناصر، والمحبة بشهادة ما قبلها وما

الفرع إلى الأصل، وحصره بلفظ (إنما) فـ (إن) تفيد معنى الإثبات و (ما) تفيد معنى النفي، وهي أداة حصر لنوع خاص من الافراد، وولاية الأمر هي الإمامة والخلافة، وهي ولاية أمير المؤمنين هنا، فنزلت فيه وخصته ومناسبتها تصدق الإمام وهو راعٍ في المسجد بخاتمته^(١).

فولاية النصرة وتولي المؤمنين هو تولي انقياد وتبعية وهو المراد من الإمارة والحكومة، فولي الأمر الواجب طاعته هو المولى تعالى ومن بعده رسوله الكريم ومن بعدهما الإمام علي عليه السلام.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢).

فالمستفاد من الآية أن الأولياء ثلاثة وهم: الله تعالى، ورسوله، والمؤمنون الموصوفون بالأوصاف الثلاثة، وأن غير هؤلاء من المؤمنين هم مولى عليهم فلا يتحقق إلا بتفسير الولي بالزعيم والمتصرف في شؤون المولى عليه، فالولاية تحتاج إلى دليل خاص، ولا يكفي الإيمان في ثبوتها، بخلاف ولاية المحبة والنصرة، إذ هما من فروع الإيمان، فكل مؤمن محب

١- ظ: المناقب: ١٨٦، الغدير: الاميني: ٢ / ٥٧.

٢- سورة المائدة / ٥٥



بعدها، إذ نهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا اليهود والنصارى أولياء، وليس المراد منه إلا النصر والمحبّة، فلو فسرت في الآية بالمتصرف يلزم التفكيك، فالسياق إنّما يكون حجة لو لم يقم دليل على خلافه، وذلك لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق، إذ لم يكن ترتيب الكتاب العزيز في الجمع موافقاً لترتيبه في النزول بإجماع الأمة، وفي التنزيل كثير من الآيات الواردة على خلاف ما يعطيه السياق كآية التطهير المنتظمة في سياق النساء مع ثبوت النص على اختصاصها بالخمس أهمل الكساء

آية أولى الأمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾^(١)، ويتبين فيها أن النبوة وإبلاغ الرسالة إلى الناس ثم قيادة الإمام وإطاعة ولي الأمر، وقد حث القرآن الكريم على وجوب إطاعة الرسول بعد إطاعة الله، وجاء ذلك الوجوب معطوفاً بحرف العطف (الواو)، وقد أكّد الرازي على عصمة الرسول وأولي الأمر على سبيل الجزم والقطع.

وأولوا الأمر هم أصحاب الشأن المقابل لتلي وجاء مجموعاً (أولي الأمر).

آية التبليغ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، وهو أمر من الباري بصيغة (بَلِّغْ)، وخاطب المتحدين لأمر الله وهو حكم إعلانه مستقبل الرسالة، فعدم تبليغ الحكم يعني عدم تبليغ أصل الرسالة^(٣).

آية الإكمال، قال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾^(٤).

وهذه الآية - بحد ذاتها - دليل واضح على ولاية إمامنا، فنزولها كان في يوم غدیر خم في الثامن عشر من ذي الحجة^(٥) لما نصّب رسول الله علياً، فقد هبط جبريل قائلاً ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٦).

وقد قرأ ابن عباس هذه الآية معه يهودي: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

١- سورة النساء / ٥٩.

٢- سورة المائدة / ٦٧.

٣- الإمامة: ٩١.

٤- سورة المائدة / ٣، وظ: الغدير: ١ / ٢٣١.

٥- الدر المنثور: ٣ / ١٨.

٦- سورة المائدة / ٦٧.



كُنْتُ مَوْلَاهُ) الْأُولَى بِالتَّصْرِيفِ، فَلَا غَبَارَ -
إِذْنَ - أَنَّ الْآيَةَ فِي خِلَافَتِهِ^(٣).

وقوله: «أنت أخي ووصي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني» فيه دلالة واضحة على خلافته، وهناك من شكك في أنه أراد به الوصية والخلافة على المدينة، والحق أن الإمام الأفضل والأحق، وأنَّ وسمه بالخلافة قبله عدلاً، وبيعه بيعة صحيحة، فالنبي ﷺ ذهب إلى مصلحة الإسلام، أمَّا المخالفون فقد ذهبوا إلى فتنة لا تقتصر على الخلافة، بل ذهاب النبوة والملة فاحتجوا بتأويل حديث الغدير، وجعلوا بيعة أبي بكر صحيحة من دون تشريع أو علم فحبَّهم للجاء والرئاسة وعداوة رسول الله يكشف بيعة طلحة والزبي^(٤).

وأشار الحلي بأنَّ لطف الإمامة يتم بما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالتصرف والعلم والنص عليه باسمه ونسبه، وهذا قد فعله الله تعالى، ومنها ما يجب على الإمام وهو تحمله للإمامة وقبوله لها^(٥).

دِينَكُمْ...» فقال اليهودي: لو نزلت علينا في يوم لاتخذناه عيداً، فقال له: نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد يوم جمعة وعرفة^(١). و (من كنت مولاه فعلي مولاه) هو اليوم الذي يؤس فيه الكافرون (يوم الغدير)، وفيه اصطفى الله الولاية الكبرى لمولانا أمير المؤمنين، وإكمال الدين، وإتمام النعمة: ولاية آل البيت، فخلافة الرسول ﷺ الحقَّة هي لعلي بن أبي طالب عليه السلام حصراً، وأنَّ علياً هو الإمام والولي بعد رسول الله ﷺ بأمر وتعيين إلهي وتنصيب وتصريح نبوي في مواضع عديدة.

والظاهر من حديث الغدير أنَّ المراد بالولي (الأولى بالتصرف)؛ فالآية نافية للولاية أو النصرة عن غيره. وذهب كثير من الخاصَّة أنَّ الآية نزلت في علي عليه السلام في بيان فضله والدليل على ذلك: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه).

ومعناه بلغ ما أنزل إليك من ربك في فضله، وهو تبليغ بولاية علي إلى الناس، إذ أدَّى التبليغ وأخذ بيده^(٢). والمولى: (من

١- ظ: اسباب النزول: ١٩٠.

٢- الغدير: ١ / ٢١٧ و مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٢٢٤.

٣- ظ: منهاج البراعة: ٢ / ٢٩٦.

٤- ظ: المصدر نفسه: ٢ / ٣٣٦.

٥- كشف المراد: ٣٧٣.



وقد اتفق أهل الإمامة على أنه لابد في كل زمان من إمام، وبوجوده تمام المصلحة في الدين، في حين خالف المعتزلون ذلك، وإمام الدين معصوم من الخلاف لله بجميع علوم الدين. جاء عن الشيخ المفيد أن إمام الدين يكون معصوماً من الله^(١).

واتفقت الإمامية على أن الإمامة بعد النبي في بني هاشم خاصة في علي والحسن والحسين ومن بعدهما في ولد الحسين إلى آخر الزمن، واستخلف رسول الله الإمامة من بعد وفاته في علي^(٢).

خامساً: التقديم والتأخير بين الإمام والولي:

قدم رسول الله ﷺ لفظ (الأخ والوصي والخليفة) على لفظ (الإمام) بقوله: (إن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي على أمتي والأمام من بعدي، الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وهو وليكم بعد الله ورَسُولُهُ^(٣))، ثم استشهد بقوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»، وقد أسند هذه الألفاظ (بياء المتكلم) المسندة إلى النبي، مما يدل على قرب منزلته، فمنزلته قريبة من منزلة الأنبياء إلا أن النبوة ختمت به، فقدّم الخاص على العام. فالأخوة والوصاية والخلافة ثم الإمامة، تشريفاً وتكريماً وتعظيماً.

تقديم الولي على الإمام:

وفي موضع آخر يقول: «فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ ذَلِكَ فِيهِ وَافْهَمُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيًّا وَإِمَامًا فَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَعَلَى الْبَادِي وَالْحَاضِرِ، وَعَلَى الْعَجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، وَالْأَنْصَارِ وَالْمَمْلُوكِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَعَلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ^(٤)»

جاء بالفعل (اعلم) وهو فعل أمر متصل بضمير الجماعة ليحاكي جماعة الحاضرين ولينبه على أن الخطاب للجميع، والعلم: إدراك الشيء بحقيقته وهو ضربان، أحدهما إدراك ذات الشيء، والآخر: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو

١- ظ: أوائل المقالات: ٤٧.

٢- ظ: المصدر نفسه: ٣٠ - ٣١.

٣- الغدير: ١ / ٢١٩

٤- المصدر نفسه: ١ / ٢٢٠.



نفي شيء هو منفي عنه^(١). وأعقبه عاطفاً بفعل الأمر (افهموا)، والفهم: هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحسن^(٢).
فقدّم (العلم) وأتبعه بـ (الفهم) وكرّر بالفعل (اعلموا) مرة أخرى تأكيداً، وجاء مصرّحاً بفعل ماض متصل بضمير الغائب الذي يعود عليه (نصبه) والنصب: رفعك شيئاً تنصبه قائماً^(٣).

تقديم فعل الأمر (السمع على الطاعة والانقياد):

فالولي هو الله (سبحانه وتعالى) ومن بعده نبيه، وبعده أمير المؤمنين ولي وإمام، ثم ذريته إذ جعل الإمامة فيهم قائلاً: «مَعَاشِرَ النَّاسِ، فَضَّلُوهُ مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَاهُ اللَّهُ فِيَّ، وَكُلُّ عِلْمٍ عَلَّمْتُ فَقَدْ أَحْصَيْتُهُ فِي إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ عَلَّمْتُهُ عَلَيَّ، وَهُوَ الْأَمَامُ الْمُبِينُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ يَس: «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ». ويُعد أسلوب القصر بواسطة (النفي بـ (ما) وأداة الاستثناء (إلا) في قوله: (ما من علم إلا و قد علمته علياً) طريقة من طرق التوكيد، واستعمل الأداة (قد) التي تفيد التحقيق مع الفعل الماضي (علم) وهو طريقة من طرق التوكيد بالحروف. وضمّن كلامه من سورة يس (الإمام المبين) هو الامام علي عليه السلام. (معاشر الناس، إنه إمام من الله، ولكن يثوب الله على أحد أنكروا ولايته ولكن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره وأن يعذبه عذاباً

قدّم رسول الله ﷺ فعل الأمر (سمع) متصلاً بضمير الجماعة ليوّجه كلامه إلى الناس عامّة قائلاً: «مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ آخِرُ مَقَامِ أَقْوَمُهُ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ، فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَاَنْقَادُوا لِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَإِهْكُمْ، ثُمَّ مِنْ دُونِهِ رَسُولُهُ وَنَبِيُّهُ الْمُخَاطَبُ لَكُمْ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِي عَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَإِمَامُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، ثُمَّ الْإِمَامَةُ فِي ذُرِّيَّتِي مِنْ وَلَدِهِ إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا حَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُمْ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَهُمْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَرَفَنِي الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَأَنَا

١- ظ: المفردات: ٢ / ٤٤٦

٢- ظ: المصدر نفسه: ٢ / ٤٩٩.

٣- ظ: العين: ٧ / ١٣٦.

٤- الغدير: ١ / ٢٢٠.



سابعاً: تقديم الوصاية على الخلافة:

قال نبينا الكريم خاتماً في الناس: (مَعَاشِرَ النَّاسِ، هَذَا عَلَيَّ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَاغِي عِلْمِي، وَخَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي عَلَى مَنْ آمَنَ بِي وَعَلَى تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالِدَاعِي إِلَيْهِ وَالْعَامِلُ بِمَا يَرْضَاهُ وَالْمُحَارِبُ لِأَعْدَائِهِ وَالْمُوَالِي عَلَى طَاعَتِهِ وَالتَّاهِي عَنْ مَعْصِيَتِهِ. إِنَّهُ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَآمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِمَامُ الْهَادِي مِنَ اللَّهِ، وَقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ. يَقُولُ اللَّهُ: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ (بِأَمْرِكَ يَا رَبِّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَالْعَنْ مَنْ أَنْكَرَهُ وَاغْضِبْ عَلَى مَنْ جَحَدَ حَقَّهُ) (٤).

وفي هذا الفصل تصريح بالولاية العامة التي تعني الإمامة لعلي عليه السلام من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان امتثالاً منه صلى الله عليه وآله لوحي نزل عليه في (غدير خم) وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

نُكْرًا أَبَدَ الْأَبَادِ، وَذَهَرَ الدُّهُورَ. فَاحْذَرُوا أَنْ تُخَالِفُوهُ، فَتَصْلُوا نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ أَنْ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلَيَّ مَوْلَاهُ، وَهُوَ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّي، وَمَوَالِيهِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا عَلَيَّ أَلَا فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلَيَّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ) (١).

أكد بأداة التوكيد (إِنَّ) التي اتصلت بضمير الغائب الذي يعود إلى الامام علي، وجاء النفي بالأداة (لَنْ) التي تنفي المستقبل نفيّاً مؤكداً، فعدم التوبة لكل من ينكر ولايته وبالتالي انعدام الغفران للمنكر، وتحذيره صلى الله عليه وآله، آباد الدهر: طوال الدهر، والأبىد مثله، وأبىد جمع من أسجاع العرب المعروفة «أتان أبىد في كل عام تلىد» (٢). الدهر: الأبد الممدود، وقيل للقديم دُهرِي (٣). ف (الآباد والدهور) جيء بهما جمعاً؛ ليدلا على الزمان المستقبل المطلق في نفي التوبة لمن أنكر ولاية علي، وفيه توكيد بضرورة إطاعته.

١- ظ: المصدر نفسه.

٢- ظ: العين: ٨ / ٨٥

٣- ظ: المصدر نفسه: ٤ / ٢٣

٤- الغدير: ١ / ٢٢١.



فوقوق النص على الخلافة لا فصل فيه. وقيل: «أناكم علي في السحاب»، ومناسبة هذا الحديث أن الرسول قلّد الإمام علي بعمامة له تُسمّى بالسحاب^(٥). فولاية مولانا بولاية النبي هي ولاية روحية عامّة؛ لأنّ ولاية النبي جاءت عن سلطة تنفيذية وبعدها أصبحت روحية.

الْكَافِرِينَ ﴿^(١)﴾، ونزلت في حقّ إمامنا فأخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقوله «والله يعصمك من الناس»، فجاء فعل (العصمة) بصيغة المضارع ليدلّ على الحال والاستقبال، فيمنعك أن نالوك بسوء^(٢). وقيل: فيها ضمان بعصمة روحه من تعرض الأعادي^(٣).

والآية صريحة في أمر الله رسوله الكريم بتبليغ وحي أنزل إليه من ربه، وذلك بعد إتمام تبليغ الرسالة التي أعلن عن إتمامها يوم عرفة قبل وصوله ﷺ إلى غدير خم بقوله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَارْتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾. وقد صرح الرسول قائلاً: الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب رسالتي والولاية لعلي^(٤)، هذا هو حديث غدير خم، سند صريح لهم في القول بإمامة علي، وقد اعترف أهل السنة جزئياً بصحة هذا الحديث، وأولوه بأن المقصود من (الولاية) هنا الولاية الروحية، بل إننا نرى الحسن البصري - إمام التابعين - يعلن أن علياً رباني هذه الأمة.

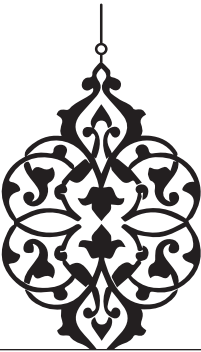
١- المائدة / ٦٧.

٢- ظ: جامع البيان: ٣ / ١٣٦.

٣- ظ: تفسير البضاوي: ٢ / ١٣٦.

٤- كشف الغمة: ٩٥.

٥- ظ: الغدير: ٢٩٢.



ابواب المعرفة



الخاتمة

في نهاية المطاف توصل بحثنا إلى نتائج عديدة:

إنَّ لفظ (إمام) أعمّ وأشمل من الخليفة والوالي؛ لأن معاني (ولي) تدلُّ على القريب والصاحب والناصر، والخلافة تدلُّ على التالي؛ أمّا الإمام فهو الأصل والمرجع والطريق المستقيم، فهو أعمّ وأشمل من سابقه. وقد قام الأمويون بكل جهدهم على أن يجعلوا مفهوم الولاية مرادفاً لمفهوم الخلافة، وشاعت هذه المفاهيم في المجتمع آنذاك، وتسربت إلى زمننا الحاضر، والصحيح هو أنَّ الخلافة نمط من أنماط الإمامة، وكلّ إمام هو خليفة وليس كلّ خليفة إمام.

إنَّ لفظة (مولى) تحتل معنى (أولى) فهو (الأولى بتدبير الأمة وأمرهم ونهيهم). فالنبي ﷺ قرّر في أمته في ذلك المقام على فرض طاعته فقال: (ألسْتُ أولى بكم من أنفسكم)، أجابوه بقولهم: (بلى)، فرفع بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقال عاطفاً على ما تقدم: (من كنت مولاه فهذا مولاه) (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله)، وإن كانت تحتل غيره، فيجب أن يكون أراد بها المعنى المتقدم على مقتضى استعمال اللغة.

إنَّ لفظ المولى جزء من الإمامة بدلالة أنهم يقولون: (السلطان أولى بإقامة الحدود من الرعية) و (المولى أولى بعبده) و (ولد الميت أولى بميراثه من غيره) وقوله سبحانه: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، لا خلاف

بين المفسرين أنَّ المراد: أنه أولى بتدبير المؤمنين والأمر والنهي فيهم من كلّ أحد منهم. وإذا كان النبي أولى بالخلق من أنفسهم من حيث كان مفترض الطاعة عليهم وأحق بتدبيرهم وأمرهم ونهيهم وتصرفهم بلا خلاف، وجب أن يكون ما أوجبه لأمر المؤمنين ﷺ فيكون أولى بالمؤمنين من حيث أن طاعته مفترضة عليهم وأمره ونهيه مما يجب نفوذه فيهم، وفرض الطاعة يتحقق بالتدبير من هذا الوجه لا يكون إلا للنبي أو الإمام، فإذا لم يكن ﷺ نبياً وجب أن يكون إماماً.

أشار بلفظ المولى إلى (المعتق) و (الحليف)؛ لأنّه لم يكن حليفاً لأحد، والحليف: الذي يحالف قبيلة وينسب إليها، ليتعزز بها وهو (الجار) و (الصهر) و (ابن العم) وكلّها في حق أمير المؤمنين ﷺ.

لفظ (الولي والإمام) من الألفاظ التي تطوّر معناها الدلالي فبعد أن كانت يطلق هذان اللفظان على الأمور المحسوسة تطوّر معناهما بمجىء الإسلام، فلفظ (ولي) أطلق على القريب والناصر والحليف والصديق، ولفظ (إمام) أطلق على خيط البناء والخشبة، ثم تطوّر معناه اللغوي إلى القدوة والقائد والكتاب السماوي ورئاسة أمور الدين والدنيا.

وجدنا أنَّ هنالك فروقاً لغويةً دقيقةً بين (الإمام، والخليفة، والولي)، ولا ترادف بينهم.



المصادر والمراجع:

● القرآن الكريم

● الأحكام السلطانية: لابي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، دار الحديث القاهرة،

● الإمامة والولاية في القرآن الكريم: نخبة من العلماء، تحقيق: المجمع العالمي لأهل البيت، ط ١، مطبعة ليلي، ١٤٢٧ هـ.

● أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨

● أسباب النزول: لأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، تدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط ٢، دار الاصلاح، الدمام - السعودية، ١٩٩٢.

● أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى بتفسير البيضاوي (ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) تقديم: محمد عبد الرحمن

المرعشي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.

● أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان أبن المعلم الشيخ المفيد، تحقيق: ابراهيم الانصاري، ط ١، ١٤١٣ هـ

● بحار الانوار: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، بيروت، لبنان، د. ت.

● تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الميلاي لاهياء الفكر الشيعي.

● التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ)، ط ١، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٨١

● تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: تحقيق: د. بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرساني، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤.

● الجامع لأحكام القرآن: محمد بن





احمد الانصاري القرطبي، تحقيق:

عبد الله بن عبد المحسن التركي،

ط ١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦

• الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد

الرحمن جلال الدين السيوطي، دار

الفكر، بيروت - لبنان.

• ديوان النابغة الذبياني، شرح و

تقديم: عباس عبد الساتر، ط ٣،

دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.

• الولي والولاية في القرآن الكريم:

بحث ورد في مجلة نجم الدين

أربكان، علم اللاهوت، ع ٤٠، س

٢٠١٥

• الغدير في الكتاب والسنة والادب:

عبد الحسين احمد الأميني النجفي،

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت - لبنان، ١٩٩٤.

• غريب القرآن المسمى بنزهة

القلوب: ابو بكر محمد ابن عزيز

السجستاني، تصحيح: لجنة من

أفاضل العلماء مطبعة محمد علي

صبيح و أولاده، ١٩٦٣ م.

• القاموس المحيط: مجد الدين

محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت

٨١٧ هـ) تحقيق: مكتب التراث في

مؤسسة الرسالة، ط ٨، مؤسسة

الرسالة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥.

• كتاب العين: لأبي عبد الرحمن

الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت

١٠٠ - ١٧٥ هـ)، تحقيق: مهدي

المخزومي و ابراهيم السامرائي، د.

ت.

• كشف الغمة في معرفة الأئمة: ابو

الحسن علي بن عيسى الاربلي،

المجمع العالمي لأهل البيت، دار

التعارف، بيروت - لبنان، ٢٠١٢.

• كشف المراد في شرح تجريد

الاعتقاد: الخواجة نصير الدين

محمد بن الحسن الطوسي (ت ٦٧٢

هـ)، شرح: جمال الدين الحسن

بن يوسف الحلي (ت ٧٢٦ هـ)،

منشورات الاعلمي للمطبوعات،

بيروت - لبنان.

• لسان العرب: جمال الدين محمد

بن مكرم ابن منظور الافريقي

المصري، دار صادر، بيروت، د.ت.

• مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر

بن عبد القادر الرازي، تعليق:

يحيى مراد، ط ١، مؤسسة المختار

للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧ م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي الرافعي (ت ٧٧٠ هـ)، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط ٢، دار المعارف، د. ت.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.
- المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس و عبد الحليم منتصر و آخران، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤.
- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ (الراغب الأصفهاني)، نزار مصطفى الباز، د. ت.
- مناقب آل أبي طالب: لابي جعفر بن شهر آشوب المازندراني، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الاضواء، بيروت - لبنان.
- منهج البراعة في شرح نهج البلاغة: لحبيب الله الهاشمي الخوئي، تحقيق: علي عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣.





الحجاجية في الأمثال العربية

كتاب (الأمثال في نهج البلاغة)
لمحمد الغروي أنموذجاً

د. علي أحمد عمران



الجامعة الأهلية - مملكة البحرين





Abstract

The argumentative discourse is the mainstay in communicating ideas and realizing the objectives between the speaker and the recipient, to be entertaining, persuasive, and a dialogue. The pragmatics was concerned with the theories of the pilgrims; This is because Al-Hajjaj is based on studying the techniques and mechanisms that the speaker adopts to change the beliefs of the recipient. And convince him of the idea and the subject to be delivered to him. Like arguments, phrases, signs...

The argumentative discourse in the process of communication builds entirely on evidence and arguments that aim to lure the recipient and persuade him and convince him.

We found the Alawi proverbs fertile ground for its pilgrimage approach according to the deliberative method. Because it is most appropriate in dealing with proverbs in the upper blog; And because proverbs are distinguished from other forms of expression in literature in that they express the real and philosophical

الملخص:

يعدُّ الخطاب الحجاجي الركيزة الأساس في إيصال الأفكار وتحقيق المقاصد بين المتكلِّم والمتلقِّي: إمتاعاً، وإقناعاً، وتحاوراً، وقد عُنيتِ التداوليَّة بنظريات الحجاج كثيراً؛ لأنَّ الحجاج يركِّزُ على دراسة التقنيات والآليات التي يتبناها المتكلِّم ليغيِّر من معتقدات المتلقِّي وإقناعه بالفكرة والموضوع المراد إيصاله إليه كالحجج والعبارات والإشارات، فالخطاب الحجاجي في عملية التواصل يُبنى كلياً على الأدلَّة والحجج التي تهدف إلى استهواء المتلقِّي واستمالتة وإقناعه.

وقد وجدنا الأمثال العلويَّة أرضاً خصبة لمقاربتها حجاجياً على وفق المنهج التداولي؛ لأنَّه الأنسب في معالجة الأمثال في المدونة العلويَّة، ولأنَّ الأمثال تتميز من غيرها من أشكال التعبير في الأدب بأنَّها تعبِّر عن الأفكار الحقيقيَّة والفلسفيَّة ذات المنهج التجريبي لشعبٍ من الشعوب ولأُمَّةٍ من الأمم، فهي نماذج راقية جدّاً لا بدَّ من الاقتداء بها في السلوك البشري.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، البلاغة، الأمثال العلويَّة، الخطاب، الإقناع، التداوليَّة.



ideas of the empirical approach for a people, and for a nation of nations, they are very high-end models that must be emulated in human behavior.

مهاده نظري:

إن تراث الأمة العربية تراث زاهر غني بماداته متنوع بموضوعاته، وهو أهم دعائمها وأركانها، والأمثال من أهم ما في تراث الأمة العربية؛ لأنها تربط ماضيه بحاضره فهي مستودع الذكرى، وقصة المجد التي حملها الأجداد إلينا، والمرآة الصادقة لحضارتنا العربية، وعاداتها وتقاليدها وفلسفتها ومثلها الأخلاقية والاجتماعية.

ويمكننا القول إن الأمثال العربية تمتاز بثلاث خصائص أساسية هي: التكثيف، والتركيز، والتصوير، وهي بعد خلاصة تجارب القدماء وحكمتهم، وصوتها القوي، وقلبها الحي النابض بالحياة، وعقلها الواعي، لذلك جمع أبو عبيد القاسم بن سلام مقومات الأمثال في ثلاثة: «إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه». فالأمثال العربية تعبر عن النفس البشرية في جميع حالاتها

وفي مختلف أزمانها وعلى كل ألسنتها، وعلى هذا الأساس أكد ابن عبدربه على أهميتها، وثباتها على مر الأزمان، واستحسان الناس لها، وقوة انتشارها في الأقطار في (عقده الفريد) فقال إن الأمثال: «وشي الكلام، وجوه اللفظ، وحلي المعاني التي تختيرها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل: أسير من مثل».

إن الهدف من هذا البحث يكمن في بيان أهمية المثل في الحجاج ولا سيما الأمثال العلوية التي تظهر خبيئات المعاني وترفع الأستار عن الحقائق، فإذا هي حاضرة مشاهدة، ماثلة في الأذهان بالحجج والبراهين الساطعة. وهذا ما أكد ابن المقفع عندما تحدث عن الكلام إذا جعل مثالا فقال: «إذا جعل الكلام مثالا، كان أوضح للمنطق وأنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث». ولقد وجدنا في كتاب (الأمثال في نهج البلاغة) لمحمد الغروي أرضاً خصبة للدراسة والبحث لم نسبق إليها على حد علمنا، فأمثال نهج البلاغة حقل بكر، أحاول أن أدرسه دراسة حجاجية تداولية.



وسنحاول -جاهدين- في هذا البحث الإجابة عن إشكالية هي: هل يمكن أن يكون في الأمثال العلوية حجاج بلاغي؟ وكيف تسهم الآليات البلاغية في خطاب المثل العلوي في الإقناع والإمتاع؟

ومن أجل البرهان على أن في الأمثال العلوية بلاغةً بامتياز، وأنها تقوم على آليات بلاغية وحجاجية، ومن أجل إقناع المتلقي بالمعنى المقصود من وراء الخطاب، فقد ارتأينا -لبلوغ هذا الهدف- أن نستعين بالمنهج التداولي بصفته الأنسب لمثل هذا النوع من الدراسة؛ ذلك أن الحجاج من أهم النظريات التي تعنى بها التداولية وهو يركز أساساً على دراسة التقنيات والآليات التي يتبناها المتكلم لتغيير معتقدات المتلقي، وإقناعه بالموضوع المراد إيصال إليه كالإشارة والعبارة والحجاج، فالخطاب الحجاجي هو الركيزة الأساسية في إيصال الأفكار وتحقيق المقاصد بين المتكلم والمتلقي.

تعريف الحجاج:

في اللغة:

عرّفه ابن منظور في لسان العرب فقال في مادة: (ح ج ج): الحجة هي البرهان،

وقيل الحجة: نهي ما دافع به الخصم.... وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل. والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حُجَجٌ وحجاج، وحاجه حاجة وحجاجاً، وحجه يحجه حَجًّا: غلبه بالحجة. وفي الحديث: فحجَّ آدم موسى أي غلبه بالحجة (...) والحجة: الدليل والبرهان.

تناول ابن فارس في مقاييسه الحجاج: «يقال حاجبت فلاناً فحاججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع: حجج والمصدر: حجاج»

وأورد الزمخشري في (أساس البلاغة) قوله: «حجج: احتج على خصمه بحجة شهباء، والجمع شهب، وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجة وملاجة».

وفي قاموس «روبرت» (Robert) تشير كلمة الحجاج (Argument) إلى عدّة معانٍ متقاربة أبرزها القيام باستعمال الحجج، وكذلك هو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، وكذلك هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض عليها في مناقشة معينة.



الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل الى نتائج ترتبط بها بالضرورة.

أمّا في الدراسات الحديثة والمعاصرة فقد ظهرت ثلة من الباحثين الذين استندوا إلى الحجاج الأرسطي وأسهموا بشكل كبير في تقديم نظرة جديدة للدرس الحجاجي، ومنهم: (بيرلمان) و(تيتيكا) عند حديثهما عن البلاغة الجديدة وكذلك (ديكرو) و(انسكومبر) في التداوليات المدججة، و(ميشال ماير) في نظرية المساءلة، و(تولمين) ومشروعه الحجاجي.

فقد عرف (بيرلمان وتيتيكا) الحجاج تعريفات عدّة في مواضيع مختلفة من كتابيهما أهمها قولهما: «موضوع نظريّة الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن يزيد درجة التسليم».

أورد ديكرو وصاحبه في كتابيهما (الحجاج واللغة): إنّ الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولاً (ق ١) أو (مجموعة أقوال) تفضي إلى التسليم بقول آخر (ق ٢) أو (مجموعة أقوال أخرى). ان (ق ١) يمثل حجّة ينبغي أن تؤدّي إلى ظهور (ق ٢)، ويكون هذا الأخير قولاً صريحاً أو

وأما في قاموس «كامبرج» (Cambridge) فنجد الحجاج هو الحجّة التي تعلل أو تسوّغ مساندتك أو معارضتك لفكرة ما.

وخلاصة القول من هذه التعريفات لمصطلح الحجاج لغة: هو التركيز على الدليل لإثبات قضية معينة، أو بناء موقف معين، وقد أشارت أغلب التعريفات العربيّة والغربيّة إلى أنّ الحجاج يكون بين متخاطبين (مرسل، ومتلقٍ)، يريد الأول إثبات قضية معينة، أو بيان موقف باستعمال الحجج، والآخر له حق الاعتراض أو الانصياع لهذا الموقف، وكذلك يأتي الحجاج للجدل، وأحياناً للدفاع عن اعتراض.

في الاصطلاح:

تعددت مفهومات الحجاج عند الغرب والعرب قديماً وحديثاً، على حدّ سواء:

١, ٢, ١. الحجاج عند الغرب قديماً وحديثاً:

لعلّ أبرز تعريف للحجاج قديماً كان في العصر اليوناني وهو تعريف أرسطو الذي يرى «أنّ الحجاج يتناول من زاويتين: بلاغيّة وجدليّة، فمن الناحية البلاغيّة يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، ومن



ضمنياً، إذن الحجاج عند ديكرو وصاحبه «إنجاز لعمليتين هما التصريح بالحجة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحاً بها أو مفهومة من (ق ١)».

وأما ميشال ماير فقد عرّف الحجاج بقوله: «هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنه». ويقول: «إنّ ظاهر الكلام هو الجواب وضمنه هو السؤال». فهاير يرى أنّ الحجاج هو إثارة الأسئلة وعلى هذا الأساس يُبنى الخطاب الحجاجي.

١، ٢، ٢. الحجاج عند العرب قديماً وحديثاً:

نجد الحجاج حاضراً بقوة عند العرب قديماً وحديثاً منذ العصر الإسلامي ولا سيما في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ولم يتوقف عند هذا الحد بل شمل شتى العلوم الأخرى ومنها العلوم اللغوية والفلسفية والمناظرات والمسامرات والنقاشات التي كانت تعقد بين العلماء وغيرهم.

وورد الحجاج في القرآن بلفظ حجاج وجدل وبرهان، وفسّر ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) قوله تعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بقوله: «المجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك».

ونجد الحجاج ضارباً بجذوره في الخطاب العربي، فلقد عني الجاحظ بالفعل اللغوي وعدّه الأساس لكلّ عمليّة بيانيّة حجاجيّة: «فالكلام في نظره لا يمكن تميزه عن البلاغة، فهو يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: أولاً: الوظيفة الخطابيّة وما يتّصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناورة.

وثانياً: الوظيفة البيانيّة: البيان والتبيان أو الفهم والإفهام». وهذا عبد القاهر الجرجاني في «إعجاز القرآن» يقنع بنظرية النظم، الأمر الذي طبع دلائله بطبيعة حجاجيّة بامتياز.

وعرّف حازم القرطاجني الحجاج بقوله: «لما كان كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب، وإمّا أن يراد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال».

وتناول معظم العلماء العرب الأوائل الحجاج بمعنى الجدل وهو ما أكّده



في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال».

وقد «رَكَّز على (المقام) خصوصاً الخطابة السياسية، وهي محاورة بين الأنداد، ويكثر فيها النصح والمشاورات (...) وتعتمد على الحجج المقنعة والأسلوب الجميل المؤثر».

وسنحاول في هذا البحث أن نبين كيف تمنح البلاغة الخطاب الحجاجي بُعداً إقناعياً، وذلك أن معظم الأساليب البلاغية تتوافر فيها خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية، ومدونة البحث (نصوص الأمثال العلوية في نهج البلاغة) وجدناها خطاباً حجاجياً بامتياز فقد استحوذت الصيغ والأساليب البلاغية عليها بكثرة، سواء أكانت صور بيانية أم مُحسَّنات بديعية.

٢- الصور البيانية:

تعدُّ الصور البيانية من أقوى الآليات البلاغية الحجاجية التي يستعملها المتكلم لغاية الإقناع والتأثير، وسنسوقُ أنموذجاً أو أنموذجين؛ لصعوبة ذكرها جميعاً في هذا البحث.

١-٢. التشبيه التمثيلي:

عبد الله صولة بقوله: «ومهما يكن من أمر، فإنَّ الحجاج والجدل يكثر ووردهما مترادفين، في اصطلاح القدماء من ذلك أنَّ أبا الوليد الباجي أسمى كتابه وهو من علم أصول الفقه بـ(سبيل المنهاج في ترتيب الحجاج)، مستخدماً في العنوان لفظة (الحجاج) كما نرى، ولكنَّه في المقدمة ينعتة بكونه كتاباً في الجدل».

أمَّا الحجاج عند العرب المعاصرين فقد عرّفه طه عبد الرحمن بقوله: «كلُّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ الاعتراض عليها».

وأمَّا عبد الهادي الشهري فقد عرّف الحجاج وربطه بالإقناع، فقال: «الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعملُ المرسلُ اللغةَ فيها وتتجسّد عبرها استراتيجية الإقناع».

وأمَّا محمد العمري فيرى أنَّ الحجاج طابعٌ إقناعيٌّ إذ يقول: «لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث على الحقيقة».

وقد اعتمد على المرتكزات الأرسطية لبلاغة الخطاب وربطها بالإقناع، يقول في ذلك: «وبدأ الحنين من جديد إلى ربطورية أرسطو الذي تتوسل الى الإقناع



أدّى التشبيه التمثيلي وظيفةً مهمّةً في تحديد مقصدية المثل العلوي، إذ اكتسب النصُّ دلالاتٍ واسعةً كان لها تأثير لغوي في إبلاغ المتلقّي مقصدية المتكلّم/ علي بن أبي طالب بطريقة موجزة ومقتصدة في اللغة من جهة أولى، واستطاع الإبداع في المثل العلوي أن يقول ما عجز عن قوله في غياب اللغة من جهة ثانية، وفجّر الحدود الدلالية بين فضاءات مختلفة من جهة ثالثة، فالإبداع العلوي - عن طريق المثل - قد اخترق بتوظيفه التشبيه التمثيلي الحدود اللغوية والبلاغية الخاصة بكلّ فضاء، وبكلّ شيء، وبكلّ موضوع، اخترقها ليشكّل منها كلاً واحداً متناقضاً في لغته، بيد أنّه متجانسٌ فيما توحى إليه دلالاته، وسنضرب مثالا على هذا: «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيْنٌ مَسُّهَا وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَرُّ الْجَاهِلُ وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ».

لَيْنٌ وَسَمُّهَا نَاقِعٌ فِيهَا.

ووظّف المتكلّم/ علي بن أبي طالب - في هذا المثل - التشبيه التمثيلي، وعزف عن القول الاعتيادي؛ لأنّه أقوى حجاجياً منه، فقد حاول أن يبلغ مقاصده الحجاجيّة التي تمثله في إقناع المتلقّي بأنّ الحياة الدنيا مثل الحيّة تماماً، لَيْنٌ مسّها والسّم الناقع فيها، وأنّ الهلاك في الركون إليها والاغترار بها، وهذه هي النتيجة التي توصل إليها علي بن أبي طالب عن طريق التشبيهي التمثيلي. فالتشبيه التمثيلي الحجاجي في هذا المثل كان أقوى حجّة من أيّ كلام مألوف؛ لذلك وظّفه الإمام علي بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجيّة العليا التي تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقّي وصرفه كلياً عن الدنيا الغرور.

٢-٣. الكناية:

الكناية صورةٌ بلاغيّةٌ قائمةٌ على تداعي المدلولات، وقد أورد النقاد والأدباء والفلاسفة تعريفاتٍ كثيرةً قديمةً وحديثةً نذكر منها على سبيل المثال ما أورده عبد القاهر الجرجاني في قوله: «المراد بالكناية هنا، أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ المذكور له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه

شبه الإمام علي عليه السلام الحياة الدنيا بالحيّة وحملها قيمة خطيرة، وذلك من أجل التعبير عن طبيعة الحياة الدنيا عند الناس، فتوظيف الألفاظ (الدنيا - الحية - لينة مسّها - السم الناقع فيها - يهوي - الغر - الجاهل - يحذر - ذو اللب - العاقل) تحمل بين طياتها أشدّ حالات الحذر من الدنيا المشبهة بالحيّة: ملمسها



وردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً أخرى هي ألفاظ المثل». عليه.

وثانيهما: إنه لما كانت الغاية من المثل النصيح والإرشاد أحياناً، والنقد والتقريع أحياناً آخر، ولما كان الأسلوب غير المباشر المؤدّي إلى هذه الأمور هو الأنفع والأجدى، كثرت الكناية في الأمثال. وهذه العلاقة القويّة بين المثل والكناية قد وظّفها الإمام عليّ عليه السلام لتحقيق القوّة الإبداعيّة الفنيّة للقول، ومالا يريد قوله صراحة وعلانية لأسباب أخلاقيّة أو عقديّة أو أيديولوجيّة، فالمجال أصبح واسعاً بتبني هذه الطريقة للمثل، إذ اقتحم الفضاءات الممنوعة، فقد تحدّث عن الممنوع والمفّوظ، بلغة سهلة تاركاً المجال للمتلقّي ليؤوّل ما يقدر على تأويله، فالكناية تساعد المتلقّي على الكشف عن الدلالة المسكوت عنها، ومن ثمّ تربطه مع المتكلّم عقوداً ذاتيّة وأخلاقيّة ونفسيّة وأيديولوجيّة، بحيث أنّهما يتكلمان اللغة الرمزيّة نفسها وينهلان من المنهل المرجعي نفسه، وهذا الفعل يؤهلهاما للتحليق بالنصّ بين الحقيقة والمجاز.

ونلاحظ كيف تكون للكناية قوة حجائيّة عن طريق الأمثال العلويّة: قوله: «بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي».

ومفهوم الكناية عند البلاغيين العرب هو: «لفظ أريد به ملزوم معناه الوضعي من حيث هو كذلك فإن لم يكن اللازم ملزوماً، احتاج العقل فيها إلى تصرف، وبذلك التصرف يصير اللازم ملزوماً».

وتعريف الكناية عند «جورج لاكوف» (George Lakoff) هي أن: «نستعمل كياناً معيّناً للإحالة على كيان آخر مرتبط به».

ويقول إبراهيم النظام مفصلاً ميزات المثل: «يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة».

فَبَيّنَ المثل والكناية علاقةً وطيدة؛ لأنّ المثل في أصله من الكناية كما قيل، فلماذا كثرت الكناية في الأمثال العربيّة؟ أورد إميل بديع يعقوب سببين لهذه الكثرة:

أولهما: إنّ المثل في أصله من الكناية؛ وذلك أنّ المتمثل به لا يصرّح بالمعنى الذي يريد، وهو مضرب المثل، ولا يُعبّر عنه بالألفاظ الموضوعية له في اللغة، وإنّما يخفي هذا المعنى، ويعبّر عنه بألفاظ

قد يقف المتلقّي عند المستوي السطحي للنصّ، ويأخذه على واقعيته وحقيقته، لتصبح الدلالة حقيقة مفادها كما قيل أو حكاية المثل: «إنّ رجلاً من جديس تزوّج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدائد وكان يعبر عنها بالتصغير، فتزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة فطلقها وقال: بعد اللّيتي والّتي لا أتزوج أبداً فجرى ذلك على الداهية». وهذه صورة حقيقية عاشها هذا الرجل بين زوجتين قصيرة وطويلة، ومقصديّة النصّ العلوي وما يحتويه من كناية «اللّيتي والّتي» تتعدّى الطرح الحقيقي الواقعي إلى طرح آخر، إذ لابدّ من البحث عنه في المستوى الرمزي الذي يريد المتلفظ دعوة المتلقّي إلى الإسهام في بئائه، وهو مستوى مجازي إيحائي ذو دلالات مستمّدة عناصرها من المرجع النفسي والاجتماعي والاخلاقي والثقافي الذي ينتمي اليه

المتكلّم والمتلقّي في الوقت نفسه.

فمقصديّة المثل العلوي تتمثّل في الحديث عن الخلافة والمطالبة بها أو السكوت عنها.

يقول الإمام علي: «... فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي وَاللَّهِ لَا بَنُ أَيْ طَالِبٍ أَنْسَ بِالْمَوْتِ مِنَ الطَّفْلِ بِشَدِي أُمِّهِ...».

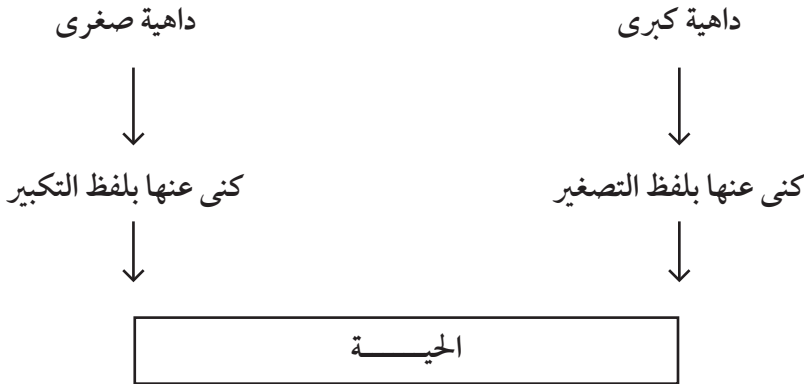
فالمثل: (بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي) تدلّ على المعرفة الحقيقيّة والعميقة بنفسيات الناس، فالمطالبة بالخلافة من الشيخين تقتضي أن يقول الناس عن علي بن أبي طالب أنّه حرص على الملك الديوي، وعدم المطالبة بها أي السكوت يقتضي أن يقول الناس عنه أنه جزع الموت.

ويمكننا رسم الخطاطة الآتية:

بعد اللتيا والتي

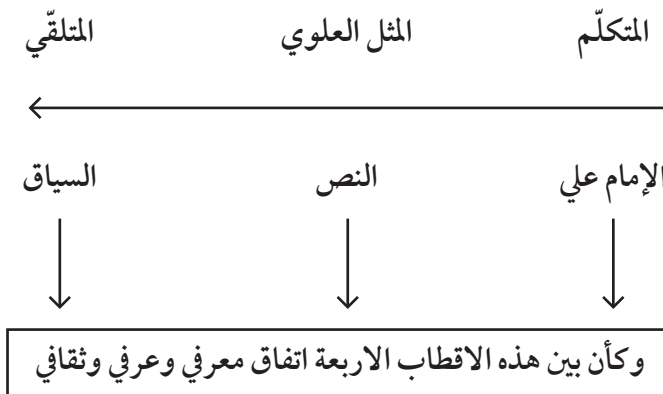
عدم المطالبة بالخلافة
(السكوت)

المطالبة بالخلافة
(الكلام)



تشبيه الخلافة بالحيّة فإنّها إنْ كثر سمها صغرت، لأنّ السمّ يأكل جسدها. على مستوى القول ومتلقيه ومناسبته، فالإمام علي يقول: «بعد ما قاسيت الأهوال الكبار والصغار، ومنيت بكل داهية عظيمة وصغيرة! فالتيا للصغيرة، والتي للكبيرة».

«وقيل إنّ العرب تصغر الشيء العظيم كالدهيم واللهيم وذلك منها رمزاً». إنّ استعمال النص العلوي الكناية في تحديد المقصدية الحجاجيّة له ما يسوغه





فالكنية لها مكانة مهمة في الحجاج، إذ هي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه وإقناع قارئه، قال الزركشي: «وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود، فيومئ به إليه، فيدلُّ على المراد من طريق أولى».

أورد المتكلم/ علي بن أبي طالب هذا المثل في صفة كناية ليصل إلى هدفه الحجاجي، وتقريب المتلقي إلى فكره بهدف إقناعه، وليجعله يكتشف ذلك بتأويله، ومتى اكتشف ذلك أقرَّ بصحة الأفكار، وهذا ما يصبو إليه الإمام علي.

بعد التليا والتي

فعبارة (بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي) هي حجة في صفة كناية، ونتيجة المؤولة الضمنية، من قبيل، (الخلافه) وهو مثل سائل يضرب لأمرين داهيين، أحدهما أدهى من الآخر: الكلام في أمر الخلافه أو السكوت عنها.

٢-٤. الإيجاز

بيّن البلاغيون القدماء أهمية الإيجاز في الحجاج ودوره الفعّال في الخطابات؛ لأنّه الوسيلة الأهم في عملية التأثير

في المتلقي، وأن القصير الموجز أنفذ إلى الأسماع، وأحسن موقعاً في القلوب، فهذا ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة: «وقال بعض العلماء يحتاج الشاعر إلى قطع حاجته إلى الطوال، بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثيل والملح أحوج إليه من إلى الطوال».

وأشار (ربول) إلى أهمية الإيجاز ووظيفته الأساسية في العملية الحجاجية، فهو وسيلة للتأثير في المتلقي، إذ إنّ القصير الموجز أنفذ إلى الأسماع، وأحسن موقعاً في القلوب، إذ يقول: «الإيجاز هام من زاوية تُعنى بالحجاج، لأنّه يشكل سلاح يواجه به العدو بين القائلين النسيان وعدم الانتباه، ولا يحتفظ من القول إلا بأقله، وحتى هذا القليل معرّض للنسيان لبعده عن الإيجاز».

ونلاحظ في البلاغة العلوية توافرها على هذه الآلية البلاغية بكثرة، إذ تعد خاصية من الخصائص، وكأن الباحث/ الإمام علي أقام نصّه على الإيجاز بما فيه من الأهمية في انتباه المتلقي.

ومن ذلك قوله: «مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَر».

وهكذا يتجسّد الإيجاز في الحجاج التي قدّمها الإمام علي لتدعيم الطرح، ويكون



ترتيب الحجج على النحو الآتي:

٣- المحسنات البديعية:

النتيجة: الاستئثار على الرعية بالمال والعزّ والجاه ونحوه:

ح ١: من ملك.

ح ٢: استأثر.

قال الميداني: «من ملك استأثر، يضرب لمن يلي أمراً فيفضل على نفسه وأهله فيعاب عليه فعله».

وهذا المثل جاء به الإمام علي لإرشاد ذوي المناصب أو من تصدّى لأمرٍ من الأمور المخولة إليه.

قال الزمخشري شارحاً المعنى: «إنَّ الأغلب في كلِّ ملك يستأثر على الرعية بالمال والعزّ والجاه ونحو هذا المعنى قولهم: من غلب سلب، ومن عزّ بزّ».

فكلُّ حجة استعملها المتكلم / الإمام علي هي اختصار لجمال كثيرة، وهذا الاختصار والإيجاز، ولهذا الإيجاز وظائف عدة منها: لكي لا يدفع بالمتلقي إلى الملل من جهة، وإلى إقناعه من جهة أخرى، وكذلك يفسح له المجال ليتوسع في التأويل، وشرح هذه الحجج ليقنع نفسه بنفسه.

المحسنات البديعية يمكنها أن تؤدي الوظيفة الحجاجية، ووجدنا المثل العلوي يمتلك تلك المحسنات البديعية بكثرة، وذلك راجع إلى بلاغة نصوص المثل، ومقصديّة الإمام علي في الاختيار والتضمين لخطاباته بغية الإقناع والتأثير في المتلقي.

٣-١: الطباق:

يتميز الطباق أو التضادّ بحضور قوي في الأمثال الشعبية، ولهذا الحضور ما يسوّغه على المستوى الإبداعي والثقافي والاجتماعي، والطباق أو التضاد كما عرّفه راجي الأسمر: «هو الجمع بين متضادين، وقد يكون هذان المتضادان اسمين، نحو: (كريم بخيل) وفعلين نحو: (فرح حزن)، وحرفين: (لنا علينا)».

إنّ الواقع الاجتماعي والسياسي الذي احتضن نصّ المثل العلوي إبداعاً واستثماراً ليس واقعاً منسجماً، بل مملوءاً بالتناقضات، ومن ثمّ أصبح من الأهمية بمكان أن يقدم الإمام أمثلة من الواقع المعيش (المادي والمعنوي) على وفق قانون هذه التناقضات التي يعيشها ويعايشها يومياً، فهي الصورة الحية والناطقة



على هذه التناقضات التي تواجه الفرد والمجتمع في آن، وهي شاهد حق على ما آل إليه المجتمع من تأخر وتخبّط وانحطاط.

ومثال ذلك: «الدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ».

فهذا كلام الإمام علي بن أبي طالب الجاري مجرى الأمثال: «الدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرُ وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ».

فبين (يوم لك) و(يوم عليك) علاقة تضادّية حركيّة، ظهرت بشكل جلي على المستوى اللغوي.

يوم عليك



وقت الثبور

يوم لك



وقت السرور

فالعناصر اللغويّة لا تنفي بعضها بعضاً، ولا تتصارع فيما بينها، فهي تتكامل على الرغم من الطابع التناقضي الذي يميّزها؛ لأنّ العلاقة التي تجمعها هي علاقة سلوكيّة وأخلاقيّة اجتماعيّة، تقدم معنّى عميقاً: إنّ الذي يعيشُ مسروراً محبوراً في أيام الرخاء عليه أن يشكر الله

سبحانه وتعالى، وأنّ من يعيش الثبور والبلاء عليه أن يصبر، فالعلاقة التطابقية هي بالأحرى علاقة تحويليّة تكاملية بين الرخاء والبلاء، بين وقت السرور ووقت الثبور. فالإمام علي جاء بهذه الأضداد من أجل تدعيم الفكرة، ويمكن أن نعدّ كلّ ثنائيّة بمثابة حجة.

٢-٣: المقابلة:

ظهرت المقابلات في نصوص المثل العلوي متنوعة ومتعدّدة، منها البسيط والقصير، ومنها المعقّد الطويل، وذلك يظهر جلياً بحسب مقام الكلام ومقصديّة الحديث.

وعرّف ابن رشيق القيرواني المقابلة بقوله: «هي ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به لآخره، ويؤتى في الموقت بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا تجاوز الطباق ضدين كان مقابلة». ومن أمثلة المقابلة: مقابلة عنصر بعنصر: «أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا» عدّ أبو هلال العسكري هذا القول من كلمات الإمام علي الحكيمة في الأمثال في جمهرته فقال: «المثل لأمر المؤمنين علي



بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهونا اي قصدا غير افراط»^(١).
والنفسية والثقافية والاقتصادية والسياسية والعقائدية»^(٣).

فاعل الخير ← فاعل الشر

فسيدُ البلغاءِ علي بن أبي طالب قد أعطى نصوصه هذه الإيقاعية الجمالية باستعمال (المقابلات) لا لغاية جمالية فحسب، وإنما ليقنع جمهور المخاطبين أو قل المتلقين للخطاب بأطروحاته ورأيه عن طريق الإيقاع والموسيقا التي تحدثها المقابلات داخل نصّ المثل.

ومن أمثلة الطويل المعقّد:

«فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ»^(٢).

فاعل الخير ← فاعل الشر

٣-٣: السجع
عرّف محمد إبراهيم شادي السجع بقوله: «هو توافق نهايات الجمل، والأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر. وقد جاء في كلام العرب قديماً بالطبع والسليقة وكان له حسنه وأثره»^(٤).

خير منه ← شر منه

أكسبت المقابلة نصّ المثل العلوي بنية أدبية وجمالية شاعرية وإيقاعية محكمة من جهة، ومن جهة أخرى أكسبت النصّ بنية دلالية موسّعة ومزدوجة الإيقاع، وكما يقول محمد سعيدي: «تتحدّ أبعادها وعلاقاتها بالمبدع والمتلقّي وتؤيلهما للحياة وموقعهما من القضايا الاجتماعية»

يعدّ المثل العلوي خطاباً إيقاعياً بالدرجة الأولى، وقد أكسبته هذه الإيقاعية شعريّة ظاهرة، التي قام ببنائه على حركيتها من جهة، ومما زاد في قوّة هذه الإيقاعية تلك البنية البلاغية المتعدّدة والمتنوعة الروافد من تكرار وجناس وتضاد ومقابلة وتشبيه وغيرها من

١- محمد الغروي، مصدر سابق، ٢٣

٢- محمد الغروي، مصدر سابق ص ٩٣

٣- محمد سعيدي، مرجع سابق، ص ٤٢

٤- محمد إبراهيم شادي، علوم البلاغة وتحليل القيمة الوظيفية في قصص العرب: المعاني والبيان والبديع، ط ١، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ٥٢٨



جهة أخرى، وأنَّ البنية الإيقاعيَّة المحركة لنصوص الأمثال العلويَّة، خلقت موسيقا خاصَّة ومميزة، سواء على مستوى التلفظ لدى القائل، أو على مستوى التلقِّي، إذ يستسلم المتلقِّي بحواسه لتلك اللذة التي قد يحدثها النص التي تحرك الوجدان الداخلي فيحتضن نص المثل الذي استقر في الأذن، ثم في باطن الذات ليتجاوب مع الاستيعاب والمساءلة^(١).

ومن ذلك: «رُبَّ قَوْلٍ أَنْقَذَ مِنْ صَوْلٍ»^(٢).

هذه البنية الإيقاعيَّة القائمة على السجع وهو انتهاء آخر كلمة من كلِّ جزء من هذا النصِّ بحرف (اللام) في القسم الأول (قول)، وحرف (اللام) في القسم الثاني (صول)، ويعمل الحرفان على استمالة المتلقِّي حسِّياً، فيعطيان موسيقا خاصَّة، تجعل من المتلقِّي ينتبه بكامل مجامع قلبه وبقوَّة نحو المتكلِّم، ومن ثم يقتنع ويتأثر.

إنَّ آيات الإبداع في خطاب المثل عند الإمام علي يتجسَّد في استعماله لهذه الصورة البلاغيَّة (السجع) ليس لغاية جماليَّة، وإنَّما لغاية حجاجيَّة، ففي الموسيقا

حجاج، فالذات المتلقِّيَّة تتأثر بالإيقاع السجعي في المثل فتحدث الموسيقا حركة تفاعليَّة لدى المتلقِّي الذي يتأثر عند سماعه لهذا النص أو ذاك بذلك الواقع الموسيقي الذي يحدثه السجع، فييقاع نص المثل العلوي المزدوج (اللذة/ الانفعال) ومن ثم الإقناع والحجاج.

ولعلَّ ما يؤهل نصَّ المثل العلوي إلى مرتبة أدبيَّة وجماليَّة هي تلك الإيقاعيَّة بأنغامها الموسيقيَّة التي تحرَّكه على مستوى اللذة، وأمَّا على مستوى التفاعل (الحجاج)، فإنَّ المثل نتاج العقل؟ وثمره التدبُّر والتأمُّل في الحياة؟. لذلك وظَّفه الإمام علي لدعم حججه ودحض حجج غيره، فالمثلُّ المسجوع هو فصل الخطاب فيما ذكره من قضايا ومواقف دارت بينه وبين خصومه وجنده وأصحابه.

١- محمد سعيدي، مرجع سابق، ص ٥-٦

٢- محمد الغروي مصدر سابق، ٥٩



خاتمة البحث:

الأمثال العلوية.

إنَّ العلاقة الوطيدة بين المثل والكناية قد وظَّفها الإمام علي لتحقيق القوَّة الإبداعية الفنيَّة للقول، والإفادة منها فيما لا يريد قوله صراحة وعلانية لأسباب أخلاقيَّة أو عقديَّة أو أيديولوجيَّة، فالمجال أصبح واسعاً بتبني هذه الطريقة للمثل، إذ اقتحم الفضاءات الممنوعة، فقد تحدَّث عن الممنوع والمفوض ولاسيما في أمر الخلافة، بلغة سهلة تاركاً المجال ليؤول ما يقدر على تأويله، فالكناية تساعد المتلقِّي في الكشف عن الدلالة المسكوت عنها، ومن ثمَّ تربطه مع المتكلِّم عقوداً ذاتية وأخلاقيَّة ونفسيَّة وأيديولوجيَّة، إذ إنَّها يتكلمان اللغة الرمزيَّة نفسها وينهلان من المنهل المرجعي نفسه، وهذا الفعل يؤهِّلهما للتحليق بالنص بين الحقيقة والمجاز.

أدَّى التشبيه التمثيلي وظيفته مهمة في تحديد مقصديَّة المثل العلوي، إذ اكتسب النصُّ دلالاتٍ واسعة كان لها تأثير لغوي في إبلاغ المتلقِّي مقصديَّة المتكلِّم/ الإمام علي بطريقة موجزة ومقتصدة في اللغة، واستطاع الإبداع في نصوص المثل العلوي أن يقول ما عجز عن قوله في غياب اللغة من جهة، وفجر الحدود الدلاليَّة بين فضاءات مختلفة من جهة أخرى، فالإبداع العلوي عن طريق المثل قد

درسنا في هذا البحث حجاجيَّة المثل العلوي في كتاب (الأمثال في نهج البلاغة) لمحمد الغروي، ويمكننا الوقوف على جملة من النتائج التي خلصنا إليها:

إنَّ المثل العلوي يحمل طابعاً حجاجياً بامتياز، فالتكلُّم/ الإمام علي يريد عن طريقه الوصول الى أغراضها من جهة التأثير، وإقناع المتلقِّي من جهة أخرى، وقد تنوعت هذه الأغراض الحجاجيَّة في أمثاله الثريَّة والشعريَّة.

قدَّم المثل العلوي وظيفة مهمَّة، فقد عبَّر بصدق عن طريق منهجه التجريبي عن الأفكار الحقيقة والفلسفيَّة لها، ومثل أنموذجاً ذا قيمة حجاجيَّة عالية جداً لا بدَّ من تمثّلها في السلوك الإنساني، وكان الهدف الأسمى من الحجاج بالمثل العلوي هو إيصال رسالة الإنسان العربي المحافظ على القيم والمبادئ للقارئ بغية تحقيق الإقناع والإمتاع.

جاء المثل العلوي حاملاً صورياً بلاغيَّة كالتشبيه والكناية والإيجاز والمقابلة والطباق والسجع...، وهي عناصر تكسب القول درجة عالية من الإقناع والتأثير، ويمكن النظر إلى هذه الوسائل نظرة جماليَّة، فضلاً عن النظرة الحجاجيَّة التي تؤدّي الوظيفة الأساس في نصوص





اخترق بتوظيفه التشبيه التمثيلي الحدود اللغوية والبلاغية الخاصة بكل فضاء، وبكل شيء، وبكل موضوع، اخترقها ليشكل كلا منها واحد متناقضاً في لغته، بيد أنه متجانس فيما توحى إليه دلالاته. إن الكناية في المثل العلوي من التقنيات الحجاجية التي وظفها الإمام علي في خطابه، فكان لها دور مهم في الحجاج، إذ هي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه وإقناع قارئه وتغيير معتقدات متلقيه، فالتكلم / الإمام علي أطلق هذه الأمثال في صفة كناية إلى هدفها الحجاجي، وهو تقريب المتلقي إلى فكره بهدف إقناعه، ليجعله يكشف ذلك بتأويله، ومتى اكتشف ذلك أقر بصحة الفكرة، وهذا ما يبتغيه الإمام علي.

اتضح أهمية الإيجاز في المثل العلوي في خطابه، ودوره الفعال في العملية الحجاجية، فهو وسيلة للتأثير في المتلقي، إذ إن القصير الموجز - كما هو معروف - أنفذ إلى الأسماع، وأحسن موقعاً في القلوب، وإذا ما جئنا إلى إبداع المثل العلوي وجدنا أن آلية الإيجاز البلاغي موجودة بكثرة، إذ تعدّ خاصية من خصائصه، وكأن الإمام علي أقام نصّه على الإيجاز بما فيه من الأهمية في انتباه المتلقي.

امتاز الطباقي بحضور كبير في الأمثال العلوية في خطاب الإمام علي، وكان

لهذا الحضور ما يسوّغه على المستوى الإبداعي والثقافي والاجتماعي، وأنّ الواقع الاجتماعي الذي احتضن نصّ المثل العلوي في البيئة العربية سواء أكان في مكة المكرمة أم في المدينة المنورة، أم في الكوفة إبداعاً واستثماراً ليس واقعاً منسجماً، بل مملوءاً بالمتناقضات، والحروب والصراعات، والخلافات.

أدّى المحسن البديعي وظيفه حجاجية، فضلاً عن وظيفته الجمالية، فقد أكسبت المبالغة نصّ المثل العلوي بنية أدبية وجمالية شاعرية وإيقاعية محكمة، من جهة، ومن جهة أخرى أكسبت النصّ بنية دلالية موسّعة ومزدوجة الإيقاع.

إن استعمال الإمام علي هذه الصورة البلاغية «السجع» في المثل العلوي ليس لغاية جمالية، وإنما لغاية حجاجية، ففي الموسيقى حجاج. فالذات المتلقي تتأثر بالإيقاع السجعي في المثل فتحدث موسيقاهما حركة تفاعلية لدى المتلقي الذي يتأثر عند سماعه لهذا النصّ بذلك الواقع الموسيقي الذي يحدثه السجع، فإيقاع نصّ المثل العلوي المزدوج (اللذة/ الانفعال) ومن ثم الإقناع والحجاج..

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم، منقحاً على الرسم العثماني، ط، دار الصفوة، بيروت، د.ت
- محمد الغروي، الأمثال في نهج البلاغة، ط١، قم: انتشارات فيروزبادي، ١٩٨١.

ثانياً: المراجع العربية:

- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٥ جزء، ١٩٩٠.
- أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ط١، بيروت: دار الجيل، مج ٢، ١٩٩٩.
- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٢.

- أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ط، بيروت: دار صادر، ١٩٩٢.

- أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، ج١، ١٩٦٦.
- أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٤.
- إميل بديع يعقوب، موسوعة أمثال العرب، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥.
- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت: دار التراث، ٢٠٠٨.
- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجه، تونس: دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦.
- راجي الأسمر، علوم البلاغة، إشراف إميل يعقوب، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٩.



● ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، علق عليه إبراهيم شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢.

● السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، ط ١، دار المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٦.

● طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٧.

● عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، ط ٢، بيروت: دار الكتاب، ٢٠٠٤.

● عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق الشيخ محمد عبده ومحمد محمود التركي الشنقيطي، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

● عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط ١، دار الفارابي، ٢٠٠٠.

● علي الجارم ومصطفى أمين،

البلاغة الواضحة: البيان والمعاني والبديع، تحقيق علي زينو وأحمد القادري، ط ١، سوريا: دار قباء، ٢٠١٥.

● محمد إبراهيم شادي، علوم البلاغة وتجلي القيمة الوظيفية في قصص العرب: المعاني والبيان والبديع، ط ١، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ٢٠١١.

● محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ط ١، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٦.

● محمد بن عاشور، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ط ١، بيروت: مؤسسة التاريخ. لا.ت.

● محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط ١، المغرب: دار الثقافة، ٢٠٠٥.

● محمد سعيدي، التشكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون جزائر، ٢٠٠٩.



ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- Ansconbre, Largementation dans the langue, Op cit.
- Decrot and Perlman and Tytica, Trait of The argumentation pci t..
- The grand Robert dictionnaire of langue Francis, 1st radiation, Paris, 1989.
- Cambridge Advanced learns, diction. Cambridge university, press 2nd pud 2004.





الأثر التربوي في حديث الغدير

الشيخ حسن حسين الحلي



الحوزة العلمية - النجف الاشرف





يقع موضوع الأثر التربوي في حديث الغدير في مطلب:
المطلب الأول: تربية الفرد المسلم في حديث الغدير.
المطلب الثاني: تربية المجتمع الإسلامي في حديث الغدير.
المطلب الثالث: تربية الأمة المسلمة في حديث الغدير.

مقدمة:

لعام الفيل في ١٣ رجب الحرام في بطن الكعبة.

أبوه سيد البطحاء عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم يرجع نسبها إلى قصي بن كلاب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

الإمامة

فقد عرفها الشيخ المفيد هي ^(٢):

التقدم في ما يقتضي طاعة صاحبه والافتداء به بإيثار سبقه ظهور حالة أوجب له ذلك عند الله تعالى ليزكي أعماله وقد فرض الله تعالى طاعة هذا الإمام فرضاً لازماً كما تعين وجود هذا الإمام وذلك من خلال هذه الأدلة:

١- القرآن الكريم

٢- الخبر عن النبي الأعظم عليه السلام

٣- الاجماع

الحديث عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام لا تسعه هذه الوريقات؛ لأنّ الحديث عن الإمام علي عليه السلام حديث عن النبي الأعظم عليه السلام، إذ هو نفس النبي بنص القرآن (أنفسنا وأنفسكم) ^(١) وحديث الإسلام، إذ إنّ الإمام علي عليه السلام تجسد فيه الإسلام فقد حمل الأخلاق الإسلامية و تعاليم الإسلام ومفاهيم الإسلام ومبادئ الإسلام بكلّ ما تحمل الكلمات من معنى.

والحديث عن الإمام علي عليه السلام حديث عن القرآن ومعارفه وتعليمه وآدابه، وقد اخترت الأثر التربوي في حديث الغدير ليكون واقعة الغدير تشكل نقلة نوعية في حياة الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية لما لهذه الواقعة من الأثر البالغ في ثقافة المسلمين لو تركوا العناد وانصاغوا للحق.

لمحة من سيرة الإمام علي عليه السلام

فهو الإمام والخليفة والوصي وأخو الرسول وزوج ابنته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ولد في مكة سنة ٣٠

١- سورة المائدة اية المباهلة

٢- في المقالات



فَأَمَّا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِ الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾^(١) فأوجب معرفة الأئمة من حيث أوجبه طاعتهم كما أوجبه ما معرفة نفسه ومعرفة نبيه ﷺ بما ألزم طاعتهم أيضاً قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. أما الخبر عن النبي ﷺ وسلم فهو المتواتر عن النبي ﷺ إنه قال: (من مات وهو لا يعرف أمام زمانه مات ميتة جاهلية).

وفي هذا الحديث من الأهمية بعقيدة الإمامة والإمام مفترض الطاعة بما لا يخفى فإنه في اتباع الإمام المفترض الطاعة أمان من الفرقة ولا جاه للأمة من حيث أن بعد رحيل الرسول الأعظم ﷺ لا بد من الرجوع إلى من يدير شؤون الأمة بجدارة وعلم وحكمة وهذا لم يكن متوفراً إلا في المعصومين عليه السلام.

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ مَعْرِفَةُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَاجِبَةٌ شَرْعاً وَعَقْلاً كَوُجُوبِ مَعْظَمِ الْفَرَائِضِ فِي الدِّينِ هَذَا مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ أَنَّهُ لَا بَدَّ بَعْدَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ مِنْ إِمَامٍ

يكون مفترض الطاعة كما كان الرسول ﷺ والقائم برئاسة الدين مقام الرسول الكريم ﷺ فهو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وعليه قد أجمع المسلمون على اختلافهم في الآراء والأهواء فيما أوجبت له ذلك من إجماع خصال الفضل له فهو شريك الرسول ﷺ في النسب ومساهمته له في كريمة الحسب، وقد أقر له الجميع في جهاده الكفار وتقدم على كل من حول الرسول ﷺ بالفضل والمعرفة والعلم والشجاعة وزهده وحكمته في التدبير وسياسة الإمام وغناه بكماله في التأديب المتوج إليه النقص عن الكمال هذه من ناحية الصفات اللازمة، وأمّا من ناحية الأفعال الدالة فإن الأمة قد اتفقت على النبي ﷺ قد قدمه في حياته وأمره على جماعة من وجوه أصحابه، واستخلفه في أهله استكفاه أمرهم عند خروجه إلى تبوك قبل وفاته واختصه في أهله لإيداع أسرارهم وكتبه وعهوده، وقيامه مقامه بما يملك من الأهلية التي أهلته لكي يكون الامتداد للنبوة باختيار السواء.

بعد ذكر بعض الترجمة لشخصية أمير المؤمنين وأمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام وذكر بعض ما ذكر العلماء عن الإمامة



في عقيدة الشيعة الإمامية نذكر بعض الفضائل التي وردت في أمير المؤمنين عليه السلام.

الحديث الأول:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني)^(١)

دلّ هذا الحديث الذي صحّحه كبار علماء السنة على فضل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد صدر هذا الحديث ممن لا ينطق عن الهوى، فليس هو إلا وحي يوحى، فالنبي صلى الله عليه وآله يشهد لهذا الإمام بالفضل والمنزلة، بحيث كان من الفضل والمنزلة مما جعله بمنزلة الرسول وفضله التي تكون هذه الفضيلة وهي طاعة الإمام بمثابة طاعة الله والرسول قوله تعالى (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)^(٢).

الحديث الثاني:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى تبوك واستخلف علياً، فقال: اتخلفني في الصبيان والنساء قال: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي

بعدي)^(٣)

هذا الحديث متفق عليه أخرجه أصحاب الصحاح والمسانيد المعتبرة، ومفاد هذا الحديث أن الإمام علي رضي الله عنه كل منزلة كانت لهارون من موسى إلا النبوة، حيث ختمت بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وتلخص هذه المنزلة بعدة مقامات، الوزارة والأخوة وشدة أزره به والإصلاح بين أمة الرسول بعلي، والشركة في أمر الرسول فقد كان مع الرسول يفديه بنفسه مخلصاً له ومبيته على فراشه من أعظم الفداء والتضحية لرسول الله ودين الحق.

الحديث الثالث:

عن بريدة قال (غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوه فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرت علياً فنقصته فرأيت وجه رسول يتغير فقال يا بريدة ألسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول فقال من كنت مولاه فعلي مولاه)^(٤)

١ - المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٢١

٢ - سورة النساء آية ٨٠

٣ - صحيح البخاري غزوة تبوك، ج ٥، ص ١٢٩

٤ - المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١١٠



واقعة الغدير:

أيضا في هذا الحديث يقرن الرسول الأعظم ﷺ طاعته بطاعة الإمام علي عليه السلام ويجعل ولايته ولاية الرسول ﷺ وهذا يوصلنا إلى طاعة الله تبارك وتعالى كما في قوله تعالى (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(١)، فالنبي يَنْبَهِ هذا الصحابي بأنَّ عليا موالاته مولاتي وطاعته طاعتي، فأقواله وأفعاله وتصرفاته كلها معصومة مسددة، يتغني بها وجه الله تعالى، فلا تشكُّك في فعله وتصرفاته وقوله، وانظروا إليه بكل إجلال وإعزاز، فإنَّه نفس النبي ﷺ كما قال تعالى (وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ)^(٢).

قبل الدخول في صلب الموضوع يجدر بنا أن نذكر هذه الواقعة الإسلامية العظيمة كما ذكرها المؤرخون وذكرتها الصحاح والمسانيد المعتبرة حيث جاء فيها:

أجمع رسول الله ﷺ الخروج إلى الحج في سنة ١٠ من الهجرة، وأذن في الناس بذلك

فقدم المدينة خلق كثير يأتمون به في حجته تلك التي يقال عنها حجة الوداع وحجة الإسلام وحجة البلاغ وحجة الكمال وحجة التمام، ولم يحج غيرها، ومنذ هاجر إلى أن توفاه الله فخرج ﷺ من المدينة مغتسلاً متدهناً مرتجلاً متجرداً في ثوبين صحاريين: أزرار ورداء وذلك يوم السبت لخمس ليالي بقين من ذي القعدة وأخرج معه نساء كلهن في الهوداج، وسار معه أهل بيته وعامة المهاجرين والأنصار، ومن ساء الله من قبائل العرب وأفناء الناس^(٣) ومعه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى، فقد قيل: خرج معه تسعون ألفاً، وقيل مئة وأربعة عشر ألفاً، وقيل مئة وعشرون ألفاً، وأمَّا الذين حجَّوا معه فأكثر من ذلك كالقيمين في مكة والذين أتوا من اليمن مع علي أمير المؤمنين عليه السلام، فلما قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع، وصل إلى غدير خم من الجحفة التي تشابه فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرائيل الأمين عن الله بقوله (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

١- سورة النساء آية ٨٠

٢- سورة المائدة آية المباحلة

٣- الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٢٢٥

٤- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٣



رَبِّكَ)، وأمره أن يقيم علياً علماً للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فامر الرسول ﷺ أن يرد من تقدم منهم ويحس من تأخر عنهم في ذلك المكان ونهى عن سمرات خمس مقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد حتى أخذ القوم منازلهم فقام ما تحتهن حتى إذا نودي للصلاة صلاة الظهر عمد إليهن، فصلى بالناس تحتهن وكان يوماً هاجراً فقام الرسول صلى الله عليه وسلم خطيباً وسط القوم^(١).

فقال: الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله. أمّا بعد أيها الناس فقد نبأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمّر نبي إلاّ نصف عمره الذي يليه من قبله وإني أوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون.

قالوا نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً قال: أستم تشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق، وأن

الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، قالوا بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، فقال: أيها الناس ألا تسمعون، قالوا اللهم نعم، قال فإني فرط على الحوض وأنتم واردون عليّ الحوض وأنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنأدى مناد وما الثقلان يا رسول الله، قال الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وأن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض أباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ﷺ إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي المولى يقوله ثلاث مرات. ثم قال ﷺ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيثما دار ألا فليبلغ الشاهد الغائب ثم لم يفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله



تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾^(١)، فقال رسول الله ﷺ الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي ثم طفق القوم يهتفون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هناه في مقدم الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: (بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عباس وجبت وحببت والله في أعناق القوم)^(٢).

بعد ذكر هذه الواقعة الإسلامية المصيرية والنقلة النوعية في مستقبل الأمة الإسلامية نتقل إلى موضوع الأثر التربوي في حياة الفرد المسلم عن طريق معطيات حديث الغدير، إذ إن المجتمع يتكون من الأفراد وهم اللبنة الأولى في تكوين المجتمع والفرد المسلم، وقد عاش في ظل توجيهات الرسول ﷺ التربوية الأبوية وعاش كل مناحي الحياة التي رسمها الرسول الأعظم من خلال أقواله وأفعاله وتوجيهاته فقد كان الرسول ﷺ بما فاضت عليه السماء من تعاليم ومعارف وسلوك قد ربى الفرد المسلم تربية

سماوية مليئة بالحب والعطف والتسامح والثقة والتعاون وحب الخير والألفة لكي يكونوا أسوة حسنة للآخرين.

لا ريب أن كمال الفرد المسلم بالعقل والعلم والعبادة والإطاعة بالاختيار الذي خلق لأجله الإنسان الذي امتاز في خلقته بالعقل والاختيار وكمال الإنسان بلوغه إلى مرتبة الاتصال بعالم الغيب واستنار عقله بنور الوحي وهي مرتبة النبوة هذه المفاهيم الإسلامية ربى الرسول الأعظم ﷺ الفرد المسلم لكي يكون مستقيماً ناجحاً في حياته مقدماً لآخرته عاملاً لها مستثمراً كل الفرص لأجلها، ثم إن الرسول الأعظم ﷺ أخذ بتربية الفرد المسلم إلى ترسيخ عقيدة الإمام من بعده ولكي تكون عقيدة يتوارثها الأجيال فبعد ما كان مفهوم النبوة سفارة بين الخالق وخلق له لإضاءة عقولهم بضياء الحكمة الإلهية وهي مرتبة الرسالة وكمال هذه المرتبة بلوغها إلى مرتبة العزم على العهد المعهود والميثاق المأخوذ الذي هو مرتبة أولى العزم من الرسل المبعوثين بالشرعية وكمال هذه المرتبة الوصول إلى مرتبة الختامية التي هي مرتبة المبعوث

١- سورة المائدة، ٣.

٢- الخصائص، صحيح النسائي، ص ٢١، السنن الكبرى تاريخ ابن كثير صححه الذهبي، مناقب الخوارزمي في احاديث الغدير ابن الجوزي في المناقب.



في الشريعة الأبدية التي هي نهاية الحد،
وصاحبها أول العدد وآخر الأبد، الخاتم
لما سبق والفتاح لما أُستقبل، وهو الاسم
الأعظم والمثل الأعلى ﷺ وقد وصل علي
أمير المؤمنين عليه السلام إلى مرتبة قال فيها رسول
الله الأعظم ﷺ (علي مني) ^(١) الكاشف
عن اشتقاق الإمام علي عليه السلام من الجوهرة
الفريدة في عالم الإمكان وهي النفس
القدسية التي هي العلة الغائبة من
خلق العالم واستخلاف آدم عليه السلام ولم يقتصر
الرسول الأعظم ﷺ على هذا بل قال
(وأنا منه)؛ لأن غاية وجوده والهدف من
بعثته ودعوته هو الهداية إلى الدين القويم
والصراط المستقيم، لم تتحقق حدوثاً وبقاءً
إلا بالإمام أمير المؤمنين علي وأبنائه
المعصومين عليهم السلام، فبعد أن ربي الرسول
الأعظم ﷺ الفرد المسلم على القيم
والأخلاق والمبادئ والمعارف الإسلامية،
أيضاً ربي الفرد المسلم على الطاعة لأولي
الأمر، والتسليم لهم بأن يكون ذلك
عقيدة يعتقدها ويدافع عنها لكي تكون
منهجاً ينتهج في حياته وذلك عن طريق
عقيدته بالإمامة والإمام.

وقف الرسول ﷺ مع المسلمين في تلك
الارض القاحلة في مناخ صعب وخرج
وشديد وكفى كل هذا لم يشكل اي عائق
بل علم المسلمين الصبر لكي يحصلوا
على النتيجة التي ترسم المستقبل المشرق
بولاية الإمام علي عليه السلام إمام الخير والبركة
واليمن والسعادة.

أيضاً أخذ الفرد المسلم من واقعة
الغدير العزم والشجاعة في اتخاذ الموقف
في قضية مصيرية، إذ إن النبي الأعظم
بتنصيبه للإمام علي عليه السلام في غدير خم
للولاية والإمامة والخلافة كان موقفه
موقفاً شجاعاً مؤيداً من السماء، على
الرغم من حسد الحاسدين والحاquدين
والقلوب المريضة التي تتربص بالإسلام،
مع كل ذلك أعلنها الرسول ﷺ (من
كنت مولاه فعلي مولاه)، هذا الموقف
الشجاع على الفرد المسلم الإفادة منه في
اتخاذ القرارات المهمة، والعزم في الأمور
المصيرية، وتكون واقعة الغدير نصب
عينيه ليستلهم منها كل ما يحتاجه في حياته
وأخترته؛ لكون هذه الواقعة غنيمه كبرى
في تربيته النفس والسلوك الإنساني..

فكانت واقعة الغدير فعلاً هي الأثر
ال تربوي الخالد في حياة الفرد المسلم،
حيث يأخذ منها الدروس في الصبر حيث



الأثر التربوي في المجتمع الإسلامي في حديث الغدير:

بعد ذكر المطلب الأول بإيجاز نعرض
على المطلب الثاني:

يتكون المجتمع من الأفراد، والأفراد هم اللبنة الأولى للمجتمع، والفرد والأفراد يواجهون في حياتهم البيئة وهي المؤثر الأول، والمجتمع هو المؤثر الثاني، والمجتمع تارة نقصد به المجتمع البشري الإنساني وهذا على نحو العموم، وتارة نقصد به المجتمع الإسلامي وهو المقصود في البحث هنا.

ينظرُ المجتمعُ الإسلاميُّ الى واقعة الغدير، فيأخذ منها الدروس والمعاني التربويّة لكلِّ مناحي الحياة الإسلامية ولكلِّ الأزمنة وعلى كافة الأصعدة ولكل الأجيال؛ لما تمثله هذه الواقعة من نقلة نوعية في مصير الإنسانية، فعند مراجعة فقرات ومفردات الواقعة وعناية السماء ونزول الوحي بالآيات، نجد أنّ السماء ضمنّت للمجتمع الإسلامي مسيرته الرائدة تحت ظل الإمام الذي يجسد أخلاق السماء الذي رباه نبيُّ الرحمة على تلك الاخلاق الإلهيّة، فإنَّ المجتمع بعد أن صدع الرسولُ الخاتمُ بالرسالة

وأخرج المجتمع القبلي من برائن الجاهلية إلى رحاب الإسلام، رأى المجتمعُ النورَ شَعَّ في رحاب مكة بهذه الدعوة المحمديّة المباركة وأخذ المجتمع ينظر إلى تلك المبادئ والمفاهيم والمعارف الإلهية وهي تنطلق وتنتشر على يد هذا الرسول العظيم عن طريق نشر آيات القرآن ومعارفه وتعاليمه وعن طريق أقواله وأفعاله وسلوكه ﷺ نفس هذه الصورة الجميلة التي أخرجت المجتمع من الظلمات إلى النور ينظر المجتمع إلى واقعة الغدير المباركة أن الرسول ﷺ لماذا أوقف جموع المسلمين في ذلك المكان شديد الحر، بحيث كان المسلمون يضعون ثيابهم تحت أقدامهم وفوق رؤوسهم من حرارة الشمس، ما كان هذا إلاّ لأمر عظيم قد أمر الله تعالى نبيه به ولا بدّ لهذا الأمر أن يكون الضمانة لاستمرارية الدعوة الإسلامية المحمديّة بتنصيب إمام كفوء أمين على المجتمع يحمل همومها ويحل مشاكلها إن وجدت في الداخل والخارج؛ لذا ورد في بعض كتب التاريخ أنّه ﷺ قال: (ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى، قال: هذا علي أولى بكم من أنفسكم، اسمعوا له وأطيعوا)^(١)، إذن الأثر التربوي للمجتمع من واقعة الغدير هو أنّ واقعة الغدير





تعلمنا كيف نتعاطى من الأحداث بإيمان وعقيدة، تاركين وراءنا كل الاعتبارات، كذلك نتعلم من واقعة الغدير كيف نتخذ القرار الصائب والمهادف لكي ينعم المجتمع بأمان واستقرار، ونتعلم من واقعة الغدير أن نحافظ على تماسكنا الاجتماعي على وفق المنهج الذي رسمه الإسلام لنا وهو رسوخ العقيدة والإيمان بالمبادئ الإسلامية والحفاظ على القيم العليا لهذا الدين القيم من التيارات المنحرفة التي تريد هدم الإسلام.

تعطينا واقعة الغدير الحصانة الكافية للحفاظ على الأخلاق السامية والنبيلة للمجتمع الإسلامي، فإن الرسول ﷺ أراد من دعوة المسلمين بذلك الكم الكبير، وقد حضرها من بلدان إسلامية كبيرة وعدد كبير، إنما أراد أن يعلن على الملأ أن الذي يكون من بعدي فيه القدرة على السير بكم نحو الكمال الإنساني؛ لما يتمتع به من كمال الأخلاق والإنسانية وقد اختاره الله للإمامة كما اختارني للنبوّة، وهذا يدلُّ على فضل هذا الإمام، ففي هذا الموقف وهذا الظرف قبل مفارقة النبي الأعظم ﷺ للمجتمع المسلم، فإنه يطمئن على المجتمع المسلم بتبليغ الرسالة وجعل الأمين عليها، فعلى المجتمع المسلم أن يستثمر وينتفع من

هذه الواقعة لرسم خارطة طريق له في حياته الإسلامية وللمجتمع الإسلامي؛ لكي يتمتع بمنهج تربوي خالد، ففي حديث الغدير وضع الرسول ﷺ الأسس الأساسية لمجتمع إسلامي واع، فقد حمد الله على نعمه حيث تفضّل عليه بالنبوّة والإمامة وهذه نعمة كبيرة تستحق الحمد والشكر لله والثناء عليه، ثم يستغفر الرسول ﷺ ربّه ويتوكل عليه، ذكر ﷺ الاستغفار لكونه ذكر من الأذكار التي على الإنسان أن لا يفارقها في حياته لما له من المنافع ما لا يخفى، وذكر ﷺ التوكل على الله وهو الاعتماد على الله والتسليم له في كلّ أموره والانقطاع إليه متيقناً أن كلّ أموره بيد الله تعالى، فهو القادر على تيسير الأمور مهما صعبت إذا توكل الإنسان على الله حق التوكل، فمن توكل على الله كفاه، ثم ذكر الرسول ﷺ الاستعانة بالله تعالى وهذا أيضاً يشكل جانباً مهماً في تربية المجتمع، وهو أن الاستعانة وإن كانت نفس مضمون التوكل وهو الرجوع بالأمور كلها الى الله تعالى ولكن فيها جانباً آخر، وهو أن يضم إلى مقصده انقطاع روعي معنوي يجعل كل ملكاته نحو الله تعالى، ثم قال الرسول ﷺ: (ونؤمن به) هذه المفردة تضم معاني كثيرة تنبّه المجتمع المسلم أنّه كيف يكون إيمانه



الأثر التربوي في الأمة المسلمة من حديث الغدير:

ليس هناك من شكّ فيما للبيئة من دور في حياة الإنسان مع التأكيد على الاختلاف الواسع في تحديد مستوى وأهمية هذا الدور ومدى تأثيره في صياغة شخصية الإنسان.

إنّ مفردة (الأمة) تُطلق ويُراد منها الفرد المثالي كما في قوله تعالى في إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾^(١)، وتارة يُراد بها المجتمع، وكيف كان فإنّ الأمة إذا أرادت أن تصل إلى رونقها عليها أن تحافظ على تراثها الذي يجعلها في مصاف الأمم المتقدمة؛ لكونها تمتلك تراثاً ثرياً ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٢)، كفيلاً أن يوصلها إلى الرقي، فعلى هذا لابدّ للأمة من الارتباط به بتراثها الخالد، ولا سيما إذا كان له صلة بالعقيدة فعلى الأمة أن تأخذ المنهج التربوي الصحيح من واقعة الغدير؛ لكونها ليست من حوادث التاريخ الإسلامي العابرة، بل هي في الصميم من تاريخ الرسالة المحمدية، وعلى الرغم من إسقاطها من مدونات التاريخ الكبرى لأسباب سياسية ومذهبية إلا أنّها ظلت في عنفوانها خالدة في الضمير الإسلامي،

بالله تعالى وآياته ورساله وكتبه وأوصياء رسله، فإنّ موقف الغدير سوف ينصب الرسول ﷺ ابن عمه وزوج ابنته الوحيدة ووصيه هل تسلمون بهذا الحدث المهم وتسلمون لأمر الله تعالى في تنصيبه ولا تشكّلوا في

هذه الإمرة والبيعة والخلافة التي هي عن الله تعالى، فالمجتمع المسلم عليه أن يبني إيمانه ومعتقداته على وفق معطيات الرسالة المحمدية ويهذب سلوكه عليها لكي يبني مستقبلاً زاهراً، لذا يتعوذ الرسول ﷺ فيقول: نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، فينبه المجتمع إلى أن يترك الحسد والحقد والضغينة، ويجعل الله أمامه ويعمل بما يوصي به الرسول ﷺ ويترك ما تملّيه النفس الأمّارة بالسوء، وينصاع لأمر الله؛ لأنّ الله هو اللطيف الخبير هذا بعض الذي يحصل عليه المجتمع المسلم من الآداب الإسلامية من واقعة الغدير الخالدة.



ونظراً للدلالات المهمة التي تنمُّ عن واقعة الغدير بأبعادها القرآنية والحديثية وحتى الظروف التاريخية فقد اكتسبت حساسية بالغة؛ لأنّها جاءت منافيه لواقعة السقيفة التي حدثت بعد سبعين يوماً من واقعة الغدير.

وقف الباحثون والمؤرخون العرب إزاء الغدير موقفاً لا يتسم بالشجاعة والموضوعيّة ومن هنا بدأت أزمة الباحث في عملية قراءة التاريخ الإسلامي خاصة تلك الحقبة العاصفة من الزمن بكل ملابساتها وظروفها، ونحن إذا أردنا أن نأخذ من واقعة الغدير المنهج التربوي الصالح والصحيح للأمة المسلمة لابدّ من دراسة نص واقعة الغدير بروح علميّة موضوعيّة؛ لأنّ ذلك يكشف لنا عن حقائق كبرى لا يمكن التهاون فيها أو تجاوزها، فهل من الإنصاف أن يكون الإقصاء المتعمد لواقعة الغدير والأمة المسلمة بحاجة إلى التقويم الفكري والعقدي والأخلاقي؟، هل من الإنصاف أن يحصل تهميش واقعة الغدير والأمة المسلمة بأمس الحاجة إلى معطيات هذه الواقعة العظيمة لما فيها من معطيات وهي ولاية الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام

الذي هو نفس الرسول نص القرآن ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(١) وقول الرسول عليه السلام (من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)^(٢)، فهذا ينطوي على كلّ أبعاد ولاية النبي عليه السلام ويجعلها لعلي بعد، وهناك اقتران لا يقبل الفكاك بين الرسول والإمام من جهة وبين واقعة الغدير والولاية لأمر المؤمنين عليه السلام، ومن هنا يريد الرسول الأعظم عليه السلام من واقعة الغدير استمرار المناهج التربوية التي أساسها بتنصيب الإمام علي عليه السلام، إذ جعل كل ما عنده بهذا الإمام (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)^(٣).

تزهو الأمة المسلمة إذا التزمت بالقيم والمبادئ الإسلامية التي تنشق من تراث الإسلام العظيم ومن ذلك التراث واقعة الغدير.

فقد عاشت البشرية عقبات عديدة قبل الإسلام، وقد رأت النور في الإسلام عن طريق القرآن وسيرة الرسول العظيم عليه السلام ورحمته وساحة الإسلام، فالأمة تنظر وتنتظر وترقب من بعد الرسول الكريم عليه السلام الذي أنقذ البشرية من الضياع، وإذا

١ - سورة المائدة آية المباشرة

٢ - البخاري التاريخ الكبير ج ٣ ص ٣٧٥

٣ - سورة يس آية ١٢



بالرسول يعلنها مدوية (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، إلى هنا حصل الاطمئنان للأمة المسلمة، إذ إنَّ الذي سوف يتولى شؤون الأمة المسلمة هو نفس النبي من حيث الصفات التي يتمتع بها، إلاَّ الوحي وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ حيث قال لأمر المؤمنين ﷺ (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)^(١) وهذا هو الأمل للأمة المسلمة التي تشد من الإسلام استمرارية المبادئ والمفاهيم والأخلاق السامية، فالأمة المسلمة حصلت على الكثير من واقعة الغدير.

١- ما يخص السلوك - لأنَّ واقعة الغدير علَّمت الأمة المسلمة تحمل المسؤولية، كل من موقعه، إذ ورد عن الرسول ﷺ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(٢) فمسؤولية حماية الإسلام وتعاليمه ومبادئه ومفاهيمه تقع على عاتق الأمة المسلمة، فواقعة الغدير كفيلة بهذه الأمور لو أُستثمرت بصورة صحيحة على وفق المنهج التربوي الذي وضعه الرسول ﷺ، فقد كانت الأمة المسلمة تنظر إلى لرسول ﷺ وهو يجسّد خلق الساء

وقد ربى الإمام علياً ﷺ على هذه الأخلاق، ففي واقعة الغدير جعل على الأمة المسلمة من بعده من يقوم بتجسيد هذه المعالم الربانية، فإنَّ المكان كانت له هذه القدسية لأجل تبليغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليه واله ما أنزل من السماء في أمير المؤمنين من الولاية والإمامة التي هي الامتداد للنبوّة والمعارف الإلهية بتولية هذا الامام ﷺ.

٢- تجسيد بعض الأسس للأمة المسلمة لكي تفهم الإسلام وذلك عن طريق:

- الإيمان بدور العقل في فهم الإسلام.
- حرية الإرادة والاختيار الإنساني.
- حرمة الطاعة للحاكم الجائر ووجوب إسقاطه.

هذه الأسس الثلاثة تعطينا درساً تربوياً خالداً في مجالات الحياة كافة لكي نكون مستلهمين من عطاء هذه الواقعة لما تحمل من معاني سامية توصل الأمة

١- صحيح البخاري وصحيح مسلم

٢- صحيح البخاري وصحيح مسلم



الى مبتغائها على الأصعدة كافة وأيضاً نكون ملهمين للآخرين من معطيات هذه الواقعة الخالدة من المثل العليا التي تجسدت في هذه البيعة الإلهية التي كانت إكمال الدين وإتمام النعمة وسلامة الموقف في تبليغ أمر السماء في ذلك المكان ليس لهم الرجوع إلى مكة ولا الانتظار حتى وصول المدينة.

هذا الأمر يعطي للأمة المسلمة درساً تربوياً وهو الطاعة والتسليم لأمر الله ورسوله والإنصات لتبليغ أمر السماء في من يخالف الرسول ﷺ لكي تستمر العلاقة في هذا الحدث في حياة الأمة المسلمة من حيث التشريع والتطبيق، فقد أشار الرسول الأعظم ﷺ في حديث: (إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ولم يفرقا حتى يرثي عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما)^(١)

هذا الحديث الشريف تستنتج منه الأمة المسلمة أن الرسول ﷺ على وشك الرحيل إلى الرفيق الأعلى ولن يترك الأمة مهملة ضائعة، بل سترسم هذه الواقعة العظيمة

مستقبل الأمة المسلمة، إذ إن العترة الطاهرة بعد القرآن الكريم معصومة، فقد نصّ القرآن الكريم على ذلك في حق الرسول الأعظم ﷺ (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ).^(٢)

فالوحي معصوم؛ لأنه من الله، وتكون السنة النبوية المحفوظة في العترة الطاهرة أيضاً معصومة؛ لأنها حاكية عنه وعهد سبحانه إلى النبي ﷺ مسؤولية الحفاظ على الأمة المسلمة، بأن يجعل على الأمة الأمين الكفوء الذي تتوافر فيه كل الصفات التي كانت متوافرة في النبي؛ لكي يحمل الأمة على الصراط المستقيم، ومن هنا ربط النبي بين حديث الثقلين في واقعة الغدير وتحميل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مسؤولية ولاية الأمة الإسلامية وإمامتها لتتكمّل حلقات النص التشريعي فيأتي تطبيقه أمراً مفروضاً، وفي حديث الغدير كان عمل الرسول ﷺ تطبيقاً للمنهج التربوي الذي يفوح بعطر المكرمات من الرحمة والعطف والتسامح والوحدة والمودة والتسالم والعون والمساعدة والرفقة. كل هذه المعاني كان المسلمون يلمسونها بصورة واقعية في شخص الرسول ﷺ هذه المناهج التربوية كان الرسول ﷺ

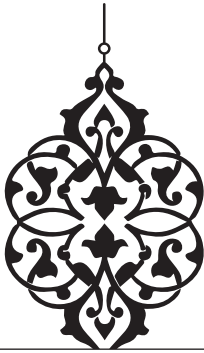
الى مبتغائها على الأصعدة كافة وأيضاً نكون ملهمين للآخرين من معطيات هذه الواقعة الخالدة من المثل العليا التي تجسدت في هذه البيعة الإلهية التي كانت إكمال الدين وإتمام النعمة وسلامة الموقف في تبليغ أمر السماء في ذلك المكان ليس لهم الرجوع إلى مكة ولا الانتظار حتى وصول المدينة.

هذا الأمر يعطي للأمة المسلمة درساً تربوياً وهو الطاعة والتسليم لأمر الله ورسوله والإنصات لتبليغ أمر السماء في من يخالف الرسول ﷺ لكي تستمر العلاقة في هذا الحدث في حياة الأمة المسلمة من حيث التشريع والتطبيق، فقد أشار الرسول الأعظم ﷺ في حديث: (إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ولم يفرقا حتى يرثي عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما)^(١)

هذا الحديث الشريف تستنتج منه الأمة المسلمة أن الرسول ﷺ على وشك الرحيل إلى الرفيق الأعلى ولن يترك الأمة مهملة ضائعة، بل سترسم هذه الواقعة العظيمة



الرسالة المحمدية والأبعاد التربوية التي تتضمنها هذه الرسالة المحمدية، فإن كل الخطوات التي كان الرسول ﷺ يخطوها كانت لها أبعادها التربوية في صميم الأمة المسلمة على الأصعدة كافة؛ لضمان سلامة مسير الأمة نحو الاستقامة على الصراط المستقيم، ويتم ذلك عن طريق تنصيب هذا الإمام؛ لهذا كانت واقعة الغدير المباركة تعطي هذه الثمار التربوية للأمة المسلمة.



يجسدها في الأمة بصورة عملية وكان يربي عليها الأمة، وكان الإمام ﷺ من أكثر المستفيدين، فقد حمل هذه المعارف والمناهج التربوية وطبقها بصورة دقيقة، وهذا الذي كان من السماء أن تأمر الرسول ﷺ لجعله على الأمة المسلمة من بعده؛ لأن الأمة المسلمة تحتاج إلى من بينها بناءً إلهياً مستقيماً يتعهد بهم عن المهلكات ويقربهم من المنجيات.

فقد فُسرَت الكثير من آيات القرآن الكريم بأنها نزلت لبيان فضائل أمير المؤمنين علي ﷺ حتى ورد عن ابن عباس أن كل آية فيها يا أيها الذين آمنوا (فعلي أميرهم) فضائل الإمام علي ﷺ لا تعد.

فقد كان الرسول الأعظم ﷺ في كل موقع وفي كل اجتماع يبين للأمة المسلمة مناقب الإمام وما خصّه الله به من كرامات لم يكن مثلها إلا للرسول ﷺ كتبليغ سورة براءة، إذ بعث بها الرسول ﷺ الأول ثم بعث الإمام علي ﷺ بأخذها منه ويقوم بتبليغها وذلك بأمر من السماء، إذ جاء الأمر الإلهي بأن التبليغ لسورة براءة يكون من الرسول أو الإمام، وهذا الحدث لو أنعمنا النظر فيه لوجدنا حرص السماء على شؤون



نتائج البحث

المطلب الأول:

١ - كان الحديث عن الحصيلة التي ينبغي أن يستثمرها الفرد المسلم من واقعة الغدير.

٢ - المعاني السامية التي لابد للفرد المسلم أن يحصل عليها من واقعة الغدير.

٣ - الدروس التربوية التي لابد للفرد المسلم أن يتعلمها من واقعة الغدير.

المطلب الثاني:

١ - المجتمع المسلم والمناهج التربوية التي يحصل عليها من واقعة الغدير.

٢ - كيف يستفيد المجتمع المسلم من واقعة الغدير.

٣ - هل ستبقى واقعة الغدير منحصرة على المجتمع المسلم، أم لها أبعاد تسع كل المجتمعات.

المطلب الثالث:

١ - الأمة المسلمة كيف تكون خير أمة أخرجت للناس، الجواب:

واقعة الغدير تتكفل بذلك.

٢ - الأمة المسلمة عليها أن تعبر وتتجاوز القومية والفئوية والعنصرية لكي تستفيد من واقعة الغدير.

٣ - واقعة الغدير لها أبعاد وتطلعات حري بالأمة المسلمة أن تعمل بها.





المصادر المعتمدة في البحث

- الألباني حديث الغدير
- البخاري التاريخ الكبير
- الخصائص للنسائي
- الدرر السنية
- السنن الكبرى
- السيرة الحلبية
- الطبقات لابن سعد
- المستدرك على الصحيحين
- المناقب لابن الجوزي
- بحار الأنوار للعلامة المجلسي
- قدس سره
- تاريخ ابن كثير
- حديث الغدير ابن باز
- سنن الترمذي
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- كتاب الغدير للأميني قدس سره
- مجمع الزوائد للهيثمي
- مستدرك الحاكم
- مسند احمد بن حنبل
- مناقب الخوارزمي





التمهيد الإلهي والنبوي لمسألة الولاية العلوية المباركة

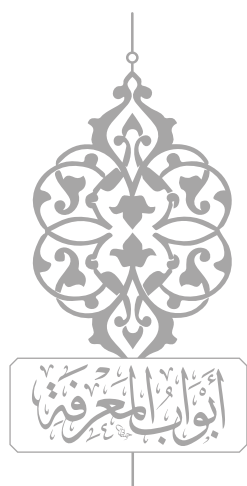
غَدِيرُ خُمٍّ مَبْنُوعُهُ مِنْ غَارٍ، وَيَعْتُهُ فِي الدَّارِ

الشيخ الحسين أحمد كريمو



الحوزة الزينية - سوريا







مقدمة تاريخية:

فاتخذ له بيتاً مستقلاً إلى جوار بيت عمّه وحاميه وكافله أبي طالب عليه السلام.

فالملاحظ لهذا السرد السريع ولهذه النقاط الأساسية أن هذه الأسرة الكريمة، وهذا البيت الذي أذن الله له بالرفعة والشموخ والسمو بسبب ما فيه من رجال الله، كانت أسرة واحدة لا فاصل بينها أبداً وكانت أسرة فاضلة في كل المقاييس السماوية والأرضية ولا تقارها أسرة أخرى بالشرف والمكانة لا في قريش ولا غيرها من البيوت العربية الأصيلة الأخرى، لا سيما وما كان يتمتع به سيدها وكبيرها أبو طالب عليه السلام بالزعامة على قريش، التي كانت تسميه: الشيخ، وسيد البطحاء، وبيضة البلد، وغيرها من الألفاظ المشهورة والمتداولة في التاريخ العربي والإسلامي عامة.

ردّ الجميل لأبي طالب عليه السلام:

يذكر التاريخ عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج قال: كَانَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام مَا صَنَعَ اللَّهُ لَهُ وَأَرَادَ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ؛ إِنَّ قُرَيْشاً أَصَابَتْهُمْ أَرْمَةٌ شَدِيدَةٌ

التاريخ الإسلامي والعربي والقرشي يقول: إنَّ محمدَ بن عبد الله صلى الله عليه وآله اليتيم الذي كفله عمّه عبد مناف الثاني (أبو طالب) عليه السلام من بعد جدّه العظيم شيبه الحمد (عبد المطلب) إبراهيم العرب الثاني^(١)، فضمّه إليه؛ لأنّه كان أول هاشمي يتزوج بهاشميّة، ولم يُرزق منها أولاداً إلى حينها، وبما أنّ عبد الله الأخ الشقيق لعبد مناف، وكان يحبُّ ابن أخيه حباً شديداً ووجده أبوه عبد المطلب أهلاً للكفالة فأعطاه ابن أخيه، وأوصاه به خيراً وأعلمه بأنّه سيكون له شأنٌ عظيمٌ في التاريخ.

وبالفعل كان أبو طالب عليه السلام أباً صالحاً، وزوجته فاطمة بنت أسد أمّاً حقيقية لمحمد بن عبد الله، والتاريخ يقول: بأنّها رُزقا الأولاد ببركته ونصيحته لأمه فاطمة بنت أسد التي كان يُسميها: (أُمِّي بَعْدَ أُمِّي)^(٢)، وبقي في مكانه ومكانته عندهما بل كان كالابن الأكبر عندهما، فكان يُرافق عمّه كظله، فلا يدعه يغيب عنه لحظة في سفر أو حضر، إلى أن زوجه من سيدة قريش الطاهرة خديجة بنت خويلد،

١- تاريخ اليعقوبي؛ اليعقوبي: ج ٢ الصفحة ١١، كانت قريش تقول: (عبد المطلب؛ إبراهيم الثاني).

٢- تسليمة المجالس وزينة المجالس (مقتل الحسين عليه السلام) محمد بن أبي طالب الحائري: ج ١، ص ١٥٩ روي: أنّها لما ماتت دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس عند رأسها، وقال: (يرحمك الله يا أمّي، كنت أمّي بعد أمّي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك من طيب الطعام وتطعميني، تريدن بذلك وجه الله والدرك الآخرة).





وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ فِي عِيَالٍ كَثِيرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ: يَا أَبَا الْفَضْلِ إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى فِي هَذِهِ الْأَزْمَةِ فَاَنْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ فَنُخَفِّفْ عَنْهُ عِيَالَهُ أَخْذُ مِنْ بَيْنِهِ رَجُلًا وَتَأْخُذُ رَجُلًا فَنُكَفِّلُهُمَا عَنْهُ).

فَقَالَ الْعَبَّاسُ: قُمْ؛ فَاَنْطَلِقَا حَتَّى آتِيَا أَبَا طَالِبٍ فَقَالَا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ عِيَالَكَ حَتَّى يَنْكَشِفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ!

فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ: (إِذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا)، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرًا، فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ ﷺ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا فَاَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ وَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرٌ مَعَ الْعَبَّاسِ حَتَّى أَسْلَمَ وَاسْتَعْنَى عَنْهُ^(١).

هذه الرواية - على الرغم من شهرتها - إلا أنني أعتقد أنها موضوعية للتقرب إلى بني العباس كأكثر الفضائل التي اخترعت للعباس في زمن حكمهم وسلطانهم ليكون لهم يدٌ عند الطالبيين، وذلك لأن النبي محمدًا ﷺ عاش في بيت عمه، ولما

وُلِدَ عَلِيٌّ ﷺ فِي جَوْفِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَهُ مِنْ أُمِّهِ وَحَمَلَهُ إِلَى أَنْ أَوْصَلَهَا إِلَى بَيْتِهَا، وَفِي الرِّوَايَةِ الَّتِي تَرْوِيهَا السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ تَقُولُ: (إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ فَأَكَلْتُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَأَرْزَاقِهَا فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ هَتَفَ بِي هَاتِفٌ وَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ سَمِعَ عَلِيًّا فَهُوَ عَلِيٌّ وَاللَّهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، يَقُولُ: اسْتَقَفْتُ اسْمَهُ مِنْ إِسْمِي، وَأَدَّبْتُهُ بِأَدَبِي، وَأَوْفَقْتُهُ عَلَى غَامِضِ عِلْمِي، وَهُوَ الَّذِي يَكْسِرُ الْأَصْنَامَ فِي بَيْتِي، وَهُوَ الَّذِي يُؤَدِّنُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِي، وَيُقَدِّسُنِي، وَيُمَجِّدُنِي فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّهُ وَأَطَاعَهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَهُ وَعَصَاهُ).

قَالَتْ: فَوَلَدْتُ عَلِيًّا وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثُونَ سَنَةً فَأَحَبَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُبًّا شَدِيدًا وَقَالَ لَهَا: اجْعَلِي مَهْدَهُ بِقُرْبِ فِرَاشِي وَكَانَ ﷺ يَلِي أَكْثَرَ تَرْبِيَّتِهِ وَكَانَ يُطَهِّرُ عَلِيًّا فِي وَقْتِ غُسْلِهِ وَيُوجِرُهُ اللَّبَنَ عِنْدَ شُرْبِهِ وَيُحَرِّكُ مَهْدَهُ عِنْدَ نَوْمِهِ وَيُنَاغِيهِ فِي يَقْظَتِهِ وَيَحْمِلُهُ عَلَى صَدْرِهِ وَرَقَبَتِهِ وَيَقُولُ: هَذَا أَخِي وَوَلِيِّي وَنَاصِرِي وَصَفِيِّي وَذُخْرِي وَكَهْفِي وَصَهْرِي وَوَصِيِّي وَزَوْجُ كَرِيمَتِي وَأَمِينِي عَلَى وَصِيَّتِي وَخَلِيفَتِي وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُهُ دَائِمًا وَيَطُوفُ بِهِ جِبَالَ مَكَّةَ وَشَعَابَهَا وَأَوْدِيَّتَهَا وَفَجَاجَهَا



صَلَّى اللَّهُ عَلَى الْحَامِلِ وَالْمَحْمُولِ^(١).

هكذا كانت الأسرة واحدة والبيت واحداً بحيث أن مهدي علي وليد الكعبة المشرفة كان يقرب فراش محمد بن عبد الله ﷺ على الرغم من أنه كان متزوجاً وعنده السيدة خديجة بنت خويلد وبنات أختها، وهكذا نجد أن علياً لم يفارقه ليلة ونهاره إلا إذا كان في سفر، ولم تحدثنا كتب السيرة عن أنه ﷺ كان يسافر في تلك الفترة إلا سفرات قصيرة كان يرافقه فيها علي ﷺ، بل وكان هذا حاله بعد النبوة والرسالة، إذ لم يكن يطيق بعده عنه، فكان إذا غاب عنه ثلاثة أيام ترى الحزن والقلق عليه ﷺ حتى سمعه بعضهم يقول: (اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّنِي حَتَّى تُرِينِي وَجْهَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ)^(٢).

وأما جعفر فلم يتحدث التاريخ أنه كان في كفالة العباس، بل يقول: دَخَلَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَعَلِيٌّ ﷺ بِجَنْبِهِ، وَكَانَ مَعَ أَبِي طَالِبٍ جَعْفَرٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: (صَلِّ جَنَاحَ ابْنِ عَمِّكَ)، فَوَقَّفَ جَعْفَرٌ عَلَى يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَدَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنَهُمَا^(٣)، وهكذا

طار رسول الله ﷺ والإسلام بجناحين من أبي طالب ﷺ خاصة، وحفظ، ورعاية، ودفاع وحماية منه، ويأتيك أبناء الشجرة الملعونة في القرآن الزقومية الأموية وأشياعهم وأتباعهم ويصروا على أنه مات كافراً، وعاش مشركاً، وما هو إلا كافر بدينهم وأصنامهم وموحد على دين الله الإسلام الإبراهيمي؛ لأنه كان وصياً من أوصياء إسماعيل ﷺ، وإلا كيف يستقيم معهم قول ابن عباس في قوله: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)^(٤)، قال: (مَنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى أُخْرِجْتَ نَبِيًّا)^(٥).

فجعفر بن أبي طالب ﷺ وصل جناح رسول الله ﷺ وصلى معه منذ ذلك اليوم لم يفارقه إلى أن أرسله ﷺ قائداً للمهاجرين إلى الحبشة، وبقي فيها إلى أن عاد والرسول ﷺ في خيبر فلما رآه قال: (مَا أَذْرِي بِأَيِّهَا أَسْرَ؟ يَفْتَحُ خَيْبَرَ، أَمْ يَقْدُومُ جَعْفَرٌ؟)^(٦)، فكان سروره برجوع جعفر الطيار أشد من سروره بفتح خيبر آخر حصون اليهود في شبه الجزيرة العربية، فمتى كان مع العباس لا أدري فعلاً؟

١- كشف الغمة في معرفة الأئمة للأردبيلي: ج ١، ص ٦٠

٢- الروضة في فضائل أمير المؤمنين ﷺ: ج ١، ص ٨٢

٣- تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ١، ص ٣٧٨

٤- سورة الشعراء: ٢١٩

٥- تفسير الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) تفسير سورة الشعراء، ٢١٩

٦- كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج ١، ص ٣٧٣



المبعث الشريف في غار حراء:

هكذا تربى علي بن أبي طالب عليه السلام في حجر وحضن وبيت ابن عمّه محمد بن عبد الله، ولما كان يذهب ليتعبّد في غار حراء كعادة جدّه عبد المطلب كان يأخذه معه في كلّ مرّة، ولا يفارقه أبداً وهذا ما نأخذه منه عليه السلام إذ يقول في خطبته القاصعة: (قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَصَعْنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ وَلَيْدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ)^(١).

كان ذلك طيلة عشر سنوات من عمره الشريف إلى أن صار عمر محمد بن عبد الله عليه السلام أربعين سنة - لأن الفارق بينهما (سبباً كما تنبأ أبو طالب) ثلاثين سنة - وحين كان في غار حراء يتعبّد (يتحنّث، والأصح يتحنّف)، في ٢٧ رجب الأصب، وإذ ينزل عليه ملاك الوحي، ورسول السماء سيدنا جبرائيل عليه السلام يستأذنه ويخبره عن الله ببدء الرسالة، وتنزل القرآن الحكيم، ويبدأ بقراءته من لحظته، حيث يبدأ من منطلق

الحضارة الإنسانية (القراءة)، فكانت البداية الحضاريّة بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢).

وهنا يجب أن لا نلتفت إلى تلك الروايات التي يرويها القوم عن تلك المرأة التي كانت لم تولد كما يروون، أو أبو هريرة الذي جاء بعد الحادثة بحوالي ربع قرن، والهدف منها تشويه صورة رسول الله عليه السلام ليظهره بتلك الصورة المهزوزة، والقلقة حتى أنّه يذهب إلى حالق ليرمي نفسه ويتحرر، أو أن جبرائيل عليه السلام يغطّه، أو يغتّه ثلاث مرات حتى يظن أنه الموت، وجبرائيل عليه السلام لا يجرؤ أن يقترب إلى رسول الله عليه السلام لأنّه كان خادماً له، ولذا يفخر على الملائكة بأنّه من أهل البيت عليه السلام كما هو واضح في حديث الكساء المشهور^(٣)، أو في حديث المعراج المعروف^(٤)، فبداية نزول الوحي كانت بشري كبرى لرسول الله عليه السلام وللشريّة ولا يُعقل أن تكون بتلك الطريقة الجاهليّة، الداعشيّة بالتعامل مع سيد الخلق ورسول الله إلى الإنسانية عليه السلام.

وكيف كان ذلك، وما يهّمنا في هذا

١- نهج البلاغة الشريف الرضي: خ ١٩٢ القاصعة

٢- سورة العلق: ١ - ٥

٣- حيث يستأذن من رسول الله عليه السلام ليكون معهم تحت الكساء ويفخر على الملائكة بذلك المقام.

٤- حيث ترك رسول الله عليه السلام عندما وصل إلى سدره المنتهى وقال له: لو اقتربت قيد أنملة لاحتقرت، ورسول الله عليه السلام غاص في سبعين حجاب من نور، فأين هذا المقام الذي لم يطأه مخلوق كما في نص جبرائيل عليه السلام نفسه؟



البحث هو حال ودور الإمام علي عليه السلام في ذلك الحين؟

وهذا نأخذه منه شخصياً عليه السلام إذ يصف لنا نزول الوحي ودوره فيه فيقول: (لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوءَةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَةُ؟

فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ^(١).

فالملاحظ أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان في يوم المبعث الشريف شريكاً كاملاً في الرسالة؛ لأنه يرى ما يراه النبي من ملاك الوحي (جبرائيل) عليه السلام، ويسمع كل شيء منه، وما يؤكد شراكته الرسالية هو قول النبي ﷺ وشهادته له بذلك، فهو ليس نبياً بل وصياً ووزيراً لصاحب الوحي الرسالي الحبيب المصطفى ﷺ، وأي شيء تعني كل هذه الألفاظ الواردة من صاحب الرسالة في يوم مبعثه

الشريف؛ (إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ)، إذا لم تعنِ الخلافة والوصية على الرسالة الإسلامية وهي الولاية بالمعنى الخاص لها كما نفهمها، وقد اختصرها بها القوم وبعض علمائنا للأسف الشديد؟

البيعة الأولى كانت في يوم الدار:

كل رسالة نزلت منذ أن بعث الله سبحانه الأنبياء بالرسالات وهم أصحاب الشرائع وما نطرح عليهم أولي العزم من الرسل، كانت - كلها - عملاً ذا شأن بأن يكون له مقدمات، ويتبعه نتائج؛ لأنه لا يمكن أن يكون عبثاً، فالمقدمات لكل رسالة أن تكون في أيامها الأولى ومرحلتها الأولى ذات طابع خاص بالنبي وأهله المقربين، ثم عندما تكون الظروف مناسبة يأتيه الأمر بالإعلان بالدعوة لتنتقل من المرحلة السريّة الخاصّة إلى المرحلة العلنيّة العامّة، وهذا ما نلاحظه بشكل واضح في الرسالة الخاتمة والديانة الإسلامية المباركة، فقد أجمع العلماء والمؤرخون للسيرة أن رسول الله ﷺ بُعث على رأس أربعين من عمره الشريف، ولكن كانت دعوته خاصّة بأهله وخاصّته من بني عبد المطلب، وقد استمرت هذه المرحلة ثلاث



الأصحاب من العلماء كما تعامل معه الأغيار من أتباع وأنصار السلطة القرشية الأولى، حيث نظروا إليه كحديث وراحوا يبحثون في السند أولاً ثم في المتن ثانياً، وفي الدلالات أخيراً، فالأصحاب ذهبوا إلى شبه تواتره، والأغيار قالوا بشوته وصحته، وأمّا النواصب ولا سيما خوارج القرون المتأخرة من أتباع ابن تيمية وابن عبد الوهاب فأنكروه من أصل، وكذبوه ليرتاحوا من دلالاته التي رواها الفريقان وصححاها جميعاً.

يقول الشيخ علي الكوراني العاملي (حفظه الله): «روت حديث الدار عامة المصادر، وصحّحه علماء الجرح والتعديل، وألفوا فيه كتباً وفصولاً، ولكن أتباع الحكومات أفتوا بأنه يجب إنكاره؛ لأنّه يكشف بطلان خلافة غير علي (عليه السلام)»^(١).

فقد طلب النبي ﷺ - بأمر من الله - من بني هاشم أن يؤمنوا به، وأن يُبايعه رجل منهم على نصرته، والتفرغ معه للدعوة، فيتخذ وزيراً، وأخاً، ووصياً، وخليفة، ووارثاً من بعده، فلم يقم منهم إلا أصغرهم سنّاً، فأعلن عليّ (عليه السلام) قبول هذه الدّعوة، فأعلنه الرسول الأعظم ﷺ منذ ذلك اليوم أنّه أخ، ووزير، ووصي،

سنوات، فعن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، قال: (أمر رسول الله ﷺ أن يصدع بما جاءه من عند الله، وأن يُبادي الناس بأمره، وأن يدعوهم إلى الله، فكان يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين، مُستخفياً، إلى أن أمر بالظهور للدّعاء)^(١).

ثم انتقلت إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة الدعوة الخاصّة، إذ نزل الوحي المقدّس يأمر رسوله الكريم بأمر كان في غاية الأهمية والوضوح، إذ أمره الله سبحانه بأن يدعو عشيرته المقربة إليه أي بني عبد المطلب، ولكنّه ضاق بذلك ذرعاً لمعرفة بمعارضة البعض المتأثر بالأعداء كبنّي أمية وغيرهم، فجاء الأمر بالإنذار مباشرة وعدم التأخير؛ لأنّ الدعوة صار يجب أن تنتقل إلى المرحلة العامّة من حيث الدعوة، فكان ما يُعرف بحديث وحادثة الدار.

حديث الدار وإنذار العشيرة الأقربين:

هنا حادث تاريخي مفصلي تعامل معه

١- تاريخ الأمم والملوك ابن جرير الطبري: ج ٢، ص ٣٢٢
٢- سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) الشيخ علي الكوراني العاملي: ج ١، ص ٥٢



وخليفة، ووارث من بعده، أي أنه سيعيش من بعده ليقود أمته.

وأما الرواية فكانت كما يرويها الطبري في تاريخه، وتفسيره، وابن الأثير في الكامل في التاريخ، وكثير من علماء التاريخ والآثار الروائية المختلفة، وفي التفاسير الروائية وغيرها من كتب التفسير بحيث أنهم عند تفسير هذه الآية الكريمة والبحث عن أسباب النزول تطرقوا لهذه الحادثة المهمة والمفصلية التي أهملها الإعلام تحت ضغط إعلام السلطة القرشية، لا سيما الأموية منها.

رواية الطبري في التاريخ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)^(١)، دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، فَضَعْتُ بِذَلِكَ دَرْعًا، وَعَرَفْتُ أَنَّي مَتَى أَبَادِيهِمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرَى مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ، فَصَمْتُ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَنِي جِبْرَائِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ بِهِ يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ، فَاصْنَعْ لَنَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِ رَجُلَ شَاةٍ، وَأَمْلَأْ

لَنَا عَسًا مِنْ لَبَنٍ، ثُمَّ اجْمَعْ لِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَكَلَمَهُمْ، وَأَبْلَغَهُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ، فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ لَهُ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُونَ، فِيهِمْ أَعْمَامُهُ؛ أَبُو طَالِبٍ، وَحَمْزَةُ، وَالْعَبَّاسُ، وَأَبُو هَلَبٍ..

إِلَى أَنْ قَالَ ﷺ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَأْبًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمُهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا قَدْ جِئْتُكُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ، فَائْتِكُمْ يُؤَازِرُونِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ؟ قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ عَنْهَا جَمِيعًا، وَقُلْتُ: وَإِنِّي لَأَحْدِثُهُمْ سِنًا، وَأَرْمِصُهُمْ عَيْنًا، وَأَعْظِمُهُمْ بَطْنًا، وَأَحْمِشُهُمْ سَاقًا، أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ بِرَقِيَّتِي، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا أَخِي، وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، قَالَ: فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ وَيَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ: قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لَأَيْنِكَ وَتُطِيعَ^(٢).

فالملاحظ في هذه الرواية الشريفة أن هناك أربعة صفات ذكرها رسول الله ﷺ (أخي، ووصيي، ووزيري، وخليفتي من بعدي)، وأضاف رواية الشيخ المفيد،



وتوافق معه مسند الشاميين بالصفات الخمسة بإضافة (ووارثي)، وأضاف غيرهم (وصاحبي)، ولكن هذه الرواية بترتها الأيدي الأمانة على تاريخ الأمة في تفسيره، حيث قال عليه السلام: (على أن يكون أخي وكذا وكذا...) ونقلها ابن كثير ومن لفَّ لفَّه بهذا اللفظ المبثور، ورحم الله شيخنا الأميني حيث يقول في مثل هذا: «يا لله والأمانة العلمية»، فهذه الصفات الخمسة كانت ثابتة في يوم الدار لأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

رواية الشيخ المفيد:

يروى هذه الحادثة الفريدة الشيخ المفيد فيقول عنها: أجمع على صحته نقاد الآثار حين جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً يومئذ يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً...

ثم قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورؤوا من الشراب: يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة فقال عز وجل: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم

وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فمن يجنني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به يكن؛ أخي، ووصيي، ووزير، ووارثي، وخليفتي من بعدي.. فلم يحب أحد منهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَنَا إِذْ ذَاكَ أَصْعَرُهُمْ سِنًا وَأَحْمَشُهُمْ سَاقًا وَأَرْمَضُهُمْ عَيْنًا فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أُوَازِرُكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ؛ فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ الْقَوْلَ عَلَى الْقَوْمِ ثَانِيَةً فَأَصْمَتُوا وَقُمْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَقَالَتِي الْأُولَى، فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَى الْقَوْمِ مَقَالَتهُ ثَالِثَةً فَلَمْ يَنْطِقْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِحَرْفٍ، فَقُلْتُ: أَنَا أُوَازِرُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ.

فَقَالَ: اجْلِسْ فَأَنْتَ أَخِي، وَوَصِيِّي، وَوَزِيرِي، وَوَارِثِي، وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي، فَهَضَّ الْقَوْمُ وَهُمْ يَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ: يَا أَبَا طَالِبٍ لِيَهْنِكَ الْيَوْمَ إِنْ دَخَلْتَ فِي دِينِ ابْنِ أَخِيكَ فَقَدْ جَعَلَ ابْنُكَ أَمِيرًا عَلَيْكَ).^(١)



هذه الرواية التي أجمع عليها نقاد الآثار، وهي رواية صحيحة عند القوم، والعجيب الغريب فيهم أنهم عمدوا إلى هذه الصفات الخاصة بأمر المؤمنين ﷺ إما أنكروها أو سرقوها ونسبوا إلى أنفسهم، بحيث أنك ما تقرأه في التاريخ العجب العجاب، وهنا أريد أن أشير إشارة خاطفة؛ لأن هذا البحث هو عبارة عن نظرية علمية كاملة في القيادة الإسلامية يجب علينا دراستها وبلورتها وإخراجها للناس ليعلموا أن دين الله كامل، وأن رسول الله ﷺ لم يترك الأمة هملاً كما يدعون.

١- وارثي؛ أنكرتها السلطة القرشية من أصل فقال: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث).

٢- خليفتي؛ فقالوا: لم يستخلف على الأمة ومن أثبتها فقال أنها محصورة في أهل بيته ﷺ.

٣- أخي؛ وهي ثابتة في حديث المؤاخاة إلا أن الخليفة الثاني أنكرها في يوم السقيفة عندما جاؤوا بأمر المؤمنين مكتفاً بعمامته، وقالوا: بايع، قال: وإن لم أفعل فمه؟ فقال: إذن نضرب عنقك، فقال ﷺ: تقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فقال الرجل: أما

عبد الله فنعم، وأما أخا رسوله فلا^(١).
٤- وصيي؛ أنكروها حيث قالت تلك المرأة: (متى أوصى وقد مات بين سحري ونحري؟).

٥- وزيري؛ فقالوا: ليس للرسول وزير بل كان يعتمد على أصحابه في تسير شؤون الأمة.

هكذا أنكر القوم ذاك الحديث، ولعبوا بتلك الحادثة التاريخية التي لم يتبها لأهميتها علماؤنا الأعلام حتى هذا العصر وذلك ليس تقصيراً وإنما بما شغلوا به من طمات رماهم بها الأغيار من محاولاتهم لتشويه هذه الحادثة، فانشغلوا بإثباتها أولاً ثم بدلاتها على الخلافة ثانياً، ولم يتبها إلى أنها كانت منذ البداية لاختيار الخليفة، والوصي، والوارث، والوزير، والأخ منهم وليس للطعام والشراب فقط، بل الدعوة عُقدت لأجل تنصيب الولي عليهم، وتسميته منهم، وهذا ما فهموه من كلامه ﷺ، إذ خرجوا يضحكون ويقولون لأبي طالب ﷺ: (جَعَلَ إِبْنَكَ أَمِيرًا عَلَيْكَ).

وما يُعزّز - لدينا - هذا الفهم للرواية والحادثة، هي الرواية الأخرى لها حيث يقول ﷺ: (يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَخًا، وَوَزِيرًا،



عَبَّاسُ؟ قَالَ: نَعَمْ^(٢).

فالحادثة والأمر الإلهي كان لإنذار العشيرة الأقربين من البيت الهاشمي، ولكن بأي شيء أُنذَرهم وبأي شيء أمرهم، وعلى أي نتيجة خرجوا من عنده؟ هنا المسألة ومربط الفرس كما يُقال.

فمسألة الإنذار لم تكن واضحة؛ لأنّها هي إلى التبليغ أقرب في شقها الأول، ولكن في الروايات الأخرى ومنها رواية الخليفة هي واضحة؛ (لَئِنْ لَمْ يَقُمْ قَائِمُكُمْ لَيَكُونَنَّ فِي غَيْرِكُمْ)، والمقدمة كانت جلية في هذه المسألة أيضاً حيث كانت؛ (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَخًا وَوَزِيرًا وَوَارِثًا وَوَصِيًّا وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِهِ)، فكلّ نبي مبعوث من السماء له وزير من أهله وخاصته وحامته، والعجيب ما يرويه مسلم القشيري فيما يُسميه الصحيح من أن الآية نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، وَرَهْطُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ^(٣)، على أنّها قرآن نسخت تلاوته كما يدعون، ولكن غفلوا على أنها تنصّ على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من دون غيره كما يعتقد شيعة الكرام؛ لأنّ (المخلصين)، هم غير (المخلصين)، وتعني الذين

وَوَارِثًا، وَوَصِيًّا، وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِهِ، فَمَنْ يَقُومُ مِنْكُمْ فَيُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي، وَوَزِيرِي، وَوَارِثِي، وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي، وَإِمْسَاكِهِمْ، وَقَوْلُهُ كَذَلِكَ ثَلَاثًا.. ثُمَّ قَوْلُهُ: لَئِنْ لَمْ يَقُمْ قَائِمُكُمْ لَيَكُونَنَّ فِي غَيْرِكُمْ، ثُمَّ لَتَنْدُمَنَّ.. وَقِيَامُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمُبَايَعَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ^(١).

والعجيب الغريب في هذه الحادثة والحديث أن الخليفة القرشي الأول يرويه واحتج بها وذلك عندما جاءه الإمام علي عليه السلام وعمّه العباس يختصمان في الميراث النبوي، فقال أبو بكر للعباس: (لَا تَعْجَلْ، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَمْرًا، أُنَاشِدُكَ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَخًا وَوَزِيرًا وَوَارِثًا وَوَصِيًّا وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِهِ، فَمَنْ يَقُومُ مِنْكُمْ فَيُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَزِيرِي وَوَارِثِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي، فَأَمْسِكْتُمْ، ثُمَّ أَعَادَ الثَّانِيَةَ، فَأَمْسَكْتُمْ، ثُمَّ أَعَادَ الثَّلَاثَةَ فَأَمْسَكْتُمْ، فَقَالَ: لَئِنْ لَمْ يَقُمْ قَائِمُكُمْ لَيَكُونَنَّ فِي غَيْرِكُمْ، ثُمَّ لَتَنْدُمَنَّ، فَقَامَ هَذَا (يَعْنِي عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنْ بَيْنِكُمْ، فَبَايَعَهُ إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ وَشَرَطَ لَهُ عَلَيْكُمْ مَا شَرَطَ، أَتَعْلَمُ ذَلِكَ يَا

١- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ج ٢، ص ٢٥٠

٢- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ج ١، ص ١٢٢

٣- صحيح مسلم القشيري: ج ١، ص ١٣٤، ح ٢٠٨



أولاً: التهيئة الإلهية للولاية:

فالباحث في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية يجد أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يخلق ما يشاء ويختار لرسالاته أشرف وأكرم وأطهر وأتقى وأنقى خلقه، ثم يعصمهم من الذنوب والخطأ، ويؤيدهم بالوحي من السماء بكل أنواعه، ويُنزل على الخواص منهم صحفه، وكتبه، وكان أكرمهم عليهم وأعظم خلقه جميعاً الرسول الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ وعترته الطاهرة، فهم الذرية التي اصطفاه الله سبحانه من خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

وهم الكلمة الطيبة التي ضربها الله مثلاً للشجرة الإبراهيمية الطيبة، إذ قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْلَاهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢)، فالرسالة فيهم، والولاية فيهم أيضاً ولا يمكن أن تكون في غيرهم، لأن الله سبحانه خلقهم، وفضلهم، واختارهم على علم على العالمين، منذ الخلق الأول في عالم النور، فكيف تتخلف عنهم الرسالة والولاية في عالم الظهور؟

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مِيلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؑ، فَقَالَ: إِيَّاهُ لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ خَيْرِ مَوْلُودٍ وَلِدَ بَعْدِي عَلَى سُنَّةِ الْمَسِيحِ ؑ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنِي وَعَلِيًّا مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِخَمْسِائَةِ أَلْفِ عَامٍ فَكُنَّا نُسَبِّحُ اللَّهَ وَنُقَدِّسُهُ فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ قَذَفَ بِنَا فِي صُلْبِهِ وَاسْتَفَرَرْتُ أَنَا فِي جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ، وَعَلِيٌّ فِي الْأَيْسَرِ، ثُمَّ تَقَلْنَا مِنْ صُلْبِهِ فِي الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَاتِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّيِّبَةِ، فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَطْلَعَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ظَهْرِ طَاهِرٍ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَاسْتَوْدَعَنِي خَيْرَ رَحِمٍ وَهِيَ أَمَنَةٌ، ثُمَّ أَطْلَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلِيًّا مِنْ ظَهْرِ طَاهِرٍ وَهُوَ أَبُو طَالِبٍ، وَاسْتَوْدَعَهُ خَيْرَ رَحِمٍ وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ... (٣)

وفي رواية أخرى مختصرة قال ﷺ:

١- سورة آل عمران: ٣٣ - ٣٤

٢- سورة إبراهيم: ٢٤ - ٢٥

٣- روضة الواعظين لابن الفثال النيسابوري: ج ١، ص ٧٧





أَدُنْ. فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ،
قَالَ: مَا ظَلَمْتُكَ؟ فَشَكَ ظُلَامَتَهُ. فَقَالَ:
يَا أَعْرَابِي! أَنَا أَعْظَمُ ظُلَامَةً مِنْكَ؛ ظَلَمَنِي
الْمَدْرُ وَالْوَبْرُ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا
وَقَدْ دَخَلَتْ مَظْلَمَتِي عَلَيْهِمْ، وَمَا زِلْتُ
مَظْلُوماً حَتَّى قَعَدْتُ مَقْعَدِي هَذَا^(٣)،
وعن عبد الرحمن بن أبي بكره قال:
سَمِعْتُ عَلِيّاً عليه السلام وَهُوَ يَقُولُ: (مَا لَقِيَ
أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَا لَقِيتُ! ثُمَّ بَكَى).^(٤)

فالله تعالى من فوق سبع سماواته
خلق، وبرأ، واصطفى، واختار محمداً
وأهل بيته فطهرهم وعصمهم، وجعلهم
صفوته من خلقه، وعيبة علمه، وحمة
رسالاته، وأمناء وحيه، فجاءت قريش
لندفع بهم جميعاً إلى المنافي والقبور، وتجلس
في مكان ليس لهم، وليسوا أهلاً له أصلاً،
فَمَنْ يجلس مكان رسول الله ﷺ ويتسمى
باسمه وخلافته يجب أن يكون كرسول الله
ﷺ في الأصل الطاهر، والمنبت النوراني،
ثم في العلم اللدني، والتربية الربانية،
والصناعة الإلهية، لا أن يكون مجهول
النسب، صغير الحسب، من أبعد
البعداء، وأجهل الجهلاء، وقضى رداً
طويلاً من عمره يعبد الأصنام، ويصلي

(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَعَلِيّاً مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ،
وَقَسَمَهُ قِسْمَيْنِ فَجَعَلَنِي نَبِيّاً، وَجَعَلَ عَلِيّاً
خَلِيفَةً وَوَصِيّاً وَوَلِيّاً)^(١)، فهذه خلاصة
القضية في الرسالات السماوية كلها، فكل
نبي أو رسول يكون وصيه وخليفته
من أهله، ومن أقرب المقربين إليه،
وأخصهم عندهم، وأخلصهم في طاعته،
وهذا معمول وثابت منذ أينا آدم عليه السلام
وحتى الرسول الخاتم ﷺ، فأدم وصيه
ولده شيث، ونوح وصيه ولده سام،
وإبراهيم وصيه ولده إسماعيل، وموسى
وصيه أخوه هارون، وأمّا الرسول الخاتم
فخليفته عبد اللات بن أبي قحافة التيمي،
وعمر بن الخطاب العدوي، وعثمان
الأموي، فأى ظلم هذا لدين الله وخاتم
رسله؟

لأنّ القوم جعلوها في أبعد الناس
عنه، وأبعدوا أهله وقتلوه تحت كل
حجر ومدر، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام
متظلماً منهم: (لَقَدْ ظَلِمْتُ عَدَدَ الْحَجَرِ
وَالْمَدْرِ)^(٢)، وفي رواية مفجعة أكثر؛ إِنَّ
أَعْرَابِيّاً أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَهُوَ فِي
الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَظْلُومٌ! قَالَ: أَدُنْ مِنِّي.
فَدَنَا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَظْلُومٌ! قَالَ:

١- اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج ٣، ص ٢٧٦

٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠، ص ٢٨٦؛ الجمل للشيخ المفيد، ص ١٢٤.

٣- الخرائج والجرائح للراوندي: ج ١، ص ١٨٠ ح ١٣، والصراط المستقيم: ج ٣، ص ٤١

٤- الغارات للثقفى: ج ٢، ص ٥٨٣؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤، ص ١٠٣.



لها، وربما يأكلها بعدها فكيف يستقيم أن يحمل رسالة الله مَنْ عبد اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، وسجد هُبل عمره ودهره، فَمَنْ سجد للصنم لا يكسر الصنم، وَمَنْ عبد الأصنام والأوثان لا يمكن أن يحمل رسالة السماء ويرث الأنبياء ﷺ فهذا مقام أهل الصفوة المختارة من هذا الأمة، وهذا ما بينه أمير المؤمنين ﷺ في إحدى كلماته النورانية حيث قال: (أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ؛ بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرُسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ) (١).

هؤلاء الأنوار الأطهار هم خيرة الله من خلقه، وهم أهل السيادة، والقيادة ولهم حق الولاية.

فبعد أن هيأ الله تعالى ظروف الوجود لنوره الذي تجلّى بأبهى وأرقى وأنقى صورته في الحبيب المصطفى، وأخيه وصنوه المرتضى (صلوات الله عليهما وآلهما الأطهار)، في تلك العوالم التي تسبح في النور، أراد الباري لهما أن يخرجاً إلى عالم الظهور فأخرجهما من صلب واحد ورحم واحدة أيضاً فكان عبد مناف، وعبد الله من أب وأم واحدة، فجاء محمد ﷺ من عبد الله بن عبد المطلب وأمنة بنت وهب، وجاء علي ﷺ من عبد مناف بن عبد المطلب وفاطمة بنت أسد بن هاشم، ثم اجتمعا حين اقترن النور بالنور حيث اقترن علي سيد الرجال، وفاطمة سيدة النساء فاجتمع البحرين وخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما الإمامان الحسنان سيدا شباب أهل الجنة وأبواهما خيراً منهما.

ومن الأيام الأولى لهذا الوجود المبارك لهذه الشخصيات الطيبة، والأنوار الزاهية في مكة المكرمة كانت متآلفة ومتوافقة مئة بالمئة، فما أن ولد الحبيب المصطفى ﷺ فمات أبوه قبل ولادته، وأمه في طفولته، وجدته شبيهة الحمد ليسوقه القدر المحتوم إلى بيت عمّه مؤمن قريش وسيدته الطاهرة المؤمنة فاطمة بنت أسد

ثانياً: التهيئة النبوية للولاية:



التي وصفها في خطبه القاصعة؛ (وَضَعَنِي فِي حَجَرِهِ حَجَرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتُمُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمَسُّنِي جَسَدَهُ، وَيَشُمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمَضْغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَنِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ)^(١)، فأَي تهية جسدية وتربوية كانت أعظم منها؟

ولذا قال منبهاً الأمة إلى هذه الخصوصية التربوية لأخيه ووصيه: (أَدَبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي)^(٢)، و(أَنَا أَدِيبُ اللَّهَ وَعَلِيٌّ عليه السلام أَدِيبِي)^(٣)، وهذا ما أكّده الإمام علي عليه السلام بقوله: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَدَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَدَبَنِي وَأَنَا أُؤَدِّبُ الْمُؤْمِنِينَ وَأُورِثُ الْأَدَبَ الْمَكْرَمِينَ)^(٤)، وهم أبناؤه المعصومون وشيعته المكرّمون بطيب الولادة.

ولذا قال عليه السلام: (فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا)^(٥)، وهذا الكلام والمقام الذي دوّخ ابن أبي الحدي فقال في تعليقه عليه: «هذا كلام عظيم، عالٍ على الكلام، ومعناه عالٍ على المعاني، وصنيعة الملك مَنْ يَصْطَنَعُهُ الملك ويرفع قدره.

ليكفلاه ويربياه ويحفظاه برموش العيون ومحاجرهما، وشغاف القلوب وأفئدتها، إلى أن شبَّ وكبر وبلغ أشده فزوّجاه من أمنا سيدة قريش الطاهرة خديجة بنت خويلد، وبعد ثلاثين سنة (سبتاً) ولد لهما علي فأخذه - محمد وخديجة - ليربياه كما ربّى أبواه الكريمان محمداً، فمن اللحظات الأولى لولادته أخذه وراح يُعَدِّهِ للمهمة التي خلّقا لأجلها وهي رسالة الله ودينه الذي اختاره وارتضاه لهذا الإنسان المخلوق المكرّم على خالقه فأرسل إليه أفضل وأكرم خلقه ليُخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وقريش ورجالها يعبدون هبل.

فمسألة التهيئة النبويّة لوصيه ووليه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام كانت تسير مع الجديدين ففي كل مطلع شمس كان فيها جديد، ومع الحياة ففي كل تفتح كان لهما فتح، ومع كل إشراقة شمس كانت شمسهما تضيء الحياة بأنوارها، فكان محمد شمس الحياة، وعليّ قمرها، وفاطمة زهرتها، والحسنان ثمرتها وبهجتها، فكانت التربية النبوية لعلي بن أبي طالب

١- نهج البلاغة الشريف الرضي: ج ١٩٢ القاصعة

٢- بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٠

٣- بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٣١

٤- بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٢٦٦

٥- نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٨٥، ك ٢٨



يقول: ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا، فحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت، وباطنه أنهم عبيد الله، وأن الناس عبيدهم»^(١)

نعم يا ابن أبي الحديد؛ إن هؤلاء الكرام الذين قدّمتم غيرهم عليهم وحمدت الله على ذلك حيث قلت في مقدمتك: «الحمد لله.. قدّم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف»^(٢)، هل عرفت ما نطقت أيها الأديب الأريب، هل من مصلحة التكليف أن يتقدّم أحد على الأفضل، إن هذا المنطق لعجب عجاب من هؤلاء الذين يدعون العلم والفهم حقاً، فلماذا لم تقتض الحكمة إذن بتقديم إبليس على آدم، ونمرود على إبراهيم، وفرعون على موسى، وأبولهب على محمد ﷺ؟

فالتهيئة النبوية للولاية العلوية مرّت بمراحل ثلاث هي:

١. مرحلة التربية والتنشئة النبوية للولي علي عليه السلام بدأت بالولادة،

١- شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد: ج ١٥، صفحة ١٩٤

٢- مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١، ص ٣

٣- سورة آل عمران: ٦١

وانتهت بالبعثة الشريفة.

٢. مرحلة التفضيل ونشر المزايا والفضائل العلوية وبدأت بالبعثة واستمرت إلى يوم الغدير.

٣. مرحلة التنصيب، وإعلان النص الإلهي بتعيين الولي بالنص الجلي وكان في يوم الغدير.

وهذه المراحل الثلاث منسجمة ومتداخلة ولا يمكن الفصل بينها أبداً؛ لأنّ الرسالة واحدة من عند الواحد الأحد، والكتاب واحد والرسول هو الرسول ولكن بشخصين؛ الرسول الذي ينزل عليه الوحي من السماء، والولي الذي يأخذ الوحي من الرسول ويؤوله في حياة الأمة من بعد الرسول، وهذا ما بيّنه الله تعالى في آية المباهلة لنصارى نجران حيث قال: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣)، فمحمد نفس علي وعلي نفس محمد بهذا النص القرآني الجلي وهذا ما بيّنه الرسول الكريم في الآلاف من الأحاديث



والروايات والخطب ومنها خطبته عليه السلام:
(يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ سَيْطَ حَمُكَ
بِلَحْمِي وَدَمِّكَ بِدَمِي وَأَنْتَ السَّبَبُ فِيمَا
بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ بَعْدِي فَمَنْ جَحَدَ
وَلَايَتَكَ قَطَعَ السَّبَبَ الَّذِي فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
اللَّهِ وَكَانَ مَاضِيًا فِي الدَّرَكَاتِ يَا عَلِيُّ مَا
عُرِفَ اللَّهُ إِلَّا بِكَ ثُمَّ بِكَ مَنْ جَحَدَ وَلَايَتَكَ
جَحَدَ اللَّهُ رُبُوبِيَّتَهُ يَا عَلِيُّ أَنْتَ عَلَمُ اللَّهِ
بَعْدِي الْأَكْبَرُ فِي الْأَرْضِ وَأَنْتَ الرُّكْنُ
الْأَكْبَرُ فِي الْقِيَامَةِ فَمَنْ اسْتَظَلَ بِفَيْئِكَ كَانَ
فَائِزًا لِأَنَّ حِسَابَ الْخَلَائِقِ إِلَيْكَ وَمَا بِهِمْ
إِلَيْكَ وَالْمِيزَانُ مِيزَانُكَ وَالصِّرَاطُ صِرَاطُكَ
وَالْمَوْقِفَ مَوْقِفُكَ وَالْحِسَابَ حِسَابُكَ
فَمَنْ رَكَنَ إِلَيْكَ نَجَا وَمَنْ خَالَفَكَ هَوَى
وَهَلَكَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ).^(١)

هذا النص واضح بأن أول مَنْ بايع
علياً عليه السلام كان النبي الأكرم عليه السلام في يوم
الدار، وهناك نصوص أخرى تدلُّ على
نفس معنى البيعة، كما في تاريخ دمشق؛
(مَنْ يبايعني على أن يكون)، فقام علي
بن أبي طالب فبايعه بينهم^(٢)، ورواية
أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (فأيكم
يبايعني.. حتى كان في الثالثة ضرب بيده
على يدي)^(٣)، فهذه الكلمات (فأخذ
برقبتي)، و(أخذ بعنقي)، و(ضرب بيده
على يدي)، و(وبايعني)، و(أنت لها أنت
لها يا علي)، هذه الكلمات كلها لا تكفي
القوم للدلالة على البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام
ورواية (مروا فلان بالصلاة) الكاذبة
والمفترة على رسول الله عليه السلام صارت
دليلاً قاطعاً عندهم؟ (تلك إذا قِسْمَةٌ

البيعة الأولى في الدار والأخيرة في
الغدير:

يروى شيخ المؤرخين العلامة الطبري
فيما يرويه؛ عن رجل سأل أمير المؤمنين
على مرأى ومسمع من قريش: بِمَ ورثت
ابن عمك دون عمك؟ إلى أن قال: يَا بَنِي
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِخَاصَّةٍ وَإِلَى
النَّاسِ بِعَامَّةٍ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ

١- بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ١٤٧ عن كتاب سليم بن قيس الهلالي، صاحب أمير المؤمنين عليه السلام.

٢- تاريخ الأمم والملوك ابن جرير الطبري: ج ٢، ص ٣٢٢

٣- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٤٢، ص ٥٠

٤- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ج ١، ص ٧١٣



ضَيْرَى^(١)، وأي ظلم أعظم من هذا الظلم بهذا الفهم لكتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ؟

فالببيعة العلوية تَمَّت وبدأت من يوم الدار، ثم تابعت في أحاديث المؤاخاة في مكة أولاً بين المسلمين فيها، ثم آخراً في المدينة بين المهاجرين والأنصار فكان يأخذ يد علي ويقول لهم: (هذا أخي في الدنيا والآخرة)، وكذلك البيعة في العقبة الأولى والثانية مع الثريين فكان المبايع عليٌّ ﷺ لهم للرسول بالرسالة وله بالولاية، وهذه شهادة عبادة بن الصامت المروية في كل الصحاح: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمُنْشَطِ وَالْمُكْرِهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا تُنَازَعَ الْأُمْرَ أَهْلُهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّا ئِم^(٢)، فأين أنتم أيها الأنصار من هذه البيعة يوم ناشدكم سيدة النساء فاطمة الزهراء ﷺ وجاءكم أمير المؤمنين ﷺ يدور بها إلى بيوتكم ودوركم؟

فالببيعة بالولاية لأمر المؤمنين ﷺ لم تأت صدفة في يوم الغدير، بل هي النتيجة للدراسة والبحث والامتحانات الكثيرة التي استمرت في جامعة الرسول

الأكرم ﷺ ومنهاجه القرآن الكريم لأكثر من عشرين سنة، فجاءت النتيجة وإعلان الأول، والرأس، والقائد، والخليفة، والولي على المسلمين في يوم غدير خم، حيث أكمل الله الدين الإسلامي، وتمت النعمة على البشرية بتنصيب من الله وبلاغ من رسول الله ﷺ وتعيين الشخص الأجدر بمقام الولاية ألا وهو الإمام علي بن أبي طالب ﷺ الذي كان في الحقيقة نفس رسول الله ﷺ ولكن بشخص علي؛ لذا نؤكد في كل أبحاثنا على أن القرآن الكريم هو كتاب الله الصامت وهو معجزة الله الخالدة، وأمّا معجزة رسول الله ﷺ فهو القرآن الناطق وهو علي بن أبي طالب ﷺ، فكيف استطاع أن يُربِّي وينشئ ويصنع مثل هذا الشخص المعيار للناس بالإنسانية في منطقة التخلف وعصر الجهل والجاهلية، إن هذا هو العجب العجاب حقاً.

والناس وَمَنْ يَدْعُونَ الْعِلْمَ مِنْذَ أَرْبَعَةِ عَشْرَ قُرْناً يُحَاوِلُونَ أَنْ يُقَيِّسُوا الْإِمَامَ عَلِيَّ ﷺ بغيره، وهذا خطأ فادح؛ لأنَّ علياً لا يقاس بالناس، بل هو المقياس للناس في كل الفضائل؛ لأنَّ الله تعالى جعله الإنسان المثال في كل صفات الجمال والجلال الأدمية

١- سورة النجم: ٢٢

٢- صحيح البخاري: ح ٧٠٥٥ وصحيح مسلم: ح ١٧٠٩ والحديث، صحيح لديهم.



وعلی کل البشر أن یقیسوا أنفسهم بهذا المقياس الرباني الذي جمعت في صفاته الأضداد وعزّت له الأنداد، وبكلمة الله جعل محمداً مقياساً لعلی، وجعل علیاً مقياساً للناس فهل عرفوا هذا المقياس الذي لا یقاس به الناس؟

عيد الولاية في غدیر خم:

فجمعهم وخطب بهم خطبة بليغة وبالغة ومبلّغة إلى أن قال ﷺ: (أيها الناس! ألسنّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فأخذ بيد عليّ، فقال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فلهذا مَوْلَاهُ، اللهم والِ مَنْ والاهُ، وعادِ مَنْ عاداهُ، وأحبَّ مَنْ أحبَّ، وأبغضْ مَنْ أبغضه، وانصر مَنْ نصره، واخذلْ مَنْ خذله).^(١)

ثم نصبَ له خيمةً وأجلسه فيها ثلاثة أيام وهم يُبايعونه حتى بايعه الجمع بالرسالة للرسول والولاية والإمارة للأمير ﷺ حتى بايعته النساء وفي مقدمتهم نساء النبي ﷺ، وممن هنّاهُ في مقدّم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر، كلٌّ يقول: (بَخِ بَخِ لَكَ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ وَأُمْسَيْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ)^(٢)، وقال عبد الله بن عباس:

نعم استمرَّ أمير المؤمنين الإمام عليّ ﷺ مع رسول الله ﷺ، من المبعث الشريف في غار حراء إلى أن قام في السنة العاشرة من الهجرة أي بعد عشرين سنة وهم في كل محفل ونادٍ ومجمع يُنادي باسمه ويُصرِّح لهم بولايته ويأمرهم بطاعته حيث أمره على الجميع، ولم يُؤمّر عليه أحدٌ منهم، وكان حامل لوائه في كل حروبه وغزواته، بل كان قائد جيوشه ورئيس هياة الأركان العامة فيها، فكان الذي يُشار إليه بالبَنان وكان كالنجم في جوّ السماء في عهده ﷺ.

وبعد أن قفل ﷺ راجعاً من حجّة الوداع وعندما وصل قريبا من الجحفة نزل أمين الوحي جبرائيل ﷺ يأمره بأمر ضاق به صدره، لعلمه بأنهم قريبو عهد بالجاهلية وإذا أمرهم به سيرجعون إلى جاهليتهم، فنزل الأمر بالتشديد على

١- تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٢/٢٠٩/٨٦٨٧؛ الأمالي للطوسي: ٤٥٩/٢٥٥

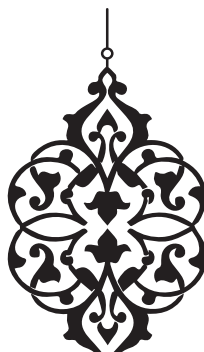
٢- مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ٢٨١ وكذلك فضائل الصحابة: ج ٢، ص ٤٤٩



(وَجَبَتْ وَاللَّهُ فِي أَعْنَاقِ النَّاسِ)^(١).

فيوم الغدير الأغزر هو عيد الله الأكبر لما بيّن من أكبر مسألة في الحياة ألا وهي مسألة الولاية العامة، والقيادة العظمى للبشر التي إختارها الله ﷻ وبينها وعينها ونصبها رسول الله ﷺ جهاراً نهاراً في وادي الغدير واجتماع أكبر مؤتمر حيث استمر لعدّة أيام وشهد الجميع وأشهدهم رسول الله ﷺ على أنفسهم بالرسالة له وبالولاية لوصيه ووليهم أمير المؤمنين ثم

أمرهم بالبيعة العامة التي استمرت ثلاثة أيام فأقر الجميع ولكن نكثوا العهد وانقلبوا على أعقابهم كما أخبر عنهم رب العزة والجلال بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢)، انقلبوا ولذا سيطرهم رسول الله ﷺ عن حوضه وبيعدهم عنه كما في الصحاح.



ابواب المعرفة

١- الغدير الشيخ الأميني: ج ١، ص ٥٣

٢- سورة آل عمران: ١٤٤



الخاتمة:

ومن هنا يحقُّ لنا أن نقول وبكل جدارة وقوة: أنَّ ولاية الأمير في يوم الغدير الأغر كان منبعها في يوم المبعث الشريف في غار حراء، حين نزلت الرسالة كان محمد بن عبد الله ﷺ نبياً مرسلًا يوحي إليه، وكان علي بن عبد مناف وصياً ووزيراً يأخذ الوحي من رسول الله ﷺ بعد أن يأخذه رسول الله ﷺ من الله سبحانه وتعالى، فكان محمد المنذر، وعلي الهادي ﷺ.

فنبع الغدير الرسالي كان مع (اقرأ) في غار حراء، ولكن كانت نتيجته وعطاءه، وبيانه، وإعلانه في يوم غدير خم، في ذلك المهرجان الرباني الذي أمر به من فوق سبع سماواته، وأنزل الأمر به في كتابه وقرآنه، فقام النبي الأكرم ﷺ وبينَ للإنسانية رمزهم الأقوم؛ لأنَّ الله تكفل بعصمته من المنافقين، ورؤوس الفساد من القرشيين، فأخزاهم وكتبهم عندما رأوا طير الأبابيل فوقهم فتيقنوا بالهلاك كأصحاب الفيل، لا سيما بعد أن رأوا ما حدث لجابر بن الحارث الفهري العبدي الذي رفض البيعة وقال قوله: (يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، وبالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فقبلنا منك، ثم لم ترص

بذلك حتَّى رفعت بضبع ابن عمك فضّلتَه علينا، وقلت: (مَنْ كُنْتُ مولاه فعليُّ مولاه)، فهذا شيء منك، أم من الله؟ فقال رسول الله: (والذي لا إله إلا هو إنَّ هذا من الله).

فولَّى جابر يريد راحلته، وهو يقول: «اللهم إنَّ كان ما يقول محمد حقاً فأَمْطُرْ عَلَيْنَا حجارةً من السماء، أو ائْتِنَا بعذاب أليم»، فما وصل إليها حتَّى رماه الله بحجر، فسقط على هامته، وخرج من دبره، وقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(١).

وكما النبع يعطي ماء الحياة جاءت البيعة لتُعطي المشروع لهذا الماء العذب، إذ بدأت في يوم الدار بيد الرسول الأكرم ﷺ وانتهت في يوم الغدير الأغر بأيدي كل مَنْ حضر من المسلمين، هذه عقيدتنا، وهذا ما نراه ونقرأه في صفحات التاريخ والسيرة والرواية حيث لا خفاء فيها ولكن ابتلينا بقوم يريدون أن يغطّوا الشمس بغربال، وأن يختبئوا وراء أصابعهم، لينكروا الحق على أهلّه، والعجيب أنهم ممَّن باعوا دينهم بدنيا غيرهم من رجال السلطة القرشيّة وتلك هي الصفقة الخاسرة وذلك البيع هو الخسران المبين.

١- الحافظ أبو عبيد الهروي المتوفى بمكة ٢٢٣ في تفسيره (غريب القرآن)، وكثيرة طرقه ومسانيده. والآية في سورة المعارج: ١



المصادر

- السياسة والإمامة لابن قتيبة الدينوري، تحقيق زيني دحلان..
- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام..
- روضة الواعظين لابن الفثال النيسابوري..
- اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ..
- الخرائج والجرائح للراوندي..
- الغارات لمحمد الثقفي..
- تاريخ دمشق لابن عساكر..
- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ..
- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري..
- صحيح مسلم القشيري..
- مسند أحمد بن حنبل..
- الغدير الشيخ الأميني..
- تفسير (غريب القرآن)، الحافظ أبو عبيد الله هروي المتوفى بمكة ٢٢٣

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة الجامع له الشريف الرضي.
- شرح نهج البلاغة لعز الدين بن أبي الحديد المعتزلي..
- تاريخ اليعقوبي؛ اليعقوبي..
- تسلية المجالس وزينة المجالس (مقتل الحسين عليه السلام)، محمد بن أبي طالب الحائري.
- علل الشرايع للشيخ الصدوق..
- كشف الغمة في معرفة الأئمة للأردبيلي.
- الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام
- تفسير علي بن إبراهيم القمي..
- تفسير الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)
- تاريخ الأمم والملوك ابن جرير الطبري..
- سيرة أمير المؤمنين عليه السلام الشيخ علي الكوراني العاملي..
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد؛ الشيخ المفيد..



لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ



واقعة الغدير في دراسات المستشرقين الغربيين

عرض ونقد وتوجيه

أ.م.د. خالد كاظم حميدي



جامعة الزهراء عليها السلام للبنات - كلية التربية







مقدمة:

تعدّ واقعة الغدير من الوقائع المهمّة في تاريخ المسلمين عامّة والشيعيّة خاصّة، إذ كانت محلّ بحث وجدال مطوّل يبلغ أحياناً درجة النزاع بين أبناء الأمة الواحدة، فكانوا ومازالوا على آراء متباينة:

فمنهم من أكّد هذه الحادثة بتفاصيلها المختلفة وأقرّ بأحقية الإمام علي عليه السلام في الخلافة مؤكّدين أنّ الرسول صلى الله عليه وآله جعله خليفة للمسلمين من بعده، إذ قال في خطبته بعد العودة من حجة الوداع بمنطقة غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه)^(١).

ومنهم من قال بوجودها دون الإقرار بكلّ تفاصيلها وأحداثها ومجرياتها، زاعمين أنّ كلمة (مولى) لا تعني الأولى بالتصرّف، وأنّ ما أَرادَه الرسول صلى الله عليه وآله هو أنّ يُبين فضائل علي عليه السلام لمن لم يعرفوا فضله فحثّهم على محبّته وعدم معاداته والكيد له ولم يقصد أبداً توليته الخلافة.

ومنهم من رفض الإقرار بواقعة الغدير أصلاً وأنكر وقوعها ذاهباً إلى أنّها ضرب من الخيال، منكرّاً أنّ علياً عليه السلام رافق الرسول صلى الله عليه وآله في حجة الوداع، إذ إنّّه كان في اليمن على حدّ قولهم.

هذا التباين في الآراء بين مقرّ بالحادثة وآخر منكر لها، وهذا الاحتدام في الخلاف حول واقعة الغدير أثار حيرتنا وأسئلتنا العلميّة، وجعلنا نقف على مسافة واحدة من جميع البحوث؛ لما لمسناه من جدل عقيم لا يبشر برؤية بصيص نور في نهاية النفق.

فمثل هكذا موضوعات عقديّة حسّاسة يبلغ فيها الخلاف مبلغه يحتاج البحث فيها إلى رؤية موضوعيّة لا تتعصّب لرأي أو فكرة سابقة، لذلك يعوّل بعض الباحثين في دراسة هكذا موضوعات على الدراسات الاستشراقية، انطلاقاً من أنّ المستشرق في - الأعم الأغلب - في هذه الموضوعات لا ينطلق من أيديولوجيات مسبقة أو قراءات قبلية تنبئ بالنتائج قبل الوصول إليها.

غير أننا عند التمعّن في «واقعة الغدير» في دراسات المستشرقين الغربيين نجد أنّ الخلاف انتقل إليهم وألقى بظلاله على دراساتهم، فتباينت مواقفهم من الحادثة، وتعددت آراؤهم وبلغوا - بدورهم - حدّ التناقض وانقسموا بين مؤيد لهذه الواقعة التاريخيّة وآخر مُنكر لها.

ولما كان عمر هذه الواقعة تجاوز





مصدر الحكم على المعرفة المتحصّلة؛ لأنه يسمّى يقيناً أو اطمئنان القلب لتعاقد الأدلّة في حال تطابق أدلة ملكتي: العقل والحس التجريبي وبهذا يكون القلب ملكة تعقل تنطق بالحق، وليست ملكة أهواء متقلّبة كما كان يظن.

لقد أقيم هذا الأنموذج المعرفي، الذي اتخذناه منهج بحث لحلّ مشكلة الجدل العقيم، على قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في معرفة كيفية (إحياء الموتى)، وهي قضية غيبيّة: (أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ...)^(٣)، ما يدلّ على أنّ طمأننة القلب لا تقوم على أساس عقلي نظري مجرد، ما لم تُشفع بتجريب حسيّ مكرر بأكثر من صيغة الجمع العربية وهي (ثلاثة)، والأكثر منها هو (أربعة).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على النحو الآتي:

من مقدمة ومبحثين تليهما خاتمة للتأنيج فقاومة بمصادر البحث ومراجعته، وأمّا المبحثان فهما:

الألف والأربعمئة عام، فإننا نتوقع استمرار الخلاف، ما لم يتصدّ بحث فكري هدفه الرئيس هو الكشف عن المبادئ الفكرية التي سبّبت كثرة الجدل الذي أوضح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأنه يدلّ على الجهل، بقوله: (العلم نقطة كثّر بها الجاهلون)^(١).

ومن هنا جاء النظر إلى هذا الموضوع بافتراض فرضية علمية تُعتمد كمنهجية مقترحة لحلّ مشكلة كثرة الجدل حول القضية الواحدة، وقوام هذه المنهجية أنّها تفترض عمل ملكات الإدراك الثلاث: (العقل، والقلب، والحس) معاً لتكوين مثلث سمّيناه مثلث الإدراك الذي يحصر الحقيقة بنقطة وسط هذا الحيز الذي يعتقد البحث أنّه يمثل الإدراك السليم، والذي يقلّل الجدل إلى أدنى حدّ، بحسب ما يتّضح في المخطط الآتي^(٢):

وعلى وفق هذا الأنموذج المعرفي يصبح للحقيقة ثلاثة وجوه: وجه عقلي صوري مجرد من المادة، وآخر حسيّ مملوء بالمادة القابلة للرصد والتجريب الذي تتملّك الحواس تفصيلاته، ووجه ثالث قلبي يمثل أخلاق البحث والإيمان، وهو

١- مستدرک نهج البلاغة: ١٦٣.

٢- ظ: نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي: ٣٠.

٣- سورة البقرة: ٢٦٠.



المبحث الأول: الرافضون لفكرة استخلاف النبي ﷺ من بعده: الآخر.

المبحث الثاني: المؤيدون لفكرة استخلاف النبي ﷺ من بعده: استخلاف الرسول ﷺ من بعده:

يرى البحث أن أصحاب هذا الرأي ينطلقون من منطلقات عقلية رياضية منفصلة عن الواقع أو الظروف التي أحاطت بالحادثة، وذلك ما جعلهم يحكمون بأحكام لا تتناغم مع الواقع التاريخي بوصفه نسقاً متسلسلاً ومتربطاً من الأحداث لا يمكن نزع أجزائه بأي حال من الأحوال.

وقد حاكموا الواقعة بظروفهم المختلفة والخاصة من غير الأخذ بنظر الاعتبار تغير الزمان والمكان والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية وغير ذلك.

يقول المستشرق الفرنسي (سيديو) نافياً وصية الرسول ﷺ بالخلافة لعلي عليه السلام منطلقاً من فرضية عدّها أساساً أو مقياساً فلسفياً لحكمه على الواقعة: (...). ولو قبل ذلك لحال دون ظهور ما صرّح القرن الأول من الهجرة بالدماء^(١).

الخطأ الذي وقع في هذا المستشرق هو

نأمل من الله تعالى أن يوفّقنا في حلّ المشكلات المعرفية المحتدمة في المجتمع العربي الإسلامي، بتطوير منهج يحسم الجدل العقيم الطويل، الذي طالما أهدر جهوداً فكرية ومادية ومعنوية كبيرة لم يلح في الأفق القريب بأنها ستترسي على برّ أمان؛ لأنّ المتجادلين إنّما ينطلق فريق منهم من حقيقة عقلية، في حين ينطلق الفريق الثاني من حقيقة حسية تجريبية، وفريق ثالث ينطلق من حقيقة قلبية أخلاقية. وكل المنطلقات واضحة المعالم لا ريب فيها، ما يؤدي إلى أنّ كل فريق كأنه ينظر في اتجاه واحد فلا يرى ما يحوم حوله أو كأنه يرتدي نظارات مختلف ألوانها، فيرى كلّ منهم لوناً للحقيقة مختلفاً عن اللون الذي يراه الآخر؛ لذلك يعتقد البحث أنّ النقطة في حلّ الخلاف تكمن في النظر في مختلف الجهات و تبادل النظارات أو خلعها جميعاً، وارتداء نظارة مثلث الإدراك في علم النقطة التي تريك ثلاث اتجاهات وثلاثة وجوه للحقيقة





التي نقلها لنا التاريخ من خلافات بين المهاجرين والأنصار ومن خلاف حول الغنائم ومن خلاف حول علي عليه السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فمن المسلمين من أحبه ووالاه ليس لقربته من الرسول فحسب بل لتدينه وخلقه وحكمته وعلمه وشجاعته ورصانته وفضله، ومنهم من أبغضه وكرهه وهو زوج بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فبلغوا حد رفع أمره إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

لذلك فرأي (سيديو) يفتقر إلى الاستيعاب الواعي والمتكامل للأحداث التاريخية بتفاصيلها المعقدة والمتعددة، فهو قد اعتمد معطياته العقلية وفرضياته الرياضية المستقاة من واقعه وظروفه للحكم على حادثة بلغ عمرها أكثر من ألف وأربعمائة عام.

وذهب المستشرق الإنجليزي (روم لاندو) إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يوص لأحد من بعده وقد ترك الساحة فارغة من بعده، وقد أوكل أمر اختيار الخليفة إلى المسلمين، مصورًا الأحداث من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتصوير قبلي عشائري، فأطلق على أطراف الصراع بالقوى الطامعة من دون مراعاة خصوصية كل جماعة، ويقصد بهذه القوى: (علي وأتباعه، ومعاوية وأتباعه، وأبو بكر وأتباعه)، ذاكراً لكل

خطأ منطقي إدراكي عقلي إذ إنه انطلق من مقدمات توهم أنها مسلمات صالحة للبناء الفكري، وذلك ما أوصله إلى هذه النتيجة.

ولنا أن نحاكم هذه المسألة بسؤالين: الأول: هل التزم الصحابة بتعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يخرجوا عن طاعته أبداً في حياته حتى نتخذها مسلّمة لما بعد مماته؟ الجواب: كلا، وفي كتب التاريخ ما يدعم ذلك من مخالفات واضحة لرأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه.

ففي معركة (أحد) أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أن لا يرحوا أماكنهم أبداً، ولكنهم خالفوا وأمره وتسابقوا إلى تقاسم الغنائم، فتكبد المسلمون هزيمة نكراء.

والسؤال الآخر: هل الدماء التي سالت في القرن الأول كلّها بسبب الخلافة؟ من المؤكد أن هناك أسباباً أخرى تناحر من أجلها المسلمون منها ما هو سياسي أو اجتماعي أو قبلي أو اقتصادي وغير ذلك.

فدموية القرن الأول على وجه الخصوص ليس مردها الاقتتال من أجل الخلافة فحسب، ولو قلنا بذلك نكون قد أقررنا بتوافق المسلمين توافقاً كلياً في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم متجاهلين الأحداث



جماعة مميزاتها الدنيوية، من دون مراعاة الجوانب الأخرى، وبذلك رجح أفضلية ما وقع من اختيار على أبي بكر، لأنّه الأكبر سنّاً والأرجح عقلاً^(١) ولكن لم يذكر (لاندو) كيف توصل إلى هذا الحكم؟! وما المعايير التي اعتمد عليها في معرفة من هو الأكثر رشداً!.

إنّ مقولة: (الأكبر سنّاً) أفضل من (الأصغر سنّاً) هي مقولة عقلية رياضية لا تؤيدها مقولات الواقع المعيش، فالواقع يقول إنّ (الأكبر سنّاً) أفضل من (الأصغر سنّاً) في ظرف ما، وفي بعض الظروف يكون (الأصغر سنّاً) هو الأفضل والأنسب؛ لأنّ الواقع ليس ثابتاً كما يصوره العقل الذي ينتج أحكاماً ثابتة خلقت هكذا وستبقى إلى يوم القيامة. بل أنّ الواقع متغير تغيراً لا نهائياً ومتلوناً بألوان لا تعدّ ولا تحصى يبلغ تدرجها من الأبيض الناصع إلى الأسود القاتم وما بينهما من ألوان.

لذلك جاء حكم المستشرق الفرنسي (لاندو) بعيداً عن الواقع التاريخي للحادثة، وكان جديراً به أن يفيد من نتائجه العقلية والمنطقية الأرسطية من دون أن ينسى ظروف الحدث التاريخي لما

فيها من خصوصيات تتصل بالشخصيات والزمان والمكان.

وتأثر المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) ببعض الروايات التي تقول إنّ الرسول ﷺ لم يوص بالخلافة أيام عافيته، أمّا في أثناء وفاته فقد أراد فعل ذلك لكنه منعه من أن يوصي خشية أن يقول بعض الكلمات وهي خارج عن وعيه وسيطرته، يقول: (ألح المرض على النبي واشتد، فصار يهذي في حال وعيه، وفي يوم الأحد ٧ تموز، حاول أن يملي وصيته الأخيرة، ولكن عمر رأى من الخير أن يمنعه من ذلك خشية أن يكون في صدور بعض الأوامر عن النبي في تلك الحال التي لا تساعد على التفكير الصافي، وما يهدد بالخطر قضية المسلمين)^(٢).

ارتضى بروكلمان هذه الرواية التي ذكرتها بعض كتب التاريخ، وهي تصرح أن الرسول ﷺ لم يوص لعلي بالخلافة في كلّ الأحوال. ولكن السؤال المطروح في هذا الشأن: إذا كانت قضية الخلافة تحمل كلّ هذه الأهمية الدينية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية، فما المانع الذي منع الرسول ﷺ من تأديتها وهو في قوته وعافيته، وهل هناك ما يوجب تأجيلها

١- ظ: الإسلام والعرب: ٥٨ - ٥٩.

٢- تاريخ الشعوب الإسلامية: ٧٩.



(أبو بكر)، وقد عدَّ «الرضا الشعبي» هو معيار الفوز بين المتنافسين.

وهنا لا بد من الإشارة إلى قضية مهمّة جداً تتصل بشروط تحقق الانتخابات في الوقت المعاصر ولاسيما فيما يتصل بالناخب نفسه، ففي أدبيات السياسة المعاصرة لا يسمح لشخص أن يُشارك في الانتخابات ما لم تتحقق بعض الشروط الموضوعيّة ليكون مهياً للتصويت ومن ذلك: حرية الاختيار والاستقرار النفسي، وعدم وجود مشاكل تتصل بواقعه المعيشي.

والسؤال المهم: هل كان الناخب في تلك الظروف متوافراً على بعض هذه الشروط، الجواب: كلا، ولاسيما فيما يتصل بحرية الاختيار، فثقافة المسلمين ما زالت متأثرة بالجاهليّة في كثير من جوانبها وهي تحسب للعصبيّة القبليّة ألف حساب. فضلاً عن ذلك فإنّ الرضا الشعبي قضية نفسية غامضة معقدة لا يمكن تفسير نتائجها بهذه السهولة والبساطة.

ولم يتحدث المستشرق الفرنسي (آتين دينيه) عن موضوع الخلافة في حياة الرسول ﷺ وكأنه قد نفى وجودها أصلاً وهذا ما نجده من خلال تشديده على أهمية وحدة الصف أمام عدوهم

لوقت مرضه وضعفه الجسدي؟!!

ومن ثم لنا أن نسأل ما غاية هذا المستشرق من ترديد بعض ما جاء في كتب التاريخ متعمداً صياغتها بأسلوب يُثير الاستغراب والدهشة ففيها من المسّ والقبح برسول الله ﷺ ما يجعلنا نظن أنّه أراد الإساءة أكثر من عنايته بقضية الخلافة نفسها، وهذا يظهر من طريقة تعبيره عن الرسول ﷺ بـ «يهذي» و«لا تساعد على التفكير الصافي» وغير ذلك من الهمز واللمز، وبذلك لا يمكن عدّ رأيه رأياً مقبولاً؛ لافتقاره لأخلاقيات البحث العلمي.

والمح المستشرق الفرنسي (رسلر) إلى فكرة الانتخابات التي رشحت حزب (أبو بكر) على باقي الأحزاب نافياً فكرة وجود وصية، وبذلك خسر منافسو (أبو بكر) وهم كل من الحزب العلوي والحزب المدني (الأنصار) والحزب الأموي هذه الانتخابات. وكان مقياس الفوز هو صندوق الرضا الشعبي الذي أفرز شخصية الخليفة بعد رسول الله ﷺ.

صوّر (رسلر) الأحداث التي جرت بعد وفاة الرسول ﷺ بمدة قصيرة بأنها انتخابات، تنافست فيها أحزاب معروفة بعينها، وقد أفرز «الصندوق» فوز حزب



المشترك إذ يقول: (كان على المؤمنين قبل التفكير في دفن الرسول أن يفكروا في صد الخطر المحدق بالإسلام الذي فقد زعيمه الملهم، الذي ضمّ تحت لواء الأخي في الدين أسراً وقبائل فرقت بينها قرون من العدااء...) (١).

ومما تقدم يمكن القول إن الأحكام العقلية التي صدرت من هؤلاء المستشرقين كانت بحاجة إلى مواكبة جادة للظروف التاريخية فضلاً عن إمام كامل بالنسق التاريخي المعقد الذي مثلت واقعة الغدير جزءاً منه، والنظر لتلك الأحداث بوصفها تسلسلاً مترابطاً.

لذلك تبقى هذه الأحكام قاصرة؛ لأنها تنظر إلى الوقائع بعين واحدة ومن جهة محددة من دون الإحاطة بباقي الأبعاد، وبذلك لا يمكن الوثوق بها أو الركون إليها وحدها أو الاطمئنان لنتائجها بوصفها مقارنة علمية تصور لنا حادثة الغدير بشكل أقرب إلى الواقع الذي لم نشهده مشاهدة عيان وإنما نقلته لنا الكتب والشخصيات التي يمكن لها أن تضيف وتحذف أو تكذب وتشوه الحقائق.

المبحث الثاني: المؤيدون لفكرة استخلاف الرسول ﷺ من بعده:

١- محمد رسول الله: ٣٠٥.

اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على بعض الروايات التاريخية التي نقلت أحداث واقعة الغدير، ولكنها أغفلت الجانب الغيبي للواقعة الذي يمكن تلمسه عن طريق تفعيل (القلب) بوصفه أداة إدراك، وبذلك فهم يؤيدون فكرة الاستخلاف لأسباب تتصل بصفات حسية (مادية) يتمتع بها الإمام علي عليه السلام فضلاً عن صلة الدم التي تربطه بالرسول ﷺ.

وهذه الصفات على أهميتها إلا أنها غير قادرة على أن تكون أدلة قوية أو رئيسية تنهي النزاع الدائر بين المتنافسين، فصفة الشجاعة مثلاً تفتح الباب واسعاً لعدد كبير من الصحابة المسلمين؛ وذلك لوجود عدد كبير من شجعان العرب إلى جنب الإمام علي عليه السلام وقد شهدت لهم ميادين الوغى بالشجاعة والبسالة والذود عن الإسلام، وبذلك تكون الصفة الحسية المشتركة لوحدها غير قادرة على إعطاء خصوصيات الشخصية على نحو متفرد.

أمّا صلة القرابة والمصاهرة والدم وروابط النسب فإنها تصوّر الخلافة على أنها غنيمة عائلية حاول الرسول ﷺ الحفاظ عليها في ضمن البيت الواحد، فنقلها من حيازته إلى حيازة الإمام علي، وهذا التصوير لا يمت إلى الجنبه الدينية



والخليفة بأيّ صلة.

من قبل النبي...^(٣).

يقول المستشرق (ليونارد بندر):
(شيعة الإسلام تختلف عن سنة الاسلام
في موضوع الخلافة المبكرة بعد وفاة النبي
محمد ﷺ، إنّ الموقف الجوهرى للشيعة
ينصبُّ على أنّ محمداً قد عينَ صهره
خليفة له...)^(١).

وهذا الرأي يؤكّد ما قدّمنا له بأنّ
المؤيدين لواقعة الغدير من المستشرقين
ركّزوا على الصفات الحسيّة التي من
الممكن أن ترشح شخصيات أخرى إلى
جنب الإمام علي عليه السلام.

ويؤكد المستشرق (كارا ديفو) هذا
الأمر أيضاً عند حديثه عن شجاعة
الإمام علي عليه السلام التي أهّلته لهذا الموقع،
يقول: (وحارب علي بطلاً مغواراً إلى
جانب النبي، وقام بمآثر ومعجزات، ففي
موقعة (بدر) كان علي وهو في العشرين
من عمره يشطر الفارس القرشي شطرين
اثنين بضربة واحدة من سيفه، وفي (أحد)
تسلّح بسيف ذي الفقار، فكان يشق
المفاخر بضربات سيفه ويحرق الدروع،
وفي الهجوم على حصون اليهود في خيبر
قلقل علي بيده باباً ضخماً من حديد. ثم
رفعه فوق رأسه متخذاً منه ترساً مجناً.
أمّا النبي فكان يحبه ويثق به ثقة عظيمة،
وقد قال ذات يوم، وهو يشير إلى علي:
«من كنت مولاه فعلي مولاه»...)^(٤).

وأكد بودلي هذه الصفة بقوله: (وعلي
الجندي الأمين الباسل، كان محمد بطله،
وكان القتال هوايته، إنّهُ رجل العسكر

وبذلك فقد وقع الاختيار على علي عليه السلام
بالذات لأسباب قبلية فهو صهر النبي ﷺ
وابن عمه، وهذا الرأي المؤيد لفكرة
الاستخلاف يمكن دحضه بسهولة،
لوجود شخصيات كبيرة ترتبط بالرسول
برابطة النسب منهم عمه العباس. فضلاً
عن الصورة الإيحائية التي صورت
الخلافة بأنّها مغنم من الغنائم، وهذا
يخرج الموضوع عن خصوصيته التي
ذكرت بعض تفاصيلها كتب الحديث بأنّ
الخلافة هي أمر سماوي نقله الرسول ﷺ
إلى الناس.

أما المستشرق (يان ريشار) فيؤيد فكرة
الاستخلاف ويقر بوجود واقعة الغدير
ويرى أنّ أهم ما رُشح عليها لهذه المنزلة
لأنّه... كان قوياً كالأسد، ومسلحاً بسيفه
«ذو الفقار» الذي كان له حدان...)^(٢).
وبذلك رأى أنّ علياً (هو الخليفة المعين

1- Leonard Binder, The Ideological Revolution in the middle east, Department Of Political Science - 32. University Of Chicago.p

٢- الإسلام الشيعي: ٤٠.

٣- المصدر نفسه: ٣٥.

٤- مفكر الإسلام: ١/٥ - ٢.



والقتال، وسيصبح في يوم من الأيام (بعد)^(٣).
خليفته)^(١).

ومما تقدم يمكن القول إنَّ المؤيدين لفكرة الاستخلاف من المستشرقين كان يعوزهم استحضار الجانب الأخلاقي والغيبى للواقعة الذي يمكن تحقيقه عن طريق تفعيل ملكة (القلب) بوصفها أداة إدراك، ولا ندري هل عدم الإشارة لهذا الجانب كان بقصد أم من دون قصد، بوعي أم من دون وعي، وبغض النظر عن الأسباب

فإنَّ أدلتهم كانت غير راکزة وغير مقنعة؛ لأنها أيضاً اعتمدت جانباً من المدركات وألغت جانباً آخر وهو الجانب القلبي الذي يركن إلى معطيات الغيب غير المحسوسة التي لا يمكن تجربتها. وبذلك سمحت أدلتهم للمشككين أن يفتحوا باب الجدل بذكر شخصيات يتمتعون بصفات حسية مشتركة لا يوجد لدينا مقياس حسي دقيق يبين مدى الفوارق في كميتها، إذ إنَّ الفارق الذي كان يميزها هو الجانب الخلقى (العفو عند المقدرة مثلاً). وهذا ما يميز علياً عن غيره من الشجعان.

فمن وجهة نظر هؤلاء المستشرقين فإنَّ صفة الشجاعة هي التي جعلت الرسول ﷺ يوصي بالخلافة من بعده لعلِّي؟ ونقول إنَّ هذه الصفة على أهميتها لكنها ليست أساسية وليست الأولى ضمن منظور الرسول الذي نظر إليه بوصفه أميناً وضامناً للجانب الأخلاقي قبل كل شيء، وليس بوصفه رئيس عشيرة أو رئيس حزب يضرب الأخلاق من أجل المصالح الشخصية.

وأشار المستشرق الفرنسي (هنري ماسيه) إلى هذا الصراع والذي أسماه الصراع المكي المدني^(٢). وقد عزا سبب تأخر الإمام علي عن الخلافة إلى الظروف المحيطة، ولكن ما يلاحظ على حديثه أنه قد ألمح إلى قضية النسب مما يعزز ما ذكرناه سابقاً بأنَّ بعض المؤيدين ينطلقون من منطلقات النسب والدم والمصاهرة التي تربط الرسول بالإمام، يقول: (أمّا علي ابن عم محمد وصهره والمؤمن منذ الساعة الأولى، فقد كان باستطاعته الاستفادة من هذه الميزات، ولكنه أظهر في هذه الظروف تردداً جعله يخسر فيما

١- حياة محمد الرسول: ٤١٢.

٢- الإسلام: ٥٧.

٣- م.ن: ١٩٣.

خاتمة:

توصل البحثُ إلى جملة من النتائج
لعل من أهمها ما يأتي:

١- إنَّ اختلاف المستشرقين في واقعة الغدير بين مؤيد لها وآخر رافض لوجودها؛ سببه اختلاف المنهج المتبع في النظر؛ لذلك انقسموا على طرفين متناقضين لا يجمع بينهما جامع، أحدهما عقلي منفصم عن الواقع، وآخر حسي متغافل للجانب الغيبي والأخلاقي الذي مثل ركيزة مهمة في هذا الموضوع على وجه الخصوص، والصحيح هو الاستفادة من معطيات الإدراك: العقل والقلب والحس، لأنها ترى أنَّ اعتماد أحد المدركات أو مدركين فحسب يضيع الحقيقة ويشير الجدل الطويل الذي يكثر نقطة الحقيقة بما يدلُّ على الجهل، اعتماداً على مقولة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «العلم نقطة كثَّرها الجاهلون».

٢- قدَّم البحثُ رؤية على وفق الأنموذج المعرفي ليصبح للحقيقة ثلاثة وجوه: وجه عقلي صوري مجرَّد من المادة، وآخر حسي مملوء بالمادة القابلة للرصد والتجريب الذي تتملَّك الحواس تفصيلاته، ووجه ثالث قلبي يمثل أخلاق البحث والإيمان، وهو مصدر

الحكم على المعرفة المتحصَّلة؛ لأنه يسمَّى يقيناً أو اطمئنان القلب لتعاقد الأدلة في حال تطابق أدلة ملكتي: العقل والحس التجريبي وبهذا يكون القلب ملكة تعقل تنطق بالحق، وليست ملكة أهواء متقلِّبة كما كان يظن.

٣- يرى البحث أنَّ الرافضين لفكرة الاستخلاف ينطلقون من منطلقات عقلية رياضية منفصمة عن الواقع أو الظروف التي أحاطت بالحادثة، وذلك ما جعلهم يحكمون بأحكام لا تتناغم مع الواقع التاريخي بوصفه نسقاً متسلسلاً ومتربطاً من الأحداث لا يمكن نزع أجزائه بأي حال من الأحوال.

وقد حاكموا الواقعة بظروفهم المختلفة والخاصة من غير الأخذ بنظر الاعتبار تغيُّر الزمان والمكان والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك.

٤- اعتمد المؤيدون لفكرة الاستخلاف على بعض الروايات التاريخية التي نقلت أحداث واقعة الغدير، ولكنها أغفلت الجانب الغيبي للواقعة، وبذلك فهم يؤيدون فكرة الاستخلاف لأسباب تتصل بصفات حسية (مادية) يتمتع بها الإمام علي (عليه السلام) فضلاً عن صلة الدم والقربة التي تربطه بالرسول (صلى الله عليه وآله).





وهذه الصفات على أهميتها إلا أنّها غير قادرة على أن تكون أدلة قوية وفاصلة تنهي النزاع الدائر بين المتنافسين، فصفة الشجاعة مثلاً تفتح الباب واسعاً لعدد كبير من الصحابة المسلمين؛ وذلك لوجود كبير من شجعان العرب إلى جنب الإمام علي عليه السلام وقد شهدت لهم ميادين الوغى بالشجاعة والبسالة والذود عن الإسلام، وبذلك تكون الصفة الحسيّة المشتركة وحدها غير قادرة على إعطاء خصوصيات الشخصية على نحو متفرد.

أما صلة القرابة والمصاهرة والدم وروابط النسب فإنّها تصوّر الخلافة على أنّها غنيمة عائليّة حاول الرسول صلى الله عليه وآله الحفاظ عليها ضمن البيت الواحد، فنقلها من حيازته إلى حيازة علي عليه السلام، وهذا التصوير لا يمت إلى الجنبه الدينيّة والخلقيّة بأي صلة.

٥- ليس صحيحاً أن ندرس موضوعات (الدين) أو القضايا الغيبيّة أو الأخلاقيّة بنظريات ومناهج العلوم الصرفة التي تغفل الجانب القلبي والروحي وتعتمد العقل والتجريب لا غير، فمثل هكذا نظريات ومناهج تجعل من الدين وموضوعاته المتعددة أقرب إلى الخرافة والأسطورة.

لذلك يقترح البحث أن تكون هناك نظريات ومناهج خاصة لدراسة موضوعات الدين وقضايا العقيدة والفقه وعلم الكلام فضلاً عن الموضوعات الغيبيّة، يتم الاعتماد فيها على (القلب) بوصفه ملكة إدراك تكون فاعلة ويكون مقياسها هو (الاطمئنان) مقابل (الشك) بالتأثير المطروحة.

٦- نأمل من الله تعالى أن يوفّقنا في حلّ المشكلات المعرفية المحتمدة في المجتمع العربي الإسلامي، بتطوير منهج يحسم الجدل العقيم الطويل، الذي طالما أهدر جهوداً فكريّة وماديّة ومعنويّة كبيرة لم يلح في الأفق القريب بأنها سترسي على برّ أمان؛ لأنّ المتجادلين إنّما ينطلق فريق منهم من حقيقة عقليّة، في حين ينطلق الفريق الثاني من حقيقة حسيّة تجريبية، وفريق ثالث ينطلق من حقيقة قلبيّة أخلاقية.

وكل المنطلقات واضحة المعالم لا ريب فيها، ما يؤدي إلى أنّ كل فريق كأنه ينظر في اتجاه واحد فلا يرى ما يحوم حوله أو كأنه يرتدي نظارات مختلف ألوانها، فيرى كلّ منهم لوناً للحقيقة مختلفاً عن اللون الذي يراه الآخر؛ لذلك يعتقد البحث أنّ النقطة في حلّ الخلاف تكمن في النظر في مختلف الجهات وتبادل النظارات



بيروت، ١٤٠٠هـ.

٧. محمد رسول الله، اتين دينيه، وسليمان بن إبراهيم، ترجمة د. عبد الحليم محمود، ود. محمد عبد الحليم، ط٣، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٨. مستدرک نهج البلاغة، جمع الهادي كاشف الغطاء، منشورات مكتبة الأندلس، (د.ت).

٩. مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٠. مفكر الإسلام، ديفوا، ترجمة عادل زعيتر، بيروت، (د.ت).

١١. نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي، توماس غازي الخفاجي، وخالد كاظم حميدي، دار كنوز المعرفة، عمان - الأردن، ط١، ٢٠١٩م.

12. Leonard Binder, The Ideological Revolution in the middle east, Department Of Political Science University Of Chicago.

أو خلعتها جميعاً، وارتداء نظارة مثلث الإدراك في علم النقطة التي تريك ثلاث اتجاهات وثلاثة وجوه للحقيقة في وقت واحد لا أفضلية لأحدها على الآخر.

المصادر والمراجع

خير ما نبدي به: القرآن الكريم.

١. الإسلام، هنري ماسيه، ترجمة بهيج شعبان، بيروت، ١٩١٦م.

٢. الإسلام الشيعي، يان ريشار، ترجمة حافظ الجمالي، مطبعة دار عطية، بيروت، ١٩٩٦م.

٣. الإسلام والعرب، روم لاند، ترجمة منير البعلبكي، ط٢، ١٩٧٧م.

٤. تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.

٥. حياة محمد الرسول، رونالد فكتور، بودلي، ترجمة عبد الحميد جودت السحار، ومحمد محمد فرج، القاهرة، ١٩٦٤م.

٦. خلاصة تأريخ العرب، سيديو، ترجمة علي باشا مبارك، دار الآثار،



الوسطية ومظاهرها في خطبة الغدير

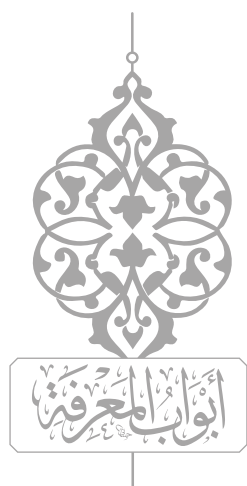
أ.م.د- حيدر عبد الحسين زوين
كلية الاداب - جامعة الكوفة



د. عبد الكريم جعفر الكشفي

جامعة ديالى





ملخص البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المتجبين، وبعد فسيحاول هذا البحث الإجابة عن مجموعة من التساؤلات منها:

- ما الوسطية في اللغة والاصطلاح، وما التأصيل التاريخي للوسطية؟
- ما المقصود بخطبة الغدير ومن قام بإلقائها، ومتى أُلقيت وفي أي مكان؟
- ما المصادر التي نقلت إلينا خطبة الغدير؟
- ما مظاهر الوسطية في خطبة الغدير؟

Moderation, and its manifestations in the sermon of Al-Ghadir

search by

Prof. Haider Abdul-Hussein Zwain,
University of Kufa - College of Arts
- Department of Arabic Language

Dr. Abdul Karim Jaafar Al-Kashfi, Former Director of Diyala Education

Research Summary:

In the name of of Allah the Merciful Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the best of all of his creation, and prayers and peace be upon the best of all of his creation, Muhammad and his family and all his companions. After this research will attempt to answer a number of questions, including:

- 1 - What is moderation in language and terminology, and what is the historical rooting of moderation?
- 2 - What is the meaning of the Ghadir sermon and who delivered it, when and in what place?
- 3 What are the sources that have transmitted to us the pledge of allegiance to al-Ghadir?

What are the manifestations of moderation in the sermon of Al-Ghadir?

The nature and title of the research necessitated dividing it into four sections: The first lesson / moderation is a general concept; While the second studied: the definition of the Al-Ghadeer sermon and the sources that transmitted it, and the third topic studied: the rooting of the term moderation in the Islamic



لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطاهرين وعلى صحبه المنتجبين.

المبحث الأول: الوسطية مفهوم عام

الوسطية في اللغة: يطلق عليه بالمصدر الصناعي في علم الصرف وهو يجمع لفظة وسط مع الياء والتاء المربوطة، ويعود الجذر اللغوي إلى مادة وسط، وهي دالة على جمع من المعاني ترتبط في الدلالة، ومنها: (العدل، والخيار، والتوسط) بين الجيد والردىء، وبين القادمة والآخرة، والإصبع الوسطى، والصلاة الوسطى، والوساطة، والإكرام، وواسط: وهو لفظ يطلق على مواضع متفرقة من البلاد الإسلامية أشهرها واسط وهي مدينة بالعراق بين البصرة والكوفة^(١)

أمّا في الاصطلاح فإنّ الوسط لا يخرج عن مقتضى اللغة، وقد استعمل القرآن لفظ الوسط معبراً فيه عن إحدى خصائص هذه الأمة، وإحدى قواعد منهجيتها، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢)، ويمكن القول إنّ الوسطية اصطلاحاً: سلوك محمود - مادي

heritage, while the fourth marked the manifestations of moderation in the Al-Ghadeer sermon. And prayers and peace be upon the best of all of his creation, Muhammad and all his family and companions.

مقدمة البحث:

تعدّ الخطابة من الفنون الثرية التي ظهرت في وقت سابق لعصر الإسلام؛ فتشير المصادر التي نقلت إلينا الأدب العربي في عصر ما قبل الإسلام أن الخطابة نشأت قبل الإسلام بحوالي (١٠٠ - ١٥٠ عام)، وقد تنوّعت أنماط الخطابة تبعاً لحاجة المجتمع والمناسبة التي تقال فيها الخطبة ومن أنواعها: (الدينية، والسياسية، وخطبة الزواج، وخطب الحرب، وغيرها)، وقد اقتضت طبيعة البحث وعنوانه إلى تقسيمه على ثلاثة مباحث، درس الأول: الوسطية مفهوم عام؛ فيما درس الثاني: التعريف ببيعة الغدير والمصادر التي نقلتها، ودرس المبحث الثالث: التأصيل لمصطلح الوسطية في التراث الإسلامي، ووسم الرابع: بمظاهر الوسطية في خطبة الغدير. وقد اعتمد الباحثان على مجموعة من مصادر: (التاريخ واللغة والأدب، والدين)، والحمد



أو معنوي - يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين مُتقابلين - غالباً - أو مُتفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتفريط، سواءً أكانت في ميدان ديني أم دنيوي^(١).

المبحث الثاني: التعريف ببيعة الغدير وأهم المصادر التي نقلتها

وهي تلك البيعة التي عقدها الرسول الأعظم ﷺ إلى ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب ؑ بعد عودته من موسم الحج سنة ١٠ للهجرة، واسم المكان الذي تمت فيه البيعة غدير خم، وهو غدير ماء والموقع هو مفترق طرق إلى الأمصار العربية الإسلامية، إذ تتفرق كل منها إلى بلاده ومصره وبلغ عدد الذين حضروا البيعة بحسب ما ذكرته المصادر مائة وعشرين ألفاً^(٢)، ومن أهم المصادر التي نقلت هذه البيعة:

يقول ابن تيمية، مع شدة معارضته للشيعة: (وثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بغدير يُدعى (خم) بين مكة، والمدينة)^(٣).

ويقول ابن حجر: (إن حديث الغدير صحيح لا مرية فيه... ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده)، ويقول كذلك (إن حديث الغدير صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة - كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرة جداً، ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً، وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته... وكثير من أسانيدها صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده)^(٤).

ويقول ابن كثير في تفسيره: (وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم)^(٥).

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: (ويستدلون - أي الشيعة - على تعيين علي رضي الله عنه بالذات ببعض آثار عن النبي ﷺ، إذ يعتقدون صدقها وصحة سندها، مثل: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»... ومخالفوهم يشكون في نسبة هذه الأخبار إلى الرسول ﷺ)^(٦).

ويقول سبط بن الجوزي: (اتفق علماء

١- محمد ويلاي: الوسطية مفهومًا ودلالة ٤٥.

٢- تذكرة الخواص: سبط بن الجوزي: ١٣٧.

٣- ابن تيمية: حقوق آل البيت ص ١٣.

٤- ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة (٤٢ - ٤٤).

٥- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٤ / ١١٣.

٦- محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ٤٩.



بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض... ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن: ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نعم، وإنه ما كان في الدوحات أحد إلا ورآه بعينه وسمعه بأذنيه^(٣).

المحب الطبري في ذخائر العقبى عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا، الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرة فصلى الظهر وأخذ بيد علي، وقال: (اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: فلقبه عمر بعد ذلك، فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة) أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه في المناقب من حديث عمر^(٤).

وأخرج ابن المغازلي الشافعي حديث الغدير بطرق كثيرة، فتارة عن زيد بن أرقم، وأخرى عن أبي هريرة، وثالثة عن

أهل السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً، وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه...) الحديث، إذ نصّ صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك بصريح العبارة من دون التلويح، والإشارة^(١).

ويقول الإمام مسلم في صحيحه: (وعن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فينا خطيباً بهاء يدعى (خُثّاً) بين مكة والمدينة فحمد الله ووعظ وذكر، ثم قال: أمّا بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله... ثم قال وأهل بيتي؛ ولهذا يقول ابن حجر كما تقدم (إن حديث الغدير صحيح لا مرية فيه، ولا يلتفت لمن قدح في صحته ولا لمن رده)^(٢).

وأخرج الحافظ النسائي في الخصائص: (عن زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات، فقمّن، ثم قال: كأني دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل

١- سبط بن الجوزي: تذكرة الخواص، ١٣٧.

٢- صحيح مسلم: ج ٧ / ١٢٢ - ١٢٣.

٣- النسائي: الخصائص: (٣٩-٤٠-٤١).

٤- المحب الطبري، ذخائر العقبى: ٦٧.

قال: إن الله عز وجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه). يقول الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٣)

وهناك مصادر أخرى نقلت هذه البيعة نذكر منها:

• ابن كثير، البداية والنهاية: ٧ / ٢٤٩.

• من فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ٢ / ٧٠٧، ح ٩٦٧.

• الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤ / ٣٤٠.

• الطبراني، المعجم الكبير: ٤ / ١٧٣، ح ٤٠٥٣.

• الحافظ الثقة إبراهيم بن ديزيل، كتاب وقعة صفين: ١٦٥-١٦٦.

• ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ٢ /

أبي سعيد الخدري وتارة عن علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وابن مسعود وبريدة، وجابر بن عبد الله^(١).

ويقول الشهرستاني في الملل والنحل: (ومثل ما جرى في كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، «فلما وصل غدير خم أمر بالدوحات فقممن، ونادوا الصلاة جامعة، ثم قال عليه السلام وهو يؤم الرحال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار أأهل بلغت؟ ثلاثاً)^(٢).

وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري قال: (لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غدير خم) أمر بدوحات فقممن، فقال: كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يرادا علي الحوض، ثم

١- ابن المغازلي الشافعي: المناقب ٢٩-٣٦.

٢- الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ١٦٣.

٣- الحاكم: المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٠٩.



المبحث الثالث: التأصيل التاريخي لمصطلح الوسطية في خطب الرسول ﷺ

١٥، و٤ / ٥٦٨.

● المقريري، الخطط: ٩٢ / ٢.

● الإمام أحمد في مسنده: ٣٣١ / ١،
١٩٨٣ م

● البيهقي، كتاب الاعتقاد: ٢٠٤، و
٢١٧ ط بيروت - ١٩٨٦ م.

● السيوطي، الجامع الصغير: ٢ /
٦٤٢.

● السيوطي، تاريخ الخلفاء: ١٦٩.

● المحب الطبري، الرياض النضرة:
١٧٢ / ٢.

● ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤ /
٣١٨، ٣١٩.

● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد:
٤٣٧ / ٧.

● ابن قتيبة، الإمامة
والسياسة: ١ / ١٠٩.

قبل الدخول في موضوع الوسطية في
خطب الرسول ﷺ في دعوته إلى الإسلام،
يجب أن نؤصل هنا تأصيلاً تاريخياً
للووسطية في شخصية الرسول ﷺ فالتصفح
لسيرة الرسول محمد ﷺ يرى بصورة
جليّة وواضحة أن صفة الوسطية كانت
تلازمه في جميع مراحل عمره قبل البعثة
النبوية وبعدها، فيقول عليه الصلاة
والسلام: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا
تنفروا)^(١)، وعن أحد الصحابة يقول: وما
خَيْرَ رسول الله بين أمرين قط إلا اختار
أيسرهما^(٢)، وكانت تتجسد في شخصيته
عليه الصلاة والسلام كل معالم الوسطية
والاعتدال التي نوجزها في أهم الأحداث
التي عاصرها وتكشفت فيها شخصيته
الكريمة الداعية إلى نبذ العنف والتعايش
السلمي بين أفراد المجتمع العربي حتى
قبل الاسلام ومنها:

١- حضوره حلف الفضول الذي
عقد في دار عبد الله بن جدعان لنصرة
المظلوم والضرب على يد الظالم، وأنه لو





٣- موقفه من اليهود بعد الهجرة إلى المدينة، فلم يقف منهم موقف عداء بل استوعب اليهود كمواطنين ضمن مجتمع المدينة ونظم علاقتهم بالمسلمين عن طريق الدستور الذي وضعه بعد هجرته إلى المدينة^(٣).

٤- استشارته ﷺ لأصحابه في العديد من الأمور وعدم استئثاره بالقرارات، ومن ذلك أخذه بمشورة الحباب بن المنذر في معركة بدر^(٤)، كذلك كان يأخذ برأي أزواجه في أحيان كثيرة كما في الحديبية عندما أخذ ﷺ برأي زوجته أم سلمة رضي الله عنها.

وكان عليه الصلاة والسلام يمارس الوسطية مع أصحابه والمسلمين عامة وغير المسلمين، نذكر منها:

١- ترخيص الرسول ﷺ لأصحابه المستضعفين النيل منه عند تعرضهم للعذاب من ملامح وسطية الرسول ﷺ أنه رخص لأصحابه النيل منه بالكلام عند تعرضهم لعذاب شديد على يد مشركي قريش مع بقاء الإيمان راسخاً في قلوبهم ومن هؤلاء عمار بن ياسر ﷺ

دُعي إليه في الإسلام لأجاب، يقول عليه الصلاة والسلام: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان من حلف الفضول ما لو دُعيت إليه لأجبت وما أحب أن لي به حمر النعم)^(١)، وفي حديثه دعوة صادقة لنصرة المظلوم على الظالم وهي أحد أركان الوسطية والاعتدال.

٢- حله النزاع الذي وقع بين رجال قريش عند إعادة بناء الكعبة، فتشير المصادر إلى أن قريشاً عندما قررت تجديد بناء الكعبة بعد تصدعها، وبعد وصول البناء إلى موضع الحجر الأسود حدث نزاع كبير بين بطون قريش أيهم يرفع الحجر الأسود إلى موضعه، ثم كان الحل بأن يُحكّموا بينهم أول من يدخل عليهم فكان الرسول ﷺ أول الداخلين فحكموه بينهم، فكان الحل الذي وضعه الرسول ﷺ يدل على تأصل الوسطية في نفسه، فقد وضع رداءه على الأرض ثم وضع الحجر الأسود عليه وأمر كل زعيم بطن من بطون قريش أن يحمل طرفاً من الرداء ثم رفعوه جميعاً فأعاد الرسول ﷺ الحجر إلى موضعه^(٢).

١- الفاكهي، اخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٢/ ٣٩٣.

٢- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله ابو عبد الله / المستدرک على الصحيحين، ١/ ٦٢٩

٣- الغضبان، منير محمد، فقه السيرة النبوية، ٣٦٧/ ٣٨٠

٤- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين ٣/ ٤٨٢.



الذي لاقى أذى شديد من قبل المشركين،

٣- الهجرة إلى الحبشة:

فإنه بعد تزايد ضغوط المشركين على المسلمين أمر الرسول ﷺ عدداً من المسلمين الذين كانوا يعانون من هذه الضغوطات بالهجرة إلى الحبشة. وهذا الأمر ليدل على وسطية الرسول ﷺ في دعوته إلى الإسلام، فلم يلزم المسلمين بالبقاء في مكة والتعرض لأذى قريش فيكون من الأمر ما لا يطيقون، بل رخص لهم بالهجرة إلى الحبشة، ليتخلصوا من عذاب قريش من جهة وليكونوا أول دعاة إلى الإسلام خارج الجزيرة العربية من جهة أخرى^(٣) وكانت أهم نتيجة لدعوتهم هذه دخول (أصحمة النجاشي) ملك الحبشة في الإسلام فكان إسلام النجاشي ثمرة من ثمرات المنهج الوسطي للرسول - ﷺ - تجاه دعوته وتجاه أصحابه.

٤- دعاؤه عليه الصلاة والسلام

للمشركين :

إن من نواحي الوسطية في شخصية الرسول ﷺ وسطيته في عدم دعائه على

الذي لاقى أذى شديد من قبل المشركين، ولم يكن هذا الأذى يقتصر على الأذى الجسدي المتمثل بالتعذيب بل تعداه إلى الأذى النفسي فعذبوا أبويه أمام ناظريه ثم قتلوهما بوحشية^(١)، ويروي ابن إسحاق خبر تعذيب آل ياسر قائلاً: كان عمار بن ياسر وأبوه وأمه أهل بيت إسلام وكان بنو مخزوم يعذبونهم فقال رسول الله ﷺ: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)^(٢).

٢- ملاقة العديد من الصحابة العذاب

الشديد:

لقد كان المشركون يلبسون الصحابة دروع الحديد، ويضعونهم في الشمس فتحرقهم، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بالال ثبت ولم يأت ما أراد مشركو قريش، فأخذوه فأعطوه للصبيان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد، إن ترخيص الرسول ﷺ للضعفاء من أصحابه للنيل منه باللسان مع ثبات الإيمان بالقلب، كما رأينا في الروايات السابقة، ليدل على وسطية الرسول ﷺ ووسطية منهجه، فإنه لم يكلف أصحابه ما لا يطيقون، وإنما رخص لهم النيل منه ﷺ باللسان لينفذوا

١- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، ٢ / ٥٩٤

٢- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين ٣ / ٤٣٢

٣- السيوطي، الدر المنثور ٣ / ١٣١



عليه جبريل وقال: إن الله قد سمع قولك وسمع قولهم وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره فيهم بما شئت، فقال ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً^(١).

٥- وسطيته عليه الصلاة والسلام في المدينة بعد الهجرة مع فئات المجتمع غير المسلم:

من الأدلة الواضحة والمهمة على وسطية الرسول ﷺ ومنهجه موقفه المتسامح مع غير المسلمين في المدينة بعد الهجرة، فقد كان مجتمع المدينة يحتوي أخلاطاً من ديانات مختلفة منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ومنهم اليهود، وكان الرجل مسلماً وأبوه مشركاً والرجل يكون مسلماً وأخوه مشركاً، وكان الرسول ﷺ يعاملهم معاملة طيبة فكان يمر على مجالسهم وكان في المجالس مسلمون فلا ينكر على المسلمين جلوسهم في تلك المجالس وهذا دليل على وسطيته.

٦- دعوة أهل الكتاب بالتي هي أحسن:

المشركين بالهلاك، فعلى الرغم من العذاب الشديد والأذى الكبير الذين لاقاهما ﷺ على يد مشركي قريش فلم يدع عليهم بالهلاك والإبادة، فعندما أراد الرسول ﷺ عرض دعوته في الطائف جوبه برفض لهذه الدعوة بصورة مؤذية، إذ تعرض ﷺ إلى الرمي بالحجارة فأدمي، ولكن مع هذا الأذى لم يدع عليهم بالهلاك فتشير الروايات إلى أن مشركي الطائف أغروا به سفهاءهم يصيحون خلفه ويسبونه حتى اجتمعوا عليه وأجأوه إلى حائط فاشتد كربه لذلك ﷺ ودعا حينئذ بدعاء الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم ثم قال: اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك فنزل



كانت دعوة أهل الكتاب تنطلق من الآية القرآنية: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١)، فوسطية ودعوة الرسول ﷺ لهم هو تجسيد لهذه الآية، وقد أوردت المصادر حوارات كانت تجري بين الرسول ﷺ، وبين أهل الكتاب من يهود ونصارى، واتسمت هذه الحوارات بالهدوء والتسامح، فعن ابن عباس قال: (اجتمعت نصارى نجران وأخبار اليهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً)^(٢)؛ فأنزل الله جل جلاله فيهم: (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده)^(٣).

فقال أبو رافع القرظي حين اجتمع عنده النصارى والأخبار فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الاسلام: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال

له الرئيس: وذلك تريد يا محمد وإليه تدعو؟ أو كما قال، فقال رسول الله ﷺ: (معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا أمرني)^(٤).

٧- وسطيته عليه الصلاة والسلام في دعوته الشباب:

أعطى الرسول ﷺ أهمية كبيرة لشريحة الشباب؛ لأن هذه الشريحة يقع على عاتقها أعباء المجتمع المسلم من جهة وأعباء حمل الدعوة الإسلامية من جهة أخرى؛ لذلك انتهج الرسول ﷺ منهاجاً خاصاً في دعوتهم إلى التمسك بالدين الجديد فقد بين أهميتهم في نصرة هذا الدين فكان ﷺ يوصي بالشباب، فيذكر أن الصحابي الجليل ابا سعيد الخدري رضي الله عنه كان عندما يرى الشباب يقول لهم: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ وقد بين الرسول محمد ﷺ خطورة مرحلة الشباب وكان يحس بمعاناة هذا الشاب وإن الطريقة الصائبة لإقناعه بالعدول عن الزنا هو الحوار العقلي الذي يتسم بالهدوء والعمق في عرض الحجج الذي أدى بالنهاية إلى عدول هذا

١- (سورة النحل، الآية ١٢٥)

٢- ابن جرير الطبري: جامع البيان، ٣/ ٤١٤.

٣- (سورة آل عمران: الآية ٦٥)

٤- الذهبي، تاريخ / الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٢/ ٦٩٧.

الشاب عن الزنا.

المبحث الرابع: الوسطية ومظاهرها في بيعة الغدير

وفي خطبة الغدير تجسدت معالم الوسطية تجسيدا واضحا، فقد دعا (عليه الصلاة والسلام) فيها المسلمين الى عبادة الله الواحد الأحد وعدم الشرك به، فضلاً عن توجيهاته العامة للمسلمين بما تعد دستوراً واضحاً في كيفية التعامل مع الآخرين والتي نوجزها:

١ - التوحيد:

قال رسول الله ﷺ: (فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؛ كتاب الله وعترته ال بيتي)^(١). التوحيد يعني توحيد الألوهية أفراد العبد ربّه بالعبادة. والعبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٢)، إن الإنسان لا يصير مؤحّداً حتى تكون عبادته كلها موجهة لله دون غيره، إذ لا يدعو إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه ولا يستعين إلا به وبمكانة أصحابه المنتجبين،

فتوحيد الألوهية هو حقّ الله على

عن طريق ما سبق يتضح لنا أن منهج النبي ﷺ يتسم بالتوازن والوسطية والاعتدال. لم يكتف بتطبيق ذلك في سلوكه، بل علمه أصحابه في حسن خلقه وتوازنه النفسي وسلامة مقصده وبعده عن الذاتية والأنانية.

وكان منهجه الشفقة على الخلق والتلقي من ربه (عز وجل) وكان يحترم عقله وعقول الآخرين لم يناف ذلك الوحي. كان منهجه ﷺ التيسير وتقدير الوسع والطاقة وقد ذم الافراط والتفريط ودعا إلي التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة وكان منهجه محاسبة النفس والقول الحسن والقودة الحسنة. وذم الغلو والتطرف ونهى عن الاختلاف ونهى عن التكفير وحرم القتال بين المسلمين.

١- الشيخ الطوسي: الأمالي، ٥٠٣.

٢- (سورة النساء، الآية ٣٦)،



العباد، لأنّه خلقهم ورزقهم فاستحق بذلك عبادتهم، وقد وعد سبحانه وتعالى من أفردته بالعبادة بالجنة والنجاة من النار لمن أحسن عملاً، والتوحيد أساس الإسلام وقاعدته الفكر والتشريع ومنطق المعرفة والسلوك الانساني^(١).

٢- حرمة دم المسلم:

ورد في الخطبة: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ). لقد حرّم الإسلام على المسلم أن يقتل مسلماً، ووضع العقوبات الزاجرة في الدنيا والآخرة، حرّم على الأمة أن تتحول إلى شيع وأحزاب يستحل بعضها دماء بعض، وأموال بعض، وأعراض بعض؛ فهذه الجرائم إذا انتشرت في الأمة مرقّتها، ومكّنت لأعدائها من إهلاكها، وكانت علامة سخط الله وعذابه المدمر. وهذا ما نبّه القرآن إلى خطره حين قرن بين عذاب مهلك ينزل بالصواعق من السماء أو بالزلازل من الأرض، وبين فرقة الأمة وانقسامها. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ

عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۖ﴾^(٢). وقد بيّن لنا القرآن خطر تحوّل الأمة إلى غابة يأكل فيها القوي الضعيف، وأن الذين يغترون بقوتهم هم خاسرون يوم القيامة، وأن الذين يقومون بالاغتيالات السياسية أو الطائفية في غضب الله وناره يوم القيامة. قال ﷺ: (يجيء المقتول أخذًا قاتله وأوداجه تشخب دمًا عند ذي العزة، فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني. فيقول: فيم قتلته؟ قال: قتلته لتكون العزة لفلان. فيقول الله عز وجل للقاتل: تعست. ويذهب به إلى النار)^(٣). وإنّ تحريم الدماء والأموال والأعراض هو لحماية الانسان وحفظ مصالحه وليس كبتاً للحرية الخاصّة ومصادرة نوازه الفطرية^(٤).

٣- احترام المرأة:

قال الرسول محمد ﷺ: (أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقًا، ولكم عليهن حق؛ ألا يؤطئن فرشكم غيركم، ولا

١- مؤسسة البلاغ الإسلامي: سيرة النبي وأهل بيته، ٢/ ٤٤١.

٢- (سورة الأنعام: الآية، ٦٥).

٣- سيرة الأحاديث القدسية، ٢/ ٢٠١.

٤- مؤسسة البلاغ الإسلامي: مفاهيم إسلامية، ٣٢.



ورد في الاثر إن الرسول ﷺ أوصى الإمام علي عليه السلام بالمساواة والعشرة مع كل الناس: (احسن خلقك مع أهلك وجيرانك ومن تعاشر والصاحب من الناس تكتب عند الله في درجات العلى) (٢).

٥- القدوة الحسنة:

لو أن الدعاة وأهل الحفاظ على الدين تمثلوا أخلاق المصطفى ﷺ ولو أنهم اتبعوا أمر ربهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣)، لو فعلوا ذلك لو فروا على أنفسهم جهداً كبيراً. وقد علم ﷺ أصحابه بالبيان العملي إنه اتقى الله وأخوفهم منه، حين أراد بعضهم الزيادة في العبادة والغلو فيها. وفي حياته الخاصة ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه. كان المصطفى ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، كان رسول الله حين يلقاه جبريل يدارسه القرآن أجود بالخير من الريح المرسلة، وفي شجاعته كان مثلاً نادراً قال بعض الصحابة كنا نحتمي برسول الله ﷺ حين تحمّر الحدق، يعني حين الزحف وتلاقي

يُدخلنَ أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتينَ بفاحشةٍ، فإذا فعلنَ ذلك، فإنَّ الله أذنَ لكم أن تهجروهنَّ في المضاجع، وتضربوهنَّ ضرباً غير مُبرِّحٍ، فإن انتهينَ وأطعنكم، فعليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف، وإنما النساء عوانٍ عندكم)، لقد أكد الرسول ﷺ على احترام المرأة ورعايتها في الأم والأخت والبنت وحرَم الإسلام وأد البنات وجعل للمرأة مكانة لا تُقَدَّر وقد قامت المرأة في الدفاع عن بيضة الإسلام وحملت السيف للدفاع عنه، والمرأة إضافة إلى دورها الرسالي فهي راعية في بيت زوجها والمسؤولة عن رعاية البيت والأولاد (١).

٤- المساواة:

قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد). أكد الإسلام على مبدأ المساواة بين المسلمين وانهم متساوون كأسنان المشط، وإن التفاضل بين المسلمين والتنافس يكون بالتقوى والقدوة الحسنة، فقد

١- عبد الهادي الفضلي: التربية الإسلامية، ٣٦

٢- (سورة الأحزاب، الآية ٢١)

٣- بن شعبة الحارثي: تحف العقول عن آل الرسول، ٢ / ٣٤



العدو، وقد روي ان النبي ﷺ وصحابته كانوا جلوساً فسمعوا صوتاً داوياً ففزع من فزع إلا أن النبي ﷺ امتطى فرساً بغير جهاز واتجه نحو الجلبة أو الدوي فلحق به صحابته وهو عائد إليهم فقال: ارجعوا لن تراعوا.

٦ - محاسبته لنفسه:

قال الرسول الكريم محمد ﷺ (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت.... اللهم فاشهد قالوا نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب^(١)).

٧ - التأخي بين المسلمين والقول

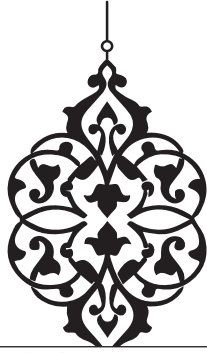
الحسن:

قال عليه الصلاة والسلام: (أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لإمرئ مال لأخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت اللهم فاشهد). إن من يرسله ربه إلي الناس كافة لا يمكن إلا أن يكون منطقته حسناً وقوله حسناً. وإذا كان أمر الله تعالى له أن يعلم الناس القول الحسن بل أنواع

كان ﷺ أواباً رجاعاً إلي الله تعالى، يلاحظ الدقائق من الأمور التي لا يراعيها غيره. كان يكثر من الاستغفار ويتعوذ -وهو المعصوم- من الذنب الذي لا يعلمه، ويقول اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه. كان يقول: اللهم أغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم

١- أحمد أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل ابن حنبل، ٤: ١٢٤

٢- الزبيدي، مختصر صحيح البخاري، ٧٩١-٧٩٢.



أبواب المعرفة

الإحسان كافة فلا بد أن يكون هو متصفا
بهذه الشيم العظيمة، ألسنا نقرأ في القرآن
الكريم: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا
آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَا
وَالْهَكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١)،
ثم يأتي الأمر الرباني: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ
حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢)،
كل هذه المعاني طبقها بل بدأ بها المصطفى
ﷺ بنفسه وفي حديث أم معبد المشار إليه
في رحلة الهجرة ما يدل على ذلك قالت
وهي تصف كلامه (حلو المنطق، فصل
لا هذر ولا نذر، كأن منطق خرزات نظم
يتحدرن)^(٣).

١- (سورة العنكبوت، الآية ٤٦)

٢- (سورة البقرة، الآية ٨٣)

٣- علي الصلابي: السيرة النبوية، ٤٥.



الخاتمة:

للووسطية والاعتدال جذور قبل خطبة الغدير وتمثل ذلك في إسهامات الرسول الأعظم ﷺ منذ نشأته في مكة، والأعمال التي قام بها مع قبيلته تارةً ومع العرب تارةً أخرى فضلاً عن إسهاماته بعد الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة. من المصادر التي أكدت على الوسطية والاعتدال: القرآن الكريم إذ نزلت مجموعة من الآيات التي حثت المسلمين على الوسطية وقد بين البحث في فقراته هذا المحتوى.

تمخضت الوسطية في خطبة الغدير في فقراتها جميعاً وتمخضت مظاهر تلك الوسطية في معانٍ مختلفة مثل: (الأخوة، والقول الحسن، والوحدة بين المسلمين، ومحاسبة الرسول لنفسه، والعدالة، والمساواة، والقدوة الحسنة).

ظهرت ملامح الوسطية واضحة وجليّة في خطبة الغدير وكان الرسول ﷺ يريد أن يؤسس لهذا النظام الاجتماعي الذي يتحكم بالسلوك الفردي وهو بدوره يؤدي إلى حفظ الأمة ونظامها وكيانها

الإسلامي. إن الوسطية في الإسلام يجب أن تتمثلها في سلوكنا وأفكارنا وتعاملنا فيما بيننا أولاً ثم نقلها إلى الخارج.

لا يمكن بث الوسطية والاعتدال في القول والعمل من خلال الأفكار فقط يمكننا إيصال مبادئ الوسطية والاعتدال من خلال السلوك المتميز والمعتدل أسوةً برسول الله وآل بيته الكرام. عن طريق سياسة الاعتدال والوسطية نستطيع أن نصل إلى قمم القيم الإسلامية وقمم الحقيقة الإسلامية وأن ننزل إلى هضاب الحضارة الغربية المتعطشة فنرويها بالحقيقة الإسلامية وبالهدي الإسلامي.

عن طريق العمل والسلوك والفكر والأخلاق يمكننا تحقيق أشياء عظيمة وكبيرة، لأن الحضارة الغربية، حضارة الأسلحة، وحضارة الإلكترونيات اكتسبت أشياء مادية وضيعت بعداً تشعر بفقدانه وهو الاتصال بالسما.

مصادر البحث ومراجعته:

- ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ) المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله / المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، لبنان بیروت، دار الكتب العلمية، ط / ٣
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ / الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، لبنان بیروت، دار الكتاب العربي، ط ١.
- الزبيدي، مختصر صحيح البخاري التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح المؤلف: أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، زين الدين (المتوفى: ٨٩٣هـ) اعتنى به وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، كسرى صالح العلي الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون،

- القرآن الكريم
- أحمد أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
- ابن تيمية: حقوق آل البيت بين السنة والبدعة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م، رقم الطبعة: ٢
- ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: جامع البيان



دمشق - سوريا الطبعة: الأولى،
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

● الزمخشري، أبو القاسم محمود
بن عمر الخوارزمي، كشف عن
حقائق التنزيل وعيون الأقاويل
في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرا
زق المهدي، لبنان بيروت، - دار
إحياء التراث العربي .

● سبط ابن الجوزي: تذكرة
الخواص المعروف بتذكرة خواص
الأمة في خصائص الأئمة، (ت:
٦٥٤ هـ)، تحقيق ودراسة: عامر
النجار أستاذ الفلسفة الإسلامية
بجامعة قناة السويس، الناشر،
مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة
الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)

● السيوطي: الدر المنثور في التفسير
بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر،
جلال الدين (المتوفى: ٩١١ هـ)
الناشر: دار الفكر - بيروت عدد
الأجزاء: ٨

● ابن شعبة الحاراني: تحف العقول
عن آل الرسول ﷺ، مؤسسة
الأعلمي. بيروت، ١٩٨٦ م.

● الشهرستاني: الملل والنحل، أبو
الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي
بكر أحمد (المتوفى: ٥٤٨ هـ) الناشر:

مؤسسة الحلبي عدد الأجزاء: ٣

● الشيخ الطوسي: أمالي الطوسي
(محمد بن الحسن)، تحقيق:
محمد صادق بحر العلوم، مكان
النشر: بغداد: الناشر: المكتبة
الأهلية، تاريخ النشر: ١٩٦٤ م.
● عبد الهادي الفضلي، التربية
الإسلامية، منشورات: دار التعارف
للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٣ م.
● علي محمد الصلابي: السيرة النبوية
عرض وقائع وتحليل أحداث،
الطبعة السابعة، بيروت - لبنان،
ط ١، دار النشر: المعرفة - بيروت،
١٤٢٩ - ٢٠٠٨ م.

● الفاكهي، أبو محمد محمد بن
أسحاق بن العباس، اخبار مكة
في قديم الدهر وحديثه تحقيق:
الدكتور عبد الملك عبد الله
دهيش، لبنان بيروت، دار خضر.

● ابن كثير: تفسير القرآن العظيم:
أبو الفداء إسماعيل بن عمر
القرشي البصري ثم الدمشقي
(المتوفى: ٧٧٤ هـ) المحقق: محمد
حسين شمس الدين الناشر: دار
الكتب العلمية، منشورات محمد
علي بيضون - بيروت الطبعة:
الأولى - ١٤١٩ هـ.

- مؤسسة البلاغ الإسلامي: سيرة النبي وأهل بيته، منشورات: طهران ٢٠٠٣ م.
- مؤسسة البلاغ الإسلامي: مفاهيم إسلامية، إصدارات: طهران، ٢٠٠٩ م.
- محب الدين الطبري: ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، المؤلف: أحمد بن عبد الله (المتوفى: ٦٩٤ هـ) عنيت بنشره: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي بباب الخلق بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية عام النشر: ١٣٥٦ هـ.
- محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، منشورات: دار الفكر العربي - بيروت، ط ١، ١٩٧٨ م.
- مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م، ج ٢٠، ١٦٧ - ١٨٢.
- محمد بن أسحاق بن العباس (أبو محمد)، اخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: الدكتور عبد الملك عبد الله دهيش، لبنان

- بيروت، دار خضر، ط / ٢.
- ابن المغازلي الشافعي: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه المؤلف: علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، (المتوفى: ٤٨٣ هـ) المحقق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي الناشر: دار الآثار - صنعاء الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى، ١٩٨٦ م.
- النسائي: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ) المحقق: أحمد ميرين البلوشي الناشر: مكتبة المعلا - الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.
- النووي: صحيح مسلم، - ط ١ / دار إحياء التراث العربي / بيروت ١٣٩٢ هـ.

مِنْكُمْ مَنْ فِيهِ عِلْمٌ



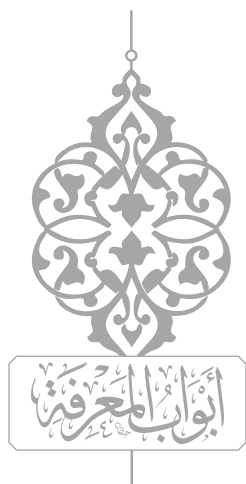
يوم الغدير في ظل السنة النبوية

م. د. ميثم سعد مطر العلق
م. نهى حامد طاهر عبد الحسين الطائي



كلية الاداب / جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام







ملخص البحث:

يعدّ يومُ الغديرِ يومَ عيدٍ، بل أعظم الأعياد وأشرفها، وهو عيدُ الله الأكبر، وما بعثَ الله عزَّ وجلَّ نبيًّا قطُّ إلا وتعيّد في هذا اليوم؛ لأنّه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة. فقد روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أنّه قال: «قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ أَفْضَلُ أَعْيَادِ أُمَّتِي، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِ بَنَصْبِ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَلَمًا لِأُمَّتِي يَهْتَدُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِي، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَى أُمَّتِي فِيهِ النِّعْمَةَ، وَرَضِيَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...».

وهو اليوم الذي امتنَّ الله عز وجل فيه على الناس وأغدق عليهم بأفضل النعم وأعظمها وهي نعمة الولاية والإمامة الكبرى والخلافة العظمى التي قلدها رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ممتثلًا بذلك أمر ربه في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني في استخلاف علي عليه السلام والنص بالإمامة عليه، ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأكد الفرض عليه بذلك بأنّه إن لم يُنفذ إرادة الله، ذهبَت أتعابه، وضاعت جهوده،

وتبدّد ما لاقاهُ من العناء في سبيل هذا الدين. وأمّا نعته بأنّه عيد الله الأكبر، فذلك مستوحى من روايات وأحاديث أشارت الى شأن هذا العيد ومنزلته عند الله تعالى وأهل السماء والأرض.

الكلمات المفتاحية: يوم الغدير؛ السنة النبوية.

Abstract

Day of Ghadeer under Sunnah of the Prophet

The day of the Bourne is the day of Eid, but the greatest and honorable feast, And Allah Almighty has never sent a prophet until that day. Because the day of the completion of religion and the completion of grace. He narrated from Imam Ja'far ibn Muhammad al-Sadiq from his father from his fathers (peace be upon them) that he said: «The Messenger of Allah (peace be upon him and his family) said: «The day of no man's land is the best of my



to thee from thy Lord } Means in the disagreement of Ali (peace be upon him) and the text of the Imamate {If thou didst not, thou wouldst not have fulfilled and proclaimed His mission } Imposition assured him that if he did not fulfill God's will, his fees went, and his efforts were lost. And the dispossession suffered for this religion. As for the Eid al-Adha, it inspired by narrations and hadiths that refer to the feast of this holiday and its status with Allah Almighty and the people of heaven and earth.

Keywords: Day of Ghadeer; Sunnah of the Prophet.

nation's feasts», and it is the day that Allah has commanded me to mention in him the appointment of my brother Ali (peace be upon him) knowing to my nation, they will be guided by him after me, which is the day on which Allah has completed the religion, and he fulfilled the grace of my nation in him, And they were pleased with them Islam religion. «

It is the day on which God Almighty grateful to the people and bestowed them with the best and greatest blessings, It is the blessing of the mandate and the great Imamate and the great succession imitated by the Messenger of Allah (peace be upon him and his family) Commander of the Faithful Ali ibn Abi Talib (peace be upon him) in compliance with the order of his Lord in saying Almighty: { O Messenger! proclaim the (message) which hath been sent





المبحث الاول

التعريف بالبحث

المقدمة:

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(١). على مدى قرون، وعلماء المسلمين يكتبون في تفسير آية إكمال الدين، وفي صاحب هذه الآية للإمام علي عليه السلام، وأحداث ذلك اليوم. اليوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين: «ألسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فنهض عمر بن الخطاب وقال: بخ بخ لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة»^(٢).

إن الرحمة التي تنزلت يوم الغدير أكبر من أن يتعقلها بشر! والسبب أن الله تعالى إنهما خلق هذا العالم؛ لأنه أراد أن يوجد موجوداً ويودع فيه جوهرين نادرين هما: العقل والنفس، ولا بد لهذين الجوهرين أن يصلأ إلى مرحلة الإثمار. لهذا كان مشروع بعثة الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم إنهما كان من أجل إيصال

جوهر العقل إلى درجة الكمال النظري، وجوهر الإرادة إلى درجة الكمال العملي، وكانت بعثتهم مقدمات لكي تبلغ هدفها وأوجهأ بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣). إن قوله تعالى: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ رمز لقوله: وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي. فبعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم لا تتم بتعليم الكتاب والحكمة فقط، بل لابد من يوم الغدير! وذلك أن تعليم الكتاب هو الجانب العلمي وبناء الوعي البشري، وتعليم الحكمة هو الجانب العملي وبناء الإرادة البشريّة، وتكميل هذين الجانبين يحتاج إلى مفسّر رباني وحكيم رباني، يواصل المهمة بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا المفسّر الرباني هو أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام^(٤).

إن إحدى الخصال الرائعة التي تميّز بها هذا المفسّر الرباني الإمام علي عليه السلام خاصّة في فترة خلافته هي تعاطفه مع الناس، ويتجلّى تعاطفه مع أفقر الناس عن طريق عمله وقد قال: (ألا وإنّ

١ - سورة المائدة: ٣

٢ - ابن كثير، ١٩٩٧: ج ٧: ٣٨٦.

٣ - سورة آل عمران: ١٦٤.

٤ - ابن المشهدي، ١٤١٩هـ: ٥٧٤.





إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ وَمِنْ طَعْمِهِ بِقُرْصِيهِ). فهو ﷺ لم يضع حجراً على حجر، ولم يسكن قصرًا فارهاً ولم يمتط فرساً مطهماً، وتحمل كل المصاعب هذه لئلا يكون هناك فرد في أقصى نقاط دولته يتبيخ بفقره لا يجد حتى وجبة غداء واحدة تسد رمقه، وهو القائل: (وَلَعَلَّ بِالْحَجَّازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّيْبِ) لذا فإنه لمجرد أن يحمل ﷺ وجود أفراد في المناطق النائية من رقعة حكومته جوعى، لم يكن ينام ليلته ممتلى البطن، وقد حرم نفسه حتى من متوسط الطعام واللباس والسكن ولوازم الحياة الاعتيادية. ومن هنا تتجلى عظمة الغدير أكثر فأكثر، وتسطع أنوار القيم والتعاليم السامية التي يحملها يوماً بعد آخر، تلك القيم التي تؤمن التوازن السليم بين المتطلبات الروحية والعقلية والمادية والمعنوية للبشر، لتحقيق السعادة للجميع أفراداً ومجتمعات حكماً ومحكومين^(١).

ولم تميز شخصية الإمام علي ﷺ لأنه أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، ووصي رسول الله ﷺ، وباب مدينة علمه،

بل لأنه مع ذلك كله، كان قدوة حسنة، ومثلاً أعلى للاستقامة الإنسانية بعد شخصية النبي الكريم محمد ﷺ، بل لأن الإمام علياً ﷺ يمثل نفس شخصية النبي ﷺ، كما يقول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢). فالغدير يعني ميثاق ولاية الأمر مع الله عز وجل بأن يجعلوا مستوى عيشهم بمستوى أقل الأفراد في المجتمع، وأن يحاكوهم في المأكل والمسكن والملبس والرفاهية.... الخ، وهذا ما حققه الإمام علي ﷺ في ظل خلافته^(٣).

ويمكن أن نقول إنه لو عمل المسلمون بوصية رسول الله ﷺ في خطبة الوداع في غدير خم، التي هي أمر الله تعالى في تعيين حجته من بعد النبي، لما حدث كل ما حدث من المآسي التي عاشها المسلمون في الماضي والحاضر ولأكلوا من ثمرات الحكم الإلهي في تطبيق دينه وأحكامه، ولتمتعوا بعدالة الإسلام في كل أوان وزمان كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

١- الدليمي، ١٤١٦هـ: ٢١٤.

٢- آل عمران: ٦١.

٣- الكليني، ١٣٦٣هـ: ج ٥: ٢٧٩.



الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾.

ومن كان يظن أن أمير المؤمنين قد
سكت عن حقه الإلهي فهو واهم؛ إذ إنَّ
الأحداث التي تلت مؤتمر السقيفة قد
بيّنت أن الإمام استمرَّ في متابعة واجبه
الإلهي وعدم مبايعته للخليفة الأول لمدة
اشهر، وأنَّه خلال ذلك أقام عليهم
الحجج ولاسيما عن طريق مواقف
الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، إلّا
أنَّه بعد أن وصلت الأمور إلى حدٍّ يهدد
استقرار دين الله في النفوس فقد عزف عليه السلام
عن إعلان المعارضة خوفاً على الدين
وإدراكاً منه لطبيعة المجتمع في حينه، ففي
الوقت الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام مشغولاً
بتغسيل رسول الله وتكفينه كان بعضهم
منشغلاً في تغيير مسار الخلافة الإلهية
بانتخاب حاكمٍ جديدٍ باجتماعهم في سقيفة
بني ساعدة التي تابعت فيها الأحداث
بانتخاب الخليفة الأول أبي بكر ^(٢).

وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام في حديث
لِمَن حضر في مجلسه من محبيه وشيعته
أهمية هذا اليوم بعد التغييب الطويل لهذه
الحقيقة من السلطات الحاكمة لأكثر من

مائة عام، إذ قال: «أتعرفون يوماً سيّد الله
به الإسلام وأظهر به منار الدين وجعله
عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم، أيوم الفطر
هو يا سيّدنا؟

فقال عليه السلام: لا، قالوا أيوم الأضحى
هو؟

قال عليه السلام: لا، هذان يومان شريفان
جليلان ويوم منار الدين أشرف منهما،
وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ^(٣).

أهمية البحث:

يعدُّ يومُ الغديرِ يومَ عيدٍ، بل أعظم
الأياد وأشرفها، وهو عيدُ الله الأكبر، وما
بعث الله عزَّ وجلَّ نبيّاً قطُّ إلّا وتعيّد في
هذا اليوم؛ لأنَّه يوم إكمال الدين وإتمام
النعمة. فقد روي عن الإمام جعفر بن
محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أنَّه
قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يومُ غديرِ
خُمٍ أفضلُ أعيادِ أمتي، وهو اليوم الذي
أمرني الله تعالى ذكره فيه بنصب أخي
علي بن أبي طالب عليه السلام علماً لأمتي يَهْتَدُونَ
به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله

١- الأعراف: ٩٦.

٢- السّماوي، ٢٠٠٤، ٣٩ - ٤٠.

٣- ابن طاووس، ٥١٤١٨: ج ١: ٤٤٤.



فِيهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَى أُمَّتِي فِيهِ النُّعْمَةَ،
وَرَضِيَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...»^(١)

وفي هذا اليوم أنزل الله الضمانة اللازمة لحماية الشريعة المقدسة الخاتمة بأن جعل لها أمناء وحرّاساً وخزّاناً يحوطنونها بالرعاية ويلزمون الناس بما فيها من أحكام وشرائع، بعدما سيختار خاتم رسله محمد ﷺ الذي بلغها، بعد أسابيع قلائل، إلى جوارحه؛ لذلك لم تحتفل الأمة بعيد الفطر أو عيد الأضحى، أو قل لم تستشعر فيهما طعم العيد، وهو لعمرى حالنا اليوم وغير اليوم، لن يحل ضرر على الشريعة المقدسة. وإذا قام المسلمون بالاحتفالات بعيدي الفطر والأضحى، وذهب كثير منهم إلى فرض الجمععات، لن يكون هذا كفيلاً بحفظ الشريعة المقدسة من التلاعب والتحريف؛ لأنّ المسلمين كانوا يذهبون جميعهم إلى الجمععات في القرون الأولى على الرغم من أن تلك القرون هي التي أسست التحريف وكتمان الحق واضطهاد أهله^(٢).

إنّ أهمية ذلك اليوم بأهمية صاحبه، صاحبه الذي سُئل عنه الخليل بن أحمد فقال: «ماذا أقول في رجل أخفى

أعداؤه فضائله حسداً، وأخفاها محبوه خوفاً، وظهر من بين ذين وذين ما ملاً الخافقين!»^(٣).

وقد جاء في أمالي أبي عبد الله النيسابوري وأمالي أبي جعفر الطوسي في خبر عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر عن الرضا عليه السلام أنه قال: حدثني أبي عن أبيه عليه السلام أنّ يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض، إنّ الله تعالى في الفردوس قصر ألبنة من فضة ولبنة من ذهب، فيه مائة ألف قبة حمراء ومائة ألف خيمة من ياقوتة خضراء، ترابه المسك والعنبر، فيه أربعة أنهار: نهر من خمر ونهر من ماء ونهر من لبن ونهر من عسل، حواليه أشجار جميع الفواكه، عليه الطيور أبدانها من لؤلؤ وأجنحتها من ياقوت، تصوت بألوان الأصوات، إذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر أهل السماوات، يسبحون الله ويقدّسونه ويهلّلونه، فتطير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء وتتمرغ في ذلك المسك والعنبر، فإذا اجتمع الملائكة طارت فتتنفض ذلك عليهم، وإنهم في ذلك اليوم ليتهادون نثار فاطمة عليها السلام، فإذا كان آخر اليوم نودوا: انصرفوا إلى مراتبكم فقد أمتتم من الخطر والزلل إلى قابل في هذا

١- الشيخ الصدوق، ٢٠٠٩: ١٨٨.

٢- ابن المشهدي، ١٤١٩هـ: ٥٧٦.

٣- المناوي القاهري، ١٣٥٦هـ: ج ٤: ٤٦٨.



اليوم تكرمة لمحمد ﷺ وعلي ﷺ^(١).

لهذا فقد اتَّخذ النبي ﷺ والوصي الإمام علي ﷺ والأئمة ﷺ يوم الغدير عيداً، ليس فقط لما صرَّ حوا به من أنه يوم عيد تستحب فيه الطاعات المختلفة، بل أيضاً لأنَّ النبي ﷺ طلب من الناس أن يهنتوه، ولأنَّ الصحابة وأمّهات المؤمنين (رضي الله عنهم) قاموا بتهنئة أمير المؤمنين ﷺ على هذه النعمة الكبرى التي حباها الله إياه وهي خلافة سيد البشر ووصاية خاتم الرسل ﷺ^(٢).

وفي يوم الغدير فقط جعل الله لهذه الأمة، بل للبشر جميعاً، ما يضمن لهم الأمن من الضلال؛ لأنَّه في ذلك اليوم أمر الناس ببيعة الحكام الشرعيين، ليس لسنة أو سنتين، ولا جيل ولا جيلين، بل لعدة قرون، فصار عند الناس الثقلان: كتاب الله وعترته نبيه ﷺ، اللذان لا ضمانه لعدم ضلال الأمة بغير التمسك بهما كما جاء في الحديث المتواتر عن النبي ﷺ.

لذلك كان عيد الغدير أعظم أعياد الأمة، وأفضل الأعياد وأشرفها وأفضلها.

وينبغي على المسلمين الذين بايعوا أمير المؤمنين وأولاده المعصومين ﷺ أن يحتفلوا بهذا اليوم السعيد ويثبوا فضله وأهميته، بل ضرورته القصوى، بين المسلمين الذي يجهلون فضله، بل يجهلون وجوده، وذلك عملاً بوصية الرسول أن يبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد إلى يوم القيامة^(٣).

وهو اليوم الذي امتنَّ الله عز وجل فيه على الناس وأغدق عليهم بأفضل النعم وأعظمها وهي نعمة الولاية والإمامة الكبرى والخلافة العظمى التي قلَّدها رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ممتثلاً بذلك أمر ربِّه في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤) يعني في استخلاف علي ﷺ والنص بالإمامة عليه، ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٥)، فأكد الفرض عليه بذلك بأنَّه إن لم يُنفذ إرادة الله، ذهبَتْ أتعابه، وضاعت جهوده، وتبدَّد ما لا قاه من العناء في سبيل هذا الدين. وأمَّا نعته بأنَّه عيد الله الأكبر، فذلك مستوحى من روايات وأحاديث

١- المازندراني، ١٩٥٦: ج ١: ٥٤٠.

٢- المازندراني، ١٩٥٦: ج ٣: ٤٥-٤٦.

٣- السامرائي، ٢٠١١: ٥٠.

٤- المائدة: ٦٧.

٥- المائدة: ٦٧.



أشارت إلى شأن هذا العيد ومنزلته عند الله تعالى وأهل السماء والأرض^(١).

لقد طلب الله عز وجل من نبينا محمد ﷺ أن يبلغ رسالته وهي، بأن هذا اليوم مركزي في تبليغ الرسالة، وأن العمل الذي سيقوم به، به يكمل الدين، وبدونه يبقى ناقصاً وتضيع فائدة جهودك في تبليغه! وأن البشرية لم تر بعد النبي ﷺ من قال: سلوني، ولم يعين أحداً لما يسأل عنه في الأرض ولا في السماء! فهذا الشخص فقط يستطيع أن يفسر كتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء! «اليوم أكملت لكم دينكم». لأننا إن اكتفينا بتنزيل الكتاب عليكم، ولم نجعل له مفسراً له بعد رسولنا، فقد جعلنا الكتاب خزائن مقفلة! ولكم من يستخرج منها ما تحتاجه عقول البشر في كل جيل، فالنعمة العلمية على البشر لا تتم إلا بمفسر للكتاب الإلهي. وكذلك النعمة العملية في بناء الإرادة البشرية وتحقيق عدالة الكتاب الإلهي لا تتم إلا بمن يجسدها ويعلمها للناس^(٢).

لهذا حظي يوم غدير عند المسلمين

بأهمية كبيرة خاصّة عند الشيعة؛ لأنّ الرسول الكريم ﷺ في طريق عودته من حجّه في الثامن عشر من شهر ذي الحجة توقّف عند الغدير الذي هو مكان تجمع الماء في الصحراء، ومنخفض يحطّ إليه السيل، يقع بين مكة والمدينة ويبعد عن الجحفة مسافة ميل أو ميلين. وفي هذا المكان خطب رسول الله ﷺ خطبة طويلة في حشد عظيم من أصحابه ومن رافقه في رحلة الحج آنذاك، وقد تضمّنت الخطبة عبارته الشهيرة «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، وتناقلت ذلك روايات العامة والشيعة على السواء بأنّ الرسول الأكرم ﷺ نصّب الإمام عليّاً  رسمياً خليفة وإماماً للمسلمين من بعده^(٣).

ويعدّ حديثُ الغدير من الأحاديث التاريخية المهمّة والمصيرية التي أدلى بها رسول الله ﷺ في السنة الأخيرة من حياته المباركة، وهي من الأحاديث التي تثبت إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  وتوجب ولايته على جميع المؤمنين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله المصطفى ﷺ بكل صراحة ووضوح^(٤).

١- ابن خلكان، ١٩٧٢: ج ١: ٦٠.

٢- العاملي، ١٤١٦هـ: ج ١٤: ٣٨٩.

٣- ابن خلكان، ١٩٧٢: ج ١: ١٨٠.

٤- شهاب الدين، ١٢٦٧هـ: ج ٤: ٢٨٢.



حدود البحث:

يتحدّد البحث بدراسة يوم الغدير، وتفسيره على وفق السنة النبوية.

تحديد المصطلحات:

يوم الغدير أو (عيد الغدير):

أ- عرّفه (النجفي، ١٩٥١):

هو ثالث وآخر الأعياد لدى الشيعة، ويُحتفل به في يوم (١٨) من ذي الحجة في كل عام هجري احتفالاً باليوم الذي خطب فيه النبي محمد ﷺ خطبة عيّن فيها علي بن أبي طالب ﷺ مولياً للمسلمين من بعده، وذلك في أثناء عودة المسلمين من حجة الوداع إلى المدينة المنورة في مكان يُسمى بـ "غدير خم" سنة (١٠) هـ. وقد استدلّ بتلك الخطبة على أحقية الإمام علي ﷺ بالخلافة والإمامة بعد استشهاد النبي محمد ﷺ، عندما قال في ذلك اليوم "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" (٢).

ب- عرّفه (الطوسي، ١٩٦٤):

وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يوم البيعة والولاء لأمرير المؤمنين ﷺ، ووصي نبي الرحمة والهدى، خاتم المرسلين

ومن هنا كانت أهمية يوم الغدير في تعيين خليفة الله بعد النبي محمد ﷺ، فعلى الرغم من الأحاديث الكثيرة التي أوضح رسول الله ﷺ فيها منزلة ومكانة علي بن أبي طالب ﷺ في أكثر من مناسبة ابتداءً من يوم دعوته عشيرته للإسلام بعد أن ذكر أن من يبايعه يكون خليفته من بعده، فلم يبايعه أحد إلاّ علي ﷺ، فقال له: «أنت أخي وخليفتي من بعدي، فضحك القوم وقالوا لأبي طالب بخ بخ لك فاسمع لابنك واطعه»، إلى المناسبات الكثيرة في المدينة ومنها تركه لعلي ليكون خليفته في إدارة المدينة بوجه المنافقين الذين كانوا ينوون الشرّ بالإسلام ونبيه، فأشاع المنافقون بأنّ النبيّ محمدًا ﷺ أراد الخلاص منه فقال له قولته المشهورة: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي» (١).

هدف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على سبب إطلاق اسم يوم الغدير بأنّه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة.

١- النجفي، ١٩٥١: ج ١: ٢٦٧.

٢- النجفي، ١٩٥١: ج ١: ١٠.





سيدنا محمد ﷺ، وهو يوم من أيام الإسلام الخالدة، يحتفل به المؤمنون، ويتبادلون فيه التهاني كعيدي الفطر والأضحى، وكذكرى المولد النبوي الشريف. وفي هذا اليوم، وفي حجة الوداع، جمع رسول الله ﷺ المسلمين، وهو عائد من حجّه، في بقعة تسمى غدير خمّ، وفي حرّ الهاجرة تقياً ظل إحدى السمرات، وهي الشجرة العظيمة، إذ وضع له منبراً من أحداج الإبل، فاعتلاه مخاطباً جموع الحجيج: "أيها المؤمنون أليست أولى بكم من أنفسكم؟" قالوا: "بلى يا رسول الله". قال ﷺ: "ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار"، أخذاً بيد علي ليقم عليهم الحجة^(١).

٢- السنة النبوية:

عرّفها (الصدوق، ١٩٩١):

وهي ثاني مصدرٍ من مصادر التشريع

في الإسلام؛ فهي كلّ ما ورد عن النبي ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، أو سيرةٍ، أو صفةٍ خلقيةٍ أو خلقيةٍ، وقد نُقلت السيرة جيلاً بعد جيل بطرقٍ صحيحة واضحة، إذ تعدّ سيرته وسنّته من أوضح السير بين الأنبياء والرسل (عليهم السلام)؛ فقد جاء فيها الإخبار عن مولده، ونشأته، وصفاته الخلقية والخلقية، وتفاصيل علاقته بأصحابه، وعلاقته اليومية مع زوجاته، ومواقفه مع الآخرين، والحوادث التي حصلت في أثناء فترة نبوّته بتفاصيلها، والمعارك التي خاضها وشارك فيها قبل الإسلام وبعد البعثة، وجميع ما جاء به عن الله من أحكام وأمور شرعية، وتطبيقاتها العملية في هيئاته وأفعاله وأقواله^(٢).



المبحث الثاني

الإطار النظري للمبحث

نحاولُ في هذا المبحث أن نتناول يوم الغدير بوصفه يمثل إكمال الدين وإتمام النعمة، وفقاً لتفسير بعض العلماء، وكالاتي:

أولاً- يوم الغدير بعده إكمال الدين على وفق السنة النبوية:

جاء في كتاب الكافي للكليني، أنه عند رجوع النبي محمد ﷺ من حجة الوداع، عندما أمره الله تعالى أن يوقف المسلمين في غدير خم ويبلغهم ولاية علي عليه السلام، فأوقفهم وبلغهم ما أمره به ربه. وهذه نماذج من أحاديثهم:

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال^(١): «وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت

الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي. قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عز وجل: «لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض»^(٣).

وأشار الكليني في كتاب الكافي أيضاً، نقلاً عن عبد العزيز بن مسلم قال: «كنا مع الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إن الله عز وجل لم يقبض نبيه حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً فقال عز وجل: ﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض حتى بين لأمتهم معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم



١- الكليني، ٥١٣٦٣: ١ ج ١: ٢٨٩.

٢- سورة المائدة: ٣.

٣- الحويزي، ٥١٤١٢: ١ ج ١: ٥٨٢.



فريضة الولاية آخر فريضة أنزلها الله تعالى على نبيه محمد ﷺ^(٤).

ثانياً- يوم الغدير بعده إتمام النعمة وفق السنة النبوية:

مما يثير الانتباه في هذه الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أن الله تعالى قد ربط إتمام نعمته على الخلق بموضوع الولاية، أي كما أن كمال الدين يتحقق بالولاية لمحمد وآل محمد ﷺ، كذلك فإن بها تمام النعمة على المسلمين. والمقصود بالنعمة في الآية، جميع النعم، ظاهرها وباطنها كالعدل والمساواة والاتحاد والأخوة والعلم والأخلاق والطمأنينة النفسية والروحية والحرية، وبعبارة موجزة جميع أنواع العطايا. لذلك فقول أولئك الذين سعوا إلى تفسير النعمة في الآية بالشرعية وبالنعم المعنوية فحسب، محل تأمل ونظر؛ لأن الآية المذكورة لم تتطرق لمسألة أصل النعمة، بل سياقها يدور حول إتمام النعمة، أي جمع أنواع النعم، فإينما ورد ذكر إتمام النعمة في القرآن الكريم كان المراد منها كل النعم

على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً ﷺ علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بيّنه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به!^(١)

وروي عن الإمام الباقر ﷺ قوله: «وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز وجل: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...) يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفرائض»^(٢).

لقد أوحى الله عز وجل بالأحكام والواجبات الواحدة تلو الأخرى حتى ختمها بالولاية، فأنزل هذه الآية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...) ليعلم أن لا فريضة بعدها. فبعد نزولها وتنصيب أمير المؤمنين علي ﷺ خليفة لرسول الله ﷺ أدرك الناس مراد الله تعالى من الآية الكريمة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣) وعلموا أن عليهم بعد رسول الله ﷺ أن يطيعوا أمير المؤمنين علي ﷺ. فكانت

١- الكليني، ١٣٦٣هـ: ج ١: ١٩٨.

٢- المغربي، ١١١٩هـ: ج ١: ١٥.

٣- النساء: ٥٩.

٤- الواحدي، ٢٠٠٠: ١١٥.



الأبد، أسرت القلوب بنورها، فانبثرت أقلام كتّاب المسلمين في كلّ العصور تكتب عنها في كتب التفسير والتاريخ والحديث والكلام، وارتفعت أصوات الخطباء لتغنّي بمآثرها عبر مجالس الوعظ، واستلهم المدّاحون من معانيها، ليقوا على جذوة الفضيلة متّقدة ومستعرة، مقدّمين فروض الولاء والطاعة لصاحب الذكرى.

ثالثاً-مكانة خطبة الغدير في السنة النبوية:

لخطبة الغدير مكانة خاصة في السنة النبوية الشريفة، نظراً لما حوّته من مضامين وما رافق الحدث من أجواء خاصة. وتتلخص أهم مقاصد النبي ﷺ في خطبة الغدير بالأمور الآتية:

١- ضمان استمرار خط النبوة وعدم ضياع ثمرات أتعاب النبي ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاماً في إبلاغ الرسالة الإلهية وإنشاء الأمة وجهاد أعدائها. وذلك بتعيين من يتولى حمل الأمانة وإدامة المسيرة النبوية.

٢- بيان النبي ﷺ للأمة أنّ مسؤوليّة

التي يصيبها الإنسان في الدنيا^(١).

ومن هنا نستطيع معرفة علاقة مباشرة بين ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام والتمتع بالنعم الدنيوية المشروعة، وذلك لمحورية الولاية العلوية بوصفها أحد الشروط المهمّة والرئيسة للوصول بنا إلى مجتمع قائم على أساس الحرية والعدالة والقيم والفضائل الأخلاقيّة والإنسانيّة؛ لذا يحتمّ الواجب أن نسلّم لما بلغ به رسول الله ﷺ في يوم الغدير، وأن نقبل عملياً بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام. وبعبارة أخرى: إنّ الأخذ بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام التي أنزلها الله تعالى وفرضها على المسلمين في يوم الغدير، له أثر تكويني يوجب سبوغ البركات والخيرات على الناس من الأرض والسماء^(٢). قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾^(٣).

ولأجل ذلك تعدّ واقعة غدير خم من الأحداث الخالدة، وقد شاعت الحكمة الإلهيّة أن تظلّ شعلة هذه الواقعة وهّاجة على طول التاريخ البشري وإلى

١- الشيخ الصدوق، ١٩٩١: ج ١: ٢٦٢.

٢- السيوطي، ٢٠٠٣: ج ٢: ٢٥٩.

٣- المائدة: ٦٦.



هذه الواقعة التاريخية، وأنها تزامنت مع وداع النبي ﷺ لأُمته. وهي خصوصيات فريدة تدل على حرص النبي ﷺ على تحصين الإسلام به من أي تحريف داخلي أو عدوان خارجي.

٢- لم يعرض النبي ﷺ قضية الإمامة في يوم الغدير وبعده بصورة توجيهات ونصيحة، بل بصورة حكم إلهي وأمر نبوي، ولذلك اقترن إعلانها بأخذ البيعة لعلي عليه السلام من جميع المسلمين.

٣- تميّز إعلان الغدير بظرفه الجغرافي في ملتقى الطرق في الجحفة قبل أن يتفرق المسلمون في طريق عودتهم إلى أوطانهم، وبالصيف الحار الذي كان في تلك الأيام الثلاثة في تلك الصحراء الملتهبة.

٤- الظرف الزماني لبيعة الغدير ووقوعها في موسم الحج الذي هو أعظم تجمع جماهيري للمسلمين.

٥- إعلان النبي ﷺ فيها عن قرب رحيله، فإنه ﷺ رحل من هذه الدنيا بعد سبعين يوماً من إلقائه هذه الخطبة.

٦- نزول الخطاب الإلهي الخاص للنبي ﷺ بهذا الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

حفظ الإسلام وأُمته تقع على عاتق خلفاء النبوة الذين اختارهم الله تعالى، والذين لهم الكفاءة التامة لأداء مهمّتهم.

٣- تعيين الخليفة تعييناً رسمياً على سنة الله في أنبيائه عليه السلام، وسنة الأُمم الراقية في تعيين خليفة قائدها.

٤- رسم المنهج السياسي للمسلمين إلى يوم القيامة.

٥- إتمام الحجة على المخالفين، المقصرين منهم والمعاندين.

وهذه الأهداف السامية والمقاصد العالية هي التي أعطت يوم الغدير بُعد الخالد، وجعلته حادثة فريدة في تاريخ الإسلام. ومن أجل هذا كان تأكيد النبي ﷺ عليه كبراً، وكما قال الإمام الباقر عليه السلام: «لم ينأدِ بشيء ما نودى بالولاية يوم الغدير»^(١).

ويمكن تصوير عظمة يوم الغدير من مجموع الروايات بما يأتي:

١- اقترن إبلاغ النبي ﷺ للأمة ولاية الإمام علي عليه السلام بظروف ومميزات خاصة، منها: الاجتماع الكبير، والأسلوب الخاص في البيان، والمنبر الخاص الذي تفرّدت به



رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ ۖ^(١)، وهو خطاب يختلف عن سائر الخطابات الإلهية للرسول ﷺ.

٧- في ضمن إبلاغ هذا الحكم الإلهي أبدى النبي ﷺ توجّسه وخوفه من مؤامرات المنافقين في تلك المرحلة، وتأكيداه على أن هذه البيعة هي الضمان لمستقبل الأمة الإسلامية.

١١- تميّز يوم الغدير بنزول الخطاب الإلهي الخاص بعد بيعة الأمة لعلّي عليه السلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، وهو خطاب لا مثيل له في الخطابات الإلهية السابقة.

١٢- تميّزت بيعة الغدير باهتمام خاص من أهل البيت عليه السلام وشيعتهم في كل الأجيال. فقد صعد المنبر أمير المؤمنين عليه السلام في خلافته وطلب من الصحابة أن يؤدوا شهادتهم في بيعة الغدير، ليعرف ذلك المسلمون الذين لم يحضروها. وكذلك الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام إذ قالت: «ما علمت أن رسول الله ﷺ ترك يوم الغدير لأحد حجّة ولا لقائل مقالاً»، وكذلك بقية الأئمة المعصومين عليه السلام.

٨- رافق إعلان النبي ﷺ لإمامة علي والعترة عليه السلام، الوعد الإلهي بعصمته وحفظه من كيد الأعداء المعترضين. وهما ضمان وعصمة لا نجدهما طيلة عمر النبي ﷺ وتبليغه الرسالة!

٩- تميّزت خطبة الغدير وبيعة الغدير بمفاهيم سامية ومعان عميقة في مقام الولاية للعترة النبوية الطاهرة عليه السلام.

١٣- ومن مميزات حديث الغدير كثرة أسناده من الصحابة والتابعين، وأن كبار الحفاظ والعلماء ألفوا في أسانيده وأثبتوا تواتر أحاديثه، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم!^(٣)

١٠- تميّزت بيعة الغدير بمراسمها الخاصة قبل الخطبة وبعدها، ومن ذلك إهداء النبي ﷺ لعلّي عليه السلام عمّامته الخاصة، وأمره المسلمين بتهنئته وبيعته.

١- المائدة: ٦٧.

٢- المائدة: ٣.

٣- المجلسي، ١٤٠٣: ج ٣١: ٤٤٧؛ الشيخ الصدوق، ١٤٠٣: ١٧٣.



المبحث الثالث

استنتاجات وتوصيات البحث

استنتاجات البحث:

ومما سبق يمكن أن نتوصل باختصار إلى تفسير يوم الغدير في ظل السنة النبوية، ويعود الى النقطتين الآتيتين:

عندما أنزل الله عز وجل هذه الآية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...) ليعلم أن لا فريضة بعدها. فبعد نزولها وتنصيب أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله أدرك الناس مراد الله تعالى من الآية الكريمة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) وعلموا أن عليهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يطيعوا أمير المؤمنين علي عليه السلام. فكانت فريضة الولاية آخر فريضة أنزلها الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله.

وجود علاقة مباشرة بين ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام والتمتع بالنعم الدنيوية المشروعة، وذلك لمحورية الولاية العلوية بوصفها أحد الشروط المهمة والرئيسة للوصول بنا إلى مجتمع قائم على أساس الحرية والعدالة والقيم والفضائل الأخلاقية والإنسانية؛ لذا يحتم الواجب أن نسلّم لما بلّغ به رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الغدير، وأن نقبل عملياً بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام.

توصيات البحث:

ووفقاً لاستنتاجات البحث، يوصي الباحثان بالآتي: -

إقامة الندوات والمؤتمرات التي تهدف إلى تعريف الباحثين والطلبة بأهمية يوم الغدير للمسلمين، وما أهم التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية التي جاء بها هذا اليوم.

نشر الوعي الديني والأخلاقي عن طريق إبراز أهم التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية التي جاء بها هذا اليوم للمواطنين عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

تشجيع الباحثين وذوي الاختصاص بأهمية كتابة البحوث والكتب التي تنهض بأهمية يوم الغدير.

مقترحات البحث:

إجراء دراسة تهدف إلى معرفة العلاقة بين يوم الغدير والاعتراف بإمامة المعصومين عليه السلام.

إجراء دراسة ميدانية تهدف إلى معرفة أهم التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية التي يستنبطها طلبة الجامعة من يوم الغدير.



قائمة المصادر والمراجع:

• ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء ابن عمر بن القرشي الدمشقي (١٩٩٧): البداية والنهاية، مركز البحوث والدراسات العربية الاسلامية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للنشر والتوزيع، الجزء (٧)، الطبعة الاولى، الجيزة، مصر.

• الحويزي، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي (١٤١٢هـ): تفسير نور الثقلين، تصحيح: هاشم الرسولي، الناشر: انتشارات اسماعيليان للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، الجزء الاول، قم المقدسة، إيران.

• الديلمي، الحسن بن أبي الحسن محمد (١٤١٦هـ): ارشاد القلوب، دار احياء التراث الاسلامي، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، الطبعة الاولى، قم المقدسة، إيران.

• السامرائي، غسان نعمان ماهر (٢٠١١): العودة الى الاصل الى آل محمد ﷺ: الجزء الرابع، مؤسسة الفجر للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، الجزء الاول، بيروت، الاردن.

• السماوي، محمد التيجاني (٢٠٠٤): مؤتمر السقيفة: نظرة جديدة

• ابن المشهدي، الشيخ ابو عبد الله محمد بن جعفر (١٤١٩هـ): المزار الكبير، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي للطباعة والنشر، المجلد الاول، الطبعة الاولى، قم المقدسة، إيران.

• ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (١٩٧٢): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، الجزء الثاني، بيروت، لبنان.

• ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (١٩٧٢): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، الجزء الاول، بيروت، لبنان.

• ابن طاووس، السيد علي بن موسى ابن جعفر الحسني (١٤١٨هـ): إقبال الأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، ترجمة محمد روهي، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الثانية، الجزء الاول، قم المقدسة، إيران.





في التاريخ الاسلامي، الناشر: مؤسسة الفجر للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، لندن، بريطانيا.

● السيوطي، جلال الدين (٢٠٠٣):

الدر المنثور التفسير بالماثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والاسلامية، الجزء الثاني، الطبعة الاولى، القاهرة، مصر.

● شهاب الدين، محمود شكري

الألوسي البغدادي (١٢٦٧هـ): روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، تصوير دار إحياء التراث العربي، الجزء الرابع، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان.

● الشيخ الصدوق، ابي جعفر محمد

بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (١٩٩١): كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: الشيخ حسين الاعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الجزء الاول، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان.

● الشيخ الصدوق، ابي جعفر محمد

بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٢٠٠٩): امالي الصدوق،

تحقيق: الشيخ حسين الاعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الاولى، قم المقدسة، إيران.

● الشيخ الصدوق، ابي جعفر محمد

بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (١٤٠٣هـ): الخصال، الناشر: منشورات جماعة المدرسين للطباعة والنشر، تصحيح: الشيخ علي أكبر الغفاري، الطبعة الاولى، قم المقدسة، إيران.

● الطوسي، محمد بن الحسن أبو

جعفر (١٩٦٤): المجالس في الأخبار أو «الأمالي»، تحقيق: مؤسسة البعث، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، النجف الاشرف، العراق.

● العاملي، محمد بن الحسن الحر

(١٤١٦هـ): تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث للطباعة والنشر، الجزء (١٤)، الطبعة الاولى، قم المقدسة، إيران.

● الكليني، محمد بن يعقوب

(١٣٦٣هـ): الكافي، دار الكتب الاسلامية، الجزء الخامس، تحقيق



الناشر: مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الجزء (٣١)، بيروت، لبنان.

● المغربي، القاضي النعمان (٥١١٩هـ): دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، الجزء الاول، القاهرة، مصر.

● المناوي القاهري، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي زين الدين محمد (١٣٥٦هـ): فيض التقدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الاولى، الجزء الرابع، مصر.

● النجفي، عبد الحسين أحمد الأميني (١٩٥١): الغدير، تحقيق: سلمان عباس الدواح الزبيدي، الناشر: مركز الابحاث العقائدية، الجزء الاول، الطبعة الاولى، قم المقدسة، إيران.

علي أكبر الغفاري طهران إيران.

● الكليني، محمد بن يعقوب (١٣٦٣هـ): الكافي، دار الكتب

الاسلامية، الجزء الاول، تحقيق علي أكبر الغفاري طهران إيران.

● الكليني، محمد بن يعقوب (١٣٦٣هـ): الكافي، دار الكتب

الاسلامية، الجزء الثاني، تحقيق علي أكبر الغفاري طهران إيران.

● لواحيدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (٢٠٠٠): أسباب

النزول، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان.

● المازندراني، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر

بن أبي الجيش (١٩٥٦): مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية

للنشر والتوزيع، الجزء الاول، قم المقدسة، إيران.

● المازندراني، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر

بن أبي الجيش (١٩٥٦): مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية للنشر

والتوزيع، الجزء الثالث، قم المقدسة، إيران.

● المجلسي، الشيخ محمد باقر (١٤٠٣هـ): بحار الانوار الجامعة

لدرر اخبار الائمة الاطهار،

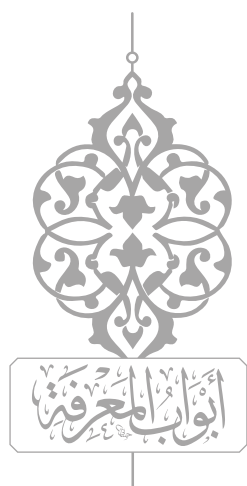
إِنَّمَا إِلَهُ الْإِلَهِاتِ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ



حادثة الغدير الدلالات والنتائج

أ. د. رحيم خريط عطية







ملخص البحث:

كبيرة من الرواة الذين تناولوا الحديث ودرسوا رجاله.

ثمّ درس البحث أهميّة هذه الحادثة إذ لم تكن حادثة اعتباطيّة تصدر عن رسول الله ﷺ فبعد أن أخبر المسلمين برحيله ﷺ وانتهاء المناسك أوقف الحجاج في يوم قائض ليخبرهم أمراً فلا شكّ في أنّ هذا الأمر مهمّ يتعلّق بأمر مهمّ هو الموالة لعلّي ﷺ فقد اختير هذا الرجل ولم يذكر أحد معه وهذا يعطي توجيهاً للمسلمين بالتوجّه إلى الإمام عليّ ﷺ سواء أفسّر الحديث بولاية أمير المؤمنين ﷺ أم فسّر بالمحبّة أو بالجانب المعنويّ. ففي كلّ الأحوال تبقى إشارة النبي بحديث قيل عنه إنّّه صحيح الإسناد وتوجيهه وأمره من الأهميّة بمكان، قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥٩﴾^(١)، ثم درس البحث الدلالات التي أدّى إليها الحديث الشريف والنتائج التي أفضى إليها، ولا ننسى التفسير الذي حظي به الحديث الشريف، فقد فسّره علماء التفسير السنّة

يدرّس هذا البحث «حادثة» الغدير؛ لما لها من أهميّة كبيرة في تحديد مسار متوقّع للإسلام حدّده رسول الله أو آخر حياته المباركة، فقد جاء توقيت الحديث بعد حجّة الوداع التي أخبر فيها رسول الله ﷺ المسلمين بأنّه مغادر على ربّه وأشهدهم على تبليغ رسالته وفي اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة أوقف المسلمين وهم في مفترق الطرق، كلّ يريد أن يذهب على بلده وحديثهم بحديث الغدير الذي روي بروايات مختلفة، لكنّ الحديث مدوّن في السنن وكتب السيرة وكتب الحديث وهو صحيح الإسناد، قد رواه علماء السنّة وعلماء الشيعة لكنّ الفريقين اختلفا في دلالته ومضمونه.

وقد درس البحث الحادثة وكيف حصلت وتاريخها وتوقيت هذا التاريخ والآيات التي نزلت في آخر القرآن الكريم، وكيف نظر إليها المفسّرون. ثمّ درس نصّ الحديث، وهو قد ورد في نصوص مختلفة الصياغة لكنّه موجود برواية أئمة الحديث الكبار وكتب الصحاح المعتمدة عند أهل السنّة وقد روته كتب الشيعة إذ أشارت إلى مجموعة



Research Summary

This paper studies the «incident» of Al-Ghadir; Because of its great importance in defining an expected course of Islam that the Messenger of God set at the end of his blessed life, the timing of the hadith came after the Farewell Pilgrimage in which the Messenger of God «peace be upon him» informed the Muslims that he was departing from his Lord and made them witness to the conveying of his message. The Muslims are at the crossroads, each wants to go to his country and tell them the hadith of al-Ghadir, which was narrated with different narrations, but the hadith is recorded in the Sunan, biography books and hadith books, and it is a true chain of transmission, it was narrated by Sunni scholars and Shiite scholars, but the two groups differed in its implications and content.

The research studied the incident, how it happened, its history, the timing of this date, the verses that were revealed at the end of the Holy Qur'an, and how the commentators looked at

بشكل مختلف عما نظر إليه علماء الشيعة، ففسره علماء الشيعة بالولاية لعلي عليه السلام لذا يجب الاعتقاد بهذه الولاية، فهي مفارقة من النار مثلها مثل النبوة.

في حين يعتقد علماء السنة أن هذه الموالة التي وردت في حديث النبي صلى الله عليه وآله إنما هي معنوية لا توجب الاعتقاد بولاية الإمام علي عليه السلام على المسلمين، ولا تفسر على أنها تنصيب إلهي. ودرس البحث نتائج الحديث وسلط ضوءاً على ما قام به البيت الأموي من معاداة أهل البيت عليه السلام وتمكن من حرف مسار المسلمين عن هذا البيت الكريم.





it. Then it studied the text of the hadith, which was mentioned in texts of different wording, but it is found in the narration of the great hadith imams and the books of the authentic authentic books of the Sunnis and it was narrated by Shiite books She referred to a large group of narrators who learned the hadith and studied its men. Then the research examined the importance of this incident, as it was not an arbitrary incident that came from the Messenger of God, may God bless him and grant him peace. This man was chosen, and no one was mentioned with him, and this gives guidance to the Muslims to turn to Imam Ali, peace be upon him, whether he interprets the hadith as the guardianship of the Commander of the Faithful, peace be upon him, or interprets it in terms of love or the spiritual aspect. And whatever he forbade you, then abstain, and fear God, for God is severe in punishment.» Al-Hashr:7. The Shiite scholars interpreted it as the guardianship of Ali (peace be upon him), so it is necessary to believe in this guardianship, as it

is a salvation from the fire like prophecy. While Sunni scholars believe that this loyalty, which was mentioned in the hadith of the Prophet, «peace be upon him,» is a spiritual matter that does not necessitate belief in the authority of Imam Ali «peace be upon him» over the Muslims, nor is it interpreted as a divine appointment. The research studied the results of the hadith and shed light on what the Umayyad House did in hostility to the Ahl al-Bayt «peace be upon him» and managed to divert the Muslims' path towards this noble House.



المقدمة:

الحديث الشريف المختلفة.

ووقف البحث عند دلالات الحديث الشريف المختلفة، ففسره العلماء على وفق مذاهبهم وطوائفه، إذ نظر إليه علماء الشيعة نظرة تختلف عما نظر إليه علماء السنة، فضلاً عن الآية التي كانت سبباً في الحديث النبوي الشريف، فاعتقاد علماء الشيعة أن الآية نصت على تنصيب علي عليه السلام خليفة للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في حين ذهب أئمة التفسير من علماء المذاهب الأربعة إلى أنها نزلت مبكراً في اليهود.

ودرس البحث النتائج التي تمخض عنها الحديث، فعند أكثر المسلمين لا قى الحديث صدى كبيراً إذ نجدهم يقدمون الاحترام لآل البيت الكرام ونجد الخلفاء ولا سيما الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان يحترم الإمام علياً ويجلسه مكانه وفيه أقوال كثيرة منها: أطال الله بقاءك يا أبا الحسن، و: قضية ولا أبا حسن لها، و: لولا علي لهلك عمر وغيرها، وما ذاك إلا أن علياً كان يقدم المشورة والنصح للخلافة مرات ومرات وكان الخليفة يأخذ برأيه من دون بقية الصحابة.

لكن نتائج الحديث لم تكن كلها على هذا الحال، فقد أظهر البيت الأموي

يبحث موضوع هذه الدراسة بحادثة نتجت عن حديث شريف لرسول الله صلى الله عليه وآله هي حادثۃ الغدير المشهورة في كتب الصحاح والسيرة وكتب التاريخ والحديث، ورؤيت بروايات مختلفة إلا أنها تتفق في زمنها إذ وقعت في أواخر حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فقد أخبر المؤمنين برحيله صلى الله عليه وآله وقال هذا الحديث يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة في السنة العاشرة. وقد تلقفه المسلمون وهناً كبار الصحابة منهم أبو بكر وعمر بن الخطاب الإمام علي عليه السلام بأنه أصبح مولى كل مؤمن ومؤمنة. لكن المسلمين اختلفوا في تفسير هذا الحديث من حيث دلالاته والنتائج التي ترتبت عليه.

فذهبت الشيعة إلى أن النبي الكريم صلى الله عليه وآله قد نصّب علياً خليفة من بعده وعقد له الولاية على حين فسره علماء السنة على أن النبي لم يقصد الولاية الواقعية؛ بل قصد الولاية المعنوية التي تُوجب على المؤمنين حب أهل البيت واحترامهم. ودرس البحث «الحادثة» وزمنها وظروفها وروايتها من جمهور المسلمين، ثم درس نص الحديث للوقوف على ما أراده رسول الله صلى الله عليه وآله من حديثه مشيراً إلى روايات





بقيادة معاوية الكره الشديد لآل البيت الكرام ﷺ بل حاربهم وغمطهم حقهم، ولم يراع فيهم قول رسول الله ﷺ ولم يأخذ بالحسبان ما نزل فيهم من القرآن الكريم. ولم تسلم أرواح الصحابة من هذا الرجل الخطير فقد قتل جمعاً منهم ولم تسلم أرواح آل البيت ﷺ من ابنه يزيد ولم تسلم أسرة الرسول الأعظم ﷺ من الأسر تحت التضليل ودفع الأموال. ولو أخذ المسلمون بتوجيه الرسول ﷺ وأمره، لما حصل ما حصل ولما وصل الأمر إلى غير أهله. أدعو الله أن أكون وفقت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أولاً: الحادثة:

لحادثة الغدير مسميات عدة منها: «حادثة الغدير» و «واقعة الغدير» و «بيعة الغدير» و «عيد الغدير» و «يوم الغدير» استناداً على نقلها، ف«حادثة» تعني الحدث، فالرسول الكريم نزل عليه الوحي، فأوقف الناس. وواقعة معناها أنها وقعت فأصبحت تأريخية وبيعة أنها أصبحت بيعة؛ لأن المسلمين بايعوا الإمام علياً ﷺ فيها بعد أن وقعت، وعيد الغدير بمعنى أنها أصبحت عيداً للمسلمين، ويحتفل الشيعة بها إلى اليوم؛

كونها حسمت النزاع فيمن يتولى خلافة رسول الله ﷺ بنص من الرسول نفسه، كونه أعلن ذلك صراحة أو بنص إلهي في القرآن الكريم بلّغه النبي ﷺ والنص الإلهي هو الذي يؤمن به الشيعة تحديداً.

ويوم الغدير تعني أنها حدثت في يوم واحد جرياً على عادة العرب في «أيامها». تعدّ حادثة الغدير من الحوادث التي أثّرت في تأريخ المسلمين تأثيراً بعيداً، ومع أنها حدثت أمام أنظار المسلمين وكان الرسول الكريم ﷺ موجوداً بين ظهراني المسلمين بحضور مائة وعشرين ألف من المسلمين الذين حضروا مع رسول الله ﷺ منهم من جاء معه من المدينة وهم يقدرّون بسبعين ألف حاج ومنهم من جاء من اليمن مع الإمام عليّ ﷺ بحدود سبعين ألف حاج والباقيون من مكّة والطائف وبقية أمصار المسلمين، ونجد من المؤرخين من يصل بالحاشرين إلى مائتي ألف حاج، وطلب منهم رسول الله ﷺ أن يبلّغوا من لم يكن حاضراً آنذاك، وحدثت هذه الحادثة في السنة العاشرة من الهجرة، وهي آخر سنة لرسول الله ﷺ التي حجّ فيها حجّته الوحيدة والأخيرة - علماً أنه ﷺ اعتمر أربع عمرات في عمره الشريف - ومن المهم أن أذكر هنا أن الرسول الأعظم ﷺ



الغدير يبيّن ذلك بوضوح لا لبس فيه ولا غموض.

في حين يذهب علماء التفسير من غير الشيعة غير هذا المذهب ولا يُلزمون المسلمين بولاية الإمام عليّ عليه السلام ولا بخلافته، ويقولون إنّ حادثة الغدير تعني المحبة لآل البيت عليه السلام فهي موالاة معنويّة لا تتعدّها إلى الحكم السياسي، يقول الواحدي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: لا تراقبن أحداً ولا تتركين شيئاً ممّا أنزل إليك تخوفاً من أن ينالك مكروه بلّغ الجميع مجاهراً به ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ إنّ كتمت آية ممّا أنزلت إليك لم تبلّغ رسالتي يعني: إنّ ترك بلاغ البعض كان كمن لم يبلّغ ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أن ينالوك بسوء قال المفسرون: كان النبي ﷺ يشفق على نفسه غائلة اليهود والكفار وكان لا يجاهرهم بعيب دينهم وسبّ آلهتهم فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فقال: يا رب كيف أصنع وأنا واحد أخاف أن يجتمعوا عليّ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ إنّ الله لا يهدي القوم

قد خطب ثلاث من الخطب العجيبة في حجّته هذه منها خطبة حجة الوداع التي ودّع فيها المسلمين بقوله ﷺ: لعليّ لا ألقاكم بعد عامي هذا. وإذ يصل الرسول الكريم ﷺ مشارف مكة قادماً من المدينة المنورة التحق به الإمام عليّ قادماً من اليمن رحّب به النبي قائلاً: ارجع إلى جماعتك وات بهم وفعلاً رجع الإمام عليّ عليه السلام وقدم مع المسلمين الذين جاؤوا معه من اليمن، وبعد أن أنهى الرسول الكريم ﷺ المناسك قفل راجعاً إلى المدينة المنورة وفي اليوم الثامن عشر وحين تصل وفود الحجيج إلى مفترق الطرق، وكان هذا اليوم شديد الحرّ نزل الوحي على رسول الله بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، لقد اختلف المفسرون من المسلمين في تفسير هذه الآية، فمفسرو الشيعة ينصّون على أنّها نزلت في علي ابن أبي طالب صراحة فهي تأمر النبي ﷺ أن يبلّغ المسلمين بخلافه عليّ عليه السلام بعده وتسليمه كلّ صلاحيات النبي ﷺ والأنبياء عليه السلام من دون مواربة ولا تأويل. فمع أنّ الآية لا تذكر اسم «علي» صراحة إلّا أنّ ما قام به النبي من حديث



الكافرين ﴿ لا يرشد مَنْ كَذَّبَكَ ﴾^(١).

وأنت إذ ترى أن كلام الواحدي لا يذكر هذه الحادثة لا من بعيد ولا من قريب، وهو يتحدث عن «خوف» النبي ﷺ من غائلة اليهود، ونحن نعلن أن نزول هذه الآية في السنة العاشرة من الهجرة وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ تمكن من اليهود ويطش فيهم، وحادثة بني قريظة معروفة، وتمكن من الكافرين والمنافقين أيضاً، ونحن نعلم أيضاً أن رسول الله ﷺ لم يخف من أحد في بداية الدعوة فكيف يخاف ومعه هذا الجمع الهائل من الصحابة! وننقل من المفسرين الآخرين ما يوافق ما قاله الواحدي، فقد قال البغوي: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، رُوِيَ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الآية، وروي

عن الحسن: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا بَعَثَ رَسُولَهُ ضَاقَ ذَرْعًا وَعَرَفَ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُكَذِّبُهُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي عَيْبِ الْيَهُودِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالُوا: أَسَلَمْنَا قَبْلَكَ وَجَعَلُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: تُرِيدُ أَنْ تَتَّخِذَ حَنَانًا كَمَا اتَّخَذَ النَّصَارَى عِيسَى حَنَانًا، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ سَكَتَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾^(٢)، وَقِيلَ: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الرَّجْمِ وَالْقَصَاصِ، نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ الْيَهُودِ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَمْرِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَنِكَاحِهَا، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْجِهَادِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَرِهُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٣)، وَكَرِهَهُ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾^(٤)، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُمَسِّكُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَنِ الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ كَرَاهَةِ بَعْضِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا

١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١ / ٣٢٨ - ٣٢٩.

٢- المائدة: ٦٨.

٣- محمد: ٥.

٤- النساء: ٧٧.



﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِجِيُّ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِمِيُّ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَنَا شُعَيْبُ بْنُ الزُّهْرِيِّ أَنَا سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَيْبِيُّ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ عَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعُصَاةِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنَمَنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلَافًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ ثَلَاثًا»، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ سَلَّ سَيْفَهُ، وَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، فَرَعَدَتْ يَدُ الْأَعْرَابِيِّ وَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى انْتَشَرَ دِمَاعُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِجِيُّ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِمِيُّ أَنَا

بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ ﷺ، قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَأَبُو بَكْرٍ وَبِعْقُوبُ رِسَالَتِهِ عَلَى الْجُمُعِ وَالْبَاقُونَ رِسَالَتَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنْ لَمْ تُبَلِّغِ الْجَمِيعَ وَتَرَكْتَ بَعْضَهُ، فَمَا بَلَغْتَ شَيْئًا، أَيُّ: جُزْمِكَ فِي تَرْكِ تَبْلِيغِ الْبَعْضِ كَجُزْمِكَ فِي تَرْكِ تَبْلِيغِ الْكُلِّ كَقَوْلِهِ: ﴿تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتُكْفِرُ بِبَعْضٍ وَتُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ ^(١)، أَخْبَرَنَا أَنَّهُ كُفِّرَهُمْ بِالْبَعْضِ مُحْبِطٌ لِلْإِعَابِ بِالْبَعْضِ، وَقِيلَ: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، أَيُّ: أَظْهِرْ تَبْلِيغَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ ^(٢)، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَإِنَّ لَمْ تُظْهِرْ تَبْلِيغَهُ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ، أَمْرَهُ بِتَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مُجَاهِرًا مُحْتَسِبًا صَابِرًا، غَيْرَ خَائِفٍ، فَإِنْ أَخْفَيْتَ مِنْهُ شَيْئًا لِحُوفٍ يَلْحَقُكَ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ، ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، يَحْفَظُكَ وَيَمْنَعُكَ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ قَدْ شَجَّ رَأْسُهُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ وَأُودِيَ بِضُرُوبٍ مِنَ الْأَذَى؟ قِيلَ: مَعْنَاهُ يَعِصُكَ مِنَ الْقَتْلِ فَلَا يَصِلُونَ إِلَى قَتْلِكَ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَعْدَ مَا شَجَّ رَأْسُهُ، لِأَنَّ سُورَةَ الْمَائِدَةِ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ. وَقِيلَ: وَاللَّهُ يُخَصُّكَ بِالْعِصْمَةِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعْصُومٌ،

١-النساء: ١٥٠-١٥١.

٢-الحجر: ٩٤.



مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَهْرَ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: كَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ إِذَا سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: وَاللَّهُ يَعِصُمُكَ مِنَ النَّاسِ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْصِرُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾ ^(١) رسول الله ﷺ لعلني في حجة الوداع: «... من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيثما دار، اللهم هل بلغت».

يقول سبط بن الجوزي مؤرخاً حادثة الغدير وسمّاها «قصة»: (اتفق علماء أهل السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع في

الثامن عشر من ذي الحجة جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه... الحديث. نص ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة. وذكر أبو إسحق الثعلبي في تفسيره بإسناده أن النبي ﷺ لما قال ذلك طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصا، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأثاه على ناقة فأثافها على باب المسجد ثم عقلها، وجاء فدخل المسجد فجثا بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله فقبلنا منك ذلك... ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته على الناس، وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أو من الله، فقال رسول الله ﷺ وقد احمرت عيناه، والله الذي لا إله إلا هو إنه من الله وليس مني، قالها ثلاثاً... ^(٢) والذي يلفت الانتباه أن سبط ابن الجوزي - وهو من المتأخرين - قال: اتفق علماء السير بمعنى أن هذه الحادثة قد انتشرت ولم تكن خاصة. ويقول مسلم في صحيحه: (وعن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بهاء يدعى «خماً» بين

١- معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢ / ٦٧.

٢- تذكرة الخواص: ٣٠ - ٣١.



وفي ذخائر العقبي للمحب الطبري، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (كنا عند النبي ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا، الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلى الظهر وأخذ بيد علي، وقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: فلقبه عمر بعد ذلك، فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة» أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه في المناقب من حديث عمر وزاد بعد قوله وعاد من عاداه وانصر من نصره وأحب من أحبه. قال شعبة أو قال وأبغض من بغضه» وعن زيد بن أرقم قال: استشهد علي بن أبي طالب الناس، فقال أنشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا»^(٣).

وأخرج ابن المغازلي الشافعي حديث الغدير بطرق كثيرة، فتارة عن زيد بن أرقم، وأخرى عن أبي هريرة، وثالثة عن أبي سعيد الخدري وتارة عن علي بن أبي

مكة والمدينة فحمد الله ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله... ثم قال وأهل بيتي^(١) ولهذا يقول ابن حجر كما تقدم - «إن حديث الغدير صحيح لا مريّة فيه، ولا يلتفت لمن قدح في صحته ولا لمن رده».

وأخرج الحافظ النسائي في الخصائص: عن زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال: كأني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تحلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض... ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن: ثم أخذ بيد علي (رض) فقال: من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه... فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ قال: نعم، وإنه ما كان في الدوحات أحد إلا ورآه بعينه وسمعه بأذنيه^(٢).

١- صحيح مسلم برقم: ١٧٧.

٢- الخصائص: ٣٩-٤١.

٣- ذخائر العقبي: ٦٧.



المدينة، وهي ميقات أهل مصر والشام^(٢) ودعا بالصلاة وألقى خطبة لم يسمع مثلها. وقد أجمع كثير من أئمة الحديث والتفسير والتاريخ على: أن النبي ﷺ قد جمع الناس يوم غدير «خَم» وذلك بعد رجوعه من حجة الوداع، وكان يوماً صائفاً حتى إن الرجل ليضع رداءه تحت قدميه من شدة الحر، وجمع الرجال وصعد عليها، وقال مخاطباً: (معاشر المسلمين ألسن أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا اللهم بلى. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)^(٣) ومن الأهمية أن أذكر هنا أن الشيخ عبد الحسين الأميني قد ذكر جملة كبيرة من العلماء الذين ذكروا هذه الحادثة، وبعدها ذكر ما سمّاه «واقعة الغدير» تحدّث عن الواقعة ممهداً لها من البداية من انطلاق رسول الله ﷺ ونسائه وأهل بيته وجمع كبير من المسلمين اختلف في عدده على الرغم من حصول مرض الجدري آنذاك في المدينة أو الحصبة. وعدّ الأماكن التي مرّ بها ﷺ ثم صلى ﷺ ولما انصرف من صلاته قام خطيباً وسط

طالب، وعمر بن الخطاب، وابن مسعود وبريدة، وجابر بن عبد الله، وغير هؤلاء. (فعن زيد بن أرقم «أقبل نبي الله من مكة في حجة الوداع حتى نزل ﷺ بغدير الجحفة بين مكة والمدينة فأمر بالدوحات فقم ما تحتهن من شوك ثم نادى: الصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر، وإن منا من يضع رداءه على رأسه وبعضه على قدميه من شدة الرمضاء... إلى قوله: ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ﷺ فرفعها ثم قال: من كنت مولاه فهذا مولاه، ومن كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قالها ثلاثاً^(١)).

ثانياً: نصّ حادثة الغدير:

بعد أن انتهى رسول الله ﷺ والمسلمون من أداء مناسك الحجّ في السنة العاشرة للهجرة انطلق ﷺ والحجيج يرومون الرجوع إلى أهليهم وفي مفترق الطرق يستعد الحجيج للذهاب كلّ إلى بلده أوقفهم الرسول ﷺ في غدير «خَم» وهو موضع بين مكّة والمدينة بالجحفة: وهي قرية كبيرة على ثلاث مراحل من مكة في طريق

١- المناقب: ٢٩ - ٣٦.

٢- معجم البلدان: ٢ / ١١١.

٣- الغدير في الكتاب والسنة: ١ / ٢٩، وقد اعتمد على لفظ جملة من الأئمة منهم ابن قتيبة والشافعي وابن حنبل والباقلاني والشريف الجرجاني والبيضاوي والفتازاني وغيرهم.



القوم على أفتاب الإبل وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال: (الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. أمّا بعد: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير: أنّه لم يعمّر نبيّ غلا مثل نصف عمر الذي قبله. وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً، قال أستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فلإني فرط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضة ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لا تفلتوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبأني

أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا. ثم أخذ بيد عليّ فرفعها حتّى رؤي بياض أباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنّ الله مولاي، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، يقولها ثلاث مرات - وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع - ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب. ثم لم يفرقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي «الآية» فقال رسول الله ﷺ الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالي، والولاية لعلي من بعدي.

ثم طفق القوم يهتّون أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وممن هنأه - في مقدم الصحابة - الشيخان أبو بكر وعمر كلّ يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عباس: وجبت



- والله - في أعناق القوم^(١) والملاحظ على نصّ حديث الغدير الاختلاف في الألفاظ بين مصدر وآخر على عادة كتب الحديث؛ ولكن نصّاً بهذه الخطورة ينبغي التورّع في نقله؛ لأنّه صدر عن رسول الله ﷺ ويخصّ أمراً في غاية الخطورة، وربّما يكون سبباً في تفريق المسلمين وهناك أمر ينبغي التنبّه إليه وهو سؤال النبي ﷺ المسلمين: أيها الناس من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. وهذا لا يعقل، فالمسلمون يعلمون بالآية الكريمة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَ الْكُفْرِ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٢) فكيف يجيبون: الله ورسوله أعلم؟ وينبغي الالتفات أيضاً إلى قضية مهمّة تتعلّق بأمانة النبي ﷺ وهي اختياره للإمام عليّ عليه السلام ليقول له أمام المسلمين ما قاله ﷺ فلا يتعلّق الأمر بكون الإمام عليّ ابن عمّه ﷺ بل لأنّه يستحق هذه المكانة؛ لتضحياته الكبيرة وملازمته رسول الله ﷺ ساعات

العسرة التي مرّ بها طوال حياة رسول الله ﷺ. فللرسول أبناء عمّ آخرين؛ لكنّه لم يقلّ لهم هذا القول أو غيره. وقد فسّر المفسّرون قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٣) بحديث نزول العذاب على النعمان الحارث الفهري الذي رواه الهروي وأبو بكر الموصلي والثعلبي والقرطبي في تفسيره، وغيرهم من أن هذا الرجل جاء بعد أن نصب عليّاً عليه السلام يوم الغدير فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ففعلنه، وأمرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة والصوم فقبلناها منك، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام وفي رواية حتى رفعت بضبع ابن عمك وفضلته علينا، فقلت: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟ قال: والله الذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله، قال: فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) فما استتم كلامه حتى رماه الله بحجر سقط على هامته وخرج من دبره فقتله، فأنزل الله تعالى هذه الآية

١- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة: ١ / ٣٥-٣٦. وآثرت أن أنقل نصّ الأميني -على طوله- لأهميته، فلم يشر الأميني إلى مصدره.

٢- الأحزاب: ٦.

٣- المعارج: ١.



﴿سأل سائل﴾^(١) ومن الآذآ ذآرهم الحآآ آسآآ الشاكرا على أنهم رروا الحآآ القرطبا؁ فآآ قال: وقوله آعالى: سأل سائل بعذاب واقآ قرأ نافع وابآ عامر «سال سائل» بآرا همزة. الباقون بالهمز. فمن همز فهو من السؤال. والباء آآوز أن آكون زائآة؁ وآآوز أن آكون بمعآى عن. والسؤال بمعآى آآعاء; أآ آعا آاع بعذاب; عن ابن عباس وآرا. آقال: آعا على فلان بالولآل؁ وآعا علىآ بالآذاب. وآقال: آعوت زآآاً; أآ آآمسآ آآضاره. أآ آآمس آآمس آذاباً للآافراآ؁ وهو واقآ بهم لا آآالة آوم آآآامة. وعلى آذا فالباء زائآة; كآوله آعالى: آآبآ بالآهن؁ وقوله: وهزآ آلك بآذآ النآلة فهي آأكآ. أآ سأل سائل آذاباً واقآاً للآافراآ أآ على الآافراآ. وهو النضر بن الحارآ آآآ قال: اللهم إن آان آذا هو الآق من عآآ فأمطر علآنا آآارة من السآاء أو آآآنا بعذاب أآآم فنزل [ص: ٢٥٧] سؤاله؁ وآآل آوم بآر صبراً هو وآآبة بن أآ معآط; لم آآآل صبراً آراهما; قاله ابن عباس وآآاهآ. وآقال: إن السائل آنا هو الحارآ بن النعمان الفآرا. وآذلك

أنه لما بلغه قول النبا ﷺ آآى على رآآ الله عنه: «من كآآ مولاآ فعلى مولاآ» رآب ناآآه فآآآ آآى أنآآ رآآآه بالآبطآ آم قال: آا آآآ؁ أمرآنا عن الله أن نشآ أن لا إله إلا الله وأنآ رسول الله فآآلناه منك؁ وأن نصلآ آمساً فآآلناه منك؁ ونزآآ أموالنا فآآلناه منك؁ وأن نصوم شهر رمضان آى كل عام فآآلناه منك؁ وأن نآآ فآآلناه منك؁ ثم لم آرض بهآآ آآى فآآآ ابن عمك علآنا! أ فهآآ شآء منك أم من الله؟! فآال النبا ﷺ: «والله الآذآ لا إله إلا هو ما هو إلا من الله». فولى الحارآ وهو آقول: اللهم إن آان ما آقول آآآ محمد آقاً فأمطر علآنا آآارة من السآاء أو آآآنا بعذاب أآآم. فوالله ما وصل إلى ناآآه آآى رماه الله بآآر فوقع على آماغه فآآر من آبره فآآله; فنزل: سأل سائل بعذاب واقآ الآآة. وآقال: إن السائل آنا أبو آهل وهو القائل لآلك؁ قاله الرآآع. وآقال: إنه قول آآاعة من كآار قرآش. وآقال: هو نوح ﷺ سأل العذاب على الآافراآ. وآقال: هو رسول الله ﷺ أآ آعا ﷺ بالآقاب وآآلب أن آوقعه الله بالآفار; وهو واقآ بهم لا آآالة^(٢) فهو آآآآ عن آذه الآآآة

١- على آى الآآاب والسآة: ١ / ٨٨ - ٩٠.

٢- آفسآر القرطبا: ١٨ / ٢٥٦.



يوم بدر ووالد المذكور قتله الإمام عليؓ صبراً يوم بدر بأمر من رسول الله ﷺ. ولم يذكر العلماء الآية (سأل سائل) هي آخر ما نزل من القرآن الكريم أو بعد ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾. بل قالوا أقولاً: القول الأول: أن آخر آية نزلت هي آية الربا، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)، روى ذلك البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

القول الثاني: أن آخر آية نزلت آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢)، رواه النسائي عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

القول الثالث: أن آخر آية نزلت آية الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ

فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

فقد روي عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين. وقد جمع بين هذه الروايات الثلاث بأن هذه الآيات نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، فروى كل واحد بعض ما نزل بأنه آخر ما نزل.

القول الرابع: أن آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤). وهنالك أقوال أخرى منها آية الكلاله، كما روى ذلك الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما. ومن

١- البقرة: ٢٧٨

٢- البقرة: ٢٨١

٣- البقرة: ٢٨٢

٤- المائدة: ٣



الله بن جعفر - قلت: خلفته يلعب مع أترباب له. قال: لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت: خلفته يمتح بالقرَّب على نخیلات من فلان وهو یقرأ القرآن. قال: یا عبد الله عَلَيَّ دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أن رسول الله نص عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك أني سألت أبي عما يدعيه فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره ذرؤٌ من قولٍ لا يُثبت به حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يرجع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمَنَعْتُ من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام. لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وَلِيَهَا لانتقضت عليه العرب من أقطارها. فعلم رسول الله أني علمت ما في نفسه فأمسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم^(٢).

ومما يؤخذ من هذه الروايات أن قضية بيعۃ الغدير نُظر إليها من زوايا مختلفة، ففي النظرة الأولى نجد الصحابة يُهتَنون الإمام علي بآنه مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنهم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر بن الخطاب، وفي النظرة الثانية ترى عمر

أحسن ما قيل في هذا الاختلاف قول من قال: هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، ويحتمل أيضاً أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب. والله أعلم^(١) والواقع أن الخليفة الثاني برَّر ذات مرة اتهامه للنبي (بأنه قد غلبه الوجد) بأنه لم يكن يرى مصلحة في استخلاف النبي للإمام علي.. فقد جاء في شرح ابن أبي الحديد: روى أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد مسنداً عن ابن عباس قال: دخلت على عمر في أول خلافته وقد أُلقي له صاع من تمر على خصفة، فدعاني إلى الأكل فأكلت ثمرة واحدة، وأقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جرٍّ كان عنده واستلقى على مرفقة له وطفق يحمده الله يكرر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد. قال: كيف خلفت ابن عمك - فظننته يعني عبد

١- آخر الآيات نزولاً من القرآن الكريم، مقال على شبكة المعلومات الدولية.

٢- الإمام علي: ٢٤.



يقول: قد غلبه الوجد وإته ليهجر، وفي النظرة الثالثة يتوجس خيفة من الإمام عليّ ويسأل إن كان في نفسه شيء من أمر الخلافة أم لا؟ ويحمل المسؤولية بقوله هو الذي منع رسول الله ﷺ من كتابة شيء في «أمر الخلافة» كما ظنّ باحثون؛ لأنهم لا يستطيعون القطع بأن النبي ﷺ أراد أن يوصي عليّ باسمه صراحة، معتمدين على المنع، والدليل على هذا أن الرواة من المسلمين حفظوا اثنتين من وصايا النبي ﷺ و«نسوا» الثالثة. وفي النظرة الرابعة كيف تسنى لعمر بن الخطّاب أن يعرف أن العرب تنتفض على الإمام عليّ إن ولي الأمر؟ والسؤال الذي ينبغي أن يطرح: لم لا يريد المسلمون تولية الإمام عليّ ما دام الرسول الكريم ﷺ قد قال ما قال في الغدير؟ وهل يتحملون مخالفة الرسول في أواخر حياته مع أنهم أطاعوه في بداية الدعوة وما تلاها، وتحملوا ما تحمّلوا في سبيل نشر الدين الحنيف؟ وقد أجابوا بالطاعة عند سماعهم كلام الرسول الكريم ﷺ والسؤال الآخر الذي ينبغي أن يطرح: لم يختلف المسلمون الآن في حادثة تاريخية قد مضت عليها قرون، فالمسلمون الأوائل قدّموا ثلاثة من الصحابة على الإمام عليّ في خلافة المصطفى الكريم ﷺ

ثمّ بُويع بالخلافة بعد حصار عثمان بن عفّان الذي انتهى بمقتله، ف«المنطق» يقول: إن تقارب المسلمين وتآلفهم أهم بكثير من الخلاف الذي يريده أعداء الإسلام، وقد أجهّد النبي ﷺ نفسه في سبيل هذا الهدف وجاء الأمر الإلهي الذي ينسجم مع دعوة النبي ﷺ والهدف من بعثته الشريفة بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢) وإن لم يحصل التآلف فعلى المسلمين أن يتركوا الخلاف إلى العلماء وإن يُجَنَّبَ عمّة الناس منه لئلا تقع الفتنة التي لا تبقي ولا تذر - والعياذ بالله -

ثالثاً: أهمية الغدير والعناية به:

وبناء على ما تقدّم فإنّ حادثة الغدير من أهم القضايا التي شغلت المسلمين في التاريخ، ولا سيّما إذا ما عرفنا أن طائفة من المسلمين تحتفل بهذه الحادثة،



وتعدّها عيداً لها وتسميّه «عيد الغدير الأكبر» وذكرها كبار المفسرين والمؤرخين من المسلمين بمختلف المذاهب الفقهيّة، فليس بمندوحة عن المؤلّف (أنّ يذكرها بسيطة عندما يسرد تاريخ أمة كبيرة كهذه أو يشفعها بما يرتئيه حول القضية من غميرة في الدلالة، إنّ كان مزيج نفسه النزول على حكم العاطفة، وما هنالك من نعرات طائفته، على حين أنّه لا يتسنّى له غمزٌ في سندها، فإنّ ما ناء به نبي الإسلام يوم الغدير من الدعوة إلى مفاد حديثه لم يخلف فيه اثنان، وإنّ اختلفوا في مؤداه؛ لأغراض وشوائب غير خافية على النابه البصير)^(١)

وقد ألمح الأميني - بعد أن ذكر طائفة من العلماء الذين أثبتوا يوم الغدير - إلى وجوب الالتزام بالموضوعيّة بقوله: (فوجب الباحث أن يسبر هذا الغور متجرّداً عن النعرات الطائفيّة، غير متحيّز إلى فئة، متزحزحاً عن عوامل الحبّ والبغض، ونصب عينيه مقياساً من أصول مسلمّة، يقابل به صفحة التاريخ، فإنّ طالته أو قصرت عنه رفضها، وإنّ قابلته مقابلة المثل بالمثل اعتمد عليها)^(٢)

وتكمن أهميّة «عهد الغدير» في الزمن الذي حدثت فيه تلك الحادثة في السنة العاشرة للهجرة واضطر النبي ﷺ أن يوقف الحجيج تحت (رمضاء الحجاز في حرارة الهجير نادياً القوافل قبل فوات الأوان أن لا يفترق فيهم أحد ويعجل المتأخر منهم فإن في الأمر خبر عظيم لا يقبل التأخير ولا يحتمل التهاون. نعم في الأمر مستقبل الأمة إلى قيام يوم الدين، بل في الأمر حصاد الماضي وحياة الحاضر ومستقبل الآتي)^(٣) فهو زمن حاسم من حياة الرسول الكريم ﷺ يعد عن بعض المسلمين استمراراً لمنهج النبوة، فعليّ ﷺ خير من يمثل هذا المنهج ويستطيع المحافظة عليه (وإن ما أعلن يوم الغدير الأكبر، يوم الثامن عشر من ذي الحجّة، من العام العاشر للهجرة ما هو إلا استمراراً لعهد الله. وتأكيداً لاكتمال الرسالة بالولاية. ومواصلة نهج الأنبياء والرسل)^(٤) ومن الجدير بالذكر أنّ الحاج أحمد مصري قد أشار إلى أنّ «حادثة الغدير» ليس بها حاجة إلى «سند»؛ لعلّوا مضمونها، فعلّوا المضمون كافٍ في الاطمئنان بصدورها عن أئمة البيان

١- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١ / ٢٦. ثم ذكر طائفة من العلماء الذين ذكروا هذا الحديث.

٢- م. ن: ١ / ٢٣ - ٢٤.

٣- الغدير: ١٠١.

٤- الغدير: ١٠٣.



و(كفاية علو المضامين؛ فإنه لو قال أحمد مَن لا حظ له في ذوق مضامين الرواية وإنه لم يحصل له الاطمئنان بصدورها عن أئمة البيان. بحجة أن علو المضمون المفيد للاطمئنان ليس له ضابطة. فإننا عمدنا إلى تحصيل التواتر اللفظي كما سترى أو المعنوي لكل مقطع من مقاطع الخطبة وعلى الأقل إلى الإتيان بشواهد من روايات معتبرة لكل مقطع من مقاطعها أو لأغلب مقاطعها. وبالتالي نصبح غير محتاجين إلى ذكر السند أصلاً ثم إن الحلّي في كتابه «اليقين» قال عند ذكر الخطبة: نرويه برجالهم - أي رجال أهل السنة ليكون حجة عليهم - الذين ينقلون لهم ما ينقلونه من حرامهم وحلالهم والمدرّك فيما ذكره عليهم. وذكر السند ثم ذكر الخطبة بكاملها وهذا الكلام يجدر التوقف عنده لم يحو من دلالات وملازمات عند المنصف المتأمل^(١) فتأتي أهمية هذا الكلام ؛ للمحافظة على هذه الخطبة في هذه المناسبة؛ لأن كتب المسلمين من المذاهب الأربعة يشككون في «سند» هذه الخطبة الخاصة بتولية الإمام عليّ عليه السلام مع أنهم يروونها بالفاظ مختلفة، ولا يُنكرون حديث

رسول الله ﷺ في فضل الإمام عليّ وأمانته وعدله. ويعتقد باحثون أن علماء السنة إنما يذكرون الأمور بشكل غامض ويقولون: إن رسول الله ﷺ بيّن في هذه الخطبة أشياء؛ لكنهم لا يذكرون تلك الأشياء (مع أنهم يشيرون إلى عظمتها وأهميتها وذكر من فضل عليّ وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه... وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه... وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة... سبحانه الله كيف يوصف قول رسول الله ﷺ بأنه عظيم وأنه أزاح فيه كثيراً من الشبهات ولم يحرصوا على كتابته وبيانه للأئمة؛ بل ما ذكروه من مقاطع تلك الخطبة عمد ابن كثير وغيره إلى تأويله بأمور واهية لا تخفى على ذي بصيرة^(٢) ولو نقل الحاج أحمد مصري ما قاله ابن كثير لكان أجدى بالمعرفة؛ حتى يطّلع القارئ على الحقائق من مصادرها الأصلية. وحينما رجعت إلى تفسير ابن كثير المعروف ب«تفسير القرآن

١- الغدير: ١١٠، وظ: ١٠٨.

٢- الغدير: ١١١.



العظيم» وجدته قد نقل الحديث ونقله في البداية والنهاية أيضاً^(١) وقد انعكست هذه الحادثة على بعض المسلمين وألقت بظلالها على الآخرين، يوضح ذلك ما جاء من خبر بعض رجال الأنصار، ومنهم أبو أيوب الأنصاري فقد روي (عن يحيى بن آدم (ثقة) عن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا. فقال: كيف أكون مولاكم، وأنتم قوم عرب؟، قالوا: سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فهذا مولاه. قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري «ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الرابع ص ٣٤٠ وعلق عليه (قلت: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات)، وكذا علق عليه محقق كتاب فضائل الصحابة وصي الله بن محمد عباس بقوله (إسناده صحيح)^(٢) وأورد الحافظ الثقة إبراهيم بنديزيل: (حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي (وهو ثقة من رجال البخاري كما قال الألباني في الإرواء ج ٤ ص ١٩٤)، قال: حدثنا ابن فضيل (ثقة محتج به في الصحيحين كما

قال للألباني في الصحيحة ج ٢ ص ١٩)، قال: حدثنا الحسن بن الحكم النخعي (ثقة)، عن رباح بن الحارث النخعي (ثقة)، قال: كنت جالساً عند علي رضي الله عنه، إذ قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال لهم: أو لستم قوما عرباً! قالوا: بلى، ولكننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. قال: فلقد رأيت علياً رضي الله عنه ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا. ثم إن القوم مضوا إلى رحلهم فتبعتهم، فقلت لرجل منهم: من القوم؟ قالوا: نحن رهط من الأنصار، وذاك - يعنون رجلاً منهم - أبو أيوب صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأتيته فصافحته. «أقول: أما متنه فلا يحتاج إلى بيان. أما سنده، فالإنصاف أن الألباني وإن وثق (يحيى بن سليمان) إلا أن ابن حجر في التقریب قال عنه في التقریب (صدوق يخطئ)، ولا منافاة بين الأمرين، فنترك تقييم هذه الكلمة (صدوق يخطئ) لأستاذ هذا الفن وهو نفس ناصر الدين الألباني حيث قال في تمام المنة ص ٢٠٣: قوله (صدوق يخطئ)

١- تفسير القرآن العظيم: ٤ / ، والبداية والنهاية: ٥: ٢٢٩.

٢- من فضائل الصحابة: ٢ / ٧٠٧ برقم: ٩٦٧. وظ: السلام عليك يا أمير المؤمنين، مقال على شبكة المعلومات الدولية.



ليس نصا في تضعيفه للراوي به، فإننا نعرف بالممارسة والتبع أنه - ابن حجر - كثيراً ما يحسن حديث من قال فيه مثل هذه الكلمة «فاتضح إلى هنا أن الحديث حسن الإسناد محتجبه بلا ريب، وهو حكم الألباني على حديث آخر ذكره في الصحيحة ورقمه ١٨٧٨ وكل رجاله ثقات ما عدا (يحيى بن سليمان) فحسن الألباني الحديث وقال: قلت: وهذا إسناد حسن. رجاله ثقات رجال البخاري، إلا أنهم تكلموا في حفظ ابن سليمان» فالحديث حجة بلا ريب^(١) وحينما يسلم وفد من الأنصار على الإمام عليّ بهذا التسليم يعني معرفتهم بالحديث وبذيوعه وهم من المدينة، ويستغرب أن لا يعرف الإمام ذلك إذ يقول لهم: أنا مولاكم وأنتم عرب؟ فالأقرب أنه عليه السلام أراد تثبيت الفكرة لدى الآخرين الذين حضروا مجلسه عند مجيء الأنصار (أما دلالة الحديث فواضحة، هذا أبو أيوب الأنصاري وبعض الأنصار من الصحابة سلموا على أمير المؤمنين عليه السلام بولايته عليهم، وعندما سمع الإمام عليه السلام قولهم الذي تناساه كثير من الناس ضحك روي فداها، فانتهازها فرصة ليذكر ويؤكد لمن حوله مقامه من

المؤمنين، فاستدرج الإمام علي عليه السلام هؤلاء نفر من الأنصار بسؤاله ضاحكا عن هذا علة إطلاق هذا النعت (مولانا) الذي تضمن إقرارهم على أنفسهم بأنهم موالي وعبيد له مع أن هذا النعت لا يصدر إلا من عبد حبشي غير عربي فكيف يصدر منكم وأنتم من العرب، فقالوا إن هذه المولوية ثبتت لك في غدير خم عندما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فهذه الكلمة (مولانا) وإن كانت لا تصدر إلا من العبد لسيدته الأولى به من نفسه، ولكنها لك في الحقيقة لأنا صرنا لك في غدير خم كما كنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة العبيد والموالي، أي أنت أولى بنا من أنفسنا كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بنا من أنفسنا بمفاد قوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٢) وبعد أن استدرجهم الإمام عليه السلام بسؤاله وذكروا له السبب، توصل الإمام علي عليه السلام لبغيته من استدراجهم فقال لمن حوله اشهدوا على اعتراف هؤلاء الصحابة بأنني أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، بمفاد حديث الغدير^(٣) فهذه الأصداء تثبت بما لا يقبل الشك أن واقعة الغدير قد وقعت فعلاً

١- وقعة صفين: ١٦٥-١٦٦.

٢- الأحزاب: ٦.

٣- السلام عليك يا أمير المؤمنين: مقال على شبكة المعلومات الدولية.



وتثبت أن المسلمين - أو بعضهم - قد عرفوا فعلاً أن الإمام علي صار مولا لهم - كما أن رسول الله ﷺ مولا لهم. والقضية - من دون شك - تحمل الاحترام لشخص الإمام علي وحفظ مكانته وتضحياته للإسلام ولرسوله الكريم ﷺ وتوجه المسلمين إلى تلك الشخصية الأمانة المهيأة لقيادة الأمة والأخذ بيدها إلى ما يرضي الله والمحافظة على عزّها وكرامتها. وقبل أي شيء ذكر اسم الإمام علي عليه السلام على لسان رسول الله ﷺ يعني الشيء الكثير، فرسول الله ﷺ لا يذكر مثل هذه الأشياء العظيمة التي تخص مصير الأمة في سنته الأخيرة من عمره الشريف اعتباطاً أو مجاملة أو محابة لقريبه وصهره، فرسول الله أعمام وله أبناء عمومة وله أقارب، لكنّه خصّ علياً عليه السلام لفرادته ومكنته وعدالته فضلاً عن المزايا الأخرى التي تمتّع بها عليه السلام. وفي الحقيقة أن ما قيل عن عدم كفاءته بالسياسة وهي فكرة روج لها معاوية والأمويون تحديداً فلا يعتدّ بها؛ لأن السياسة المقصودة - هنا - المكر والخديعة و«فن الممكن» مثلما نرى اليوم، وهذه الأمور برمتها بعيدة كلّ البعد عن شخصية عظيمة واضحة صادقة وهي شخصية علي عليه السلام فليس به حاجة للخداع وغيره ما دام على سنة رسول الله ﷺ

ويتهدي بهديه.

رابعاً: الدلالات والنتائج:

إن أهمية الغدير تؤدّي - منطقيّاً - إلى دلالات ونتائج، وقد مرّ علينا جملة من دلالات الغدير أفضت إلى اختيار الإمام علي عليه السلام خليفة وولياً ومولى للمسلمين، ومعنى المولى السيّد الذي يكون أولى من المؤمنين من أنفسهم كرسول الله ﷺ وهذه المعاني وتبعاتها الشرعية آمن بها الشيعة من دون غيرهم من المسلمين، كقول أحدهم: (أما دلالة الحديث فواضحة، هذا أبو أيوب الأنصاري وبعض الأنصار من الصحابة سلموا على أمير المؤمنين عليه السلام بولايته عليهم، وعندما سمع الإمام عليه السلام قولهم الذي تناساه كثير من الناس ضحك روي فداه، فانتهازها فرصة ليذكر ويؤكد لمن حوله مقامه من المؤمنين، فاستدرج الإمام علي عليه السلام هؤلاء النفر من الأنصار بسؤاله ضاحكاً عن هذا علة إطلاق هذا النعت (مولانا) الذي تضمن إقرارهم على أنفسهم بأنهم موالى وعبيد له مع أن هذا النعت لا يصدر إلّا من عبد حبشي غير عربي فكيف يصدر منكم وأنت من العرب. فقالوا إن هذه المولوية ثبتت لك في غدير خم عندما قال رسول الله ﷺ (من كنت مولا فهذا



علي مولاة) فهذه الكلمة (مولانا) وإن كانت لا تصدر إلا من العبد لسيدته الأولى به من نفسه، ولكنها لك في الحقيقة لأننا صرنا لك في غدير خم كما كنا لرسول الله ﷺ بمنزلة العبيد والموالي، أي أنت أولى بنا من أنفسنا كما كان النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا بمفاد قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(١) وبعد أن استدرجهم الإمام ﷺ بسؤاله وذكروا له السبب، توصل الإمام علي ﷺ لبغيته من استدرجهم فقال لمن حوله اشهدوا على اعتراف هؤلاء الصحابة بأي أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما كان رسول الله ﷺ كذلك، بمفاد حديث الغدير. فيتضح أن الشيعة عندما فهموا قوله ﷺ (من كنت مولاة فهذا علي مولاة) بأن الإمام علي ﷺ أصبح أولى بالمؤمنين من أنفسهم، كان هو المعنى الصحيح والمستفاد من الروايات الصحيحة عند أهل السنة، وهو بعينه الذي فهمه الصحابة من هذا الحديث الشريف، والفهم والعلم شيء والتطبيق والإيمان شيء آخر^(٢). ويعني الغدير عندهم «عيد الله الأكبر» واستقر في كتب علماء الشيعة المتقدمين والمتأخرين

على أن الذي لا يؤمن بولاية علي ﷺ خالد خلّ في النار: («.. واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده - عليهم السلام - أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحداً ممن بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد ﷺ»، وينقل حديثاً منسوباً إلى الإمام الصادق أنه قال: «المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا». وينسب أيضاً إلى النبي ﷺ - أنه قال: الأئمة من بعدي اثنا عشر؛ أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني^(٣)، والأمر موجود عند علماء الشيعة المحدثين كالسيد الخوئي رحمه الله وهو أكبر فقيه لدى الشيعة، والسيد السيستاني وهو على قيد الحياة ومرجع الطائفة الشيعة الأعلى في موقعيهما «الإلكترونيين». أمّا عند السنة فالأمر يختلف، فلم يتفقوا على دلالة واحدة، فعند بعض علماء التفسير والتاريخ نظروا إلى هذه الحادثة نظرة مغايرة، فقد رووها

١- الأحزاب: ٦.

٢- المقالة على شبكة المعلومات الدولية.

٣- رسالة الإعتقادات: ١٠٣. وظ: بحار النوار: ٢٧ / ٦١ - ٦٢. وروى المفيد والحلي وغيرهما من كبار علماء الشيعة مثل هذا.



مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ^(٢)

أما ما يعتقد به الشيعة من أن نصّ الولاية هو تنصيب إلهي نزل من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ^٣﴾ فإن الله لا يخص الإمام علي عليه السلام ولم تذكر اسمه صراحة، وتحدث فيها المفسرون الكبار كالقرطبي وغيره في أنها نزلت باليهود حين كان الرسول الكريم ﷺ يخشى من التبليغ العلني، فنزلت هذه الآية تحته ﷺ بالإبلاغ وبأن الله تعالى حاميه وعاصمه من الناس وهي تعود إلى زمن قبل زمن السنة العاشرة من الهجرة التي حدثت فيها بيعة الغدير ومن يراجع كتب التفسير يجد هذا واضحاً جلياً. لكن الحديث يذكر فضل علي عليه السلام وسابقتها في الإسلام وبأن مولى المسلمين احتراماً له وتكريماً على ما بذله من جهود عظيمة في الدفاع عن الإسلام وعن شخص الرسول الأكرم ﷺ ولا تعني بأي حال ولايته السياسية في الحكم.

وصدّقوا بها على غرار الشافعي وابن حنبل وابن ماجة والترمذي والنسائي من أئمة الحديث، وعلى غرار الطبري صاحب التفسير والتاريخ^(١)، ألا أن هؤلاء الأعلام وغيرهم من كبار علماء السنة رَوَوْا الحادثة بألفاظها مثلما يروونها علماء الشيعة، ولكنهم يرون أن ما رآه الشيعة يعدّ من المغالاة؛ كونهم - أي الشيعة - يسبون الصحابة الكبار وينالون منهم في أثناء حديثهم عن تلك الحادثة، نلاحظ ذلك جلياً عند الحنابلة ومهاجمتهم الطبري المفسر المؤرخ واتهامه بـ «الرفض»؛ لأنه يميز «مسح» القدمين وروى «فضائل علي بن أبي طالب». ويرون «إجمالاً» في نصّ حديث الرسول الكريم ﷺ ما يفيد بـ «الولاية» المعنوية وما يندرج تحتها من حبّ لآل البيت عليه السلام وهم يقولون «من منا من لا يحب آل البيت، فالشافعي قال شعراً:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ
فَرَضَ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْتُمْ

١- ظ: قراءة في كتاب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام لمحمد بن جرير الطبري، مقال على شبكة المعلومات الدولية، روى فيها كثيراً مما يتعلق بحادثة الغدير.

٢- ديوان الشافعي: ١٢٠.

٣- المائدة: ٦٧.



وفي الحقيقة أنهم ذهبوا إلى أكثر من ذلك في أن علياً عليه السلام كان لا يُجيد السياسة، وقد ذكرت هذا في البحث أثناء البحث؛ لكنني أضيف إلى أن الباحثين يخلطون المصطلحات في أحيان كثيرة، فحين «يقارنون» الإمام عليّ بمعاوية يقولون هذا القول، وهذا أمرٌ خطير ينبغي أن يلتفت إليه المسلمون والمؤرخون، إذ لا تصحّ المقارنة -هنا- أصلاً، فالإمام عليّ من أهل البيت، وهو الإمام الأول والمقدم على بقية أهل البيت، فهو أفضل من سيّدة نساء العالمين عليه السلام مع أنها أفضل من الإمامين الحسنين عليه السلام معاً، فلا يوجد أحد يتقدم علياً عليه السلام في فضله هذا، وبقية الصحابة هم أصحاب المصطفى الكريم عليه السلام وهم على العين والرأس؛ لكنهم لا يتقدمون على الإمام عليّ في شيء، وهذه سيرتهم تثبت احترامهم الكبير لشخص الإمام -من دون مواربة- فهم غير مضطرين لها لكنهم يعلمون من رسول الله ﷺ تقدمتهم له، وفي الحقيقة تروي كتب السنة هذا حتى أنها روت حادثة الغدير ونصّ رسول الله ﷺ على الإمام عليّ كاملاً فقد نقلها أئمة الحديث ومؤرخو السنة النبوية قاطبة وما قاله الخلفيتان: أبو بكر وعمر في تهنئة الإمام علي عليه السلام وبأنه أصبح

مولي كل مؤمن ومؤمنة على أيهما من مناقب الصحابة وتآلفهم وبأن لا خلاف بينهم، بل كانت المحبة والاحترام هي التي تجمعهم. وكلنا يعلم كم كان الإمام عليّ يأتي إلى دار الخلافة زمن الخليفة عمر بن الخطاب ويحلّ المشاكل التي تواجه الخلافة، وكان الإمام يُشير على الخليفة بما يخدم المصلحة العامة للمسلمين، وكان الخليفة يأخذ برأي عليّ عليه السلام من دون بقية الصحابة في أمور الأموال وغيرها. والخليفة يقدم له الاحترام بأقوال مأثورة وردت عنه من مثل: أطال الله بقاءك يا أبا الحسن و: قضية ولا أبا حسن لها وغيرها من القوال التي تنم عن احترام الخلافة لشخصه الكريم عليه السلام وحرصه على مقومات الدولة. وهذا يندرج في محبة المسلمين -عموماً- لبيت رسول الله ﷺ وهم الثقل الثاني بعد القرآن الكريم.

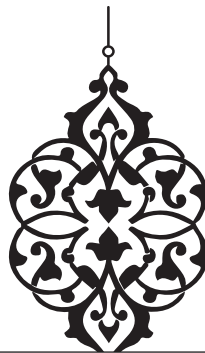
ومع هذا فتتأجج هذا الحديث لم تكن - كما أرادها رسول الله ﷺ - ومع أنه لم يطلب أجراً بمقابل رسالته إلا محبة أهل بيته، إذ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١)

١- الشورى: ٢٣. مع أن الطبري فسّر القرابة بأنها تلك التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش. ظ: تفسير الطبري:



وقع المسلمون في إشكال في التعامل مع أهل البيت عليهم السلام فلم يحفظ الحُكَّام قرابة رسول الله ﷺ ولا سيَّما الأمويون منهم. وما وصل به الحال مع أهل البيت عليهم السلام معروف متداول. فقام الأمويون يفضلون أنفسهم على بيت النبوة ابتداءً من معاوية فقد أظهر معاداته لهم وبخسهم حقهم بطرق مختلفة وأساليب ملتوية. وبما أنَّ التاريخ مرَّ وانتهى فينبغي أن لا يقف المسلمون أمام هذه الحوادث لا يستطيعون تحطُّبها، بل يجب عليهم أن يحتكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ في أي نزاع وأن

لا يتصرفوا بأي شيء خارج حدِّه القرآن لهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١) فحفظ الرسالة المحمدية واجب شرعي لا يصحَّ التضحية بها من أجل الخلاف غير العلمي ومن أجل التعصُّب الذي يذهب بوحدة المسلمين، فلا يفيد أحدٌ من هذا الخلاف غير أعداء المسلمين.





الخاتمة:

يمكن إجمال النتائج التي توصل إليها البحث بالآتي:

إنّ حادثة الغدير قد وقعت فعلاً وقد روتها كتب التاريخ وكتب الحديث وكتب السير.

يمكن أن تستثمر هذه الحادثة في وحدة المسلمين لو اجتمعوا على كلمة واحدة عن طريق توجيه النبي ﷺ أنظار المسلمين نحو رجل عُرف بتقواه وعدالته، ذلكم هو عليّ بن أبي طالب ؑ.

فسّر علماء السنّة الكبار حادثة الغدير بأنها تمثّل أبهى آيات الاحترام التي يكتّنها صحابة الرسول الكريم ﷺ لآل بيته ﷺ بسلامه على عليّ ؑ بـ «مولانا»

فسّر علماء الشيعة هذه الحادثة على أنّها أمر إلهيّ بتنصيب الإمام عليّ ؑ على أنّه خليفة رسوله ﷺ ومن نازعه فيه أو لم يعتقد بولايته فهو كافرٌ ومخلّد في النار.

نظر علماء السنّة من أهل الحديث والتاريخ وأصحاب السنن أنّ حادثة الغدير تمثّل حدثاً تاريخياً عظيماً يوجّه المسلمين بإيلاء المحبة لآل البيت الكرام ﷺ.

يعتقد علماء السنّة أنّ نصّ النبي ﷺ يوم الغدير لا يمثّل أمراً إلهياً بمبايعة الإمام عليّ خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ بل هو أمرٌ بالمحبة والولاية المعنويّة، وليست الولاية الواقعيّة السياسيّة يمكن ملاحظة احترام المسلمين الكبير لآل البيت ﷺ عن طريق ما سجّله كتب المسلمين سنّة وشيعة، وهو ما أظهره حديث الغدير من نتائج في هذا الصدد فضلاً عن الأحاديث الأخرى الواردة من رسول الله ﷺ في فضل أهل بيته.

إنّ الذي «حرف» المسلمين عن أهل البيت ﷺ ونازعهم حقّهم أفراد البيت الأموي ولا سيما معاوية

لم تكن نتائج حديث الغدير إيجابيّة بشكل كامل، فقد غمط البيت الأمويّ حقّ أهل البيت بحجج وذرائع غير حقيقيّة.

ينبغي على المسلمين الالتفات إلى خطورة معاوية تحديداً وما فعله باهل البيت ﷺ والمسلمين عامّة، فقد قتل جمعاً من الصحابة الأجلاء.





المصادر والمراجع

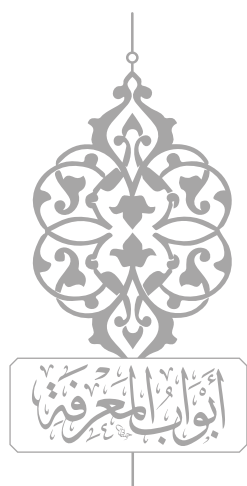
- القرآن الكريم.
- الإمام علي قدوة وأسوة، محمد تقي المدرسي، الناشر مركز العصر، بيروت، ١٤٣١هـ.
- تذكرة خواص الأمة، سبط ابن الجوزي، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٤ م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، ط ٢ ١٩٦٤ م.
- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الحافظ النسائي، تحقيق السيد جعفر الحسيني، دار الثقلين، قم، ط ١ ١٤١٩هـ.
- ديوان الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأهلية، القاهرة، ط ٢ ١٩٨٥ م.
- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٣٦هـ.
- رسالة الاعتقاد، محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي الصدوق، الناشر مركز ايران، ١٤٣٩هـ.
- علي في الكتاب والسنة، الحاج حسين الشاكري، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، ط ١ ١٩٩١ م.
- علي وحقوق الإنسان، جورج جرdaq، تقديم ميخائيل نعيمة، الناشر العتبة العلوية المقدسة، ط ١ ٢٠١٢ م.
- الغدير، رحلة التاريخ والمستقبل، الحاج أحمد مصري، راجعه وقدم له وعلق عليه الشيخ قاسم محمد مصري العاملي، دار الغدير، قم، ط ١ ٢٠٠٤ م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، المحقق عبد الرزاق المهدي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ ١٤٢٠هـ.
- موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري، نشر الهادي، قم، ط ١ ١٤١٥هـ.
- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني، تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الناشر مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ط ٢، ٢٠٠٤ م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، ط ١ ١٩٩٥ م.
- يوم الغدير الأغر، السيد رضا الصدر، راجعه وعلق عليه السيد مرتضى الرضوي، مكتبة النجاح، طهران، ط ٢ ١٩٩٩ م.



واقعة بيع الغدير في الفكر الاستشراقي

الباحثة نور الهدى جابر جواد







مقدمة:

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وسلم، وأنّ علياً ولي الله والإمام بعد نبي الله.

أمّا بعد:

فإنّ قضية الغدير من أهم القضايا الإسلامية، وأشدّها خطورة؛ لأنّها تمثّل المحور الأساس الذي يتم عن طريقه تحديد الاتجاه العقائدي العام للفرد المسلم.

إنّ الدراسات التي كتبها المستشرقون حول الإمام علي (عليه السلام) كثيرة جدّاً، تناولت مختلف المجالات المتعلقة بحياة الإمام علي (عليه السلام)، وقد تنوعت طرق الكتابة في تلك المجالات، فكان لا بدّ من تناول هذه الدراسات بالتحليل والنقد؛ لأنّ فيها كثيراً من الطعن والاتهام لشخص الإمام (عليه السلام) مما يشكك بموضوعيّة ومصادقيّة هؤلاء المستشرقين.

فقد ذكرت تلك الدراسات أموراً غير دقيقة تتعارض مع كثير من النصوص الثابتة بروايات تاريخيّة أو أحكام فقهية.

الاستشراق: ظاهرة ثقافيّة ومعرفيّة لاكتشاف ثقافة وفلسفة وأديان وفنون وعلوم ولغات وعادات الشرق وكلمة الاستشراق لغة: التوجه إلى لشرق أي استشرق اتجه نحو الشرق وانتسب إليه.

وفي المفهوم الاصطلاحي: طلب علوم الشرق واتجاه للتخصّص في معرفتها، والمستشرق هو المتخصّص في علوم الشرق وحضارته وآثاره وفنونه^(١).

والمستشرق كذلك مؤرخ، ومن الواضح أنّه ليس كل المؤرخين يتمتعون بالنزاهة والموضوعيّة، فبعض يبغى تحريف الوقائع التاريخيّة بهدف طمس الحضارة الإسلاميّة، وكان جزء كبير من النتائج التي قدمت للناس يشوبها التشويش ومجافاة الحقيقة.

لا بد للمستشرق من معرفة لغة الشرق فهناك من يتعلم اللغة عن طريق الجامعات أو البلدان العربيّة التي كانوا يقيمون فيها، وأيضاً أنشأت مدارس ومقاعد علميّة لدراسة اللغة العربيّة والتراث الإسلامي؛ ولهذا يرى المستشرق

١- الاستشراق تعريف مدارسه آثاره، د. محمد فاروق النبهان





الألماني المعاصر (ألبرت ديتريش) أنَّ المستشرق هو الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يصل إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق.

اهتمام المستشرقين بدراسة الشخصيات الإسلامية:

لطالما شغلت الشخصيات الإسلامية المستشرقين بهدف الوقوف على الأبعاد الذاتية والشخصية وما يحملونه من صفات وسمات وما قدّموا على الصعيد العملي والآثار التي تركوها للسلف من بعدهم التي أسهمت في نمو دائرة الإسلام وتوسّعها، تلك الشخصيات وعلى رأسها نبي الإسلام محمد ﷺ وسلم وكبار الصحابة وكذلك دراسة شخصية الإمام أمير المؤمنين

شغلتهم لمعرفة مدى قوّة المسلمين ومواطن ضعفهم، والإسهام في تفريق كلمتهم، وبذر أسباب النزاع وإيقاع الفتن بينهم، وملاحقة كلّ حركة إصلاحية وتوجيه الدعايات السيئة ضدها وإحياء البدع والخرافات بين المسلمين، وإعادة طبع الكتب التي تشتمل عليها والإشادة بها.

وللإسلام أثر كبير في العالم الغربي

فقد كان الفلاسفة والفقهاء يكتبون باللغة العربية ويقتبسون الأسلوب العربي؛ لذلك كانت الحضارة الغربية اقتباس من الحضارة العربية، فلم يكن مثقف ولا متحضر - في رأيهم - من لا يحسن الكلام بالعربية، حتى أن رجال الدين أنفسهم كانوا يقبلون على الثقافة العربية بينهم، ومنهم (سلفستر الثاني) ترقى في مراتب الكنيسة حتى جلس على كرسي البابوية؛ لأنهم حسبوا علمه الواسع سحراً يأخذ الأبواب.

إن الاستشراق لم ينشأ لخدمة الفكر العربي والإسلامي ونشره، بل كانت الغاية منه خدمة الكنيسة الكاثوليكية، فقد كان الأحرار يشرفون على بحوث وأعمال المستشرقين، فكثير منهم لم يكن مؤرخاً ولا طالب علم فقد كان من أجل المال؛ ولذلك فالبحث العلمي إذا انحرف عن غايته افتقر إلى النزاهة، فقد كان بعضهم يأتي بنتائج مغلوطة، لا تمت للإسلام بصلة، بل كانت الغاية منها تشويه التراث العربي في الغرب. فقد درسوا فكر العرب وتراثهم من أجل إيجاد الثغرات التي تمكنهم من استعمار هذه الدول والسيطرة على خيراتها وكذلك للتخلص من المنافسين للكنيسة الكاثوليكية.



فقد كان الإسلام ينتشر في العالم لذلك وجدوه مصدر تهديد لهم، فكانت مهمتهم زلزلة ثقة المسلمين بدينهم وبقاداتهم؛ ولا سيما الشخصيتين الأبويتين الرسول الأعظم محمد ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة^(١).

وينبغي أن نشير إلى أن هناك بعض المستشرقين اتسموا بالموضوعية والحيادية وطلب العلم والحقيقة، فقد فتحوا الباب على حضارات الشرق وكشفوا كثيرًا من الحقائق التاريخية.

علي عليه السلام في الفكر الاستشراقي:

إن الاعتقاد المشهور عند المسلمين عمومًا والشيعة خصوصًا أن منزلة علي عليه السلام بالنسبة إلى رسول الله ﷺ كمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده، إذ قال في حديث معروف في مصادر الفريقين لعلي عليه السلام: (يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

فمكانة علي عليه السلام في الإسلام عظيمة جدًا، فشخصيته بعد شخصية النبي ﷺ، ونحن نعلم جميعًا بأن عليًا هو نفس الرسول ﷺ

كما أشارت الآية الكريمة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٢).

هذه هي عقيدي وما وجدت عليه آبائي أن عليًا بمنزلة هارون من موسى، أي أنه بمنزلة الرسول محمد ﷺ ما عدا النبوة، وأنه أبو الأئمة ووالد أسباط النبي ﷺ وزوج ابنته سيدة نساء العالمين.

وهذا مما لاشك لدي فيه، فهو ثابت في معتقدي، ولكنني عند استغراقي في هذه الشخصية التاريخية الفذة وما رأيت من صفات لن تكرر في رجل آخر غيره من علم ودين وتقوى وإيمان وشجاعة وكرم وإنسانية، أحببت أن أراه في عيون وعقول الغربيين، وكل من تأثر به عندما تعرف وقرأ عنه، وددت أن أعرف كيف يراه العالم.

لذا توجهت لأعرف كيف عرف المستشرقون الإمام علي بن أبي طالب؟ وكيف نظروا له بوصفه شخصية إسلامية بارزة، لها تاريخها ولها أثرها الكبير في حياة الأمة الإسلامية بالنسبة لأناس لا يدينون بدينه ولا يتمون لمذهبه.

١- ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ٤، ص ٣٦٩.

٢- آل عمران، آية ٦١



ومن كتاب الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر أو ما يسمى بعهد الأشتر، قال يا مالك إن الناس: (صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق).

وجدت أن هذه الشخصية المباركة تبحث في الأعماق الإنسانية، وأن التعامل ليس على مبدأ أن تكون رعيتك من اتباع دينك وعقيدتك، إنما البشر أخوان لك في الإنسانية بغض النظر عن دينهم ومذهبهم وعرقهم.

هذه المساواة التي عمل بها علي بن أبي طالب عليه السلام قبل أكثر من ألف وأربعمئة عام، والتي لم يعمل بها العالم إلا متأخرًا.

ومنها انطلقت لأرى عليًا عليه السلام في عيون وعقول غير اتباعه وشيعته فبحثت عنه عند المستشرقين؛ لأن عليًا هو التاريخ، والتاريخ هو علي، فهو المعنى الحقيقي للخلود، فإذا تصفحنا التاريخ وجدنا عليًا بكل صفحة نورًا يتلأأ وفكرًا مضيئًا ينير عتمة الزمن، فهو عليه السلام لا يحتاج إلى تعريف لأنه معروف، وكما قال المتنبي حين طلب منه أن يمدح عليًا إذ قال^(١):

وتركت مدحي للوصي تعمداً إذ كان
نوراً مستطيلاً شاملاً

١- ديوان المتنبي

٢- جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، (بيروت- ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، ج ٥، ص ٢٣٦.

وإذا استقلَّ الشيء قام بذاته وكذا ضياء الشمس يذهب باطلاً

ونشير الآن إلى بعض كلمات المستشرقين بحق علي عليه السلام، ومنهم (إدوارد جيون) مؤرخ إنجليزي قال بحق علي عليه السلام: (شخصية فريدة متألقة شاعر ومؤمن ونبيل وقديس، حكمته كالنسيم الذي يتنفسه كل إنسان، فهي أخلاقية وإنسانية، منذ تولده وإلى وفاته، كان حكيماً جمع تلاميذه وناداهم بإخوتي وأحبائي، حقاً كان هارون المتجدد صديق النبي موسى، كما وصفه النبي محمد صلى الله عليه وسلم).

وكذلك ما قاله المفكر (ريلفريد) المتخصص بالدراسات حول أهل البيت عليه السلام: (لا اهتم بالطابع الإيديولوجي أو الاقتصادي وحتى التاريخي بفترة حكم الإمام علي، ما يهمني هو شخصيته، وما حملته من قيم إيجابية أو سلبية، هادفة أو ضارة، وبلا شك فإنه شخصية عظيمة)^(٢).

ومن الكلمات الرائعة بحقه (صلوات الله عليه) ما قاله المستشرق الاسكتلندي (سير ويليام موير): (بذكائه المتألق،



وعطفه، وتأثيره الساحر في حياة من خالطه وجالسه، وكونه موضع ثقة صحبه ومجتمعه، مذ كان فتى صغير السن وهو يبذل ويجود بروحه ووجهه للدفاع عن النبي محمد ورسالته السمحاء، متواضع وبسيط، حكم نصف العالم الإسلامي بالخير لا بالسوط.

ويقول المستشرق (كاراديفو): (كان علي وهو في العشرين من عمره يشطر الفارس القرشي شطرين اثنين بضربة واحدة من سيفه).

أمّا (هنري ستوب) وهو طبيب ومفكر بريطاني فيقول: ازدرى الإمام عليّ العالم المادي ومجده الخادع، خشي الله وكان محسناً جواد إلى الخير، الأول والسابق إلى كل فعل إلهي، وحكمه كان اجتماعياً، ويملك إبداعاً وذكاءً حاداً؛ ولذا بدا غريباً على مجتمعه؛ لأنّ الإبداع لم يكن شائعاً، لم يمتلك تلك العلوم التي تنتهي على اللسان، ولكن تلك العلوم والحكمة الخفية التي تمتد ولا تنتهي أو تموت.

ويقول (واشنطن إيرفنج)، مؤلف وكاتب مقالات وكاتب سير ومؤرخ ودبلوماسي أمريكي: إنّ الإمام عليّاً من أنبل عائله من قبيلة قريش، لديه ثلاث صفات يعتزّ بها العرب: الشجاعة

والبلاغة، والسخاء. روحه الباسلة استحققت لقباً خالداً من النبي محمد ﷺ «أسد الله». نماذج بلاغته لا زالت مؤثرة على كلّ لسان عربي، وعلى كلّ تفسير قرآني، وعلى كلّ مثل وقول ساد الأمة العربية إلى يومنا هذا. في كلّ جمعة كان يلقنهم حكمته وما أنزل على النبي محمد ﷺ ليذكرهم بما وعاه صدره، وفيه خزان العلوم الإلهية، وهذا دليل على سخائه وتواضعه ووجهه، من دون شرط مسبق.

يقول كرادي فو، البارون: إنّ الإمام عليّاً فارس غالبا، ولكنه فارس صوفي، أي أنّ فروسيته نهلت من معين المعارف الإلهية حتى الارتواء. فهو لا يرفع سيفه النبيل، ويهوي به إلّا ليقتل شيطانا من طواغيت الاستكبار المشرك، والطبيعة الجاهلية البطورة، ليعز كلمة الله، ويجعل الناس يعيشون تحت ظلالها جنات الإخاء والمحبة، وسلامة الصدور من الأحقاد والبغضاء والمفاسد التي اتخذ منها إبليس جنوداً ليحجب الإنسان عن ربّه وإنسانيته. إنّ عليّاً يحمل فكراً اجتماعياً ثورياً فاعلاً يرقى في تطوير المجتمع إلى تحقيق ما تحلم به الإنسانية من حياة فاضلة وكرامة. وأنه أستاذ في سبيل ما كان يريد أن يجعله واقعاً حياً؛ لذلك فهو



إمام شهيد، صاحب نفس وضيئة تحتزن
سرّاً إلهياً قدوسياً، هو سر قبول تحمل
العذاب حتى الموت لإنقاذ الإنسان من
الظلمات إلى النور.

قال المؤرخ واشنطن (إيرفنج): إننا
لا نعلق على خلق علي الشريف الكريم
ذلك الخلق الذي يتجلى في جميع أدوار
حياته، لقد كان أجدر رجال الإسلام
السابقين الذين أشربوا روح الحمية
الدينية من صحبة النبي، واقتدوا بأخلاقه
الكريمة، وهو أول خليفة كان له شأن في
العناية بالآداب والفنون، وقد نظم الشعر
وحفظ عنه كثير من الحكم والأمثال
التي ترجمت إلى لغات عدة^(١).

وليس في أهل هذه اللغة إلّا قائل بأنّ
كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف
الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام
نبيه ﷺ وأغزره مادة وأرفعه أسلوباً
وأجمعه لجلائل المعاني.

أعجب الغرب بشجاعة وفكر الإمام
علي بن أبي طالب عليه السلام، فالتاريخ يشهد
له ويصفه بالحق والعدالة وهذه الآراء
تضيف له المجد والشهرة.

وبالمقابل هناك مستشرقون لم ينصفوا

عليّاً عليه السلام.

ومن ذلك الأبيات التي أوردها
(دانتى الغيري) في الحلقة الثامنة الأنشودة
الثامنة والعشرون، من «الجحيم»، في كتابه
الكوميديا الإلهية والتي تصوّر النبيّ
محمدًا والإمام عليّاً، في الوادي التاسع،
المخصص للذين يمشون بالفتنة والفرقة
بين الناس.

أحشاؤه تتدلى بين ساقية

وإنك لترى رثتيه والكيس الكريه

الذي يصير فيه فضلات ما يبتلعه
الإنسان

وفيا أحرق فيه ملياً فتح صدره بيديه

وقال لي أنا (...) أنظر كيف أنلف

أنظر كيف بُترت اعضائي!

وابن عمي يمضي باكياً أمامي،

مفلوع الرأس من هامته حتى ذقنه^(٢)

ف(دانتى) يضع النبيّ محمدًا (والإمام
عليّاً في طبقة متأخرة من طبقات الجحيم
والتي تصوّر النبيّ الحبيب في الوادي
التاسع، وأحشاؤه تتدلى بين ساقيه، والإمام
علي وهو يمضي باكياً مفلوع الرأس من
هامته حتى ذقنه ثم يتم تعذيبهم من قبل

١- السياسة المالية للإمام علي، د. فاطمة سيد عبد القادر، ص ٢٢

٢- الكوميديا الإلهية، دانتى الغيري، ترجمة كاظم جهاد، ص ٣٦٨



الغدير في الفكر الاستشراقي:

إنَّ واقعة الغدير هي حدث تاريخي كبير في الإسلام وعند المسلمين بعد رحيل النبي محمد ﷺ لما ترتب عليها من تبعات مهمة تخصَّ الخلافة بعد رسول الله ﷺ.

ولأهميتها وعمقها شدَّد المولى (عز وجل) بخطابه لنبیه ﷺ في تبليغ الناس بمن هو الخليفة من بعد، إذ يقول عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝﴾، فقد ذكر المفسرون سبب نزول هذه الآية وأنها في حق علي عليه السلام.

ولا يختلف اثنان في كون هذه القضية هي الأهم والأبرز؛ لأنها جاءت لتأسيس مشروع الخلافة بعد رسول الله ﷺ؛ لذلك وجدنا اختلاف المسلمين في فهم نصها وقد وجدنا من الجيد أن نرى الدراسات الاستشراقية في فهم نص واقعة الغدير وما نظرته إلى هذه الواقعة الكبيرة؟.

ولعلَّ حادثة الغدير بما لها من قدسيَّة عظيمة كانت مرتعًا خصبًا لذوي النفوس العقيمة، إذ خضعت - وهذا لا يخفى - لأكبر عملية تزوير قديمًا وحديثًا

الشیطان وتلتئم جراحهم ويعيدون الكرة ليشعروا بالألم والعذاب من جديد لأنهم بنظره كانوا يسعون في حياتهم إلى إيقاظ الفتنة في صفوف الناس.

إنَّ هذه الخطوة جاءت بسبب فساد الذهن وخبث النية ومن أجل محاربة الإسلام والمسلمين، وتحقيق المصالح والمطامع وجعل فجوة بين المسلم وبين نبیه وإمامه وخير دليل على حقدهم وخبثهم ما ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ۚ﴾^(١).

ويصفه المستشرق هنري لامنس بالنومة، ويرميه بالحمول في موضع آخر، ويرسم له ملامح مُضحكة: بطين، وذو يدين صغيرتين، ورأس ضخيم، وأنف أفطس^(٢).

فقد أهملوا الروايات والأحاديث المسندة التي تعظم وتمجد الإمام علياً عليه السلام والتجأوا إلى الروايات الضعيفة المبغضة والمسيئة لشخصية علي عليه السلام وهي أقرب إلى الافتراء.

١- البقرة، آية ١٢٠

٢- نقد مقدمات الأب لامنس، حسن بزاينية





الانتخاب، ووجب على كل واحد أن ينحني أمام صاحب هذا المجد العظيم الخالص^(٤).

يعبر المستشرق (هنري ماسيه) عن إعجابه بالإمام علي عليه السلام، إذ وصف حياته بالاعتدال كسياسة جميع أفراد ذريته، ولكن حبه للسلم قد أضاعه، ويخلص (ماسيه) إلى الاعتقاد بأن الشقاء الذي أرهق الإمام علي، يضاف إلى ذلك المآسي التي حاقت بذريته قد ظفر له إكليل شهيد، ويجب أن لا يندهش أحد من الشيعة الذين يعدونه قديسًا^(٥).

ومن بين الذين أكّدوا الرأي الأول المستشرق (سيديو)، إذ ذكر بأن النبي محمدًا صلى الله عليه وآله لم يضع نظاماً لخلافته، مما أدى بالأطراف الطامحة لنيل الخلافة بأن تفسر سكوته لمصلحة كل منهم، إلى الحد الذي دفع بعضهم إلى الاعتقاد بأن النبي محمدًا صلى الله عليه وآله قصد بعدم تعرضه لأمر خلافته، أن يكون صهره وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام خليفته، ويصف (سيديو) هذا الاعتقاد (الرأي) بقوله: (ولو قبل ذلك لحال دون

أرادت وبأي شكل كان أن تفرغ هذا الأمر السماوي من محتواه الحقيقي، وتحمله مدًا وجزرًا بين التكذيب الفاضح، والتأويل المستهجن، فكانت تلك السنوات العجاف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى يومنا هذا حافلة بهذه التناقضات، ومليئة بتلك المفارقات^(١).

يقول المستشرق (سيدليو): لو كان قد تم الاعتراف بمبدأ الوراثة، وهو في صالح علي لكان بوسع ذلك المبدأ أن يمنع المنازعات النكباء التي أغرقت الإسلام في الدم، وكان... فضلًا عن شخصيته حق الوراثة كوارث شرعي للرسول، وربما كان يظن أن جميع المسلمين سيقدمون أنفسهم لخدمته ما دام طاهرًا نبيلًا، ولكن هذا لم يقع^(٢).

ويصف الإمام عليًا عليه السلام بالعبارات الآتية: وعلي هو من تعلّم حرية الضمير وحضور مجالس المدينة مع ميله إلى القيام بشؤون حياته المنزلية الهادئة^(٣).

ويقول أيضًا: جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة وحقوق

١- دليل النص بخبر الغدير، أبي الفتح محمد الكراجكي، ص ٨

٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج ١، ص ٢٩٣

٣- ماسيه هنري، الاسلام، ترجمة، بهيج شعبان، ص ٦٦

٤- موقف المستشرقين من الصحابة، سعد بن عبدالله بن سعد الماجد، ص ٤٣٥

٥- تاريخ العرب العام، سيديو، ترجمة عادل زعير، ص ١٢٦



ظهور ما خرج القرن الاول من الهجرة بالدماء).

عندما عاد النبي محمد في مارس، آذار سنة ٦٣٢ من حجته الأخيرة من مكة إلى المدينة استراحت قافلته عند غدير خم في منتصف الطريق تقريبا بين المدينتين. ويقال بأنّه قد حدث هنا في ١٦ مارس، آذار المشهد التالي الذي لم يزل الشيعة حتى اليوم يحتفلون به كعيد من أعيادهم الدينية: فقد جمع النبي أتباعه من حوله وقال: (ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. فقال (من كنت مولاه فعلي مولاه) كلا القولين يحتملان في النص العربي عدة معان. ونحن نضع هنا باللغة الألمانية المعنى الذي يعتمد عليه الشيعة ويوضح معلق شيعي هذا المعنى بقوله: عندما يطلب النبي بهذه الطريقة الطاعة تجاه علي ويجعله مولى المسلمين فإنه يمنحه نفس المكانة التي كان هو نفسه يحتلها تجاههم. وقد أمرهم بأن يعترفوا بذلك وهم لم يرفضوا الاعتراف. هذا نص صريح وواضح على تعيين علي إماماً وخليفة^(١).

وكانت رؤية المؤرخ الفرنسي (يان

ريشار) في قضية الخلافة وإعلان البيعة للإمام علي عليه السلام قُرب غدير خم هي في حقيقتها قضية محسومة ولا مجال للطعن بصحتها أو باعتراف الجميع بحدوثها، إلا أخذت من صاحبها، بقوله: وعلى الرغم من أن علياً هو الخليفة المعين من قبل النبي، فإنه أُستبعد عن هذه الخلافة^(٢).

أمّا المستشرق جرهارد كونسلمان يقول: وكان تكليف محمد لعلي بتمثيله وإن كان مؤقتاً قد جعل علياً - الذي فضّل على آخرين يوقن أنّه سيحصل على مكانه خاصة بعد وفاة الرسول^(٣).

أمّا المستشرقة (لورا فيشيا فاغليري) التي دوّنت مدخل عبارة (غدير خم) في الطبعة الثانية لموسوعة الإسلام، نقلت أحداث الغدير التي شهدتها المجتمع الإسلامي يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة (الموافق آذار، مارس سنة ٦٣٢ م) وذكرت قول النبي ﷺ: «ألسْتُ أولى بكم من أنفسكم؟»، ثمّ قالت: «... بعد ذلك قال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» ولم يستتبع بعد هذه العبارة كلام آخر يوضح معناها العميق، كقوله: «اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ

١- هاينس هالم، ترجمة محمود كيبو

٢- كتابات بعض المستشرقين الفرنسيين، حاتم كريم جواد

٣- الغدير والتأسيس لحكومة الامام علي ع في فكر المستشرقين، كريم جهاد الحساني



والشخصيات الإسلامية اهتماماً بالغاً في دراساتهم وبحوثهم، ونقلوا للعالم عمق وتأثير تلك الوقائع والشخصيات في نفوس المسلمين ومنها شخصية رسول الله ﷺ والإمام علي عليه السلام، وما تمخضت عنه حادثة الغدير من وقع ترك أثره في حياة الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا.

وللإنصاف فقد تناول بعض المستشرقين تلك الواقعة بأمانة وتحليل قيم مقبول، خلافاً لبعضهم من الذين افتقروا إلى الموضوعية في نقل الواقعة.

من عاده» الذي ورد في أحاديث عديدة، كما ليست هناك إضافات غير ذلك كما يُدعى، وأبرزها استبدال كلمة (مولى) بـ (ولي) وهذا يثبت على أقل تقدير أنّ ما استنبطه - الشيعة - من معنى كلمة (مولى) غير دقيق.

المسألة التي تجدر بالملاحظة في كلام المستشركة فاغليري هي أنّها لم تأتِ بأيّ دليل يفصح عن سبب عدم وجود أية إضافة لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» كقوله: «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» كي يتّضح معناه العميق، وكلامها هذا غير صائب؛ لأنّ العبارة الثانية لم ترد في مصادر الشيعة فحسب، بل إنّها منقولة أيضاً في مصادر أهل السنة^(١)

وبهذا الصدد يقول (جواد علي) في كتابه (تاريخ العرب في الإسلام): (لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف والموضوع في بعض الأحيان وحكموا بموجبه واستعانوا بالشاذ والغريب، فقدموه على المعروف والمشهور^(٢)).

الخاتمة:

إنّ الفكر الاستشراقي قد أولى الحوادث

١- غدير خم في البحوث الغربية المدونة باللغة الانجليزية، تدوين محمد مقداد اميري، ترجمة أسعد مندي الكعبي

٢- تاريخ العرب في الاسلام، علي جواد، ج ١، ص ٨

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الاستشراق تعريف مدارسه آثاره، د. محمد فاروق النبهان.
- ديوان المتنبي.
- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق.
- السياسة المالية للإمام علي، د. فاطمة سيد عبد القادر.
- الكوميديا الإلهية، دانتي اليجيري، ترجمة، كاظم جهاد.
- نقد مقدمات الأب لامنس، حسن بزاينية.
- دليل النص بخبر الغدير، أبي الفتح محمد الشيخ الكراجي.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الدين الطبرسي.
- الإسلام، ماسيه هنري، ترجمة بهيج شعبان.
- موقف المستشرقين من الصحابة، سعد بن عبدالله بن سعد الماجد.
- تاريخ العرب العام، سيديو، ترجمة عادل زعيتر.
- العالم، هاينس هالم، ترجمة محمد كييو.
- كتابات بعض المستشرقين الفرنسيين، حاتم كريم جواد.
- الغدير والتأسيس لحكومة الامام علي ع في فكر المستشرقين، كريم جهاد الحساني.
- غدير خم في البحوث الغربية المدونة باللغة الانجليزية، تدوين محمد مقداد اميري، ترجمة اسعد مندي الكعبي.
- تاريخ العرب في الاسلام، د. جواد عل .

مَدِينَةُ
الْمَدِينَةِ
الْمَدِينَةِ
الْمَدِينَةِ



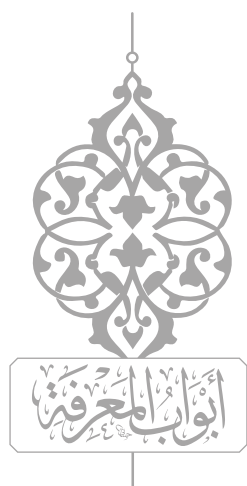
عيد الغدير وأبعاده بين طبيعة التلقي وأزمة الثبات

الشيخ الدكتور
عبد القادر يوسف ترني



لبنان







ملخص البحث:

المقدمة:

هذا البحث يُعنى بدراسة واقعة الغدير المفصليّة وخطابها الذي أصَلَ لأهمّ المسائل المعقّدة والشائكة في تاريخ المجتمع العربي الإسلامي الذي انقسم بعد هذه الواقعة على نفسه متناسياً كلّ العهود التي قطعها على نفسه أمام النبي الذي عيّن الحاكم الذي جمع له الزعامة الزمينة والدينية في حياته وبعد انتقاله، وأوجب على الناس السمع والطاعة له.

وكذلك يسلط الضوء على كيفية تلقي الأمة للخطاب الرسالي وتفاعلها الآني معه ثم عدم قدرتها على حفظ العهود التي كان نقضها المؤشر الأول في الانحراف عن الجادة القويمية، إذ انتقل المجتمع من تقديس المقدسين إلى تقديس غير المقدسين الذين غيروا المسار والمسيرة وكانت أزمة تلقي الخطاب والعمل به من أعقد الأمور التي حالت بين الناس وبين الثبات على الأسس الدينيّة والتعاليم النبويّة.

في ذكرى الغدير تتجدد أزمة الاعتراف بحقيقة هذا اليوم المفصلي في تاريخ اختلاف الأمة الإسلامية؛ فكلّما قدم شهر ذو الحجة ومضى عيد الأضحى حضرت بعده مباشرة في الثامن عشر من الشهر نفسه ذكرى واقعة الغدير؛ ولأنّ اختلاف الأمة في هذه الواقعة بصفتها عيداً أو ذكرى، إلّا أنّها لم تختلف في أحداثها ومقرّراتها ونتائجها والانقسامات التي استتبعتها.

وتتلخّص هذه الذكرى العظيمة بتحديد الإمام علي وليّاً للمؤمنين في الدنيا والآخرة بأمر النبي الخاتم الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١)، وهذا بحسب أتباع الإمام علي الذين لم يقبلوا بغيره إماماً وحاكماً وخليفة بعد النبي مباشرة، وعلى هذا المنهج سار أتباع المدرسة الإماميّة؛ وذلك انطلاقاً من قول النبي ﷺ في يوم الغدير: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ...»^(٢).

١- سورة النجم الآية ٣

٢- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م)؛ (٣٥٠/٥)؛ من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد. وقد تحرف فيه «سعد» إلى «سعيد» - وكذا رواه النسائي بإسناد جيد قوي رجاله كلهم ثقات، وروي بإسناد آخر تفرد به، وقال الذهبي: إنه صحيح - النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني؛ السنن الكبرى للنسائي؛ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)؛ (١٣١/٥) - الترمذي، محمد بن عيسى؛ الجامع الكبير = سنن الترمذي؛ (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م)؛ ح (٣٧١٣)،





هنا تتجلى للناظر معان دقيقة وجميلة تؤخذ من معين الكتاب المنزل، وليس من معين المذاهب والعصبيات؛ وأولى الخطوات التي تعين على فهم تشريع النبي وما وجّه الناس إليه للإيمان به - ولا سيما في يوم الغدير - تكمن في معرفة المشرّع الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا^(١)﴾

لتتعرف على حقيقة الغدير وطبيعة الخطاب النبوي فيه، وذلك عن طريق واقعة اختار لها الرسول زماناً ومكاناً خاصين لأهداف معلنة ولأهداف أخرى غير معلنة نستشفها من معين نصوص الحادثة التي أولاها الخطاب النبوي قدسية يجد الباحث نفسه ملزماً بالوقوف عندها ودراستها دراسة معمقة.

فماذا يعني الغدير في قاموس الخطاب الرسالي؟ ولماذا كان اختيار الغدير؟

وما دلالة الزمان والمكان وعلاقتهما من هنا ستكون الانطلاقة مع البحث

بطبيعة الخطاب الموجّه إلى الأمة؟

(٦/ ٧٤)؛ وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ - ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني؛ سنن ابن ماجه؛ بيروت، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م؛ ح (١٢١) (٨٨/١)؛ حديث صحيح، رجاله ثقات - الطبراني، سليمان بن أحمد؛ المعجم الكبير؛ القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٥ هـ - (١٩٩٤)، ح (٦٤٦)، (٢٩١/١٩) - الطبراني، سليمان بن أحمد؛ المعجم الأوسط؛ القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥ هـ؛ ح (٨٤٣٤)، (٢١٣/٨) - الطبراني، سليمان بن أحمد؛ الروض الداني = المعجم الصغير؛ بيروت، المكتب الإسلامي، - ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م؛ ح (١٩١)، (١٢٩/١) - الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين؛ بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م؛ ح (٤٥٧٨) (٣/١١٩)؛ وقال الذهبي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُجَرَّجْ» - الهيثمي، نور الدين علي؛ موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان؛ (دمشق، دار الثقافة العربية، ط ١، ١٤١١ - ١٤١٢ هـ) = (١٩٩٠ - ١٩٩٢ م)؛ ح (٢٢٠٤)، (١٣٦/٧)؛ إسناده صحيح، ذكره المزي في «تحفة الأشراف»: المزي، يوسف بن عبد الرحمن، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف؛ (المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، ط ١، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م)؛ ح (١٩٧٨)، (٨٤/٢) - وأخرجه البزار، مسند البزار = البحر الزخار؛ ح (٢٥٣٥)، (٣/١٨٨) - الهيثمي، نور الدين علي؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛ (القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م)؛ (١٠٨/٩)؛ وقال: «رواه البزار، رجاله رجال الصحيح» - ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك؛ الأحاد والمثاني؛ (الرياض، دار الراية، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)؛ ح (٢٣٥٧)، (٤/٣٢٥) - ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد؛ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان؛ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)؛ (٣٧٦/١٥)؛ حديث حسن صحيح - ابن عساكر، علي بن الحسن؛ معجم الشيوخ؛ (دمشق، دار البشائر، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)؛ ح (١٠٤٢)، (٢/٨٣٢) - المناوي، محمد عبد الرؤوف؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير؛ (مصر، المكتبة الكبرى، - ط ١، ١٣٥٦ هـ)؛ ح (١١٤٦٩)، (٦/٢١٧)؛ وقد حكم الألباني بصحته.





المبحث الأول: الغدير والأبعاد الزمانية والمكانية في طبيعة الخطاب النبوي

الغدير (خم) ودلالته في اللغة:

جاء في معنى (غَدَرَ) في مقاييس اللغة «الْغَيْنُ وَالِدَالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ الْغَدْرُ: نَقْضُ الْعَهْدِ وَتَرْكُ الْوَفَاءِ بِهِ؛ يُقَالُ: غَدَرَ يَغْدِرُ غَدْرًا»^(١).

وفي مختار الصحاح^(٢): «الْغَدْرُ: تَرْكُ الْوَفَاءِ، وَبَابُهُ: ضَرَبَ، فَهُوَ غَادِرٌ وَغَدْرٌ أَيْضًا بَوَزْنِ عُمَرَ، وَكَثُرَ مَا يُسْتَعْمَلُ الثَّانِي فِي النَّدَاءِ بِالشَّتَمِ، فَيُقَالُ: يَا غَدْرُ. وَغَادَرَهُ: تَرَكَهُ».

وَالْغَدِيرُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْمَاءِ يُغَادِرُهَا السَّيْلُ؛ وَهُوَ فَعِيلٌ فِي مَعْنَى: مُفَاعَلٌ مِنْ غَادَرَهُ، أَوْ مُفَعَّلٌ مِنْ أَغْدَرَهُ بِمَعْنَى: تَرَكَهُ، وَقِيلَ: هُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى: فَاعِلٌ لِأَنَّهُ يَغْدِرُ بِأَهْلِهِ، أَيْ: يَنْقَطِعُ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَالْجُمُعُ غُدْرَانٌ وَغَدْرٌ بِضَمَّتَيْنِ».

وقال صاحب خزنة الأدب: «وإنما سمي الغدير غديرًا لِأَنَّ السَّيْلَ غَادَرَهُ أَي:

وكيف تلقت الأمة خطاب الغدير مع ما رافقه من أحداث مزللة؟

وماذا أنتجت أزمة التلقي لخطاب الغدير على صعيد الالتزامات بالعهود النبوي؟

من هذا المنطلق فقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث حاولت فيها الإطلالة على قضية الغدير مستلها المناهج الحديثة ولا سيما المنهج السيميائي ومنهج التلقي؛ وقد جاءت هذه المباحث مرتبة على النحو الآتي:

المبحث الأول: الغدير والأبعاد الزمانية والمكانية في طبيعة الخطاب النبوي.

المبحث الثاني عيد الغدير وكيفية تلقي الأمة للخطاب النبوي.

المبحث الثالث: عيد الغدير بين مفتاحية المعارف وأزمة التلقي.

١- ابن فارس، أحمد بن فارس؛ (٣٩٥هـ)؛ معجم مقاييس اللغة؛ (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)؛ (٤/ ٤١٣) مادة: «غدر».

٢- الرازي، محمد بن أبي بكر؛ مختار الصحاح، (بيروت، الدار النموذجية، ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)؛ (١٠١)؛- مادة (غدر).



تركه»^(١).

كما سبق تنبئ أن الغدير هو قطعة من السيل غادرها الماء وتركها، وهو صفة مشبهة على وزن «فعليل» بمعنى «فاعل»، لأنه يَغْدُرُ بصاحبه وبأهله، فهو من الغدر وترك الوفاء ونقض العهد؛ ولعل اختيار الوقوف عند الغدير واختيار النبي له كان له أبعاد كثيرة تجدر الإشارة إليها لمعرفة الحقيقة التي رمى إليها الرسول، والتي تشير إلى عظيم الغدر والخيانة التي متى اقترفها الناس ارتكبوا جريمة هي القمة في التاريخ الإنساني، وتحملوا تبعات كبرى تستمر مفاعيلها وتتطور نتائجها السلبية على مر العصور والدهور.

أما دلالة «خم» فهي تشير إلى خطورة التغير وترك العهود بعد عمليات التطهير والتنقية والإصلاح التي قام بها النبي بنفسه وحث الناس عليها وأمرهم بالوقوف عندها بعد انتهائهم من القيام بواجبات الحج الأعظم ووقوفهم لله عند جبل الرحمة في عرفات مستسلمين لأمره

وجاء في مجمع الأمثال: «أَعْذَرُ مَنْ غَدِيرٍ»؛ قَالَ حمزة: هذا من قول الكُمَيْتِ [من المتقارب]

وَمِنْ غَدْرِهِ نَبَزَ الْأَوَّلُونَ
بِأَنَّ لَقْبَهُ الْغَدِيرُ الْغَدِيرُ^(٢)

وقال غير حمزة: زعم بنو أسد أن الغدير إنما سمي غديرًا لأنه يَغْدُرُ بصاحبه أحوج ما يكون إليه»^(٣).

وفي معنى «خم» قال صاحب مقاييس اللغة: «الْخَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا تَغَيَّرَ رَائِحَةً، وَالْآخَرُ تَنَقَّيْتُ شَيْءٍ. فَالْأَوَّلُ: قَوْلُهُمْ خَمَّ اللَّحْمُ، إِذَا تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ. وَالثَّانِي: قَوْلُهُمْ خَمَّ الْبَيْتُ إِذَا كُنِسَ. وَخَمَامَةُ الْبُئْرِ: مَا يُخَمُّ مِنْ تَرَابِهَا إِذَا نَقِيَتْ. وَبَيْتٌ مَحْمُومٌ: مَكْنُوسٌ. وَيُقَالُ هُوَ مَحْمُومُ الْقَلْبِ، إِذَا كَانَ نَقِيَّ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ غَشٍّ وَدَخَلٍ».

قال الفيروز آبادي: «وَعْدِيرُ خُمٍّ: (على ثلاثة أميالٍ) بِالْجُحْفَةِ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ»^(٤).

١- البغدادى، عبد القادر بن عمر؛ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب؛ (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)؛ (٨ / ٣٤٦).

٢- أَرَادَ: وَمِنْ غَدْرِهِ نَبَزَ الْأَوَّلُونَ الْغَدِيرَ بِأَنَّ لَقْبَهُ الْغَدِيرُ، فالغدير الأول مفعول «نَبَزَ»، وَالثَّانِي مفعول «لَقْبَهُ». ابن سيده، علي بن إساعيل؛ المحكم والمحيط الأعظم؛ (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)؛ مادة (غدر)، (٥ / ٤٥٩).

٣- الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري؛ مجمع الأمثال، (بيروت، دار المعرفة)؛ المثل رقم (٢٧٠٥)، (٢ / ٦٤).

٤- الفيروز آبادي، محمد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب؛ القاموس المحيط؛ (بيروت، مؤسسة الرسالة، بلا تاريخ)؛ مادة (خَم)، باب الميم، فصل الخاء.



لا ينقضون عهده مهما كلفهم من أثمان.

الغدير وأبعاد الزمان والمكان في طبيعة الخطاب النبوي:

إنَّ اختيار النبي لموقع «غدير خم» ومكانه يحمل في طياته إشارات التحذير من التفكير بخيانة العهود والمواثيق التي عاهدوا عليها الرسول المرسل، والرسالة الإلهية التي نزلت على قلوب السامعين المؤمنين بردًا وسلامًا، لكنَّها تنزلت على قلوب الرافضين والمتذبذبين نزول الصواعق التي تجتاح كل ما يقف في وجهها وتلتهمه بنيرانها.

ففي ذلك المكان الواقع بين مكة والمدينة كانت الإشارة إلى النقطة الفاصلة بين العودة إلى ما كان عليه القوم الذين حاربوا النبي في مكة وبين الأنصار الذين نصره وناصروه وآزروه في المدينة المنورة من دون قومه الذين حاربوه وعذبوه وقتلوا أصحابه وأعوانه، ثم عملوا على اغتياله محاولين ومصممين بكل الوسائل الممكنة، ثم لما هاجر استعانوا بكل وسيلة ممكنة للقضاء عليه وعلى فكره ودعوته ليحولوا بينه وبين الناس خشية على مناصبهم ومراكزهم وسلطتهم التي أدركوا أنها ستتلاشى متى تعرف الناس

عليها وقبلوا بعدالتها بين الخلق.

الغدير وعهده من المتواترات عند جماهير أهل السنة والجماعة، ولا داعي لأن يتعصب الإنسان فينكر المتواترات نكايَةً بإخوانه المتؤمنين إلى مذاهب أخرى، مع التأكيد على أنَّ المذهب هو الطريق الذي يقود الإنسان للحقيقة وليس للتعصب؛ والإسلام دين يدعو أتباعه إلى اكتشاف الحقيقة الكامنة في رحاب الكون، كما يحث الخلق على الوحدة والاجتماع والمحبة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)، فالإسلام ليس ديناً للكرهية والانغلاق والتقهر والتخلف وإنكار الحقائق والذات.

الغدير وذكره مناسبة للتلاقي ولإعادة قراءة الذات، وإذا كان النبي قد أقرَّ أمرًا عظيمًا يوم الغدير، فإنَّ المخالف لأمره لا تشفع له ضحبة ولا غيرها؛ فالضحبة الحقَّة هي في أتباع النبي والاقتداء بمنهاجِه، وهذا ما أقر به في خطابه إقرارًا بيِّنًا، إذ ربط بين القبول بولايته وولاية علي «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ...»؛ من هنا كان الغدير وبيعته وعهوده

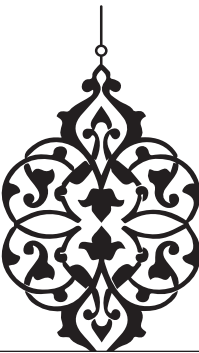


كَمَا بَلَغَهُ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ؟!!

وهل درست شَخْصِيَّةَ الأَمِيرِ الذي
نُودِيَ بِاسْمِهِ فِي مَوْضِعٍ صَارَ حَرَمًا بَيْنَ
حَرَمَيْنِ، وَأَمْنًا بَيْنَ أَمْنَيْنِ، وَعِصْمَةً بَيْنَ
عِصْمَتَيْنِ؟!!

الغدير يضعنا على سكة البحث الحقة
الشائكة، لا على سكة التعصب التي
تُجَهِّزُ للباحثِ ثَمًّا تُخْرِجُهُ مِنَ الدِّينِ
بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَذْهَبِهِ وَمَنْهَاجِهِ.

أما الأخطاء التي قد تبدر من أي
إنسان في طريقة التعبير عما قاده إليه
علمه وبحثه المتجرد، فيجب ألا تحملنا
على إنكار الحقيقة أو تضليل من يتناول
الحقيقة بالبحث والشرح والتفصيل
والتيان.



أبواب المعرفة

الميزان الواضح الدالّ على حقيقة الاتباع
- وليس الإنسان الذي يخرج على بيعة
الغدير وينقضها هو الميزان، أَيَّا يَكُنْ
وَصُفُّهُ -.

لَقَدْ أُرْسَتْ خُطْبَةُ الغدير التي كانت
بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ عِنْدَ غديرِ حُمٍّ مَفَاهِيمَ
فُرَآئِيَّةً إِسْلَامِيَّةً دِينِيَّةً إِنْسَانِيَّةً عَمِيقَةً فِي
الْأُمَّةِ كُلِّهَا، ثُمَّ إِنَّ اخْتِيَارَ الْمَوْضِعِ الَّذِي
أُرْسِيَ فِيهِ النَّبِيُّ دَعَائِمَ الْوِلَايَةِ بَيْنَ
الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ هُوَ أَكْبَرُ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّ
الْوِلَايَةَ هِيَ صَلََةُ الْوَصْلِ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ؛ بَلْ
قُلْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَخَاتَمَةِ رِسَالَتِهَا وَرِسَالِهَا
فِي الْأَرْضِ، فَالْوَلِيُّ هُوَ الْوَصِيُّ الْمَعِينُ مِنْ
قِبَلِ اللَّهِ الْعَظِيمِ رَبِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، أَمَّا
الَّذِي بَلَغَ عَنْ تِلْكَ الْوِلَايَةِ فَهُوَ رَسُولُ
اللَّهِ الَّذِي مَا نَطَقَ يَوْمًا عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ
إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ؛ وَهَكَذَا
فَإِنَّ الْغَدِيرَ يُمَثِّلُ الْإِسْلَامَ الْوَسْطِيَّ
الَّذِي يُوجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِلْتِمَامَ بِعُهُودِهِ
لَمْ تَسْتَطِعْ قِرَاءَتَهَا بِمَعْزِلٍ عَنِ الصَّنَوِيَّاتِ
الَّتِي طَالَمَا كَانَ هَدَفُهَا أَنْ تَبْطُلَ الْخُطَابُ
وَتَغْدِرَ بِالرِّسَالَةِ لِتُحِلَّ مَكَانَهَا مَذْهَبِيَّاتٌ
ضَيِيقَةٌ تَقْضِي عَلَى الْإِحْسَاسِ بِالْمَسْئُورِيَّةِ
وَالْوَعْيِ مَتَى تَمَسَّكَ بِهَا أَتْبَاعُهَا مُتَعَصِّبِينَ
لَهَا تَعْصِبًا قَبْلِيًّا عَنصرِيًّا...

فهل قرأتِ الأُمَّةَ عَهْدَ الغديرِ وخطابه



المبحث الثاني عيد الغدير وكيفية تلقي الأمة للخطاب النبوي

هل منع الخطاب النبوي من الاحتفال
بذكرى الغدير؟

لم يخبر النبي الكريم ولا القرآن المنزل أن للمسلمين عيدين اثنين ليس إلا، أو أنه يحرم عليهم أن يفرحوا في غير ذينك العيدين، أما ما يمكن أن يعتمد به بعضهم دليلاً يمنع من الاحتفال بغير العيدين المذكورين فهو قول النبي: «قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ»^(١).

والتأمل في هذه الرواية يتحقق من أنها ألغت إلغاء قاطعاً تلك العادات الجاهلية التي كان عليها الناس سواء أكان الأمر بالنسبة إلى العقائد المنحرفة أم الاحتفالات ذات العلاقة بالشرك والصنميات؛ لكنها لا تدل بحال من الأحوال على منع الفرح في غير اليومين المذكورين، وإلا فإن من اجتهد هذا الاجتهاد؛ الذي نجده بعيداً كل البعد عن الحقيقة ومجانباً للصواب؛

يكون قد ألغى صريح القرآن الكريم ووحى السماء المنزل، إذ جاء في محكم التنزيل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٢).

فأيام الله - بحسب الخطاب القرآني - هي أيام تَفْضُلٍ وَنِعَمٍ وَرَحْمَةٍ عَلَى الْعَالَمِينَ، ولا يستطيع أحد أن يختصر أيام الرحمة والتفضل والنعم بيومين اثنين، لأن يوم ولادة النبي ﷺ يوم رحمة، بل هو أعظم يوم شهدته الخليقة، وأيام نصره أيام رحمة وفضل من الله تعالى على الناس، وعلى ذلك وجب القياس الذي لا يختلف عليه أرباب المذاهب؛ لأنه قياس ثابت منصوص العلة يعتمد على نص قرآني صريح واضح، ولأن الله تعالى هو القائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣).

انطلاقاً من وحي الكتاب وفهم خطابه المنزل بلسان عربي مبين ينبغي فهم الفرح بأيام العيد وحقيقة العيد وماهية أيام

١- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج(١٣٤٧٠)؛ (٢١/ ١٣٠).

٢- سورة إبراهيم؛ الآية ٥

٣- سورة يونس؛ الآية ٥٧-٥٨



العيد؛ فقبل الحديث عن الفرح يرشدنا القرآن إلى أن موعظة الله تعالى التي ملؤها الشفاء والهداية والرحمة قد جاءت للناس من قبل رب العالمين، هذه الموعظة ما هي إلا فضل عظيم من فضائل الرب العظيم يوجب بسببها على العباد أن يفرحوا بهذا الفضل، وفرحهم بفضل الله تعالى خير مما يجمعون من تراث الدنيا بأسرها.

وانطلاقاً من هذه الآية وروحية الخطاب القرآني ومعناه ومدلولاته، فإن اليوم الذي نصّب فيه النبي الأعظم ﷺ الإمام علياً خليفة ووصياً من بعده هو من أيام الله العظيمة، ولا سيما وأن هذا اليوم كان بأمر الله تعالى ووحيه، وهو اليوم الذي بايع فيه المسلمون علياً أميراً للمؤمنين وخليفةً يسمعون ويطيعون له طاعتهم لنيبهم، وهو اليوم الذي رأى فيه الناس معجزات الله تعالى وتنزل العذاب على من رفضوا البيعة عناداً.

جاء في معنى قول الله تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ

دَافِعٌ﴾^(١)، إِنَّ السَّائِلَ هُنَا هُوَ الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانَ الْفَهْرِيُّ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَلِيٍّ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ»، رَكِبَ نَاقَتَهُ، فَجَاءَ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ بِالْأَبْطَحِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَرْتَنَا عَنِ اللَّهِ أَنْ نَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَأَنْ نُصَلِّيَ خَمْسًا فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَنُزَكِّيَ أَمْوَالَنَا فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَأَنْ نَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي كُلِّ عَامٍ فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَأَنْ نَحُجَّ فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ بِهَذَا حَتَّى فَضَّلْتَ ابْنَ عَمِكَ عَلِيًّا؛ أَفْهَذَا شَيْءٌ مِنْكَ أَمْ مِنْ اللَّهِ؟!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا هُوَ إِلَّا مِنْ اللَّهِ».

فَوَلَّى الْحَارِثُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَبَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ؛ فَوَاللَّهِ مَا وَصَلَ إِلَيَّ نَاقَتُهُ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ بِحَجَرٍ فَوَقَعَ عَلَى دِمَاغِهِ، فَخَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ فَقَتَلَهُ، فَتَرَكْتُ: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ سورة المعارج؛ الآية ١^(٢).

١- سورة المعارج؛ الآية ١-٢

٢- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر؛ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي؛ (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م)؛ (١٨ / ٢٧٨) - الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم؛ تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن؛ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م)؛ (١٠ / ٣٥)؛ وذكر سند الرواية عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن قول الله سبحانه: سَأَلْ سَائِلٌ فِيمَنْ نَزَلَتْ؟ فقال: لقد سألتني عن مسألة ما سألتني أحد قبلك؛ حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه - النعماني، سراج الدين عمر بن علي؛ اللباب في علوم الكتاب؛ (بيروت، دار الكتب العلمي، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)؛ (١٩ / ٣٥٠).



لقد كانت بيعة الإمام علي تنفيذًا للوحي المنزل، وإنَّ يومًا يتعرَّف فيه العبد إلى معنى آية من الكتاب هو يوم عيد، وهو يوم فضل ورحمة أوجب الربُّ على العباد أن يفرحوا به ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾^(١)، وذلك لما يتجلَّى فيه من نِعَم الله تعالى العظيمة عليهم... فكيف إذا كان هذا اليوم هو اليوم الذي يتعرف فيه العبد إلى إمامه ووحي نبيّه وحاملِ أمانات النبوة ووارث علوم الرسول والرسالة؟!

لا أظنَّ أن عاقلًا من العقلاء الذين قرأوا الخطاب القرآني وفهموا أبعاده سينكر عظيم هذا اليوم الجليل، ولا أظنَّ أن هناك باحثًا متجردًا سيهمل هذا اليوم المُفصل المهم في تاريخ الأمة، اللهم إلا أن يكون له هدف واحد وواضح ألا وهو العمل على إخفاء هذه الحقيقة العظيمة من التاريخ والتراث.

القضية - إذاً - أعظم من مجرد يوم نحتفل به ونقدم الهدايا وتكلف على الأطعمة والأشربة مما لذ منها وطاب...، وإنما هو يوم وضع النبي ﷺ فيه أمته على السكة الصحيحة والطريق السوي والصراط المستقيم، وهو اليوم الذي رضي

الله تعالى ورسوله فيه للأمة أن يكون عليّ خليفة الرسول والقائم بأعباء الرسالة. وهنا نسأل لماذا أوقف النبي في غدير خم ما يربو على المائة ألف رجل في أثناء رجوعهم من الحج؟ ألم يوقفهم ليعطيهم الوصية الكاملة والأمر الكامل الذي فيه صلاحهم ومنجاتهم؟؟!

ثم نسأل هل قبلت الأمة بتعظيم النبي ليوم الغدير حيث أوقف الناس ومنعهم من السير إلى مرابعهم ومواطنهم، وردّ من تعجّل منهم وذهب من قبل أن يُدعى لتلبية أمره ﷺ، أو من أهمل الأمر ثم ذهب يربع على هواه...؟؟!

ألا يستحق منا هذا الأمر التعظيم والتكريم والفرح والدراسة المتأنية الواعية لفهم طبيعة الخطاب القرآني وعلاقته الوثيقة بالخطاب النبوي؟؟

لو كان هذا الموقف من مواقف آحاد المسؤولين والوجهاء والأمراء والملوك لعظمه الناس أيّما تعظيم، فكيف وقد جاء بهذا الأمر الرسول الخاتم من لدن الرب المرسل؟؟!

متى درست الأمة الخطاب النبوي والقرآني دراسة علمية متجردة فإنها لن



طاعته موصولة بعد انتقاله إلى ربه بالولي الذي ينوب عنه نيابة كاملة في تبليغ الرسالة فيما دونها.

ولقد أبدى الناس في تلك الواقعة تفاعلهم مع أمر النبي إذ فهموا عنه أن عليا هو خليفة النبي الذي جمع الله له السلطة الزمنية والدينية؛ وفهمهم الواضح للخطاب حملهم على تهنية الإمام علي بإمرة المؤمنين - بغض النظر عن التزامهم أو عدم التزامهم بعد واقعة الغدير بما تعاهدوا عليه -.

فَعَنِ الْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَتَزَلَّنَا بِغَدِيرِ خُمٍّ، فَنُودِيَ فِينَا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَكُشِحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ ؑ

فَقَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أُولَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟
قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أُولَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟
قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ

تقصر بحق تراثها المزدان بجليل الفوائد وعظيم المقاصد الكفيلة بصناعة الحضارة وصياغة أرقى خطاب إنساني جامع على وجه المعمورة... لكن، ها هي الأمة ما بين ناسية عهد الغدير منكرة له مع كل ما صح من نصوص لم ينكرها أحد من الخلق؛ أو متخذة منه صورة بلا معنى ولا هدف.

ولو نحن تتبعنا التزام الأمة بهذا الخطاب لوجدناها - إلا قليلا - بعيدة كل البعد عن مدرسة الغدير ومتعلقاتها، تعرف الدين الصورة والتشريع الصورة والديانة الصورة والأعمال الصورة... والصورة لا تقدم ولا تؤخر ما لن تتبع عن إيمان وعلم ومعرفة ومحبة وتقوى...

تلقي الأمة للغدير :

لم يشأ النبي أن يحدث الناس عن خلفائه من بعده بطريقة عابرة، ولم يحب أن يخبرهم عن الواقع الذي سيكون بعده مجرد إخبار، بل عمد إلى تحديد الزمان والمكان ليقيم رابطة وعلاقة قائمة ما قامت السماوات والأرض بين الناس وبين نبيهم ولي أمرهم الذي يدير شؤونهم ويحكم بينهم بالعدل والحق، إذ جعل



وَعَادٍ مِّنْ عَادَاهُ، وَأَحَبَّ مَنَ أَحَبَّهُ،
وَأَبْغَضَ مَنَ أَبْغَضَهُ، وَأَعَزَّ مَنَ أَعَانَهُ،
وَأَنْصُرُ مَنَ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنَ خَذَلَهُ؛
قَالَ: فَلَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: هَيْنَا
يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى
كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ^(١).

وفي أمالي الشجري: فَقَالَ عُمَرُ: بَخ
بَخ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ!! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ
وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ﴾ المائدة: ٣...»^(٢).

وهذه الرواية وغيرها تؤكد على أنَّ
آية إكمال الدين قد نزلت في ولاية عليٍّ
وخلافته للنبي التي كانت بأمر وحي
السماء؛ كما أن الروايات السابقة بحد ذاتها
تُعَدُّ عيداً لكلِّ محب للإمام علي ولأئمة
آل البيت الذين خلفوه على طريقة جدِّهم
رسول الله ﷺ الذي أخبر عنهم، وَنَعَتْهُمْ
بالخلفاء الراشدين المهديين؛ لَأَتَمُّهُمْ جَمِيعَهُمْ
مهديٌّ من مهديٍّ؛ ولذلك فإننا لا نعجب
عندما نعرف أنَّ هذا اليوم قد سُمِّيَ: عيد
الله الأكبر.

فعن صفوان بن يحيى، قال: سمعت

١- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ ح ١٨٤٧٩ (٣٠/ ٤٣٠)؛ وصححه
محققه - الطحاوي، أحمد بن محمد؛ شرح مشكل الآثار؛ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥ هـ،
١٤٩٤ م)؛ ح (١٧٦١)؛ (٥/ ١٤) - كما أخرجه الحاكم في مستدركه بألفاظ متعددة، وصححه على شرط
الشيخين... كما أخرجه أيضا معظم أصحاب الصحاح والسنن والمسائيد من طرق عديدة وبأسانيد
صحيحة؛ وذكر صاحب «نظم المتناثر في الحديث المتواتر»؛ الكتاني، محمد بن جعفر؛ نظم المتناثر في
الحديث المتواتر؛ (دار الكتب السلفية، ط ٢)؛ ص (١٢٤) أنه ورد عن خمسة وعشرين صحابياً.

٢- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، فضائل الصحابة، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٣ هـ
- ١٩٨٣ م)؛ ح (١٠١٦)، (٢/ ٥٩٦) - الشجري، يحيى بن الحسين؛ ترتيب الأمالي الخميسية للشجري؛
(بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)؛ ح (١٨٨)، (١/ ٥٦) واللفظ له. قال سبط ابن
الجوزي: فإن قيل: فهذه الرواية التي فيها قول عمر: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة
ضعيفة. فالجواب إن هذه الرواية صحيحة، وإنما الضعيف حديث رواه أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب
عن عبد الله بن علي بن محمد بن بشر عن علي بن عمر الدارقطني، عن أبي نصر حبشون بن موسى
بن أيوب الخلال رفعه إلي أبي هريرة وقال في آخره: لما قال النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه
نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
سورة المائدة؛ الآية ٣. قالوا: وقد انفرد بهذا الحديث حبشون. ونحن نقول: نحن ما استدللنا بحديث
حبشون بل بالحديث الذي رواه أحمد في الفضائل عن البراء بن عازب وإسناده صحيح، ورواية
حبشون مضطربة، لأنه قد ثبت في الصحيحين أن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ سورة المائدة؛ الآية ٣، نزلت عشية عرفة في حجة الوداع،
على أن الأزهرى قد روى عن حبشون ولم يضعفه، فإن رواية حبشون احتملت أن الآية نزلت مرتين.
سبط ابن الجوزي، يوسف بن قز علي البغدادى؛ تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة؛
(بيروت، المجمع العالمي لأهل البيت، بلا تاريخ)؛ (١/ ٢٦٣ - ٢٦٤).



الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «الثامن عشر يوم غدير خمّ من ذي الحجة عيد الله الأكبر، ما طلعت عليه شمس في يوم أفضل عند الله منه، وهو الذي أكمل الله فيه دينه لخلقه وأتم عليهم نعمه، ورضي لهم الإسلام ديناً، وما بعث الله نبياً إلا أقام وصيه في مثل هذا اليوم ونصبه علماً لأمته...»^(١).

ولأن الغدير يوم عيد من أعظم الأعياد في روايات أهل البيت وعند العلماء المدققين المفتحين على روايات أهل البيت والتراث الإسلامي بوعي وتدقيق، فقد ورد في فضل صومه وتعظيمه الكثير من الروايات منها ما جاء عن أبي هريرة، قال: مَنْ صَامَ يَوْمَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صِيَامَ سِتِّينَ شَهْرًا، وَهُوَ يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ^(٢).

أما تلقي الشعراء للخطاب النبوي فلم يكن أقلّ شأنًا من تلقي عموم الناس له، فقد ذكر صاحب تذكرة الخواص أن الشعراء قد أكثرت في يوم غدير خم، فقال حسن بن ثابت قال [من الطويل]:

يَنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيَّهُمْ
بِخُمْ وَأَسْمِعَ بِالرُّسُولِ مُنَادِيَا
فَقَالَ فَمَنْ مَوْلَاكُمْ وَنَبِيِّكُمْ
فَقَالُوا وَلَمْ يُدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا
إِلَهُكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ نَبِيُّنَا
وَلَمْ تَلَقْ مِنَّا فِي الْوَلَايَةِ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيٌّ فَإِنِّي
رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيَا
فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ
فَكُونُوا لَهُ أَتْبَاعَ صَدِّقِ مَوَالِيَا
هُنَاكَ دَعَا: اللَّهُمَّ وَالِ وَلِيَّهِ
وَكَنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيَا

ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله لما سمعه ينشد هذه الأبيات قال له: «يا حسان، لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا أو نافحت عنا بلسانك»^(٣).

لقد عبّر حسن بن ثابت عن طبيعة الناس للولاية العامة التي كانت لعلي نيابة عن ولاية النبي العامة، إذ كانت ولايته مقترنة بولاية النبي لا تنفك عنها في حال من الأحوال، وهذا مصداق

١- الشجري، يحيى بن الحسين؛ ترتيب الأمالي الخميسية للشجري؛ ح (٧١٥)، (١/ ١٩١).

٢- الشجري، يحيى بن الحسين؛ ترتيب الأمالي الخميسية للشجري؛ ح (١٢١٢)، (١/ ٣٤٣).

٣- سبط ابن الجوزي يوسف بن قزعلي؛ تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة؛ (١/ ٢٧٢ - ٢٧٣).



قوله:

«فَقَالَ: فَمَنْ مَوْلَاكُمْ وَنَبِيِّكُمْ؟» ما يؤكد على أن ولايته ولاية معية لولاية النبي.

أما ردة فعل الناس بحسب ما نخبرنا حسان بن ثابت، فقد كانت إيجابية، إذ لاقتِ القبول والرضا التامّ والعامّ في ذلك الوقت، فاعترفوا بولاية علي وأذعنوا له وأظهروا الطاعة لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

المبحث الثالث: عيد الغدير بين مفتاحية المعارف وأزمة التلقي

عيد الغدير مفتاح المعارف والحلول والالتقاء:

ليس غريباً أن يكون من أسماء عيد الغدير «عيدُ الله الأكبر» كما ورد عن أئمة آل البيت الأطهار، ذلك أن ولاية الإمام علي عليه السلام تعني النيابة العظمى عن خاتم الأنبياء والمرسلين، وتعني وجوب اتباعه والاهتداء بهديه واقتفاء سنّته وسنّة أبنائه الذين نصّ عليهم النبي وحَدّدهم تحديداً

معروفاً ليس مجهولاً؛ كي لا يتاجر بالدين المدّعون؛ من هذا المنطلق نعرف تماماً لماذا أمر النبي ﷺ الناس باتباع خلفائه ساعة قال لهم: «فعلّيكُم بسّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عَصُوا عليها بالنواجز»^(١)؛ لأنّ الأمة إذا عرفت الخليفة الأول عرفت مفتاح معارفها والحلول لمشاكلها والالتقاء على الحق والحقيقة من دون أدنى كراهية أو نزاع أو خلاف بحجة المذهبيّة والقبليّة والعصبيّة التي هي عين الجاهلية الأولى.

ولا شكّ بأنّ التعامي عن ولاية الغدير كانت السبب الأعظم في تراجع الأمة واختلافها وانقسامها، وإذا لم ترجع الأمة إلى تاريخها الحقيقي الذي دفتته بصراعاتها وانقساماتها وعصبياتها فلن تحصد غير الأوهام والخذلان والدماء التي تتساقط كل ساعة على أرضنا بحجة الانتفاء إلى إسلام يوجب قتل المخالفين وتشويه صورتهم والنيل منهم.

وجه الشبه بين ولاية النبي وولاية الوصي في الخطاب النبوي:

لئن شهد النبي لأناس بالخيرية،

١- أبو داود، سليمان بن الأشعث؛ سنن أبي داود؛ (بيروت، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)؛ ح (١/ ٣٣٩) - ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني؛ سنن ابن ماجه؛ ح (١/ ٢٨) - الحاكم النيسابوري، الحاكم محمد بن عبد الله؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم؛ ح (١/ ٣٢٩)؛ وعلق عليه الذهبي بأنّه صحيح ليس له علة.





والقرار الحازم ليعلم بعد التوتر الذي أصاب جميع المتحمسين والمتشوقين والمنافقين بأن ذلك الرجل الذي اختاره وحي السماء هو علي بن أبي طالب...^(١)

جاء في رواية عن سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي أنت أخي وأنا أخوك؛ أنا المصطفى للنبوّة، وأنت المجتبي للإمامة؛ أنا وأنت أبوا هذه الأمة، وأنت وصيي ووارثي وأبو ولدي، أتباعك أتباعي، أولياؤك أوليائي، وأعداؤك أعدائي، وأنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في المقام المحمود، وصاحب لوائي في الآخرة، كما أنت صاحب لوائي في الدنيا؛ ولقد سعد من تولاك، وشقي من عاداك، وإن الملائكة لتتقرب إلى الله بمحبتك وولائتك، وإن أهل مودتك في السماء أكثر من أهل الأرض؛ يا علي أنت حجة الله على الناس بعدي، قولك قولي، أمرك أمري، نهيك نهيي، وطاعتك طاعتي، ومعصيتك معصيتي، وحزبك حزبي، حزب الله؛ ثم قرأ

وأعلن تفضيله لرجل من أصحابه...، لكنّه لم يعلن أمام الناس ما أعلن في علي من حبّه له، وحب الله تعالى له، ثم شهد - وهو النبي المعصوم الذي لما ينطق عن الهوى - على حبّ علي لله ولرسوله، وهذه الميزة التي تميز بها علي ليست من أجل الغرض من مكانة الآخرين، بل هي من أجل أن يعرف الآخرون مكانته وفضله عليهم، وسبقه لهم، وتفوّقه على جميع المؤمنين في كلّ شأن من الشؤون، وبذلك يتمّ إذعان الجميع له، والاعتراف بولايته وخلافته للنبي، ولو كان أصغر سنّاً من كثيرين من الأصحاب.

إنّ لفت أنظار الناس والأصحاب جميعاً إلى شخصيّة متميزة كلّ التميز ليس أمراً عبثياً، فلقد أقسم النبيّ يوم خيبر أن يعطي الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وكان أعطى الراية لآخرين، لكن الفتح لم يتم على أيديهم، ولما كرّر هذه المقولة تناولت أعناق القوم حيث كان كلّ واحد منهم يتمنى أن يحظى بهذه الميزة العظيمة، وعندما اشرأبت الأعناق واشتدت الحماسة، جاء الجواب الفاصل

١- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ ح ٣٠٦١ (٥/ ١٧٨) - البخاري، محمد بن إسماعيل؛ صحيح البخاري؛ (الرياض، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ)؛ ح ٢٧٨٧ - (١٠/ ١٩٨) - ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني؛ سنن ابن ماجه؛ ح ١١٤ (١/ ١٣٠) - الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله؛ المستدرک علی الصحیحین؛ ح ٤٦٢٧ (١٠/ ٤٥٧).



﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ سورة المائدة؛ الآية ٥٦^(١).

لو أن رجلاً من عموم الرجال الذين نالوا محبة الله ورسوله وقبوله حظي بهذه المرتبة من المحبة والتعظيم والتقدير ووجوب الانقياد له مع ما رافق ذلك من لفت أنظار المؤمنين إليه، فهو رجلٌ متميز في إيمانه وصدقه وتوجهه إلى الله تعالى لا يرقى إلى رتبته أحد، لا سيما وقد اقترن بمحمد رسول الله حباً وطاعةً وحجّةً وأمرًا ونهيًا.

ثم إن النبي عندما حدّث عليًا عن مكانته المثلى والعظمى عند الله ورسوله والملائكة المقربين وكلّ عباد الله المؤمنين، إنّما أراد من وراء ذلك أن يُعلّم المؤمنين محبة عليّ التي تتجلى في الاقتداء بسنته بعد النبي، إذ هو سيد المؤمنين وسيد العرب قاطبة، وأنه ولي المؤمنين والمؤمنات، وهو الرجل الذي شُرف الآخرون بمحبتهم له، والاقتداء به، وتتبع آثاره؛ إنه علي بن أبي طالب الذي جعل الله محبته علامة إيمان، وبغضه علامة نفاق.

وفي حديثنا عن وجه الشبه بين محمد

رسول الله وبين علي وصي رسول الله فإنّ تلقى الأمة لهذا المعنى ظل في حدود الولاية والنيابة التي لا يمكن إنكارها وإن أنكرت وأهملت مفاعيلها.

أمّا النبوة فلا نبي بعد محمد ﷺ، إذ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وعليه فإنّ أدنى شبه بين الولايتين هو أنّ النبي مسؤول عن المؤمنين، وهو أولى بهم من أنفسهم، وأنّه إذا قضى أمرًا فما كان لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون لهم الخيرة أبدًا، فولاية محمد ولاية نبي يوحى إليه من عند الله تعالى، وولاية علي ولاية وصي يعهد إليه النبي الذي أوحى إليه من عند الله بعهود الله.

وإذا كان النبي هو صاحب السلطة والقرار، فالولي هو من ينوب عن النبي في سلطته وفي تشريعاته، لذلك قال في الحديث الصحيح: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»، وهذا الاستمساك الذي شدّد النبي عليه هو نفسه الذي أمر به في الحديث الآخر إذ قال: «إني أو شك أن أدعى فأجيب»، وإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر: «كتاب الله جبل

١- القندوزي، الحنفي سليمان بن إبراهيم؛ ينابيع المودة لذوي القربى. (دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ)؛ (٣٢٠/١).



لذلك كان الرابط الجامع بقوله: «لن تضلوا بعدي».

إن ولاية علي التي تلقاها الناس بالقبول والرضا تكللت بدعوة رسول الله ﷺ إذ قال: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله»، وفي هذا الدعاء تأكيد إضافي على خطورة مخالفة هذه الولاية التي لا يمكن أن تكون مجرد ولاية محبة.

ونحن متى طالعنا النصوص وجدنا أن هذا المفهوم لمعنى الولاية كان واضحاً عند الصحابة الذين تلقوا الخطاب النبوي مبدين اعتصامهم بولاية علي التي لم يثبت عليها بعد النبي غير قلة قليلة من الناس، فعن رباح بن الحارث قال: بينا علي جالساً في الرحبة، إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال: السلام عليك يا مولاي.

فقال: من هذا؟

فقالوا: هذا أبو أيوب الأنصاري.

فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٢).

ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإني لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

فهذه الرواية تفسر بشكل واضح من هم الخلفاء الراشدون الذين عناهم النبي ﷺ وأمر بالتمسك بسنتهم، إذ إنهم من عترته، من آل بيته.

ولاية النبي ليست مجرد ولاية محبة، إنها ولاية يصير بها للنبي سلطان كبير على نفس المؤمن يفوق رغبته في الأمور، ويتغلب على تطلعاتها؛ قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ سورة الأحزاب؛ الآية ٦، وولاية علي ولاية مقرونة بولاية النبي، لا تنفك عنها، لا بل إن النبي ﷺ جعل الشرط الذي يظهر صدق تولي الناس - ولا سيما الصحابة - لرسول الله، ألا وهو توليّه لعلي.

ولئن دققنا في الوصية الواردة في الأحاديث السابقة، وجدنا الوصايا المتعلقة بالتمسك بما فيه العصمة وصية واحدة، فالتمسك بالكتاب وسنة الخلفاء الراشدين عصمة من الضلال، والتمسك بالكتاب والعترّة عصمة من الضلال؛

١- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح ١١١٣١ (١٧ / ٢١١) - الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛ ح ٩٠٨٧ (٥ / ٢١٥) - الحاكم النيسابوري، الحاكم محمد بن عبد الله؛ المستدرک علی الصحیحین للحاکم؛ ح ٦٢٧٢ (٣ / ٦١٣).
٢- ابن أبي شيبه؛ عبد الله بن محمد بن إبراهيم؛ مصنف ابن أبي شيبه؛ (الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٩ هـ)؛ - ح (٣٢٠٧٣)، (٦ / ٣٦٦).



عيد الغدير وأزمة التلقي وعدم الالتزام بالعهود النبوية:

الأعداد ولو كانت غفيرة لا تحل إشكالاً في يوم من الأيام، فالناس الذين تلقوا الأمر بالقبول والرضا وبايعوا الإمام حتى بلغ عددهم في بعض الروايات مائة وعشرين ألفاً^(٢)، لم يستطيعوا الثبات على عهود الله والبيعة التي بايعوا؛ وهنا نقف عند محطة مهمة تكشف لنا عن أن الكثرة لن ترشد إلى حقيقة تدعيها ثم لا تلتزم بها، ولذلك أرشدنا سبحانه إلى أن الشكر هو الطريقة التي نعرف من خلالها الملتزمين بالحق، وهم - دوماً - قليلون فقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سورة سبأ؛ الآية ١٣ فلا الكثرة التي بايعت علياً عند الغدير ستكون ذات جدوى ما لم تثبت على عهودها، ولا الكثرة التي ادعت التزام منهاجه ستكون صالحة إذا لم تعرف أخلاقه وتهتد بهديه أو تستن بسنته، ولا الكثرة التي تحيي ذكره ستكون قادرة على إحياء عدالته إذا لم تحي أهدافه وتضحياته.

وأبو أيوب لم يكن شديد الحذر في التزامه وخطابه علياً بأمر المؤمنين لأمر عبثي، بل كان تعبيراً عن ثباته على التلقي الأول والمفهوم الأعدل والأقوم الذي تلقته الأمة يوم الغدير.

جاء عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني»^(١).

إن هذا الخطاب يثبت الرابط الوثيق بين طاعة الله وطاعة رسوله، فالذي يطيع الرسول يطيع الله؛ لأن الله هو الذي أرسل الرسول بالبينات والهدى... وكما أن الرابط وثيق بين طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، فإنه أيضاً وثيق بين طاعة الرسول وطاعة علي، فالذي يطيع الرسول لا بد أن يطيع علياً، والمنافق الذي يعصي أمر الرسول لا بد أن يعصي أمر علي؛ لأن طاعة علي ﷺ طاعة لأمر النبي الذي لا ينطق عن الهوى.

١- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله؛ المستدرک علی الصحیحین للحاکم؛ ح (٤٥٩٤) ومثله عن علي (٤٦١٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢- سبط ابن الجوزي يوسف بن قزلي البغدادي؛ تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة؛ (١/ ٢٦٦).



بكثرة المخالفين لرسول الله على صوابية
نقض بيعة الله ورسوله، واعتبار بيعة
الغدير بيعة شكلية لا قيمة لها، وهذا
ما رُوج له عن طريق تحريف المعاني
الواضحة للنصوص، بل هذا ما حدث
فعلا، إذ كان الاستخفاف بعقول الناس،
واعتبار المؤمنين - بما أمر به النبي على
الطريقة الأولى والتلقي الأول - مخالفين لما
عليه جمهور الأمة!!!

وهكذا بات المخالفون أئمة وأولياء،
والمعظم لهم مؤمناً تقيّاً ورعاً؛ أمّا المعظم
لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، والثابت على
عهد الغدير فقد صار ضالاً منحرفاً
خارجاً على إجماع الأمة!!!

فهل أمر الله تعالى ورسوله ﷺ باتباع
إجماع فريق من الأمة ومخالفة وحي
السماء الذي ثبت على تلقيه فئة من
الناس ولو قليلة؟؟!!

هنا يبدو لنا خط الإمام بين الناس
غريباً في كل وقت وأن، ليس هناك من
يعرفه أو يدعو إلى نوره بوحي وصدق إلا
القليل ممن رحم الله تعالى، وهنا ندرك
الواقع المريع الذي كانت عليه الأمة منذ
الغدير، حيث عديدة كغشاء السيل لا تنتج
خيراً، ولا تقدم خيراً ولا تعرف التزاماً
ولا تثبت على عهد؛ بل تنكص وتراجع
وتتخلف وترمي وعودها خلف ظهرها،
وتتكشف أحوالها وأمورها ساعة احتضار
النبي وانتقاله إلى ربه، حيث انتقلت
مباشرة إلى الحزب المكي القرشي المعارض
له عند أول فتنة واختبار وامتحان.

عيد الغدير كان عيد الله الأكبر
وسيقى؛ لأنّه حدّد الطريق والطريقة
التي يتوجب على الأمة السير عليها،
إلا أنّ العهد التي أخذت على الناس
لم يثبت عليها إلا نفر قليل من المؤمنين
الذين كانوا تلقوا ما عهد به النبي إليهم
بكامل الرضا، وكذلك السائرون على
طريق الحق والمستمسكون بحباله قلة في
كل زمان ومكان.

لكنّ العجيب أن كل المخالفين الذين
نقضوا العهد صاروا القدوة والأسوة من
دون رسول الله وولي المؤمنين، والأعجب
من ذلك أن يستدل الباحثون والدارسون



الخاتمة:

خطاب الغدير وعهده من قبل النبي ﷺ أثبت في أبعاده وجوهه ضمانه الوجود الآمن للأمة؛ فإذا كان عيد الغدير هو عيد الله الأكبر فلأنه نعمة من الله تعالى ضَمِنَ بها وحدة الأمة واجتماعها وتآلفها؛ ولئن ذَكَرَ الله المؤمنين بنعمته التي جعلتهم متآلفين متحابين بعد أن كانوا أعداء يستبيحون دماء بعضهم... وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... سورة آل عمران؛ الآية ١٠٣، فلقد ذكر النبي أمته بما ترك فيهم من النعمة الممتدة الآثار والبركات لئلا يضلوا ولئلا يرجعوا حيث كانوا من العداوة والجاهلية واللا إنسانية، ولذلك خطب فيهم قائلاً: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ - وفي رواية: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي - أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَثَرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنِّي لَأَنْفَرُ قَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْصُ»^(١)؛ فهل ستتدبر الأمة أحوالها وترجع إلى معين وحدتها

وأصالتها وعهود غديرها، أم أنها ستبقى رهينة العصبية والمذهبيات والمتاجرة ببيت النزاعات والأحقاد والدماء البريئة؟! لقد أثبت الغدير بأن الناس الذين يُبَيِّتُونَ عَلَى الْعُهُودِ وَالْوَعُودِ وَالْأَخْوَةِ وَالْمُودَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْأَخْلَاقِ وَالِدِينِ وَالْإِلْتِزَامِ مَهْمَا اشْتَدَّتْ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا وَالشَّدَائِدُ وَالْمُلَمَّاتُ وَالْمَصَاعِبُ وَالْأَهْوَالُ هُمْ ثَلَاثَةٌ قَلِيلَةٌ جَدًّا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ وَإِنْ تَجَلَّبَّوْا بِالْدِينِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَنْصُرُونَ غَيْرَ الْمَصْلَحَةِ وَالْأَنَانِيَّةِ وَالْقَبْلِيَّةِ وَالْعَصْبِيَّةِ الَّتِي تَتَهَاوَى عِنْدَ أَقْدَامِهَا الْمَبَادِئُ وَالْقِيَمُ بِلِ الْإِيمَانِ كُلِّ الْإِيمَانِ؛ وَهَكَذَا يَتَلَاشَى الْعَبْدُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الثَّوْبِ الَّذِي لَبَسَهُ لِيُؤْوَلَ عَارِيًّا مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ مَا خَلَا النِّفَاقَ وَالْكَذِبَ وَالرِّيَاءَ وَالْعُجْبَ وَالْغُرُورَ وَالْكَرَاهِيَّةَ وَالتَّلَوْنَ وَالتَّحَوُّلَ وَالتَّكْوُصَ عَلَى الْأَعْقَابِ.

ولئن كان الجيل الأول الذي عاهد الله ورسوله على الوفاء فَعَدَرَ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ - قَدْ اتَّخَذَهُ النَّاسُ قُدُوةً وَمِثَالًا أَعْلَى، فَوَرَّثَ مَنْ بَعْدَهُ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَالْخِلَالَ الَّتِي هَدَمَتِ الْمَوَاقِيقَ، فَهَلْ سَتَكُونُ الْأَجْيَالُ الْمُتَابِعَةُ إِلَّا صُورًا مُصَغَّرَةً أَوْ

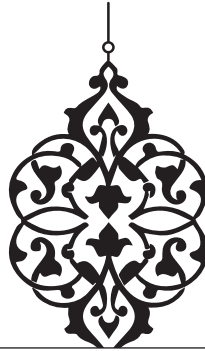
١- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح (١١١٠٤)؛ (١٧ / ١٦٩) -، الترمذي، محمد بن عيسى؛ الجامع الكبير = سنن الترمذي؛ ح (٣٧٨٨) - الطبراني، سليمان بن أحمد؛ المعجم الكبير؛ ح (٢٦٧٩).



مُكَبَّرَةً عَنْهُ...!!؟؟!!

وَدَاعَا غَدِير، لَقَدْ ضَيَّعْتَكَ الْأُمَّةُ
فَضَاعَتْ فِي انْقِسَامَاتِهَا، وَخَانَتْكَ فَهَانَتْ فِي
نَظَرِ أَعْدَائِهَا، وَلَا تَزَالُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ
فَائِمَةً لَمْ تَتَغَيَّرْ وَلَمْ تَتَبَدَّلْ؛ تَعْتَرِفُ بِالْحَقِيقَةِ،
ثُمَّ تُنْكِرُهَا، ثُمَّ تَطْعُنُ أَهْلَهَا طَعْنًا
مُسْتَهْجَنًا بِلاِ إِنْسَانِيَّةٍ وَلَا رَحْمَةٍ... هَكَذَا

فَعَلَتْ بِوَصِيِّ رَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ، وَهَكَذَا
فَعَلَتْ بِخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُخْصُوصِينَ بِالْعُلُومِ وَالْوَرَاثَةِ
النَّبَوِيَّةِ، فَهَلْ سَيَسْتَمِرُّ هَذَا السُّلُوكُ الْمَمْرُوقُ
لِلْحَقَائِقِ وَلَوْحِدَةِ الصِّفِّ؟ وَهَلْ سَيَقُومُ
الْبَاحِثُونَ بِوَاجِبِهِمْ تَحِيَّاهُ الْحَقِيقَةِ.



ابواب المعرفة





المصادر والمراجع

٢٠٠٠م). المحكم والمحيط الأعظم. دار الكتب العلمية: بيروت.

ابن عساكر، علي بن الحسن. (الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م). معجم الشيوخ. (وفاء تقي الدين، المحرر) دمشق: دار البشائر.

ابن فارس، أحمد. (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) بيروت: دار الفكر.

ابو داود، سليمان بن الأشعث. (الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). سنن أبي داود. (شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بلي، المحرر) بيروت: دار الرسالة العالمية.

البخاري، محمد بن اسماعيل. (الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري. (محمد زهير بن ناصر الناصر، المحرر) الرياض: دار طوق النجاة.

البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. (الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م). مسند البزار = البحر الزخار (محفوظ الرحمن زين الله، المحرر) المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

القرآن الكريم

ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك. (الأصدار الأول، ١٤١١هـ - ١٩٩١م). الأحاد والمثاني. (باسم فيصل أحمد الجوابرة، المحرر) الرياض: دار الراية.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي. (الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. (الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، وشعيب الأرناؤوط، المحررون) بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. (الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م). فضائل الصحابة. (وصي الله محمد عباس، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. (الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م). مسند الإمام أحمد بن حنبل. (شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، عبد الله بن عبد المحسن التركي، و آخرون، المحررون) بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن سيده علي بن إسماعيل. (الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ -





- النمذجية.
- السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي. (بلا تاريخ). حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه. بيروت: دار الجيل.
- الشجري، يحيى بن الحسين. (الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). ترتيب الأمالي الخميسية للشجري. (محمد حسن محمد حسن إسماعيل، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. (١٤١٥هـ). المعجم الأوسط. (طارق بن عوض الله بن محمد، و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، المحررون) القاهرة: دار الحرمين.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. (الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م). الروض الداني = المعجم الصغير. (محمد شكور محمود الحاج أمير، المحرر) بيروت: المكتب الإسلامي.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. (الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م). المعجم الكبير. (حمدي بن عبد المجيد السلفي، المحرر) القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- الطحطاوي، أحمد بن محمد بن سلامة. (الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ،
- البغدادى عبد القادر بن عمر. (الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الترمذي، محمد بن عيسى. (الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م). الجامع الكبير = سنن الترمذي. (أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، و إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥، المحررون) مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. (الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م). تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن. (الإمام أبي محمد بن عاشور، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. (الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م). المستدرک على الصحيحين للحاكم. (مصطفى عبد القادر عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الرازي محمد بن أبي بكر. (الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م). مختار الصحاح. بيروت: الدار



- (١٤٩٤م). شرح مشكل الآثار. (شعيب الأرناؤوط، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الفيروزآبادي، طاهر محمد بن يعقوب. (الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م). القاموس المحيط. (مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- القرطبي، محمد بن أحمد. (الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. (أحمد البردوني، و إبراهيم أطفيش، المحررون) القاهرة: دار الكتب المصرية.
- الكتاني محمد بن جعفر. (الطبعة الثانية). نظم المتناثر في الحديث المتواتر. دار الكتب السلفية.
- المزي، الحافظ. (الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م). تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. (عبد الصمد شرف الدين، المحرر) المكتب الإسلامي، والدار القيّمة.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف. (الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
- الميداني أحمد بن محمد النسابوري. (بلا تاريخ). مجمع الأمثال. بيروت: دار المعرفة.
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. (الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م). السنن الكبرى للنسائي. (حسن عبد المنعم شلبي، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.
- النعماني سراج الدين عمر بن علي. (الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م). الباب في علوم الكتاب. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الهيثمي، نور الدين علي. (عام النشر ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. (حسام الدين القدسي، المحرر) القاهرة: مكتبة القدسي.
- سبط ابن الجوزي يوسف بن قزعلي البغدادي. (بلا تاريخ). تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة. بيروت: المجمع العالمي لأهل البيت.



لا اُفنى الا على سبيلك والافضل

بناء الإنسان عند الإمام علي عليه السلام
في ضوء كتاب نهج البلاغة

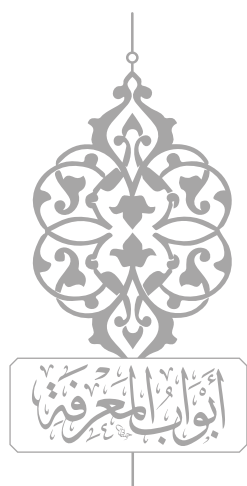
مفردة التقوى والتسامح أنموذجاً

الباحث هادي حسن شويخ



الباحثة نضال علي الربيعي





المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وعلى آله المنتجبين إلى قيام الدين.

أمّا بعد فيمكن القول إنّ كتاب نهج البلاغة يعدّ من أفضل الكتب على الإطلاق بعد كتاب الله، وهو يمثل جملة مما اختاره السيّد الشريف الرضي (من علماء القرن الرابع) من كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أشهر ما انتقى من كلامه عليه السلام، وقد حظي كتاب النهج بمنزلة سامية في الوسط الشيعي، إذ جاء في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم قداسة، ونال مكانة بارزة جداً في أوساط الأدب العربي، حتى وصف هذا الكتاب النفيس بأنّه مملوء من ألفاظ يتهذّب بها المتحدث، ويتدرّب بها المتكلّم. فيه من القول أحسنه، ومن المعاني أرقصه، كلامٌ أحلى من نغم القيان، وأبهى من نغم الجنان.

وقد انتقينا أحد فضائل أمير المؤمنين عليه السلام في ملأ من الآفاق، وأقرّ بها الأعداء قبل الأصدقاء في كتاب نهج البلاغة وهما التقوى والتسامح، فقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً

للقدره عليه»، تحت هذا الشعار، انتهج الإمام علي عليه السلام أسلوباً خاصاً في حياته العامّة قائماً على التسامح وبغض التنازع، وعدّ ذلك وجهاً من وجوه شكر الله تعالى على أنعمه التي لا تحصى، وضمّن ذلك في حكمه ضمن الكتاب الذي ورد عنه وهو كتاب نهج البلاغة الذي احتوى على المئات من الدرر من هذا النوع.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث على مبحثين، المبحث الأول: (التقوى في كتاب نهج البلاغة)، أمّا المبحث الثاني فوسمناه بـ (التسامح في كتاب نهج البلاغة).

وقد اعتمدنا على العديد من المصادر يقع في مقدمتها كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي جمعه الشريف الرضي، وكتاب نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام شرح ابن أبي الحديد المعتزلي، فضلاً عن كتاب كشف الغمّة لأبي الحسن علي بن عيسى الأربلي، وكتاب دولة الإمام علي عليه السلام لمحسن الموسوي، وغيرها.



المبحث الأول: التقوى في كتاب نهج البلاغة

مفهوم التقوى لغة واصطلاحاً:

التقوى لغةً: الوقاية، ومصدره: وقاء، بمعنى حفظ الشيء عما يؤذيه، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(١)، قال الراغب الأصفهاني «وقى: الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء. قال «فوقاهم الله، ووقاهم عذاب السعير، وما لهم من الله واق، مالك من الله من ولي ولا واق، قوا أنفسكم وأهليكم نارا، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه وصار التقوى في تعاريف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك بعض المناحات، لما روي: الحلال بين والحرام بين، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه»^(٢).

والتقوى اصطلاحاً: «عبارة عن الاجتناب عن محارم الله تعالى، والقيام

بما أوجه عليهم من التكاليف الشرعية، والمتقي هو الذي يتقي بصالح عمله عذاب الله، وهو مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينه وبينه، كما يقال: اتقى السهم بالترس، أي جعله حاجزاً بينه وبين السهم»^(٣).

والتقوى بعد الإيمان، التورع عن محارم الله واتقاء الذنوب التي تحتم السخط الإلهي وعذاب النار، وهي الشرك بالله وسائر الكبائر الموبقة التي أوعده الله عليها النار، فيكون المراد بالسيئات التي وعد الله سبحانه تكفيرها الصغائر من الذنوب، وينطبق على قوله سبحانه ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٤)، ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾^(٥)، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٦). فيظهر من الآيات الشريفة أن التقوى هي الورع عن محارم الله، أي المعاصي الكبيرة»^(٧).

١- سورة الزخرف، الآية (٥٦).

٢- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٣٠.

٣- السعدي، تفسير السعدي، ص ٢٠٧.

٤- سورة النساء: الآية (٣١).

٥- سورة الطلاق: الآية (٥).

٦- سورة المائدة: الآية (٦٥).

٧- الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٩: ص ٣١٧.



تهب لروح الإنسان قدرة يتسلط بها على نفسه ويمتلكها فهي - إذن - (قوة روحية تتولد للإنسان من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول من الذنوب)^(١). فالحذر المعقول والمنطقي يكون مقدمة للحصول على هذه الحالة الروحية، وهو من لوازم حالة التقوى ونتائجها.

إن نهج البلاغة يصف التقوى بأنها قوة معنوية روحية تحصل من أثر التمرين والممارسة، ولها آثار ونتائج، منها تيسير الحذر من الذنوب. ومن أقواله في هذا الصدد (... ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِيْنَةً وَأَنَا بِهِ زَعِيْمٌ إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الثَّلَاثِ حَجَرَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقْحُمِ الشُّبُهَاتِ... إِلَّا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخَلِعَتْ جُمُهَا فَتَقَحَّحَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَرْمَتَهَا فَأَوْزَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ...)^(٢)، ووصفها كذلك في خطبته هذه بأنها: حالة روحية معنوية من آثارها ضبط النفس وامتلاك أزمته، وأن من لوازم اتباع الهوى وترك التقوى هو انعدام الشخصية وضعف النفس أمام هواها وعند حركة شهواتها، وأن فاقد التقوى حينئذ يكون كراكب

أقول: والمحصل من تعاريف «التقوى» لغة واصطلاحاً هو أنها السور الذي يسور الإنسان به نفسه من الوقوع في الحرام والرديلة والمعصية. أو هي حق الله على العباد، فهو الذي خلقنا ومنحنا كل شيء وتنعم علينا بنعم كبيرة، وفي مقابل ذلك أراد منا أن نلتزم ونتقي بتحسين أنفسنا والمحافظة على الأطر والموازين الشرعية التي أرادها الله وقدرها للبشر.

مفهوم التقوى في نهج البلاغة: إن كلمة (التقوى) من أكثر الكلمات استعمالاً في نهج البلاغة، فليس هناك كتاب يركّز فيه على التقوى أكثر من نهج البلاغة، وليس هناك في نهج البلاغة مفهوم أو معنى اعتنى به أكثر من التقوى. ويرى كثيرون أن التقوى من الوقاية، والوقاية تعني الحذر والاحتراز والبعد والاجتناب، فهي - إذن - سيرة عملية سلبية، وكلما كان الحذر أكثر كانت التقوى أكمل، إلا أن مفهوم التقوى في نهج البلاغة لا يرادف كلمة الحذر (حسب المفهوم المنطقي للفظـة الترادف) فإنَّ التقوى في نهج البلاغة: قوة مقدّسة روحية ينشأ منها أنواع من الإقدام والإحجام، إقدام على القيم المعنوية، وإحجام عن الدنايا المادية،

١ - نهج البلاغة: ٥٣.

٢ - المصدر نفسه، ص ٥٣-٥٤.



والأرجاس والأنجاس.

وقال أيضا (... اَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَلَا يُحَرِّزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ إِلَّا وَبِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ الْخَطَايَا) (٣).

يتضح من هذه المقولة إن التقوى تهب للإنسان حرية تحرره من أسر عبودية الهوى، وترفع عن رقبتة حبال الحسد والحقد والطمع والشهوة، وهكذا تحرق عروق العبوديات المادية، بين ناس هم عبيد الدنيا والمال والمقام والراحة، في حين لا يخضع التقوي لأعباء هذه العبوديات؛ ولذلك نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام حينما يتحدث عن المنظومة القيادية وعن النجاح في الدور القيادي، يقف عند خصيصة التقوى ويعدها مفتاح التسديد والنجاح وذخيرة يوم الآخر الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون.

ضعيف لا إرادة له في تسيير مركبه، بل المركب هو الذي يسير حيث يشاء ويهوى، وأن من لوازم التقوى قوة الإرادة وامتلاك الشخصية المختارة، كراكب ماهر على فرس مدرب يسير به في الناحية التي يختارها بكل اقتدار وسلطة، فيطيعه الفرس بكل يسر.

﴿... إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَازَاكَ أُنُوفُ الَّذِينَ هُمُ أَعْدَاؤُكَ فَهُمْ لَكُمُ الْوَيْلُ مِنْهُمْ وَهُمْ لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ فَمَا لَهُمْ حَمَتُهُ﴾ (١).

ففي هذه الكلمة يصرح الإمام عليه السلام بأن التقوى شيء يكون الحذر من الحرام والخوف من الله من لوازمه وآثاره. وعلى هذا، فليست التقوى هي نفس الحذر، ولا نفس الخوف من الله، بل قوة مقدسة روحية توحى بهذه الأمور وتستتبعها.

﴿فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِّ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ﴾ (٢).

نرى أن الإمام عليه السلام قد عطف نظره في هذه الكلمات إلى الناحية الروحية والنفسية والمعنوية للتقوى وآثارها في الروح، بحيث تبعث فيه الإحساس بحب البر والطهر، والإحساس بالتذمر من الذنوب

١- المصدر نفسه، ص ٥٤

٢- المصدر نفسه، ص ٣٧١.

٣- المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

المبحث الثاني: التسامح في نهج البلاغة

التسامح لغة واصطلاحاً: مادة (سمح) تدل على سلاسة وسهولة. والمسامحة: المساهلة، وسمح بكذا يسمح سُموحاً وسمّاحه: جاد وأعطى، أو وافق على ما أريد منه^(١)، اما اصطلاحاً، فلها معنيان، الأول: (بذل ما لا يجب تفضلاً)^(٢)، والثاني: (في معنى التسامح مع الغير، في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور، والملاينة فيها، التي تتجلى في التيسير وعدم القهر)^(٣).

التسامح عند الإمام علي عليه السلام: ابتداء الإمام علي عليه السلام عهده بإلقاء خطبته المعروفة بالشقشقة والتي توضح - على قصرها - مدى معاناة الإمام على مدار خمسة وعشرين عاماً من الصبر على الظلم ومن ثم تسامحه على ذلك.

١- الخطبة الشقشقية:

جاء في الخطبة الشقشقية للإمام علي عليه السلام وهو يصف بيعة المسلمين له بالخلافة،

إذ يقول: (أما والله لقد تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مُحَلِّي مِنْهَا مُحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى... فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُزْبِ الضُّبُعِ إِلَيَّ يَتَأَلَوْنَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِظْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةِ الْغَنَمِ...)^(٤)، وقال أيضاً: (وَبَسَطْتُم يَدِي فَكَفَفْتُمَهَا وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُمَهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُم عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وَرَدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِيَعْتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ نَحْوُهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكَعَابُ)^(٥).

اختار بعض المجتمعين في سقيفة بني ساعده أبا بكر لخلافة المسلمين ما أدى إلى إقصائه عليه السلام فترة خمسة وعشرين عاماً عن الحكم، إلا أن المسلمين انثأوا عليه بعد مصرع عثمان من كل صوب لمبايعته والإصرار على تصديده لخلافة المسلمين^(٦)، ولما تصدّى لزعامة المسلمين الظاهرية، مارس الإمام علي عليه السلام نهجه السياسي وذلك بسماحه بحرية البيعة وتأکید ذلك في قوله:

١- ابن فارس، مقاييس اللغة، ٩٩/٣، ابن منظور، لسان العرب، ٨٠٢/٤.

٢- الفيومي، المصباح المنير، ٢٨٨/١.

٣- الجرجاني، التعريفات، ص ١٦٠.

٤- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥٠/١.

٥- المصدر نفسه.

٦- آيتي، تاريخ پیامبر اسلام، ص ٦٥.



(...) ودعوت الناس إلى بيعتي فمن بايعني طائعاً قبلت منه، ومن أبى تركته...^(١) وهذا هو جوهر النهج السياسي، وهو في صميم الديمقراطية السياسية، التي تتيح للجميع الحق في اختيار الشخص الذي يرونه مناسباً للمنصب السياسي بغض النظر عن شخصه.

لم يبخل طيلة حياته عن تقديم النصح والمشورة للخلفاء الثلاثة؛ كما في قضية تعيين التاريخ الهجري واعتبار الهجرة هي المنطلق لتأريخ المسلمين. ومن الملاحظ أن شخصية الإمام قد تعرضت للكثير من الافتراء والتشهير ووضع الروايات الدائمة له خاصة في فترة حكم الأمويين، بل وصل الأمر إلى درجة من العداوة أنهم أخذوا بسببه على منابرهم مدة طويلة جداً، وكان أصحابه والموالون له يتعرضون لشتى صنوف التعذيب، وفيما بعد أدى الأمر إلى ملاحقة أتباعه وذريته وتصفيتهم، كما تمادت السلطات في قسوتها وبطشها حتى منعت الناس من التسمي باسم علي عليه السلام إمعاناً منهم في طمس معالمه^(٢).

٢- أقواله في قتل عثمان:

واجه الإمام حركات تمرديّة ظالمة خاض أمامها ثلاثة حروب طاحنة، ومنها معركة الجمل التي قادها الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله^(٣)، علماً أنّهم كانوا من أول المبايعين له بالخلافة، ورد عن أمير المؤمنين حول الزبير: (يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بَقَلْبِهِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيَّةَ فَلَيَّاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرِفُ وَالَا فَلْيَدْخُلْ فِيهَا خَرَجَ مِنْهُ)^(٤).

يتضح مما سبق أنّ الزبير وطلحة كانا يبغيان الحصول على أهداف سياسية، وبعد أن يتسوا منها حاولوا التأجيج لمعركة جديدة مستقدمين معهم عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانوا قد أبرزوها على أحد الجمال غير آبهين للنتائج التي تكون حافزاً للمقاتلين للنهوض ضد الإمام علي، ومع ذلك فقد كان للأمير موقف متسامح من هذا الموضوع، وبين أنّ عائشة أخرجت مكرهة، قال فيها: (فَخَرَجُوا يُجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا تُجْرَى الْأُمَةُ عِنْدَ شَرَائِهَا مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/١. ولزيادة التفاصيل ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٨٩.

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ٥٩/١٩، آيتي، تاريخ بيامير، ص ٦٥.

٣- ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٧/٧.

٤- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/١-١٧.

الطَّاعَةَ وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهُ^(١).

ليس ذلك فحسب بل أنه عندما مرَّ ﷺ بعد معركة الجمل بنساء يبكين بفناء دار فلما نظرن إليه صحن صيحة واحدة وقلن: «هذا قاتل الأجرة»، فقال ﷺ: «لو كنت قاتل الأجرة لقتلت من في هذه الحجرة، ومن في هذه وأوماً بيده إلى ثلاث حجرات. تقول صفية فذهبت إليهن فما بقيت في الدار صائحة إلا سكتت، ولا قائمة إلا قعدت»، وكان في إحدى الحجرات عائشة ومن معها من خاصتها، وفي الأخرى مروان بن الحكم وشباب من قريش، وفي الثالثة عبد الله بن الزبير وأهله^(٢).

ثم كانت معاملته الخاصة للسيدة عائشة رضي الله عنها، دلالة واضحة على التسامح والتعاطف والاحترام، إذ إنَّه ﷺ قد أرسلها إلى المدينة المنورة، بعد أن زودها بمتاع واطمأن على سلامتها وأرسل معها نسوة من أهل البصرة، متقلدات السيوف والعمائم ومرتزقات بزي الرجال لحمايتها^(٣).

ولعلَّ الفضل ما شهدت به الأعداء فهناك شهادة لمروان بن الحكم تؤكد على مدى التسامح الذي تمتع به الإمام، فجاء عن أحد المؤرخين قوله: (... وذكروا إنَّ مروان بن الحكم لما بويع علي هرب من المدينة، فلحق بعائشة بمكة فقالت له عائشة: ما وراءك؟ فقال مروان: غلبنا على أنفسنا، فقال له رجل من أهل مكة: إياك وعلياً فقد طلبك، ففر من بين يديه، فقال مروان: لم؟ فوالله ما يجد إلي سبيلاً، أما هو فقد علمت أنه لا يأخذني بظن، ولا ينصب إلي إلا على اليقين...)^(٤).

كذلك ما جاء في خطبة له ﷺ في مسألة الطلب بدم الخليفة المقتول عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث يقول: (... وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقَّاهُمْ تَرْكُوهُ وَدَمَّاهُمْ سَفْكُوهُ فَلَيْنَ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّهُمْ لَنَصِيهِهُمْ مِنْهُ وَلَئِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبَعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ يَرْتَضِعُونَ أُمَّاً قَدْ فَطَمَتْ وَيُحْيُونَ بِدَعَةٍ قَدْ أُمِيتَتْ يَا خَيَّةَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا وَإِلَامَ أُجِيبَ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلِمِهِ فِيهِمْ...)^(٥).

١- المصدر نفسه، ١ / ١٧.

٢- الأربلي، كشف الغمة، ١ / ٢٣١.

٣- المصدر نفسه، ١ / ٢٣١-٢٣٢.

٤- الدينوري، الإمامة والسياسة، ٢ / ١٤٣.

٥- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١ / ١٨٨.



إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ عَلَى عُثْمَانَ وَقَتْلَتَهُ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ وَالسَّلَامُ^(٢).

ففي الكتاب السابق لأمر المؤمنين عليه السلام إلى معاوية نجده يؤكد أنه هو الذي دافع ونصر الخليفة عثمان بن عفان عليه السلام، من خلال التوسط بينه وبين الخارجين عليه في محاولة منه لإخاد الفتنة، وكذلك إرساله ولديه الحسن والحسين عليه السلام إلى دار الخليفة للدفاع عنه، حتى شج الحسن عليه السلام وأدمي^(٣)، في حين أن معاوية قد تحاذل وتراخى عن نصره، يؤكد ذلك ما أورده اليعقوبي: (... فكتب إلى معاوية، يسأل تعجيل القدوم عليه، فتوجه إليه في اثني عشر ألفاً، ثم قال: كونوا بمكانكم في أوائل الشام، حتى آتي أمير المؤمنين لأعرف صحة أمره، فأتى عثمان فسأله عن المدّة، فقال: قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم، قال: لا والله ولكنك أردت أن اقتل فتقول: أنا وليّ الثأر ارجع فجئني بالناس فرجع فلم يعد إليه حتى قتل)^(٤).

وفي كتاب آخر دعا أمير المؤمنين عليه السلام

فهنا يتبين لنا أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكره طلحة والزبير على البيعة، بل إنهما بايعا طائعين غير مكرهين، وأنه لا حجة لهما في الخروج عليه تحت ذريعة الإكراه على البيعة أو الطلب بدم الخليفة المقتول وقد أكدت ذلك الكثير من المصادر التاريخية^(١).

أمّا بالنسبة لمعاوية، فقد كانت حجته في رفض البيعة للإمام هو المطالبة بدم الخليفة المقتول كونه ابن عمه، وهي من الحجج الواهية، التي اتخذها معاوية من أجل تحقيق هدفين له، الأول هو الاحتفاظ بمنصبه والياً على الشام، والثاني هو سعيه للوصول إلى منصب الخلافة.

ردّ أمير المؤمنين عليه السلام على هذه الحجة الواهية والاتهام الباطل، الذي اتهمه بها معاوية في التستر على الغاية التي أضرها، ومما جاء من كلامه عليه السلام ما ورد في كتابه إلى معاوية حيث يقول: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوُثَائِقِ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلَبَةٌ وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ فَأَمَّا

١- الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٩٢٩.

٢- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ١٥١.

٣- المصدر، تنوع ادوار، ص ٢٨٦.

٤- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١/ ١٢٣. الزبيدي، الرسائل السياسية، ص ١٥.



أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ لَئِنْ
نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِي أَبْرَأَ
النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي
عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّنَّ مَا بَدَأَ لَكَ
وَالسَّلَامُ^(٢).

نلاحظ أنَّ أمير المؤمنين قد احتج على
معاوية بالإجماع الذي حصل في بيعته،
وقال له بأن أمره في عدم المبايعة من بين
أمرين: (إمّا خارج عنها وهو الطاعن
في صحتها ويجب مجاهدته لمخالفة سبيل
المؤمنين، وإمّا منزوٍ في ذلك ومتوقف،
وحكمه أنَّه يدهن وهو نوع من
النفاق)^(٣)، وهذا القول هو شبيه في قول
له عليه السلام في موضع آخر: ((لَأَتَمَّ بَيْعَةً وَاحِدَةً
لَا يُثْنَى فِيهَا النَّظَرُ وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا
الْخِيَارُ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ وَالْمُرَوِّي فِيهَا
مُدَاهِنٌ))^(٤)، أي أنَّ بيعته عليه السلام ببيعة واحدة إذا
كانت في المدينة المنورة أو في باقي الأمصار
الإسلامية كالشام والكوفة وغيرها فهي
ملزمة للجميع؛ لذلك قام أمير المؤمنين عليه السلام
بطلب القيام بالبيعة له في الشام رسمياً
من معاوية والقدوم إليه في وفد من
أهلها، بعد أن برهن له ببطلان حجته

معاوية إلى الدخول في الطاعة والمبايعة له
ثم التحاكم في قضية مقتل الخليفة عثمان عليه السلام
مع قاتليه، جاء فيه: (... وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي
قَتْلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ
حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَهْمُكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ
اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةٌ
الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفَصَالِ وَالسَّلَامُ
لَأَهْلِهِ)^(١)، فأمر المؤمنين يؤكد أنَّ حجة
معاوية في الطلب بدم الخليفة عثمان عليه السلام،
إنما هي خدعة كالتي يخدع بها الطفل
عند الفطام.

أمّا رفض معاوية البيعة، فقد ردَّ أمير
المؤمنين عليه السلام على ذلك بكثير من الكتب
والرسائل، التي تؤكد أنَّ بيعته بيعة عامَّة
بايعه فيها الخاصة من المهاجرين والأنصار
وعامة المسلمين؛ ولذلك فمبايعته له
ملزمة عليه، ومن ذلك ما ورد في أحد
كتبه: (إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا
بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ
فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ
يَرُدَّ وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
فَلِإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ
ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ
بَطْعَنٍ أَوْ بَدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ فَإِنْ

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٠٨.

٢- المصدر نفسه.

٣- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٠١.

٤- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٠٩.



النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... (٣).

المبحث الثالث: تسامحه وتقواه في المعارك

انتهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أسلوباً خاصاً في المعارك قائماً على العفو والتسامح حتى مع أعدائه في الحروب، فقد انفرد عن جميع البشر على الإطلاق في هذا الأمر؛ لذا يمكن استعراض جانبين في هذا المبحث هما:

١- في الحروب: سعى الإمام حثيثاً نحو الحد من شرور الحرب وأثارها السلبية رافضاً مبدأ استخدام القسوة والانتقام في الحروب، إذ يقول عليه السلام: (أَبْحُ أَعْمَالِ الْمُقْتَدِرِ الانتقام) (٤). ويحذر عليه السلام من العواقب النفسية والسياسية لهذا النمط من السلوك، إذ يقول عليه السلام: (لا سؤدد مع انتقام) (٥). وبدلاً عن ذلك يقدم الإمام العفو والتسامح في التعامل مع الخصوم، إذ يقول عليه السلام: (إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ

في رفض البيعة، وقد جاء ذلك في كتابه إليه الذي ورد فيه: (مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ وَقَدْ أَذْبَرَ مَا أَذْبَرَ وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ فَبَايَعُ مَنْ قَبْلَكَ وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ وَالسَّلَامُ) (١).

وقد كان ردُّ معاوية على هذا الكتاب هو رفض البيعة لأمر المؤمنين عليه السلام وأعلن الحرب، كما جاء في جوابه الذي أرسله إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: (... فلما أتى معاوية كتاب علي دعا بطومار فكتب فيه: من معاوية إلى علي، أمّا بعد فإِنَّهُ: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرُ طَعْنِ الْكُلَى وَضَرْبِ الرِّقَابِ) (٢).

ويعبر الإمام علي عليه السلام عن رفضه لأسلوب الخديعة وخيانة العهد حين يقول في مقارنة غاية في الأهمية: (وَ اللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى

١- المصدر نفسه.

٢- الموسوي، دولة الإمام علي عليه السلام، ص ٢٦٤.

٣- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٨٧.

٤- مدير، كاظم، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ٢/ ٢٧.

٥- المصدر نفسه.



وانسجاماً مع الواقعية التي امتاز بها الإمام عليه السلام فكراً وسلوكاً فإنه يشير إلى نوع الخصم الذي يجب أن يمنح العفو ويتعامل معه على وفق هذا المبدأ، إذ يقول عليه السلام (العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم)، ويحدد الإمام آلية العفو الذي دعا إليه قائلاً: (العفو عن المقر لا عن المصّر^(٧)).

وقد كانت حروب الإمام مثلاً عملياً لما دعا إليه عليه السلام من العفو والتسامح^(٨)، بل أنه عليه السلام كان (لا يقاتل حتى تزول الشمس بقوله تفتح أبواب السماء، وتقبل التوبة، وينزل النصر، وهو أقرب إلى الليل، وأجدر أن يقل القتال ويرجع الطالب ويفلت المهزوم)^(٩)، وبين الكاتب محمد الصغير في أن «هذه السنن الحريّة التي خطط لها الإمام تنطلق من مبدأ الدفاع عن النفس، ولا تنجز إلى أرداه شهوة الحرب وتنبعث من صميم تعاليم الرسول الأعظم ﷺ في العفو والتغاضي

العفو عنه شُكراً للقدرة عليه^(١٠)، وكذلك كان عليه السلام يوصي الحاكم المسلم قائلاً: (خذ عدوك بالفضل فإنه أحلّ الظفرين)^(١١)، ويقول عليه السلام: (صافح عدوك وإن كرهه فإنه مما أمر الله عز وجلّ به عباده)^(١٢).

ولم يتخل الإمام علي عن مبدئه بتعزيز سياسة العفو مع الخصوم حتى حين كان عليه السلام على فراش الشهادة، إذ قال عن قاتله: «إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيٌّ دَمِي وَإِنْ أَفْنَى فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي وَإِنْ أَعْفُ فَاَلْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»...»^(١٣).

ويذهب مفكّر معاصر إلى أن سموه النفسي وحسّه الإنساني قد أثر بشكل جلي في تبنيه منهج العفو، فالإمام (بطبعه ومزاجه يصفح عن قاتله وقاتل أولاده دون أي تكلف)^(١٤)؛ لذلك فإنه عليه السلام يجعل فضيلة العفو قيمة عليا في النفوس ولا سيما في وقت الحرب.

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٦٠٣.

٢- مغنية، المجالس الحسينية، ص ٧٣.

٣- الريشهري، ميزان الحكمة، ٢/ ١٦١٧.

٤- سورة النور / الآية ٢٢.

٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٧٨.

٦- مغنية، المجالس الحسينية، ص ٧٤.

٧- مدير، كاظم، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ٢/ ٢٧.

٨- ينظر: البغدادي، تاريخ البغدادي، ١/ ١٨٠؛ محمد الطبري، تاريخ الطبري، ٣/ ٥٩٦.

٩- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٥٦٨ - ٥٧٠.



وتنسجم وطبيعة النظام الاسلامي في التوصل إلى معالي الأمور^(١).

ولقد تعرّض الإمام لموضوع مهم إذ رفض عليه السلام أن ينساق المجتمع وراء الأغراض

السياسية أو الأطماع الشخصية للحكام والتي غالباً ما تغلف بمسوغات شرعية؛

لذلك فقد اشترط الإمام أن الضوابط العليا التي تعلن الحرب التي أشرنا إليها

سابقاً^(٢)، حتى يقاتل المسلم تحت رايته وهو مطمئن على الأهداف الحقيقية لشن

الحرب من الناحية الشرعية، إذ يقول الإمام عليه السلام: (لا غزو إلا مع إمام عادل)^(٣)

و (الجهاد في سبيل الله مع كل إمام عادل باب من أبواب الجنة)^(٤) ويقول عليه السلام:

(لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم ولا ينفذ في الفیء أمر الله عز وجل فأن مات في ذلك كان معيناً لعدونا

... وميته ميتة جاهلية)^(٥).

ويؤكد الإمام الأداء الشرعي للحكومة كمعيار لشرعية دعوتها للقتال، إذ يقول عليه السلام:

(حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله

١- مدير، كاظم، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ٢/ ٢١٣.

٢- الطرابلسي، المذهب، ص ٢٩٣.

٣- القزويني، موسوعة الإمام الصادق عليه السلام، ٩/ ٧٣٤.

٤- مدير، كاظم، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ٢/ ٢١٣.

٥- بيضون، تصنيف، ص ٤٦٦.

٦- خالد، في رحاب الإمام علي عليه السلام، ص ١٢٩.

٧- المحمودي، نهج السعادة، ٧/ ٤٧٤.

٨- المصدر نفسه، ٧/ ٢٣٢.

إن تأكيد المسوغات الشرعية للحرب هو الأساس الذي ستبنى عليه مبادئ

أخرى ذات صفة عامّة دعا الإمام علي عليه السلام لتطبيقها في إثناء الحروب، مستنداً بذلك

إلى العدالة حتى مع الأعداء، بل هو حق يجب أن يتمتعوا به على وفق رؤيته عليه السلام

الذي يقول موصياً ولده وخليفته الإمام الحسن قائلاً: (يا بني أوصيك بتقوى الله

في الغنى والفقر... وبالعدل على الصديق والعدو)^(٧).

ويقول عليه السلام أيضاً (ابذل لصديقك نفسك ومالك ... ولعدوك عدلك

وإنصافك)^(٨).

يوضح الكاتب هادي المدرسي رؤية الإمام عليه السلام لهذا المبدأ بأن (أخلاق الرجال

الحقيقية تظهر في التعامل مع العدو،



الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يَحْمِلْ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّيْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ فَاْمُضُوا لِمَا تُوْمَرُونَ بِهِ وَاقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا فَلِنْ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُكْرِوْنَهُ غَيْرًا...^(١).

دعا الإمام إلى إرساء معالم السلم والصلح في المجتمع الإنساني كافة، ويبدو أنَّ هذا الموقف نابعٌ من ثقة الإمام بأنَّ تعاليم الإسلام السمحة قادرة على الوصول إلى القلوب والعقول من دون حاجة إلى فرضها بالقوة، وأنَّ السيف هو أداة لحماية الدعوة وليس لنشرها؛ لذلك يقول ﷺ: (مَنْ أَفْضَلَ النَّصْحِ الْإِشَارَةُ بِالصَّلَحِ)^(٢). ويوصي ﷺ في عهده الدستوري للأشتر قائلاً: (وَلَا تَذْفَعَنَّ صَلَاحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَاللَّهُ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصَّلَحِ دَعَةً لِحُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ وَلَكِنْ الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صَلَاحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَأَتِمِّمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ)^(٣). ويعلق باحثٌ معاصرٌ على هذا المبدأ قائلاً إنَّ (القبول بالدعوة إلى الصلح والسلم هي نابعة من حبِّ علي ﷺ إلى

أكثر مما تظهر في التعامل مع الصديق... وكثيرون هم الذين يسمحون لأنفسهم في التعامل مع العدو ما لا يسمحون لها في التعامل مع الصديق... ولو افترضنا أن العدو لا يلتزم بأصول العدل، فإنَّ علينا أن نلتزم بها حيث أن ذلك جزء من احترامنا لقيمنا وتقاليده ديننا فلا تجاوز للعدل حتى مع العدو ولا تنازل عن الأخلاق حتى في مواجهة من يدوس عليها وكفى بنصر الله لك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك)^(٤)، وكان لهذه العدالة آثار عديدة على المدى القريب والبعيد منها: الإعذار في الحرب، فقد كانت هنالك نظرة خاصَّة وحكم خاص، لأمير المؤمنين ﷺ في قتال المشركين عن خلافته، يمكن أن نستشفها في كثير من خطبه ومن ذلك قوله: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتَعْتَبَ فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ... أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ وَخَيْرٌ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ وَقَدْ فُتِحَ بَابُ

١- المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨/ ١٧٦.

٢- القمي، حياة أمير المؤمنين علي ﷺ، ص ٣٣١.

٣- مدير، كاظم، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي ﷺ، ٢/ ٤٧٢.

٤- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٥٦٨.



الحق والعدالة.... فهو محب للسلم كاره للقتال إلا إذا كان القتال ضرورة اجتماعية وإنسانية، وحبه للسلم إنما كان نتيجة منطقية محترمة لمعنى المجتمع لديه ولما قاده إليه العقل والتجربة من إدراك هول الحروب ومقدار ما تسبيء إلى الغالب والمغلوب من أبناء آدم وحواء^(١).

لقد امتاز الإمام علي عليه السلام بخبرة عسكرية واسعة يشير إليها قائلاً رداً على بعض منتقديه بأنه ليس رجل حرب: (وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعُشْرَيْنِ وَهَذَا أَنَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّيِّئِينَ)^(٢). إنَّ معاشة الإمام للحرب جعلته قريباً من شروها وآثارها السلبية، مما أضاف حافزاً لسعيه عليه السلام إلى إرساء أسس السلام كقيمة عليا وحق للإنسان حتى أنه يقول: (لا عاقبة لأسلم من عواقب السلم)^(٣). وينطلق الإمام من المنظومة الإسلامية والشخصية، التي أشرنا سابقاً إلى شذرات منها في إرساء سبل السلام إذ يقول: (الاستصلاح للأعداء بحسن

المقال وجميل الأفعال أهون من ملاقاتهم بمضيض القتال)^(٤)، وقد رفض الإمام سياسة العدوان العسكري واللجوء للحرب من غير مسوغات شرعية، إذ نسب إليه قوله: (من سلَّ سيفَ العدوان قتلَ به)^(٥). وقد عدَّ الإمام اللجوء إلى السلاح هو الخيار السياسي الأخير بيد صانع القرار، إذ يقول عليه السلام عن ظروف معاركه التي خاضها بعد توليه سدة الحكم في الدولة الإسلامية^(٦): (وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ وَقَلْبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ فَلَمْ أَرِ فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ...)^(٧).

إنَّ الحرب بجانب كونها اعتداءً على الحياة فهي تدمير لما تصلح به الحياة، وقد منع الإمام عليه السلام حرب التوسع وبسط النفوذ وسيادة القوي، كذلك منع حرب الانتقام والعدوان. وإذا كانت القاعدة هي السلام، والحرب هي الاستثناء، فلا مسوغ لهذه الحرب عند الإمام علي إلا في ضمن بعدين أساسيين يحدد هما بقوله: (القتال قتالان: قتال أهل الشرك لا ينفر

١- الزبيدي، في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي، ص ١٢٥ - ١٢٦.

٢- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٠٠.

٣- بيضون، تصنيف، ص ٣٨٦.

٤- مدير، كاظم، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ٢/ ٢١٠. الواسطي، عيون الحكم، ص ٥٧.

٥- مدير، كاظم، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ٢/ ٤٠٨.

٦- القرشي، موسوعة أمير المؤمنين، ١١/ ٤٩ - ٤٦٤.

٧- الاسكافي، المعيار، ص ٥٩. ولزيادة التفاصيل ينظر: الزبيدي، الرسائل السياسية، ص ١٧٧ - ٢٣٦.



السلطة الشرعية العادلة، وهو مقاتلة (البغي)، الذي يعرف في الفقه الاسلامي كونه (العصيان والتجاوز عن الحدّ المشروع وأنّ الباغي في عرف الفقهاء هو المخالف للإمام العادل الخارج عن طاعته بالامتناع عن أداء حقه)^(٦)، وقد ساءم الإمام (أهل الزيغ)، إذ قال ﷺ: «وقتل أهل الزيغ لا ينفر منهم حتى يفيئوا إلى أمر الله أو يقتلوا»^(٧).

جعل الإمام من عملية إعطاء التبليغ أو الإعذار بالحرب من المبادئ القانونية الأساسية في ضمن رؤيته لأخلاقيات الحرب إذ (كان الإمام علي ﷺ يهتم بموضوع (الإعذار) والإعذار هو إيضاح الأمر لدى الخصم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة)^(٨)، وكان ﷺ يأمر قادته العسكريين قائلاً: (إياك أن تبدأ القوم بقتال إلا إن يبدؤوك حتى تلقاهم وتسمع منهم ولا يجرمك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة

عنهم حتى يسلموا أو يؤتوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقاتل لأهل الزيغ لا ينفر حتى يفيئوا إلى أمر الله أو يقتلوا)^(١)، وهذان البعدان احتويا على عدة عناوين ثانوية أشار إليها الإمام وهي:

١. رد العدوان والاعتداء والتحدي إذا ما مُس كيان الفرد والأمة إذ يقول ﷺ: (رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ)^(٢)، ويقول ﷺ: (لَا تَدْعُونَ إِلَى مُبَارَزَةٍ وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ وَالْبَاغِيَ مَضْرُوعٌ)^(٣).

٢. الحفاظ على الإسلام وقيمه ودعائمه الأساسية، إذ يقول ﷺ محدداً قاعدة مهمة لشرعية الحرب: (وجدت المسالمة ما لم يكن وهن في الإسلام أنجع من القتال)^(٤). ويقول ﷺ: (إن الله لم يرص لأهل القرآن أن يعمل الناس بمعاصي الله في أكناف الأرض وهم سكوت ولا يأمر ولا ينهون)^(٥).

٣. القتال من أجل الحفاظ على

- ١- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١١ / ١٨٠؛ الكلان تري، الجزية، ص ٨٣.
- ٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٦٦٩.
- ٣- مدير، كاظم، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي ﷺ، ٢ / ١٦٨.
- ٤- الرشدي، ميزان الحكمة، ٢ / ١٦٢.
- ٥- الاسكافي، المعيار، ص ١٤٧.
- ٦- التبريزي، سيرة الإمام أمير المؤمنين، ص ١٥.
- ٧- الكلان تري، الجزية وأحكامها، ص ٨٣.
- ٨- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧ / ١٩٤.



بلغتهم الدعوة وأكدت الحجة عليهم بالدعاء فحسن^(٤) ومن جهة ثالثة فإن تأكيد الإمام مسألة الإعذار تأتي في سعيه نحو السلام إلى آخر لحظة فهو (يرجو إذا اذنهم بالقتال أن يثوبوا إلى الرشد ويرجعوا عن العصيان)^(٥). ويقول عليه السلام في هذا المجال «فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تُلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعُشُّوْا إِلَى صَوْتِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِأَثَامِهَا»^(٦).

وفي خطبة له عليه السلام يبين فيها تسويغ قتال المخالف، والدعوة إلى طاعة الله، والترقي فيها لضمان الفوز بقوله: (وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَاطَبَ الْغَيَّ...)^(٧).

٢- عنايته بمقاتليه: في منظومة القانون الإنساني للحرب عند الإمام علي تبرز مسألة رعاية إنسانية المشاركين في الحرب إلى جانب الحفاظ على حياتهم وذلك استناداً إلى رؤيته عليه السلام للحرب بأنها وسيلة لتطوير الحياة وليس لوقفها، ويعبر الإمام عن رفضه لأسلوب الخديعة والخيانة إذ يقول عليه السلام: (وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةَ بِأَذْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْعَدْرِ

بعد مرة)^(٨). وكان أحد القادة العسكريين من جيش الإمام يقول: (كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه يقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم)^(٩)، ولقد كان الإمام علي حريصاً على تطبيق هذا المبدأ في الحروب التي خاض غمارها^(١٠).

وإذا ما اعترض من يقول إن عملية الإعذار هذه نوع من المثالية قد تضيع مكاسب عنصر المباغته، ولاسيما مع تطور وسائل الحرب وإستراتيجية الضربة الأولى للخصم، يمكن الرد على ذلك بالقول إن رؤية الإمام للحرب هي ليست تحطيم الخصم أو قهر إرادته بقدر ما هي تقويم لذلك الخصم ومنع شره من أن يطال الآخرين، ومن ثم فإن تحقيق الكسب العسكري لا يكون على حساب المبادئ الرسالية التي تسعى الحرب إلى تحقيقها وتكتسب شرعيتها منها هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الإمام أصر على معرفة الخصم كقيادة وأفراد لماذا يقاتلون وعلى ماذا يستحل دماءهم حتى يجنبهم أي تضليل أو اختلاط في المواقف والرؤى أو وجدته قياداتهم السياسية والدينية، إذ يقول عليه السلام: (لا يغز قوم حتى يدعوا، وإن

١- المحمودي، نهج السعادة، ١٤٦/٢.

٢- لجنة الحديث، سنن الإمام علي، ص ٤٠٤.

٣- ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص ٢٠٢.

٤- الزبيدي، الفكر الاجتماعي، ص ١٢٢.

٥- الرشدي، القيادة في الإسلام، ص ٦٣. الورداني، السيف والسياسة، ص ٤٥.

٦- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٠١.

٧- البحراني، شرح كلمات أمير المؤمنين، ص ٢٣٣؛ مدير، الحكم، ١/ ١٦٦.



أسس احترام المعاهدات والاتفاقيات، في نص غاية في الأهمية والدقة معاً، اذ يقول ﷺ: (وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عَقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطَّ عَنْكَ بِأَلْفَاءٍ وَارَعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ... فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلَا تَخِيْسَنَّ بِعَهْدِكَ وَلَا تَخْنَلَنَّ عَدُوَّكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ سَقِيٌّ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِضُّونَ إِلَى جَوَارِهِ فَلَا إِذْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ وَلَا تَعْقُدْ عَقْداً تُجَوِّرُ فِيهِ الْعِلْلَ وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوَثُّقَةِ وَلَا يَدْعُونَكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاحِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبَعْتَهُ وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَةٌ لَا تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ^(١)، ومما يلاحظ أن المضمون القانوني والأخلاقي المميز في هذا النص يتكامل مع المحور الثاني في ضمن القانون الإنساني للحرب، وهو حماية المشاركين في الحرب^(٢).

لَكُنْتُ مِنْ أَذَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرِفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣)

ويلج الإمام إلى العلاقات التي تنشؤها المعاهدات، سواء في زمن السلم أو الحرب، فكان مبدئه ﷺ: (أوفوا إذا عاهدتم)^(٤)، وعد الإمام المراحل السيئة في حياة الأمة هي تلك التي تخان بها العهود^(٥) ويرفض الإمام أسلوب الكذب والخديعة والمراوغة، اذ يقول ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْفَى مِنْهُ وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ مَا لَهُمْ فَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحَوْلَ الْقُلُوبُ وَجَهَ الْحِيلَةَ وَدُونَهَا مَا نَعُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَبِيهِ فَيَدْعُهَا رَأْيِي عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَتَهَيَّزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ)^(٦)، ويؤكد الإمام على ضرورة الالتزام بمواثيق السلم ولاسيما تلك التي تضع نهاية للصراع العسكري، اذ يقول ﷺ: (من ائتمن رجلاً على دمه ثم خان به، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول في النار)^(٧).

ويحدّد الإمام موارد مهمة في وضع

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٠١.

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ٥٧/ ٩.

٣- بيضون، تصنيف، ص ٣٣٢.

٤- النوبختي، فرق الشيعة، ص ٧٨.

٥- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٥/ ٦٩.

٦- النقدي، الأنوار العلوية، ص ١٠٨.

٧- بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص ٣٢٢.



ناطقة من آيات السماء تسير على الأرض.

بلغ من منزلة كتاب نهج البلاغة إلى أن وُصف بأنه فوق مستوى الربوبين ودون مستوى الخالق، لما حوته من حكم بالغة، عدّت في كثير من الأحيان ترجمان للقرآن الكريم.

إن نظرة واحدة متمعة إلى خطب نهج البلاغة التي تجسد فكر النهج السياسي عند أمير المؤمنين عليه السلام تجاه تعامله مع المنشقين عن خلافته، نلاحظ أنه لم يقم بقتالهم إلا بعد قيامه بعدة أمور لإلقاء الحجة عليهم ولحملهم على الرجوع إلى الجماعة التي دخل فيها عامّة المسلمين وترك الفتنة ومنها: الحجة في الخروج على الخليفة، عدم الأخذ بالظنة والتهمة قبل ثبوت الحجة، إرساله الكتب والرسائل والمبعوثين، الإغذار قبل القتال، طبيعة التعامل مع نتائج المعركة.

في خاتمة الحديث عن فضائل أمير المؤمنين ومدى تسامحه لا يسعنا إلا أن نذكر بعض النتائج ومنها:

تعد مفردتا التقوى والتسامح من أكثر المفردات حضوراً في كتاب نهج البلاغة، وقد وظفها خير توظيف، بغية التعريف بهما، والاقتداء بسلوكه الكريم.

انتهج أمير المؤمنين مبدأ التسامح طالما تعلق الأمر به، أمّا إذا اختصّ بأيّ شخص آخر، يضرب بيد من حديد إرساءً للقواعد وعدم نشر الفوضى في ربوع البلاد.

كانت الثورات المعارضة له تبغي الوصول إلى أهداف مادية دنيوية زائلة.

على الرغم من علمه بخيث سرائر المعارضين له، إلا أنه انطلقاً من خلقه السامي تغاضى عن كلّ ذلك مع تربّعه على عرش دولة كبيرة مترامية الأطراف.

إنّ صفتي التقوى والتسامح من الصفات الإيجابية التي دعا اليها القرآن الكريم في العديد من المواضع، وأرسى جذورها الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وأكمل أمير المؤمنين ذلك من بعده، فكان في تسامحه وتقواه آية

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الائمة، ط دار الأضواء، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- الاسكافي، أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي، المعيار والموازنة، تح: الشيخ محمد باقر المحمودي، بيروت، مكتبة الحياة، (د. ت).
- الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والادب، ط ٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٧.
- آيتي، محمد ابراهيم، تاريخ بيامبر اسلام، طهران: جامعة طهران، ١٣٧٨ هـ.
- البحراني، كمال الدين عبد الوهاب بن ميثم بن علي، شرح كلمات أمير المؤمنين، تح: وتصليح: مير جلال الدين الحسيني، (د. ط)، ١٣٩٠ هـ.
- بيضون، لبيب، تصنيف نهج البلاغة، ط ٣، قم، مكتب الاعلام اسلامي، ١٤١٧ هـ.
- التبريزي، علي هجراني، سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في البغاة، قم، مولود الكعبة، ١٤٢٢ هـ.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، تهذيب التهذيب، ط ١، الهند، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٤ م.
- ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد، شرح نهج البلاغة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٢، بيروت: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٧ م.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، ط. بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت).
- ابن خلكان، شمس الدين (ت: ٦٨١ هـ / ١٢٨٣ م)، وفيات الاعيان، تح: إحسان عباس، بيروت، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- خالد، خالد محمد، في رحاب الإمام علي عليه السلام، القاهرة، دار الاسلام، (د. ت).
- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، تح: علي الشيري، ط ١، ايران، مطبعة أمير، ١٤١٣ هـ.
- الزبيدي، عبد الرضا، الرسائل السياسية بين الإمام علي عليه السلام ومعاقبة، إيران، دار الكتاب الإسلامي، (د. ت).
- ----، في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام مكتبة فذك- قم ٢٠٠٥ م.



- ابن سعد، ابو عبد الله الزهري، الطبقات الكبرى، القاهرة، ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م.
- السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق: لجنة من الادباء، ط. مكة المكرمة، (د.ت).
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب ال ابي طالب، تصحيح وشرح لجنة من أساتذة النجف، النجف: المكتبة الحيدرية، ١٩٥٦.
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي البغدادي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، تح: فارس تبريزيان، إيران، مؤسسة دار الهجرة، ١٣٨٠هـ.
- الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، قم، مؤسسة البعثة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.
- عيون الاخبار، قم، مؤسسة الإمام الهادي، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.
- الصدر، محمد باقر، أهل البيت عليه السلام تنوع ادوار ووحدة هدف، تح: عبد الرزاق الصالح، ط. لبنان: بيروت، مؤسسة أم القرى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣م.
- ابن أبي طالب، علي، نهج البلاغة، شرح محمد عبده الدار الإسلامية، بيروت ١٩٩٢م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطبري)، مراجعة نخبة من العلماء، لندن، ١٨٧٩م.
- الطرابلسي، عبد العزيز ابن البراج، المهذب، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٦هـ.
- العلي، صالح أحمد، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط. البصرة، ١٩٧٥م.
- ابن عنبه، جمال الدين بن أحمد بن علي، عمدة الطالب في انساب ال أبي طالب، تصحيح محمد حسن ال الطالقاني، ط ٢، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٢.
- القزويني، محمد كاظم، موسوعة الإمام الصادق، قم، مكتبة بصيرتي، ١٤١٨هـ.
- القمي، اصغر ناظم زادة، حياة أمير المؤمنين علي عليه السلام (بحوث في سيرته وفضائله وحكومته من طرق اهل السنة)، ط ٢، ايران، دار الكوثر، ١٤٢٤هـ.
- القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي، ينابيع المودة لذوي القربى، تح: علي الحسيني، دار الاسوة، ١٤١٦هـ.

- ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل، البداية والنهاية، تح: وتعليق علي الشيري، ط ١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨ م.
- الكلان تري، علي أكبر، الجزية واحكامها في الفقه الاسلامي، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٦ هـ.
- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، سنن الإمام علي عليه السلام، ط ١، قم، نور السجاد، ١٤٢٠ هـ.
- المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، بيروت، مؤسسة المحمودي، (د. ت).
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، ط ٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣ م.
- مدير، كاظم، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ط ١، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٧ هـ.
- مغنيه، محمد جواد، المجالس الحسينية، قم، دار السجدة، ١٤٢٤ هـ.
- المسعودي مروج الذهب دار الهجرة قم، (د.ت).
- الموسوي، محسن، دولة الإمام علي عليه السلام، بيروت: ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.
- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط ٢، المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٢ هـ.
- ابن هشام، عبد الملك الحميري، السيرة النبوية، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مكتبة محمد صبيح واولاده، (د. ت).
- الواسطي، كافي الدين ابو الحسن علي بن محمد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، تح: حسين الحسيني، قم، دار الحديث، ١٣٧٦ هـ.
- الورداني، صالح، السيف والسياسة (الصراع بين الاسلام النبوي والاسلام الاموي)، القاهرة، دار الحسام، ١٩٩٦.
- اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، (د. ت).



اَللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

١٤٤١ هـ و كشور

مركز الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) للدراسات والبحوث المتخصصة

Imam Amir Al-Mu'mineen (peace be upon him)
Center for Speciazlied Studies and Research

